العالم الموسوعي ثابت بن قرة الحراني وإسهاماته الفكرية

إعداد طالب الدكتوراه
سامي مرعي

إشراف الأستاذ الدكتور
سهيل زكار

قسم التاريخ
كلية الآداب
جامعة دمشق

١- مقدمة.

من المعروف أن الحضارة العربية الإسلامية في عصر ازدهارها، عرفت العديد من العلماء الموسوعيين الذين كانوا ذوي معارف واسعة في أنواع مختلفة من العلوم، فصنفوا مصنفات علمية خالدة ومهمة، شكّلت لبنات أساسية في صرح البناء الفكري الإنساني وكانت أساساً للدراسات اللاحقة، ومن هؤلاء العلماء، كان ثابت بن قرة الحراني الذي أسهم بدور كبير في النقل والترجمة، والفلسفة، والطب، والرياضيات، وعلم الهيئة، وغيرها من العلوم التي ترك فيها إنتاجاً علمياً واسعاً ومهماً.

٢- حياته وثقافته:

يعود ثابت بن قرة زهرون بن ثابت الحراني، أبو الحسن في نسبة على صابئة حران(١)، ولد حسب رأي معظم المصادر التي ترجمت له سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م(٢)،

فيما انفرد ابن أبي أصيبعة[٣] بذكر ولادته سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م، ويظهر أن هذا التاريخ الأخير هو الصحيح لأنه عندما توفي سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م، كان عمره سبعاً وسبعين سنة[٤].

تعلم ثابت في حرّان، ومارس فيها الصيرفة، ويظهر أنه زار بغداد، فتعلم فيها الرياضيات والفلسفة والطب، ثم رجع إلى حران، وقال بآراء تخالف أهل مذهبه، الأمر الذي استوجب فصله من هذا المذهب، فتوجه إلى كفرتوثا[٥]، فأقام فيها حتى التقى به محمد بن موسى بن شكر[٦] في طريق عودته من بلاد الروم – وكان في مهمة لجلب المخطوطات– فوجده يمتاز بالنباهة والفصاحة والذكاء والفطنة، فاصطحبه معه إلى بغداد، وأنزله في داره، وعلّمه، ثم وصله بالخليفة العباسي الذي أدخله في جملة المنجمين[٧]، وعلى الرغم من أن المصادر التي ترجمت لثابت بن قرة تذكر أن ابن شاكر وصله بالخليفة المعتضد غير أنه لا يمكن الأخذ بهذا الزعم لأن محمد ابن موسى بن شاكر توفي سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م[٨]، وخلافة المعتضد كانت من ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م إلى سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، التي توفي فيها عن عمر ٤٦سنة[٩]، وبذلك لتكون ولادته سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م، ويكون عمره عند وفاة محمد بن موسى ابن شاكر خمس عشرة سنة، وهذا يعني أن إيصال ابن شاكر لثابت بالمعتضد كان قبل سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م، وكان المعتضد وقتئذٍ ما يزال في مرحلة الطفولة أي في عمر أقل من خمس عشرة سنة، وهذا لا يمكن قبوله، ولعل اسم المعتضد الذي توروده المصادر بصفته اسم الخليفة العباسي الذي اتصل به ثابت في أول مرة – أي الذي أوصله إليه محمد بن موسى بن شاكر – قد لحقه تصحيف، وهو في الأصل المعتمد الذي حكم بين ٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م[١٠].

أما علاقة ثابت بن قرة بأبي العباس أحمد بن طلحة المعتضد، فالأرجح أنها بدأت بعدما شبَّ المعتضد، وبرز قائداً من قواد الدولة، وتوثقت هذه العلاقة لما حبس الموفق ابنه أبا العباس سنة ٢٧٥-هـ/٨٨٨م[١١]، إذ كان يزوره كل يوم ثلاث مرات، يسليه

ويحادثه ويشرح له أحوال الفلاسفة، وأمر الهندسة والنجوم وغير ذلك، فأعجب المعتضد به كثيراً، لذلك لما آلت الخلافة إليه، أقطع ثابت ضياعاً كثيرة، واستمر من المقربين إليه، ودخل ضمن المنجمين لديه، وكان المعتضد يسرُّ بمجالسته دون وزرائه وخاصته[١٢]، ومن طريف ما روي عن تقدير المعتضد له، أنهما بينما كانا يتماشيان في بستان الخلافة، وضع المعتضد يده على يد ثابت ثم نترها بسرعة، وقال له معتذراً: "يا أبا الحسن... سهوت، ووضعت يدي على يدك، واستندت عليها وليس هكذا يجب أن يكون، فإن العلماء يَعلون ولا يُعلون"[١٣].

وعندما توجه المعتضد في سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، نحو الثغور الشامية للقضاء على تمرد وصيف الخادم، كان ثابت بن قرة برفقته، ولما وافى موكب الخليفة إلى إنطاكية، قام ثابت بزيارة الهيكل فيها وهو البيت المعظم عند اليونانيين[١٤].

وقد أسهم ثابت إسهامات كبيرة في الحركة الفكرية إذ "كان حكيماً كاملاً في أجزاء علوم الحكمة"[١٥]، وصنف كتباً كثيرة في ضروب مختلفة من العلوم كالمنطق والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة[١٦]، كما كان يقوم بإلقاء الدروس، وتعليم التلاميذ، فمن تلامذته بن أسيد النصراني الذي كان يفضله ويقدمه، ويشرف على الترجمة التي يقوم بها من السريانية إلى العربية، ولعيسى بن أسيد كتاب بعنوان "جوابات ثابت لمسائل عيسى بن أسيد"[١٧].

ومن تلامذة ثابت أيضاً: يهودا بن يوسف المعروف بابن أبي الثناء، وقد تعلم على ثابت الفلسفة والطب، وأقام في الرقة من ديار مضر، ويظهر من خبر رواه المسعودي[١٨] أنه جرت بينه وبين يهودا هذا مناظرات كثيرة في نسخ الشرائع.

٣- ترجماته:

كان ثابت بن قرة جيد النقل إلى اللسان العربي، حسن العبارة، قوي المعرفة باللغة السريانية[١٩]، وقد صنف فيها بعض كتبه، منها: كتابه في السكون بين حركتي

الشريان وهو مقالتان[٢٠]، "وله تصانيف بالسريانية فيما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم، وفي الطهارة والنجاسة، وما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح وفي أوقات العبادات، وترتيب القراءة في الصلاة"[٢١]. كما كان يجيد اللغة اليونانية وغيرها، وكثيراً ما كان ينقل لأبناء موسى ابن شاكر كتب علماء اليونان، وحصل منهم على مكافأة مالية لملازمته النقل والترجمة وبراعته فيها[٢٢]، وقيل: إن محمد بن موسى بن شاكر اصطحبه إلى بلاد الروم سعياً وراء الكتب العلمية لنقلها إلى العربية[٢٣]، والجدير بالذكر أن لثابت ابن قرة دوراً كبيراً وبارزاً في النقل والترجمة حيث أعاد تقاليد السريان في الترجمة، وذلك بتنظيمه النقلة الذين يعملون معه في مجموعات متخصصة في الرياضيات والطب، وكان يدربهم على حسن النقل والترجمة بحسب الأصول المدرسية التابعة للأديرة السريانية[٢٤].

ولم يقتصر ثابت بن قرة على الترجمة، بل كان يقوم أيضاً بتنقيح ترجمات كثير من المؤلفات الإغريقية، فقد أصلح النسخة التي نقلها إسحق بن حنين[٢٥] من كتاب المجسطي لبطليموس إصلاحاً متميزاً، إذ أعطاه حقه من الإيضاح، ثم إنه فيما بعد نقل هذا الكتاب إلى العربية نقلاً جيداً وأصلحه وأوضحه، ثم إنه اختصر الكتاب نفسه اختصاراً نافعاً، ولم يختصر المقالة الثالثة عشرة منه، وهي الأخيرة لأنه لم يجد فيها ما يختصره[٢٦].

ومن الكتب التي نقلها إلى العربية أو نقحها وأصلح ترجمتها: كتاب جغرافيا في المعمور وصفة الأرض لبطليموس، وهذا الكتاب ثماني مقالات، وقد نقله على العربية نقلاً جيداً، كتاب في النسبة المحددة لأبلونيوس، وهو مقالتان، أصلح الأولى ثابت، كتاب القسمة لإقليدس إصلاح ثابت كتاب الكرة والأسطوانة، وكتاب المأخوذات لأرشميدس "أرخميدس"، كتاب المعطيات لإقليدس، كتاب الأصول لإقليدس، هذبها معتمداً على ترجمة حنين بن إسحاق، الأجزاء (٢-٦-٧) من كتاب المخروطات

لأبلونيوس، ترجمها ثابت، وأصلها أولاد موسى بن شاكر[٢٧]، كتاب الكرة المتحركة، لأوطولوقس، كتاب في الطلوعات والغروبات لأوطولوقس، في حكاية ما استخرجه القدماء من خطين بين خطين حتى يتوالى الأربعة متناسبة لأوطولوقوس، في المطالع لأبسقلاوس ترجمة حنين بن إسحاق، وتصحيح ثابت بن قرة، عمل الدائرة المرسومة بسبعة أقسام متساوية لإقليدس[٢٨]، وكتاب المدخل إلى علم العدد لنيقوماخس الجرشي[٢٩].

وبرز من أولاد ثابت بن قرة الحراني في ميدان الترجمة ابنه سنان بن ثابت أبو سعيد المتوفى سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، وقد كان طبيباً مقدماً، وبرع في الهندسة والعدد وعلم الهيئة، وخدم الخلفاء المقتدر، والقاهر، والراضي[٣٠]. وكان له دور في الترجمة حيث نقل إلى العربية نواميس هرمس، والسور والصلوات التي يصلي بها الصابئون، كما أصلح وهذب ما نُقل من كتاب يوسف القس من السريانية إلى العربية، وما نقل من كتاب أرشميدس "أرخميدس" في المثلثات[٣١].

٤- دوره في الفلسفة:

كانت الفلسفة من العلوم التي نبغ فيها ثابت بن قرة، فقد قال عنه ابن جلجل[٣٢]: "كان الغالب عليه الفلسفة دون الطب"، وكان يعدّ هو ويعقوب بن إسحاق الكندي[٣٣]، وقسطا ابن لوقا البعلبكي[٣٤]، أعلم من كان في الدولة العربية الإسلامية بعلم الفلسفة في عصرهم[٣٥]، ولذلك وصفه صاعد الأندلسي[٣٦] قائلاً عنه: "فيلسوف متوسع في العلوم متفنن في ضروب الحكمة متقلد لجوامع الفلسفة وله تواليف حسنة في المنطق والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك"، وقد تخرج من مدرسة ثابت الفلسفية يهودا بن يوسف المعروف بابن أبي الثناء، وقد برز في الرقة من ديار مضر[٣٧]، كما أخذ عنه أبو بكر الرازي[٣٨]، فلسفة فيثاغورس، وشكّل كتابه في الطريق لاكتساب الفضيلة مصدراً لكتاب الرازي في السيرة الفلسفية[٣٩].

ومن مصنفاته في الفلسفة والمنطق: كتاب المدخل إلى المنطق، مختصر في الأصول في علم الأخلاق، كتاب في الطريق إلى اكتساب الفضيلة[٤٠]، وثلاثة مختصرات في المنطق، ومقالة في النظر في أمر النفس[٤١].

٥- دوره في العلوم الطبية:

برز ثابت بن قرة الحراني في الطب، ومهر في ممارسته، فلم يكن في زمانه من يماثله فيه[٤٢]، ونقل ابن أبي أصيبعة[٤٣]، قصة تشير إلى مهارته في العلاج، عالج فيها قصاباً في بغداد بعد موت ظاهر على أثر غشيان، وأحدثت هذه القصة ضجة كبيرة، وقد استدعاه الخليفة في أثر هذه الحادثة مستفهماً عن كيفية معالجته لهذا المريض، وقد أوردت المصادر أسماء لعناوين كتب ومقالات عديدة صنفها في الطب، وحفظ الصحة، والأمراض وعللها وعلاجها، وأبرزها: كتاب الذخيرة وهو كتاب نادر في الطب[٤٤]، ويشكل موسوعة طبية مختصرة، وقد ظل أحد مراجع العرب الطبية في القرون الوسطى الإسلامية[٤٥]، وله أيضاً: كتاب في وجع المفاصل والنقرس، وكتب في أوجاع الكلى والمثانة وأوجاع الحصى[٤٦]، والمسائل الطبية، كتاب في النبض، كتاب أصناف الأمراض، كتاب في مساءلة الطبيب للمريض، كتاب في تدبير الأمراض الحادة، رسالة في الجدري والحصبة، مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد أصنافها وأسبابها وعلاجها، كتاب في تدبير الصحة، كتاب الخاصة في تشريف صناعة الطب وترتيب أهلها؛ كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها، كتاب إلى ابنه سنان في الحث على تعلم الطب والحكمة[٤٧].

كذلك كان ثابت مهتماً بالكتب الطبية لجالينوس، حيث اطلع عليها، وأعد عن بعضها جوامع أو اختصارات، ومن ذلك: جوامع كتاب الأمراض الحادة لجالينوس، جوامع

كتاب تشريح الرحم، جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر، جوامع ما قاله جالينوس في كتابه في تشريف صناعة الطب، اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس، جوامع النبض الكبير، جوامع كتاب الأعضاء الآلمة[٤٨].

كذلك كان من المهتمين بالأدوية والعلاجات، وقد صنف في ذلك مصنفات مهمة، منهم:" جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، جوامع كتابه جالينوس في الأدوية المنقية، اختصار جالينوس في قوى الأغذية، كتاب أجناس ما تقسم إليه الأدوية، كتاب أجناس ما وزن به الأدوية[٤٩].

٦- إسهامات في الرياضيات:

وأبدع ثابت بن قرة في الرياضيات، وهو يعد من كبار الرياضيين، وقد صنف مصنفات كثيرة في الحساب والهندسة والعدد[٥٠]، والتعليمات الرياضية[٥١]، وقد عدت المصادر له أكثر من عشرين مؤلفاً في الرياضيات[٥٢]، وقال عنه ابن جلجل[٥٣]: "وله كتاب مدخل إلى كتاب إقليدس عجيب، وهو من المتقدمين في علمه". وقال عنه الذهبي[٥٤]: "كان يتوقد ذكاء فبرع في علم الأوائل[٥٥]"، و"كان عجباً في الرياضي، إليه المنتهى في ذلك".

اهتم ثابت بالأعمال الرياضية الإغريقية لإقليدس وأرخميدس وأبلونيوس وبطليموس وغيرهم، فترجمها[٥٦]. واستوعبها استيعاباً كاملاً، وأضاف إليها بعض التفسيرات والتوضيحات، فعندما قام بترجمة كتاب العناصر أو الأصول لإقليدس، أضاف بعض التفسيرات على الكتاب الخامس منه، وعلى نظرية المتوازيات[٥٧].

ولم يقتصر ثابت على ترجمة الأعمال الرياضية الإغريقية، وتقديم التفسيرات عليها، بل أبدع في الجبر والهندسة والأعداد المتحابة والمربع السحري[٥٨]، فهو يعد من الذين مهدوا تمهيداً علمياً لإيجاد حساب التكامل والتفاضل الذي ساعد في حل الكثير من

المسائل الصعبة، وقد دفعه إلى ذلك حساب حجم الجسم الناشئ عن دوران قطعة من قطع مكافئ حول محور ما، لذلك فهو يعد أول من ابتكر نوعاً من الحساب يكافئ حساب التكامل الذي يعرف في الوقت الحاضر، وقد أطلق على التكامل الذي أجراه اسم "التكامل المنطقي"، وهو يعد أقرب صورة للتكامل عرفت في القرون الوسطى(٥٩).

وبرع ثابت في الهندسة، ونجح بإدخال علم الجبر في علم الهندسة، وصنف مقالة بعنوان "تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية"(٦٠)، ولذلك فهوة يعدّ أبا الهندسة التحليلية، وأعظم علماء الهندسة في عصره(٦١)، وله مقالتان في المتوازيات هما: مقالة في برهان المصادر المشهررة من إقليدس، ومقالة في أن الخطين إذا خرجا على أقل من زاويتين قائمتين التقيا، هذا ولم يستخدم في المقالة الأولى كلمة التوازي، ثم برهن وجود متوازي الأضلاع، ووجود الخط الوسيط في المثلث، وتكلم في المقالة الثانية عن النقطة المتحركة التي ترسم حطاً مستقيماً إذا سارت في اتجاه واحد، وهذه بداية مفهوم الحركة المنتظمة، وبداية فكرة العلوم الميكانيكية ومفاهيم في على الحركة(٦٢).

وصنف كتابين في القطاعات المخروطية هما: كتاب في مساحة قطع المخروط الذي يسمى المكافئ، وكتاب في مساحة المجسمات المتكافئة(٦٣).

ولثابت بن قرة جهود بارعة في الأعداد المتحابة، حيث صنف كتاباً بعنوان "الأعداد المتحابة"(٦٤)، ووضع قاعدة عامة لإيجاد الأعداد المتحابة(٦٥)، والأعداد المتحابة هي أزواج من الأعداد نادرة جداً، فالعددان المتحابان هما العددان اللذان يكون مجموع المضروبات (العوامل، الأجزاء) في أحدهما مساوياً للعدد الآخر نفسه، ويكون مجموع المضروبتان في العدد الآخر مساوياً للعدد الأول نفسه(٦٦)، ومثال ذلك العددان ٢٢٠ و ٢٨٤ وهما عددنا متحابان:

١ + ٢ + ٤ + ٧١ + ١٤٢ =٢٢٠

٢٨٤= ١١٠+ ٥٥ + ٤٤ + ٢٢ + ٢٠+ ١١+ ١٠+ ٥ + ٤+ ٢ +١

"لكن ١٤٢... إلخ هي عوامل ٢٨٤، بينما ١١٠... إلخ عوامل ٢٢٠، وقد أدت هذه العلاقات العددية إلى تحليل متواليات حسابية وهندسية(٦٧)".

وكان ثابت على معرفة جيدة بنظرية المثلث لقائم الزاوية المعروفة بنظرية فيثاغورس، وقام بجهود كبيرة من أجل تطويرها وتجديدها وتعميمها(٦٨)، وله في ذلك كتاب في "المثلث القائم الزوايا"(٦٩).

كما صنف في الحجوم المكعبة والأشكال المربعة عدة مصنفات منها: كتاب في المربع وقطره، وكتاب في مساحة الأشكال المسطحة وسائر البسط والأشكال المجسمة، وكتاب في مساحة قطع الخطوط، وكتاب في الشكل الملقب بالقطاع، وكتاب قطوع الأسطوانة وبسطها"(٧٠).

ومن مصنفاته الرياضية أيضاً كتاب في التأتي لاستخراج عمل المسائل الهندسية(٧١)، وكتاب في عمل شكل مجسم ذي أربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة، جوامع عملها لكتاب نيقوماخس في الأرثماطيقي (الحساب) مقالتان: مقالة في الهندسة ألفها لإسماعيل بن بلبل، ورسالة في العدد الوفقي، وكتبا في التصرف في أشكال القياس، وكتاب في النسبة المؤلفة(٧٢)، وكتاب المفروضات، وقسمة الزوايا المستقيمة بثلاثة أقسام(٧٣)، ومقالة في صفة الأشكال التي تحدث بممر طرف ظل القياس في الأفق في كل يوم وفي كل بلد، وكتاب قسمة الأرض، كتاب في مقدمات إقليدس، وكتاب في أشكال إقليدس، ورسائل في الأصول الهندسية(٧٤).

٧- إسهاماته الفلكية:

كان ثابت بن قرة من الأعلام المهتمين بعلوم هيئات الفلك والنجوم والبارزين فيها(٧٥)، وكان من جملة المنجمين في عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-

٩٠٢م)، وقام بأرصاد حسنة للشمس في بغداد "جمعها في كتاب بيّن فيه مذهبه في سنة الشمس، وما أدركه بالرصد في موضع أوجها، ومقدار سنيها وكمية حركاتها، وصورة تعديلها[٧٦]، وفي خلال هذه الأرصاد قام بقياس علو الشمس[٧٧]، واستخراج حركتها، وحسب مدة السنة النجمية، فجاءت وفقاً لحسابه ٣٦٥ يوماً وست ساعات وتسع دقائق وعشر ثوان، وبذلك فهي أطول من طول السنة الحقيقي بمقدار نصف ثانية[٧٨]، وقد تميز في أرصاده بأنه أدخل الدوائر المتحركة في أنسب الأماكن في القبة السماوية، وهذا مكّنه من تفسير حركات الانحراف والتذبذب في مسطح دائرة البروج أو الدائرة الظاهرية لمسير الشمس في حدود معينة، وقد استفاد في ذلك من أبعد الأرصاد التي عرفها، واستعان بخبرته في حساب المثلثات إلى أقصى مدى[٧٩]، وكان خبيراً بأحوال الجو والتنبؤ بحالة السنة المقبلة، فعندما طلب المعتضد من المنجمين إخباره عن أحوال سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، قالوا: إن الأمطار سوف تهطل غزيرة، وتغرق أكثر الأقاليم، غير أن ثابتاً خالفهم الرأي في ذلك، فحصل كما قال، إذ كانت الأمطار قليلة وجفت الينابيع[٨٠]، فاعترى المنجمين الخزي والخجل"[٨١]، وهذا ما دفع المعتضد لأن يطلب من ثابت وضع كتاب في الأنواء، ففعل كما طلب منه[٨٢].

وكان ثابت غزير التأليف في علم الفلك، حيث صنف فيه كتباً كثيرة، منها: كتاب جمع فيه ما ذكره جالينوس في سائر كتبه من أفعال النيرين وهما الشمسي والقمر في هذا العالم، وقد ذكر هذا الكتاب ابنه سنان بن ثابت[٨٣]، رسالة في نصرة رأي أبرخس القائل: إن لأوج الشمس حركة مخالفاً بذلك قول بطليموس، وقد امتحن هذه الرسالة عدة من أهل الهندسة[٨٤]، وكتاب حساب الأهلية، وكتاب رسالته في سنة الشمس، وكتاب إبطال الحركة في فلك البروج[٨٥]، وكتاب يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته، وكتاب في علة كسوف الشمس والقمر عمل أكثره ومات قبل أن يكمله، وكتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها، وكتاب في إبطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك الخارج المركز، وكتاب

في إيضاح الوجه الذي ذكر بطليموس أنه به استخرج من تقدمه مسيرات القمر الدورية وهي المستوية، وكتاب فيما أغفله ثاون[٨٦] في حساب كسوف الشمس والقمر، مقالة في حساب كسوف الشمس والقمر، وله جواب عن سبب الخلاف بين زيج لبطليموس وبين الممتحن[٨٧]، وله أيضاً عدة كتب في الأرصاد صنفها بالعربية والسريانية، كما صنف عدة مختصرات في النجوم[٨٨]، وكتاب في تركيب أفلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها، والكواكب فيها ومبلغ سيرها والجهات التي تتحركم إليها، وكتاب في حالة الفلك، وكتاب في محنة حساب النجوم، وكتاب الهيئة[٨٩].

٨- إسهاماته في علوم أخر:

كان ثابت مهتماً بالموسيقى، وقد صنف فيها كتباً ورسائل كثيرة، أبرزها: كتاب في الموسيقى يشتمل على نحو خمسمائة ورقة[٩٠]، وله أيضاً مقالة في الموسيقا، وكتاب في آلة الزمر، وكتاب في ما يسأله أبو الحسن علي بن يحيى المنجم من أبواب علم الموسيقا[٩١٢]، ورسالة على بعض إخوانه في جواب ما سأله عنه من أمور الموسيقا[٩٢].

وعالج بعض المسائل الكيميائية في كتابه الروابع[٩٣]، لأفلاطون مع شرح أبي العباس أحمد بن الحسين بن جهان بختار، وقد "كتبه ثابت بن قرة بعد محادثات معه، وفيه يتحاور الاثنان أحمد وثابت ثم يتحدث أفلاطون ويشرحه أحمد، ويعالج في أربعة فصول المواد الأربعة: المركبة، والمفرقة، والمفردة، والبسيطة؛ وفيه ملاحظات كثيرة عن القوة العقلية للإنسان، وطبيعة ووظيفة النفس والحس، ونظام العالم، وعمل العلل والقوى، والأرض ما تحويه، كما عالج بعض المسائل الكيميائية، غير أنه مسّ ذلك[٩٤]، ولم يجعله مقصده الأول من الكتاب"[٩٥].

وهو يعد من أوائل العلماء الذين بحثوا في الفيزياء والميكانيك في العالم الإسلامي، وصنف فيه مؤلفات مهمة شغلت دوراً مهماً في تطور علم الحيل(٩٦)، ونمت هذه المصنفات كتاب في صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك، وكتاب القرسطون(٩٧)، أشكال في الحيل، وكتاب في أن سبيل الأثقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة هي سبيلها إذ جعلت ثقلاً واحداً مثبوتاً في جميع الهمود على تساوٍ(٩٨).

هذا ويعد ثابت بن قرة من الذين قالوا بالجاذبية، فقد قال: إن المدرة تعود إلى الأسفل لأن بينها وبين كلية الأرض مشابهة في الأعراض أي البرودة والكثافة، والشيء ينجذب إلى أعظم منه(٩٩).

كذلك كان مهتماً بمسألة تشريح الطيور، ولذلك صنف كتاباً في تشريح بعض الطيور، وقد يكون مالك الحزين كما ذكرت بعض المصادر(١٠٠).

٩- خاتمة:

من خلال ما تقدم تبيّن أن ثابت بن قرة الحراني، كان عالماً موسوعياً، وقد أسهم بدور فكري راشد في نقل علوم الحضارات القديمة وترجمتها إلى اللغة العربية، وكان بارزاً في أنواع مختلفة من العلوم العقلية أمثال: الطب، والفلسفة، والرياضيات، والفلك، والموسيقا، وغيرها من العلوم التي كان خصب الإنتاج فيها، حيث صنف فيها مصنفات مهمة جداً على براعته وسعة معارفه، وكانت هذه المصنفات أساساً للدراسات اللاحقة، ومرجعاً في العصور التالية.

الهوامش

(١) حرّان: مدينة عظيمة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر،بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم؛ ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ص٢، ١٩٩٥م، ص ٢٣٥؛ (سيشار إليه بـ ياقوت، معجم البلدان). أما صابئة حران: فهم فرقة دينية كانت في حران في القرون الإسلامية الأولى، كانت تعبد الكواكب والنجوم، وكان لها هياكل على أسماء الجواهر العقلية والكواكب، وصفهم المسعودي بـ: "عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين؛ المسعودي، علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق شارل بلا، بيروت، انتشارات الشريف الرضي، ط١، ١٤٢٢هـ، ج١، ص١٠٩؛ (وسيشار إليه بـ: المسعودي، **مروج**). وقال المسعودي عنهم أيضاً: "ولهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة إلا أنهم من حشوية الفلاسفة، وعوامهم مباينون لخواص حكمائهم في مذاهبهم، وإنما الفلاسفة حكماؤهم"، مروج، ج٢، ٣٩٣. هذا وقيل إن دعوى الصابئة الحرانيين هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها، وقبلتهم القطب الشمالي، ويصلون ثلاث صلوات في اليوم، ويصومون ثلاثين يوماً في السنة، ويدعون الكواكب، ويقدمون لها القرابين التي يحرقونها، ولهم عاداتهم الاجتماعية، وطقوسهم الدينية وفلسفتهم الخاصة حول الثواب والعقاب وغير ذلك؛ النديم، محمد بن إسحاق (ت، ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، **الفهرست**، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقدم له: د. يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٤٩٥-٤٩٧، (سيشار إليه بـ: النديم، **الفهرست**)، ابن العبري غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت، ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر**

الدول، تحقيق: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٦٦، (سيشار إليه بـ: ابن العبري، **تاريخ مختصر**).

(٢) النديم، **الفهرست**، ص ٤٣٥-٤٣٦؛ القفطي، علي بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، القاهرة، مكتبة المتنبي، (د.ت) ص ٨١، (سيشار إليه بـ: القفطي، **إخبار العلماء**)؛ ابن خلكان، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت) مج١، ص ٣١٤، (سيشار إليه بـ: ابن خلكان، **وفيات**).

(٣) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت، ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٢٧٢، (سيشار إليه بـ: ابن أبي أصيبعة، **عيون**).

(٤) النديم، **الفهرست**، ٤٣٦؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون** ٢٧٢؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/١٢٣٤م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٦، ص ٥٢٠ (سيشار إليه بـ: ابن الأثير، **الكامل**).

(٥) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، تقع بين دارا ورأس العين؛ ياقوت، **معجم البلدان**، مج٤، ص ٤٦٨.

(٦) محمد بن موسى بن شاكر: برز هو وأخوه أحمد والحسن في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد عرفوا ببني موسى بن شاكر، كانت لهم إسهامات كبيرة في طلب العلوم القديمة وجمع المخطوطات، وترجمتها إلى اللغة العربية، وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسية والحيل والحركات والموسيقا والنجوم،

ألفوا كتباً عديدة، أبرزها الكتاب المعروف بحيل بني موسى، وقد عرف أولادهم من بعدهم ببني المنجم، النديم، **الفهرست**، ص ٤٣٤-٤٣٥؛ القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٢٨٦-٢٨٨؛ ابن خلكان، **وفيات**، مج٥، ص ١٦١-١٦٣.

(٧) النديم، **الفهرست**، ص ٤٣٦؛ القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨١؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٠؛ ابن خلكان، **وفيات**، مج١، ص ٣١٣؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص ٢٦٥؛ اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي اليمني الملكي (ت، ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج٢، ص ٢١٥-٢١٦، (سيشار إليه بـ: اليافعي، **مرآة**)؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد (ت، ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت، دار الفكر (د.ت)، ج٢، ص ١٩٦-١٩٧، (سيشار إليه بـ: ابن العباد، **شذرات**).

(٨) النديم، **الفهرست**، ص ٤٣٥؛ ابن خلكان، **وفيات**، مج٥، ص ١٦٣.

(٩) المسعودي، **مروج**، ج٥، ص ١٣٧.

(١٠) المسعودي، **مروج**، المصدر نفسه، ج٥، ص ١٣٧.

(١١) ابن الأثير، **الكامل**، ج٦ن ص ٤٤٩-٤٥٠، (وقد حبس الموفق ابنه أبا العباس لأنه عصى أوامر بالسير إلى بعض الوجوه، وألّح أنه لا يخرج إلا إلى الشام، واستمر في الحبس حتى سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م عندما مرض والده قبيل وفاته.

(١٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧١.

(١٣) ابن أب أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧١؛ البيهقي، علي بن زيد بن محمد بن الحسين (ت ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، **تاريخ حكماء الإسلام**، تقديم وتحقيق: ممدوح حسن محمد، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٩،

"وفيه ترد نفس الفكرة مع بعض الاختلاف في الألفاظ"، (وسيشار إليه بـ: البيهقي، **تاريخ حكماء**).

(١٤) المسعودي، **مروج**، ج٢، ص ٣٨٦. (وفيه ذكر أن المعتضد وافى إنطاكية سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م)، ولما تحدث عن المعتضد ناقض نفسه إذ ذكر أنه وافى الثغر الشامي سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠-٩٠١م، وفي السنة نفسها عاد إلى مدينة السلام)، مروج، ج٥، ص ١٦٨-١٦٩؛ ومما هو جدير بالذكر أن الطبري وابن الأثير ذكر أن المعتضد توجه نحو الثغور في سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، والأرجح أن هذا التاريخ هو الصحيح؛ الطبري، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١٠، ص ٧٧، (سيشار إليه بـ: الطبري، **تاريخ**)؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٦، ص ٥٠٨.

(١٥) البيهقي، **تاريخ حكماء**، ص ٢٩.

(١٦) ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت، بعد ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **طبقات الأطباء والحكماء، ويليه تاريخ الأطباء والفلاسفة**، تأليف: إسحاق بن حنين (ت، ٢٩٨هـ/٩١٠م)، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٧٥، (سيشار إليه بـ: ابن جلجل، **طبقات الأطباء**)؛ ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت، ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **تاريخ الزمان**، نقله إلى العربية إسحق أرملة، بيروت، دار المشرق، ١٣٨٦هـ/١٩٨٦م، ص ٤٨، "وقد ذكر أنه صنف ١٥٠ كتاباً بالعربية، و ١٦ كتاباً بالسريانية"؛ (سيشار إليه بـ: ابن العبري: **تاريخ الزمان**).

(١٧) النديم، **الفهرست**، ص ٤٣٦؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٣.

(١٨) المسعودي، علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **التنبيه والإشراف**، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٦م، ص ١١٣، (وسيشار إليه بـ: المسعودي، **التنبيه**).

(١٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٠.

(٢٠) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨١.

(٢١) ابن العبري، **تاريخ مختصر**، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٢٢) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٢٤.

(٢٣) حميدان، زهير، **أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية**، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٥م، مج١، ص ١٩٠. (سيشار إليه بـ: حميدان، **أعلام**).

(٢٤) زكار، سهيل وآخرون، **الرقة دُرّة الفرات**، الرقة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٨٣، (سيشار إليه بـ: زكار، **الرقة**).

(٢٥) إسحق بن حنيني أبو يعقوب، برز طبيباً متميزاً من اللغة اليونانية والسريانية إلى العربية، له من الكتب سوى ما نقل من الكتب القديمة، كتاب الأدوية المفردة على الحروف، كتاب كناش الخف، كتاب تاريخ الأطباء، توفي سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، النديم، **الفهرست**، ص ٤٢٥، ٤٦٨.

(٢٦) النديم، **الفهرست**، ص ٤٣٠؛ القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٣.

(٢٧) النديم، **الفهرست**، ص ٤٣١؛ زكار، **الرقة**، ص ١٨٣.

(٢٨) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، مصر، دار المعارف، ١٩٧٥م، ج٤، ص ١٧٠-١٧٢، (سيشار إليه بـ: بروكلمان، **تاريخ**).

(٢٩) حميدان، **أعلام**، ص ١٩٣.

(٣٠) النديم، الفهرست، ص ٤٧٣؛ "ويشير إلى أن القاهر ألزمه اعتناق الإسلام"؛ صاعد الأندلسي، صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي (ت، ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م) **طبقات الأمم**، تحقيق: حياة بوعلوان، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٨٥م، ص ١٠٤، (وسيشار إليه بـ: صاعد، **طبقات الأمم**)؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٦).

(٣١) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ١٣٣. ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٨٠.

(٣٢) **طبقات الأطباء**، ص ٧٥.

(٣٣) يعقوب ابن إسحاق أبو يوسف الكندي، عالم موسوعي، كان واحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، عرف بفيلسوف العرب، وله كتب في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والأرثماطيقي والنجوم والموسيقا وغيرها، توفي حوالي ٢٦٠هـ/٨٧٣م؛ النديم، **الفهرست**، ص ٤١٤؛ حميدان، **أعلام**، مج ٢، ص ٥٣٦-٥٣٧.

(٣٤) قسطا بن لوقا البعلبكي، عالم موسوعي، ولد في بعلبك في بلاد الشام، برز في بغداد، توفي في أرمينية نحو ٣٠٠هـ/٩١٢م، كان بارعاً في علوم كثيرة منها: الطب، والفلسفة، والهندسة، والإعداد، والموسيقى، كذلك كان به دور كبير في ترجمة كثير من كتب اليونانيين ونقلها على العربية، وصنف كثيراً من الكتب في المجالات التي ينقلها، النديم، **الفهرست**، ص ٤٦٤-٤٦٥؛ ابن العبري، **تاريخ مختصر**، ص ٢٥٩.

(٣٥) صاعد، **طبقات الأمم**، ص ١٠٣.

(٣٦) **طبقات الأمم**، المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٣٧) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص ١١٣.

(٣٨) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، من أهل الري، عالم موسوعي، برز في الطب والمنطق والفلسفة والهندسة وغيرها، كان يعدّ إمام وقته في الطب، وإليه تشد الرحال، وله مصنفات طبية مهمة، أبرزها: كتاب الحاوي، وكتاب الجامع، وكتاب الأعصاب، وكتاب المنصورين توفي سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م، أو قريباً من سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م، وقيل غير ذلك؛ القفطي، **إخبار العلماء**، ص ١٧٨-١٨٢؛ ابن خلكان، **وفيات**، مج٥، ص ١٥٧-١٥٩.

(٣٩) الحمد، محمد بن عبد الحميد، **دور السريان في العوم العربية**، حلب، دار ماردين، ط١، ص ٩٢-٩٣، (سيشار إليه بـ: الحمد، **دور السريان**).

(٤٠) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٥.

(٤١) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٣.

(٤٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٠.

(٤٣) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، المصدر نفسه، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٤٤) البيهقي، **تاريخ الحكماء**، ص ٢٩.

(٤٥) زكار، **الرقة**، ص ١٨٥.

(٤٦) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٣.

(٤٧) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٣-٢٧٥.

(٤٨) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، المصدر نفسه، ص ٢٧١-٢٧٢؛ الشطي، شوكت، **مختصر في تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب**، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ص ٦٠، (سيشار إليه بـ: الشطي، **مختصر**).

(٤٩) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٣؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٣-٢٧٥.

(٥٠) ابن جلجل، **طبقات الأطباء**، ص ٧٥، صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، ص١٠٣.

(٥١) ابن العبري، **تاريخ مختصر**، ص ٢٦٥.

(٥٢) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨١-٨٤؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٤-٢٧٦.

(٥٣) **طبقات الأطباء**، ص ٧٥.

(٥٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط ١،/ ١٤٠٣هـ/،١٩٨٣م، ج١٣، ص ٤٨٥، (سيشار إليه بـ: الذهبي، **سير**).

(٥٥) علوم الأوائل أو العلوم القديمة: مصطلح استخدمه المؤلفون المسلمون للإشارة إلى العلوم التي نقلها المسلمون من الثقافات السابقة وبخاصة الإغريقية، من رياضيات، وهندسة ومنطق وفلسفة وطبيعة وطب وفلك وموسيقى؛ الشامري، إحسان ذنون، **الحياة العلمية زمن السامانيين**، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٦٩، (سيشار إليه بـ: **الحياة العلمية**).

(٥٦) تقدم الحديث عن دوره في الترجمة.

(٥٧) شربل موريس، **الرياضيات في الحضارة الإسلامية**، طرابلس، جروس برس، ط١، ١٩٨٨م، ص ١٥١٠، (سيشار إليه بـ: شربل، **الرياضيات**).

(٥٨) الدفاع، علي عبد الله، **العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٧٨، (سيشار إليه بـ: الدفاع، **العلوم البحتة**).

(٥٩) شربل، **الرياضيات**، ص ١٥٦.

(٦٠) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٣؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٥.

(٦١) الدفاع، **العلوم البحتة**، ص ١٧٧.

(٦٢) شربل، **الرياضيات**، ص ١٧٩.

(٦٣) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٢؛ شربل، **الرياضيات**، ص ١٨٦-١٨٨.

(٦٤) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٤.

(٦٥) شاخت وبوزورث، **تراث الإسلام**، ترجمة: حسين مؤنس، إحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول، ١٩٧٨، القسم الثالث، ص ١٧٦، (سيشار إليه بـ: شاخت، **تراث الإسلام**).

(٦٦) فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٤م، ص ٢٩٨، (سيشار إليه بـ: فروخ، **تاريخ العلوم**).

(٦٧) هيل، دونالدر، **العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية**، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد /٣٠٥/، ٢٠٠٤م، (سيشار إليه بـ: هيل، **العلوم والهندسة**).

(٦٨) الدفاع، **العلوم البحتة**، ص ١٧٩.

(٦٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٤.

(٧٠) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨١-٨٣.

(٧١) نُشر ملحقاً برسائل حفيده إبراهيم بن سنان بن ثابت؛ ابن سنان، إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة (ت، ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، **رسائل ابن سنان**، تحقيق: أحمد

سليم سعيدان، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٠٣هـ، ص ٣٢٣-٣٣٦، (سيشار إليه بـ: ابن سنان، **رسائل**).

(٧٢) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٢-٨٣.

(٧٣) بروكلمان، **تاريخ**، ج٤، ص ١٧٤-١٧٦.

(٧٤) حميدان، **أعلام**، مج١، ص١٩٦-١٩٩.

(٧٥) المسعودي، **مروج**، ج ٢، ص ١٠٤، ٣٥٩.

(٧٦) صاعد، **طبقات الأمم**، ص ١٠٣-١٠٤؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٠.

(٧٧) هونكه، زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب** "أثر الحضارة العربية في أوروبة"، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه، مارون عيسى الخوري، بيروت، جار الآفاق الجديدة، ط٥، ١٤٠١هـ، ص ١٤٥، (سيشار إليه بـ: هونكه، **شمس العرب**).

(٧٨) فروخ، **تاريخ العلوم**، ص ٢٩٧.

(٧٩) شاخت، **تراث الإسلام**، القسم الثالث، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٨٠) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص ٤٧-٤٨؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٦، ص٤٩٩؛ الحمد، **دور السريان**، ص ٩٠.

(٨١) ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص ٤٨.

(٨٢) الحمد، **دور السريان**، ص ٩٠.

(٨٣) المسعودي، **التنبيه**، ص ٧٢ – ٧٣.

(٨٤) المسعودي، **التنبيه**، ص ٢٢٢.

(٨٥) النديم، **الفهرست**، ص ٤٣٦.

(٨٦) ثاؤن الاسكندراني المصري، مهندس رياضي في زمانه، له تصانيف مشهورة، وهو بعد بطليموس، من كتبه: **كتاب العمل بذات الحلق**، كتاب جداول زيج بطليموس المعروف بالقانون المسير، كتاب المدخل إلى المجسطي ، كتاب العمل بالاسطرلاب؛ النديم، **الفهرست**، ص ٤٣١، (يرد فيه ثاؤن) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٧٦.

(٨٧) الممتحن: هو الزيج الذي صنفه يحيى ابن أبي منصور (ت، ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، وهو أحد أصحاب الأرصاد في أيام الخليفة المأمون؛ النديم، **الفهرست**، ص٤٣٩؛ حميدان ، **أعلام**، مج٢، ص ٥٣١-٥٣٢.

(٨٨) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٢-٨٣.

(٨٩) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٤؛ الشطي، **مختصر**، ص ٦١-٦٢.

(٩٠) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٤.

(٩١) القفطي، **إخبار العلماء**، المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣.

(٩٢) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٤؛ الشطي، **مختصر**، ص ٦٠-٦١.

(٩٣) المقصود بالروابع أربعة فصول أو المواد الأربعة: المركبة، والمفرقة، والمفردة، والبسيطة.

(٩٤) مسَّ ذلك، أي مرَّ به مرور الكرام، ولم يدخل إلى جوهره.

(٩٥) بروكلمان، **تاريخ**، ج٤، ص ١٧٦.

(٩٦) هيل، **العلوم والهندسة**، ص ٨٩.

(٩٧) القرسطون: هو القبان المحمول على الأكتاف؛ الحمد، **دور السريان**، ص١٥٩ وأشار زهير حميدان إلى أن القرسطون هو ميزان الذهب، حميـدان ، **أعـلام**، مج١، ص٢١١.

(٩٨) القفطي، **إخبار العلماء**، ص ٨٢. ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٤-١٧٥.

(٩٩) كحالة، عمر رضا، **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، دمـشق، مطبعـة الترقي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٢٢٣، (وسيشار إليه بـــ: كحالـة، **العلـوم البحتة**).

(١٠٠). ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص ٢٧٥.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

١- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/١٢٣٤م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٢- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت، ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣- البيهقي، علي بن زيد بن محمد بن الحسين (ت ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، **تاريخ حكماء الإسلام**، تقديم وتحقيق: ممدوح حسن محمد، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٤- ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت، بعد ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **طبقات الأطباء والحكماء، ويليه تاريخ الأطباء والفلاسفة**، تأليف: إسحاق بن حنين (ت، ٢٩٨هـ/٩١٠م)، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥- ابن خلكان، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت).

٦- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣،م.

٧- ابن سنان، إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة (ت، ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، **رسائل ابن سنان**، تحقيق: أحمد سليم سعيدان، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨- صاعد الأندلسي، صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي (ت، ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م) **طبقات الأمم**، تحقيق: حياة بوعلوان، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٨٥م.

٩- الطبري، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٠- ابن العبري غريغوريوس بن أهرون الملطي (ت، ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١- ابن العبري، تاريخ مختصر، ص ٢٦٥؛ اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي اليمني الملكي (ت، ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٢- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد (ت، ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت، دار الفكر (د.ت).

١٣- القفطي، علي بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، القاهرة، مكتبة المتنبي، (د.ت).

١٤- المسعودي، علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق شارل بلا، بيروت، انتشارات الشريف الرضي، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥- المسعودي، علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **التنبيه والإشراف**، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٣م.

١٦- النديم، محمد بن إسحاق (ت، ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، **الفهرست**، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقدم له: د. يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٧- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي اليمني الملكي (ت، ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٨- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ص٢، ١٩٩٥م.

ثانياً- المراجع:

١- بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، مصر، دار المعارف، ١٩٧٥م.

٢- الثامري، إحسان ذنون، **الحياة العلمية زمن السامانيين**، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠١م.

٣- الحمد، محمد بن عبد الحميد، **دور السريان في العوم العربية**، حلب، دار ماردين، ط١، ٢٠٠٢م.

٤- حميدان، زهير، **أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية**، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٥م.

٥- الدفاع، علي عبد الله، **العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٦- زكار، سهيل وآخرون، **الرقة دُرّة الفرات**، الرقة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٧- شاخت وبوزورث، **تراث الإسلام**، ترجمة: حسين مؤنس، إحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول، ١٩٧٨، القسم الثالث.

٨- شربل موريس، **الرياضيات في الحضارة الإسلامية**، طرابلس، جروس برس، ط١، ١٩٨٨م.

٩- الشطي، شوكت، **مختصر في تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب**، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١٠- فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٤م.

١١- كحالة، عمر رضا، **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٢- هونكه، زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب** "أثر الحضارة العربية في أوروبة"، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه، مارون عيسى الخوري، بيروت، جار الآفاق الجديدة، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٣- هيل، دونالدر، **العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية**، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد /٣٠٥/، ٢٠٠٤م.

موقف بني أيوب من قيام الدولة المملوكية

إعداد طالب الدكتوراه
خالد حسين الدكيفي

إشراف الأستاذة الدكتورة
وفاء تامر جوني

قسم التاريخ
كلية الآداب
جامعة دمشق

- مقدمة:

أصبح صلاح الدين الأيوبي قائداً زنكياً لنور الدين، ووزيراً فاطمياً للخليفة الفاطمي العاضد بالله، واستغل صلاح الدين الحالة الصحية التي انتابت العاضد بالله، فقضى على الخلافة الفاطمية سنة ٥٧٦هـ/١١٧١م، وقد انصرف لتوطيد سلطانه في مصر، ثم ما لبث أن عاجلت المنية نور الدين زنكي، فانتقل إلى جوار ربه سنة ٥٦٩هـ /١١٧٤م، وهنا استلم من بعده ابنه الصالح إسماعيل، وكان آنذاك طفلاً صغيراً، فتنازع الأمراء في بلاد الشام على السلطة، مما أتاح لصلاح الدين الفرصة لإسدال الستار على الفوضى التي عاشتها بلاد الشام، وأسس أسرة أيوبية حاكمة، ووحد المشرق العربي الإسلامي تمهيدا لخوض معركة فاصلة مع الصليبيين[1]، فكانت

معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م إحدى أهم المعارك الحاسمة في التاريخ، واستعاد بيت المقدس من أيدي الصليبيين، فانحسر الوجود الصليبي في شريط ساحلي ضيق، وامتدت الدولة الأيوبية من الموصل إلى مصر، ولكن ما إن فارق صلاح الدين الحياة حتى دبّ النـزاع بين أبناء البيت الأيوبي، ووقعوا في فتنة الحروب الأهلية، مما أضعف المقاومة الأيوبية حيث اضطر السلطان الأيوبي الكامل محمد أن يعقد سنة ٦٢٧ هـ /١٢٢٩م معاهدة مع الإمبراطور الألماني فردريك الثاني تنازل له بموجبها عن بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وغرب الجليل، وبشكل عام فإن الملوك الأيوبيين قد اتحدوا حيناً وتنازعوا أحياناً، وعلى الرغم من ذلك كان لهم الكثير من المواقف المشرفة(٢)، وبعد تسعة عقود من عمر الدولة الأيوبية انتهى أمرها، وقد ورثها المماليك الذين حكموا بلاد الشام ومصر من سنة ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/١٢٥٠-١٥١٧م حيث ظهر العثمانيون، واستولوا على المنطقة، وأمام حاجة الأيوبيين للعنصر البشري فقد تسابقوا في شراء المماليك(٣) لتدعيم قوتهم الحربية وسط تلك الفوضى السياسية حيث حرص كل ملك أيوبي على تشكيل عصبة اعتمد عليها لتثبيت حكمه، وكان أولئك المماليك رقيقا من أجناس متعددة،كالأتراك و التركمان والمغول والشراكة وغيرهم، وقد أخذ الملوك الأيوبيين بتنشئتهم على الولاء والإخلاص، وتعليمهم المبادئ الإسلامية والعلوم العسكرية، فأصبحوا رجالاً وفرساناً أشداء حتى كاد أولئك المماليك أن يكونوا الأداة العسكرية الوحيدة في بلاد الشام ومصر، مما أحدث خللاً مع ازدياد نفوذهم (٤)، وقد بالغ الصالح نجم الدين أيوب في شراء المماليك حتى ضج الأهالي من كثرتهم، واهتمامه الكبير بهم، فبنى لهم قلعة في جزيرة الروضة وأسكنهم فيها، فأطلق عليهم المماليك البحرية الصالحية(٥)، وعندما هاجمت الحملة الصليـبية السابعة مصر بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع، واستولت على دمياط سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، ثم توغلت جنوباً نحو القاهرة، وكادت تجتاح مصر، أنقذ المماليك الموقف وحطموا الجيش الصليـبي وأسروه بأكمله، مما زاد في مكانتهم فاستبدوا بحكم مصر(٦)، ومما

ساعدهم على تمكين حكمهم حالة الفوضى التي عاشها الملوك الأيوبيين، فغدت بلاد الشام بأيدي الأيوبيين ومصر تحت سيادة المماليك، ولم تهدأ المنافسة بين الطرفين، وفي هذه الحالة المستفيد الوحيد هو الصليبيون، وإن النـزاع الأيوبي المملوكي شجع لويس التاسع على البقاء في المملكة اللاتينية لإذكاء نار العداء بين القاهرة ودمشق[٧].

- مقتل توران شاه وبدء أفول شمس بني أيوب:

أسند الصالح نجم الدين أيوب إلى ابنه توران شاه إدارة حصن كيفا[٨]، وعندما فارق الصالح أيوب الحياة، أرسلت شجر الدر فارس الدين أقطاي زعيم المماليك البحرية آنذاك لإحضار توران شاه وتسليمه أمور السلطنة، ووصل توران شاه ٢٩ رمضان سنة ٦٤٨هـ/٥يناير ١٢٥٠م، وعُين سلطاناً للأيوبيين[٩]، ثم تابع مسيره إلى مصر، وسلمته شجر الدر مقاليد الحكم، وكان وصوله إيذاناً بارتفاع الروح المعنوية لدى المسلمين ((فتيمن الناس بطلعته))[١٠]، واستبشروا خيراً، وأخذ بإدارة المعركة ضد الصليـبيين بعد أن توجهت جحافل الصليـبيين نحو القاهرة فأعد أسطولاً من السفن الخفيفة، ونشرها في دلتا النيل في الشمال من الجيش الصليـبي[١١] واستطاعت تلك السفن قطع الإمدادات عن الصليـبيين مما أوقعهم في أزمة اقتصادية، فأجبروا على التراجع إلى دمياط، ولحق بهم المماليك واستبسلوا في مهاجمتهم حيث قتل الكثير منهم، أما البقية فأعلنوا الاستسلام وأُسر لويس التاسع وجيشه الصليـبي، ويعود الفضل في ذلك النصر إلى توران شاه والمماليك البحرية [١٢]، ولم يهتم توران شاه بأمر دمياط إذ اعتقد أن استردادها بات أمراً مضموناً فأخذ يفاوض لويس التاسع على الممتلكات الصليـبية في بلاد الشام لكن لويس التاسع أظهر بأنها ليست من أملاكه إنما تخص كونراد ابن الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، ولم يكن التهديد مجدياً معه[١٣]، وعلى إثر المفاوضات تم إبرام معاهدة بين الطرفين نصت على ما يلي:

١- تسليم دمياط للمسلمين مقابل إطلاق سراح لويس التاسع.

٢- دفع فدية قيمتها خمس مائة ألف دينار مقابل إطلاق سراح الجنود الصليـــبيين.

٣- مدة المعاهدة عشر سنوات[١٤].

وقبل تنفيذ الاتفاق كان توران شاه قد ضرب دهليزاً سلطانياً في فارسكور على شاطئ النيل وإلى جانبه برجاً خشبياً، وقد شعر توران شاه أن المماليك ازداد نفوذهم في مصر، فشرع في إقصائهم عن الوظائف الكبرى، وأنعم بها على حاشيته التي قدمت معه من حصن كيفا، متناسياً القوة التي بلغها المماليك فأخذ يحد من نفوذهم، [١٥] وكان ((إذا سكر يجمع الشموع ويضرب رؤوسها بالسيف فيقطعها ويقول: كذا أفعل بالبحرية))[١٦]، وقد سماهم بأسمائهم، فخاب أمل المماليك بسلطانهم الجديد، وأخذوا يتحينون الفرصة للتخلص منه[١٧]، وازداد الأمر سوءاً عندما لم يقدر توران شاه الجميل الذي صنعته معه زوجة أبيه شجر الدر حيث أخذ يطالبها بأموال وجواهر أبيه[١٨]، فأرسلت للمماليك البحرية، وأخبرتهم بتهديده لها وأوعزت لهم بالتخلص منه، وقد حبكوا مؤامرة من أجل ذلك[١٩]،وتزعّم المؤامرة أربعة من زعماء المماليك البحرية لم تذكر المصادر منهم سوى بيبرس البندقداري وفارس الدين أقطاي[٢٠] وبعد ظهيرة يوم الاثنين في ٢٢محرم سنة ٦٤٨هـ/٢مايو ١٢٥٠م، تصدر توران شاه مائدة الطعام في الدهليز السلطاني، وجلب معه على المائدة أمراء المماليك البحرية، وإثر تناول الغداء انفض الجميع، وذهب توران شاه إلى مكانه الخاص، فهاجمه بيبرس البندقداري أحد أمراء البحرية وضربه بسيفه ثم فر هارباً، فصرخ توران شاه بأعلى صوته قائلاً ((قد عرفتك يا ملعون))[٢١] مما أخاف بيبرس، وهنا نصحه الأمراء الذين تآمروا على توران شاه بالعودة إليه والإجهاز عليه، وبالفعل عندما عادوا وجدوه قد طعن في ذراعه، وما إن أبصرهم دخلوا عليه حتى هرب إلى برجه الخشبي بجانب الدهليز[٢٢]، فحرقوا البرج وعندما رأى النيران قد اشتعلت بالبرج أخذ ينادي ((ما أريد

ملكاً دعوني أرجع إلى حصن كيفا يا مسلمين))[٢٣]، كما أن توران شاه استجار برسول الخليفة العباسي الذي كان متواجداً هناك، حيث أخذ ينادي يا أبا عز الدين أدركني يا أبا عز الدين أدركني....إلخ.

ولكن ما هو موقف رسول الخليفة العباسي؟

لابد من الإشارة إلى أن أولئك المماليك وحتى الأيوبيين من قبلهم كانت السيادة العباسية عليهم اسمية والدليل على ذلك عدم احترام زعماء البحرية لرسول الخليفة العباسي الذي أراد التدخل لعلّه يمنع البحرية من قتل توران شاه، ولكن زعماء البحرية هددوه بالقتل إن لم يعد إلى خيمته، فأجبر رسول الخليفة العباسي على العودة إلى مقره، دون أن يحرك ساكنًا [٢٤]، ولم يجرؤ أحد على إجارته خوفاً من أولئك الطغاة، وبعد أن التهمت النيران البرج رمى بنفسه من أعلى البرج لعله يستطيع أن يركب إحدى السفن الراسية على شاطئ النيل ويهرب، وإذا بفارس الدين أقطاي له بالمرصاد، فاستجار به فلم يجره ودفعه عنه، واستل قوسه وسدد بسهمه عليه فأصابه في جنبه، وهنا رمى بنفسه في مياه النيل لكن أمراء البحرية لحقوا به ومزقوه بسيوفهم[٢٥]، وبقيت جثته في العراء ثلاثة أيام حتى قدم رسول الخليفة العباسي المستعصم بالله ((٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)) ليتشفع فيه ويلاحظ بأن الخلافة العباسية كانت على علاقة هشة مع المسلمين، وذلك بسبب ضعفها، مما أدى لتمرد المناطق التابعة لها، فكانت مهمّتها إصلاح ذات البين وحل النزاعات، ولم يكن لها دور أساسي، إنما كان دورها ثانوياً وضعيفاً بعد أن تضاءلت قوتها، وإثر وساطة رسول الخليفة تمّت مواراة توران شاه التراب[٢٦]، فكم هي نهاية مؤلمة لتوران شاه ؟ وكم تمادى الرقيق على سادتهم؟

في الأمس كان أولئك المماليك رقيقاً لا حول لهم ولا قوة، ولكن بفضل الجهود التي بذلها الملوك الأيوبيون أصبحوا فرساناً ومقاتلين أشداء، فشعروا بازدياد قوتهم بينما

انشغل سادتهم بني أيوب بالصراعات من أجل السلطة وزيادة الأملاك، فلم تكن الصراعات بين الأيوبيين في بلاد الشام ومصر تهدأ حتى تثور من جديد، وهذا ما أطال في عمر المملكة اللاتينية، وأدى لازدياد أطماع السلاجقة بأملاك الأيوبيين، وعجّل في زوال السلطنة الأيوبية، فكم كانت المنطقة بحاجة إلى رجل قوي حازم، وأسد هصور كصلاح الدين الذي جعل من توحيد المشرق العربي الإسلامي طريقا لتحقيق الانتصارات، ودحر الغزاة والطامعين(٢٧).

وكلمة حق تقال لقد اغتر أولئك المماليك بقوتهم، وبخاصة إثر انتصارهم على الحملة الصليـبية السابعة، فلم يقيموا لتوران شاه وزناً، فأراد تقليص نفوذهم ولكنهم شكلوا القوة العظمى في مصر، والأقوى هو سيد القرار(٢٣)، فتخلصوا منه ومات جريحاً حريقاً غريقاً، متناسين أن والده الصالح أيوب قد صنع منهم رجالاً أشداء وفرساناً أقوياء بعد أن كانوا عبيداً أذلاء في أسواق النخاسة، وبذلك أفلت شمس بني أيوب في مصر، ونشأت دولة مملوكية جديدة تزعمتها شجر الدر(٢٩).

- استلام شجر الدر للسلطنة سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م.

تخلص المماليك من سيدهم توران شاه، وبوفاته انتهى الحكم الأيوبي لمصر وأدى ذلك العمل الشنيع لضياع بهجة النصر على الصليـبيين، ولم يستلم أحداً منهم قيادة مصر فهم عبيد ولا يحق لهم استلام السيادة، وأصبح عرش السلطنة شاغراً فأجمع أمراؤهم على تسليم الحكم لشجر الدر المملوكية أرملة الصالح نجم الدين أيوب، فكان ذلك حدثاً غريباً في تاريخ العرب المسلمين فهذه أول مرة في تاريخهم تتولى إمرأة زعامة العرب المسلمين(٣٠).

بدأت شجر الدر حكمها بإرضاء المماليك حيث وزعت عليهم الاقطاعات وأغدقت عليهم الأموال والهبات(٣١)، وكانت المهمة الأولى التي وقعت على عاتقها إجلاء الصليـبيين عن مصر، حيث دخل زعماء المماليك البحرية بعد مقتل توران شاه على

لويس التاسع ونبلاءه وسيوفهم تقطر دماً، وقد هددوهم وطالبوهم بدفع الأموال لهم مقابل قتلهم غريمهم توران شاه[٣٢] وقد كلفت آنذاك السلطانة المملوكية الأمير حسام الدين الهذباني لما عرف عنه من ذكاء ورجاحة عقل بمفاوضة لويس التاسع، حيث توصل الطرفان لتوقيع إتفاق تضمن ما يلي:

١- إعادة مدينة دمياط للمسلمين.

٢- يتوجب على لويس التاسع دفع مبلغ خمس مائة ألف دينار بينما أشار جوانفيل إلى أن المبلغ أربع مائة ليرة ذهبية[٣٣] على أن يدفع نصفها عاجلاً، والنصف الثاني إثر إطلاق سراحه، وذلك مقابل إطلاق سراح الأسرى الصليـــبيين.

٣- يتم إطلاق سراح لويس التاسع وكبار رجاله على أن يتم إطلاق بقية الأسرى إثر دفع المبلغ المتبق[٣٤].

تم البدء بتنفيذ الاتفاقية حيث استلم المسلمون دمياط من أيدي الصليـــبيين، وسرعان ما أنزلوا الرايات الصليـــبية ورفعوا الرايات الإسلامية عالية في سمائها[٣٥]، وإثر استلام دمياط حدث خلاف بين المسلمين حول تطبيق الاتفاق مع لويس، وقد انقسموا إلى قسمين حيث مثل الطرف الأول: أحد زعماء البحرية فارس الدين أقطاي الذي اقترح قتل لويس ورجاله طالما أصبحت دمياط بحوزتهم، أما الطرف الثاني: فمثله شجر الدر التي أيدت تطبيق الاتفاقية وعدم الغدر بلويس التاسع ورجاله، وقد تم الأخذ برأي شجر الدر، وهذا دليل واضح على قوة شخصيتها حيث فرضت رأيها على المماليك، وتم إطلاق سراح لويس التاسع وكبار رجاله، ورحلوا عن مصر[٣٦]، وما إن ركب لويس التاسع سفينته مع كبار رجال حملته وانطلق إلى مملكته عكا حتى أرسل إلى زعماء المماليك رسالة مظهراً فيها العداء للمماليك، وقد وصف المماليك في رسالته بقلة دينهم ونقص عقولهم وضعف رأيهم، فأما قلة دينهم فلأنهم غدروا بسيدهم توران

شاه وأردوه قتيلا، وقد تناسوا فضل والده الصالح نجم الدين أيوب عليهم، وأما نقص عقولهم فبسبب إطلاق سراحه لقاء مبلغ زهيد، بينما وصفهم بضعف الرأي فلأنهم سلّموا سيادتهم لامرأة ألا وهي شجر الدر[٣٧]، في الوقت الذي أقامت فيه شجر الدر الأفراح في أرجاء مصر، وبعد أن تخلصت من الوجود الصليبي[٣٠]، أخذت بتدعيم مركزها الداخلي، وتثبيت حكمها، فحرصت على ألا تبرز اسمها في المراسيم التي أصدرتها، حيث كانت توقع تلك المراسيم باسم أم خليل نسبة لابنها خليل الذي توفي في حياة أبيه، وأحياناً وقعت باسم المستعصمية من أجل الإشارة لتبعيتها للخليفة العباسي المستعصم بالله، أما خطباء المنابر فكانوا يدعون لها بقولهم: ((واحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا أم خليل المستعصمية))[٣٨] كما نقشت اسمها على السكة باسم المستعصمية وأم خليل[٣٩].

لم يكن الخليفة العباسي المستعصم بالله راضياً عن استلام إمرأة لزعامة المسلمين في مصر،ولم يكن قادراً على شيء سوى إرسال رسائل التقريع والاستهزاء بالمماليك، وكان من الطبيعي أن يستنكر لأن المسلمين لم يألفوا أن تتولى امرأة أمرهم من قبل، فأرسل الخليفة يقول لهم: ((أعلمونا إن كان ما بقي عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل إليكم من يصلح إليها))[٤٠]، وقد توقعت شجر الدر ذلك العداء حيث وقفت في موقف حرج تجاه احتجاج الخليفة العباسي[٤١]، فضلاً عن المعارضة الداخلية في مصر على الرغم من أن شجر الدر حاولت التقرب منهم، ولكن لم يألف الشعب استلام امرأة لزعامته، وهنا أصبحت شجر الدر بين نارين ألا وهما رفض الخلافة العباسية من جهة، وتذمر الشعب المصري من جهة أخرى[٤٢].

اقترح زعماء المماليك زواج سلطانتهم من قائد الجيش عز الدين أيبك، وقد حددوه دون غيره بسبب ضآلة نفوذه مقارنة مع بقية الأمراء المماليك، فإذا ما أرادوا عزله لن يجدوا صعوبة في ذلك، وبالفعل تزوج أيبك من شجر الدر، وتنازلت له عن السلطنة

في شهر ربيع الثاني سنة ٦٤٨هـ/شهر تموز ١٢٥٠م بعد أن حكمت مصر ما يقارب ثلاثة أشهر(٤٣).

وبذلك ساست شجر الدر مصر بحكمة وذكاء، وحاولت إرضاء الخاصة والعامة من الناس، وعندما استنكر الخليفة العباسي قيادتها هالها الأمر، فتنحت عن العرش وسلمت السيادة لزوجها عز الدين أيبك، ولكن ما لبث أيبك أن وجد معارضة ليست من قبل الخليفة العباسي هذه المرة إنما من قبل الأيوبيين في بلاد الشام، حيث طالبوه بالتنازل عن الحكم لأحد أمراء البيت الأيوبي، وقد عدوه مغتصباً للسلطنة الأيوبية(٤٤).

- موقف بلاد الشام من المماليك:

جرت العادة منذ عهد صلاح الدين الأيوبي أن يكون للسلطان الأيوبي هيمنة تامة على الملوك الأيوبيين،وذلك لأن صلاح الدين لم يكن هدفه السيادة أو جمع الأموال،فقد كان هدفه إعلان الجهاد ضد الفرنج الصليبيين وأن تبقى كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله مرفرفة عالياً في سماء الوطن رغم أنف الصليبيين، وهذا ما أدى لطاعة الملوك الأيوبيين له بينما اختلف خلفاء من بعده، وغالباً ما كان البحث عن السؤدد هو السبب الأساسي للنـــزاع،وكثيراً ما تمرد الملوك الأيوبيين على سلطانهم، ولم يعترفوا به، كما أن أولئك الملوك لم يعترفوا بسلطنة شجر الدر ولا حتى عز الدين أيبك، حيث أنفوا الخضوع لمماليكهم وظلوا يعتقدون أنهم هم أصحاب الحق الشرعي في حكم بلاد الشام ومصر بوصفهم من سلالة صلاح الدين(٤٥)، وقد انطلقت شرارة المعارضة من دمشق حيث رفض الأمراء القيمرية(٤٦) الاعتراف بالوضع الجديد، فقد أرسلت شجر الدر وفداً مملوكياً إلى بلاد الشام حيث وصل إلى دمشق من أجل أخذ يمين الولاء والطاعة من الملوك الأيوبيين إلى السلطانة الجديدة، فرفض الملوك الأيوبيين ونظروا نظرة ازدراء لذلك الوفد، حيث وجدوا أنهم خسروا سيدهم توران شاه، وهم غير

مجبرين على أن يكونوا تحت سيادة أمة من إماء المماليك فقفل ذلك الوفد راجعاً إلى مصر، وعلى إثر ذلك أرسل أمراء القيمرية[٤٧] إلى الناصر يوسف الثاني ملك حلب لتسليمه دمشق، فانتهز الناصر يوسف الثاني انشغال المماليك بتثبيت حكمهم وأعد جيشاً وقصد دمشق، وعلى ما يبدو أن النائب الأيوبي في دمشق جمال الدين ابن يغمور كان قد وقف على الحياد بانتظار ما ستنجلي عنه الأمور، فاستاء من القيمرية لمراسلتها الناصر يوسف الثاني وحصل جفاء بينهما ووصل الناصر يوسف الثاني في الثامن من ربيع الثاني سنة ٦٤٨هـ/العاشر من شهر تموز ١٢٥٠م [٤٨]، ((وملكها صفواً عفواً من غير ممانعة ولا قتال))[٤٩]، ووزع الهبات والأموال على القيمرية، والمماليك الصالحية الموجودين في دمشق، وأصبح الناصر يوسف الثاني سيداً على دمشق وحلب، كما أخذ يرنو بنظره إلى الكرك[٥٠].

كانت الكرك تحت سيادة النائب الأيوبي بدر الدين الصوابي، ولكن الملك فتح الدين عمر بن الملك العادل بن الملك الكامل إثر إخراجه من السجن استطاع انتزاع الكرك من يد بدر الدين الصوابي، وكذلك استولى على الشوبك، ويمكن الإشارة إلى أن الملك فتح الدين عمر قد سجن من قبل توران شاه بعد أن خاف من ارتفاع شأنه، ولكن بعد موت توران شاه أُخرج من السجن وأصبح زعيماً للكرك والشوبك في الوقت الذي كان فيه الناصر يوسف الثاني راغباً بضم الكرك والشوبك إلى مملكته، وقد أرسل إلى الملك فتح الدين عمر يطلب منه تسليمه الكرك والشوبك، فاقترح عليه فتح الدين عمر أن يكون نائباً عنه في تلك المملكة، ووعده أن لا يقوم بأي عمل دون استشارته، وقد قبل الناصر يوسف الثاني بذلك، واعترف بشرعيته أملاً في تمكين وحدة الصف الأيوبي[٥١].

نقم الأمراء الأيوبيون في مصر على مقتل زعيمهم توران شاه واستلام أيبك، فاتفقوا على تولية الملك فتح الدين عمر، وخُطب له على منابر قرية الصالحية في مصر، وأرسل أولئك الأمراء لفتح الدين عمر للقدوم إلى مصر لتسليمه السلطنة الأيوبية،

ولكنه كان إنساناً واقعياً حيث وجد بأن هناك من هو أحق منه بالسلطنة [٥٢] مثل سيده الناصر يوسف الثاني، وعلم أيبك بتلك المؤامرة، فانطلق إلى قرية الصالحية للقضاء على المؤامرة، ولحسن حظه أنهم اختلفوا في أمر تولية السلطنة بعد رفض فتح الدين عمر توليها، فحاول أيبك استمالتهم إلى جانبه، وبالفعل قضى على أول حركة تمرد أيوبية هددت الدولة المملوكية الفتية[٥٣]، لكن سرعان ما نشأت معارضة داخلية تزعمها فارس الدين أقطاي وبيبرس البندقداري، وقد أنفت تلك المعارضة استلام أيبك للسلطنة، وهو مملوك مثله مثلهم بل هما أكثر نفوذ منه، فاقترحت المعارضة تعيين سلطان من بني أيوب من أجل تهدئة نقمة الأيوبيين عليهم، وبالفعل تم الاتفاق على تعيين مظفر الدين موسى الملقب بأتسز[٥٤] سلطاناً للأيوبيين وأيبك أتابكاً له، وخطب للمظفر موسى على المنابر وخرجت المراسيم موقعة باسمه[٥٥]، وهنا يمكن الإشارة إلى أن المماليك استهدفوا من تعيين الأشرف موسى هدفين وهما ما يلي:

أ- أراد زعماء المماليك البحرية التدخل في شؤون البلاد رغماً عن أيبك بحجة أنهم يساعدون الأشرف موسى في إدارة البلاد لتحقيق مصالحهم الذاتية.

ب- إقناع الملوك الأيوبيين في بلاد الشام بأن المماليك لم يستهدفوا من قتل توران شاه السيطرة على السلطة، والدليل على ذلك تعيين ملك أيوبي سيداً عليهم.

لم تكن بلاد الشام مقتنعة بتلك الحيلة بعد أن قتلوا سيدهم توران شاه وسلموا ذلك الطفل الصغير الذي بلغ السادسة من العمر، وبذلك انقسمت الجبهة الإسلامية وأصبحت مصر بأيدي المماليك، بينما بقيت بلاد الشام تحت السيادة الأيوبية، ولم تهدأ المنافسة بينهما، وكان المستفيد الوحيد في هذه الحالة الكيان الصليـــبي[٥٦].

- التحالف المملوكي مع لويس التاسع:

استقر لويس التاسع في عكا بعد إطلاق سراحه ونظر بعين الارتياح للانقسامات والصراعات الإسلامية، ورأى أمامه بارقة أمل للثأر من المسلمين الذين حطموا حملته الصليـبية السابعة، فلم يبد رغبة في العودة إلى فرنسا على الرغم من حاجتها إليه، وقد شجعته النـزاعات المملوكية الأيوبية على البقاء في عكا حيث رأى أن بلاد الشام قد أعلنت العداء للمماليك في مصر، وهذا ما انعكس سلبا على الجبهة الإسلامية، فغدت ضعيفة أمام لويس التاسع بل هذا ما أطال في عمر المملكة اللاتينية، وأخذ لويس التاسع يبني الآمال بتقوية الوجود الصليبي(٥٧) والاستعداد لمهاجمة المسلمين من خلال قيامه بما يلي:

١- تدعيم الجبهة الداخلية: حيث عمل لويس التاسع على إزالة المشاحنات بين الصليـبيين، فأصلح ذات بينهم، واستطاع بتواضعه وغيرته على مصالحهم كسب الجميع، فأصبحوا طوع بنانه، كما عمل على تحصين المواقع الصليـبية كي تبقى صامدة بوجه أي هجوم إسلامي(٥٨).

٢- تقوية علاقاته مع مسيحيي الشرق: فقد سعى لويس التاسع لإيجاد جبهة مسيحية قوية حيث أسهم في حل النـزاعات بين أرمينية الصغرى وإمارة أنطاكية الصليبية(٥٩)، كما حاول إنهاء الصراعات الداخلية في قبرص، فضلاً عن إقامة علاقات وثيقة مع الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية.

وفي الوقت الذي كان فيه لويس التاسع يبذل فيه جهوداً كبيرة لتقوية المملكة الصليـبية(٦٠) لم يفته أن يلعب دوراً ديبلوماسياً مع الملوك المسلمين واستغلال خلافاتهم لصالح القضية الصليـبية، لأنه أدرك أنه لا يمكن تحقيق النجاح إلا إذا اتسعت هوة الخلاف بين القاهرة ودمشق، وبالفعل تفاقم الخلاف بينهما مما أدى لمراسلة الملك الناصر يوسف الثاني للويس التاسع، وقد عرض عليه عروضاً سخية

من تلك العروض التنازل له عن بيت المقدس إذا ما وافقه على محالفته ضد المماليك، وهنا تصرف لويس التاسع بحكمة، فهو لم يوافق ولم يرفض، لأنه إذا ما وافق فهذا يعني أن الأسرى الصليـبيين الذين تركهم لويس وراءه في مصر لن يكون مصيرهم سوى القتل، وقد أرسل لويس التاسع إلى الناصر يوسف الثاني يخبره بأنه يمكن الدخول في حلف معه ضد المماليك إن امتنعوا عن إطلاق سراح الأسرى الصليـبيين الموجودين لديهم(٦١)، نعم لقد رأى لويس التاسع في عرض الناصر يوسف بتسليمه بيت المقدس عرضاً مغرياً، ولكن وجد بأن المماليك هم أكثر قوة من الأيوبيين، وهنا فضل لويس التاسع الوقوف لجانب المماليك لأنهم هم الأقوى، كما أن مصالحه مرتبطة معهم، ولنفرض جدلا أن لويس التاسع وافق على محالفة الناصر يوسف الثاني، فلا ننسى بأن هذا مرهون بخسارة الأسرى الصليبيين المتواجدين في السجون المملوكية، فهو قد خسر معظم أفراد حملته الصليبية السابعة، ولم يبق منها سوى الأسرى، وإذا ما ضحّى بهم من أجل بيت المقدس فإن أوربا لن ترحم استهتاره(٦٢)، ولذا أرسل لويس التاسع إلى أيبك وفداً برئاسة السيد جون فالنسين حيث التقى مع أيبك، وتجاسر جون فالنسين واتهم أيبك بعدم احترامه للهدنة بعد إتلافهم للآلات الحربية والمؤن الصليـبية في دمياط بعد مغادرة الصليـبيين لها، ثم طالبه بإطلاق سراح الأسرى الصليـبيين الموجودين لديهم، وإن لم يفعل أيبك ذلك فإن لويس التاسع سيقوم بمحالفة الناصر يوسف الثاني ضد المماليك، فخشي أيبك من تشكيل حلف أيوبي _ صليـبي ضد المماليك، فأخرج ما يقارب ثمان مائة أسير صليـبي في شهر جمادى الثاني سنة ٦٤٨هـ/سبتمبر ١٢٥٠م(٦٣)، ثم عقد حلف مع أيبك نيابة عن سيده لويس التاسع تعهد فيه جون فالنسين بعدم الدخول في أية مفاوضات مع الناصر يوسف الثاني ضد المماليك، ثم قاد جون فالنسين الأسرى وعاد إلى عكا، وأرسل أيبك إلى جانبه سفارة مملوكية لتوثيق التحالف مع لويس التاسع، ولكن عندما شعر لويس التاسع أن هناك

مرونة من قبل أيبك لم يرض بإطلاق سراح ذلك العدد ، وأراد استغلال ذلك العداء الأيوبي المملوكي فأملى شروطه على السفارة المملوكية، وقد اشترط عليها فيما إذا أراد محالفتهم ضد الأيوبيين يتوجب عليهم إطلاق سراح جميع الأسرى الصليبيين الموجودين في مصر، والتنازل عن النصف الثاني من الفدية الذي لم يدفع بعد [٦٤]، وعادت السفارة المملوكية وبرفقتها جون فالنسين لمعرفة موقف أيبك من مطالب سيده، وقد استجاب أيبك لتلك المطالب وأطلق سراح دفعة ثانية من الأسرى، وتنازل له عن الفدية، ويلاحظ بأن لويس التاسع أصبح سيد الموقف في ظل النزاعات القائمة بين المماليك والأيوبيين، وفي الحقيقة لم يكن النزاع بينهما قائم بين دولتين إنما بين حاكمين هما عز الدين أيبك و الناصر يوسف الثاني حيث سعى كل منهما في تثبيت حكمه، وتوسيع حدود مملكته، وقد تركوا لويس التاسع يصول ويجول ويصدر القرارات ويوجه الإنذارات و التهديدات، وعندما حظي عز الدين أيبك بكسب لويس التاسع كما تراءى له[٦٥]، فإن ذلك التقارب أخاف الناصر يوسف الثاني، ووجد أن خير وسيلة للدفاع هو الهجوم على المماليك في مصر، قبل أن يشتد ساعد الحلف المملوكي _ الصليبي وتضيع أملاكه في بلاد الشام[٦٦].

- معركة العباسة سنة٦٤٩هـ/١٢٥١م:

لما يئس الناصر يوسف الثاني من مساعدة لويس التاسع، وعلم أنه قد دخل في حلف مع المماليك قرر الزحف نحو مصر ومحاربة المماليك في عقر دارهم، وبخاصة بعد أن أخذ المماليك بالتمادي حيث أرسل عز الدين أيبك القائد فارس الدين أقطاي فاستولى على غزة سنة ٦٤٨ هـ/١٢٥٠[٦٧] فاجتمعت الجيوش الأيوبية في دمشق، وبعد أن تكامل جمعهم، سار الجيش الأيوبي بقيادة الناصر يوسف الثاني قاصداً مصر، ووصل إلى الحدود المصرية الشامية [٦٨] ودخلوا قرية كراع [٦٩].

عندما علم عز الدين أيبك بأنباء مسير الجيش الأيوبي نحو مصر، أثار دعاية مفادها بأنه قد تصالح مع فتح الدين عمر سيد الكرك، ولكن ما هو هدف أيبك من هذه الدعاية في ذلك الوقت؟

من المحتمل أن عز الدين أيبك أراد إثارة مخاوف الناصَر يوسف الثاني الذي انطلق من دمشق نحو مصر، وهنا على الأرجح لابد أن يمر قريباً من الكرك، وإذا ما ثبت فعلاً بأن ملك الكرك قد تصالح مع أيبك فإن هذا ربما يؤدي لمهاجمة الناصر يوسف من قبل ملك الكرك حيث أراد إثارة مخاوفه لعلّه يعود إلى دمشق، ولكن الناصر يوسف الثاني يبدو أنه كان مطمئناً لملك الكرك، فتبددت أوهام عز الدين أيبك [٧٠]، فأعدّ أيبك جيشاً من المماليك عسكر في العباسية قريباً من كراع، وأصبح الجيشان وجهاً لوجه، وتم تنظيم الجيش الشامي إلى ميمنة وقلب وميسرة، واستهدفوا من ذلك التنظيم تراجع القلب ثم إطباق الميمنة والميسرة عليه، وكذلك كانت خطة الجيش المملوكي[٧١] وتقدم الجيش المملوكي بينما بقي الجيش الأيوبي مكانه والتحم الجيشان في العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٦٤٨هـ/الثاني من فبراير ١٢٥١م وأخذ قلب الجيش الأيوبي بالتراجع وما إن توغل الجيش المملوكي فيه حتى أطبقت عليه الميمنة والميسرة، ودارت معركة ضارية أدت لهزيمة المماليك[٧٢] حتى ((خُطب ذلك اليوم للملك الناصر يوسف صاحب حلب بالقلعة وجامع مصر، وأما القاهرة فلم يقم بجامعها خطبة وتوقفوا ليتحققوا))[٧٣]، وقد دفع المماليك العزيزية (نسبة لصاحب حلب العزيز) صلة القرابة مع المماليك البحرية، والأصل الواحد لترك سيدهم الناصر يوسف الثاني ونهب أمواله وعتاده العسكري ، والانضمام إلى أيبك[٧٤]، فنظم أيبك جيشه من جديد وقد كان الجيش الأيوبي تقدم من كراع إلى العباسة[٧٥]، بينما بقي الناصر يوسف الثاني في كراع، ومعظم جيشه في العباسة ينتظر قدومه للمسير إلى القاهرة ومتابعة فلول المماليك وطال انتظاره للناصر يوسف الثاني، ولم يكونوا قد علموا بأنباء

هزيمته، فانتهز أيبك تلك الفرصة وهاجم الأيوبيين في العباسة وأسر بعض ملوكهم مثل الملك الأشرف ملك حمص والصالح إسماعيل صاحب بعلبك، ومجموعة من أعيان حلب[٧٦]، ((وتمزق عساكر دمشق كل ممزق ومشوا في الرمل أياماً))[٧٧].

فر الجيش الأيوبي عائداً إلى بلاد الشام وكان الناصر يوسف الثاني أول الواصلين إلى غزة حيث انتظر وصول فلول جيشه وقد تجمعوا فيهما ومضوا إلى دمشق[٧٨]، بينما عاد أيبك من أرض المعركة فرحاً بذلك النصر حيث رافقته المماليك العزيزية وأحيط بموكب مهيب بل واستقبلوه استقبال الأبطال الفاتحين، ثم أخذ بتصفية حسابه مع المصريين الموالين للأيوبيين، وبخاصة أولئك الذين ما إن سمعوا بانتصار الأيوبيين حتى أعلنوا الخطبة للناصر يوسف الثاني، فاعتقل كل من شك بصدقه وعدم ولاءه له[٧٩]، كما قتل معظم الملوك الأيوبيين الذين وقعوا في قبضته كي لا يفكر أي ملك أيوبي بمهاجمة مصر مرة ثانية[٨٠]، وأسفرت تلك المعركة بين الأيوبيين والمماليك عن نتائج عديدة هي على الشكل الآتي:

١- تثبيت أركان الدولة المملوكية الفتية التي نجحت في أول اختبار لها، ورسخت أقدامها في مصر أكثر من قرنين ونصف من الزمان[٨١].

٢- أثبتت تلك المعركة تخاذل الناصر يوسف الثاني الذي ترك الجيش الأيوبي يتقدم وهو خلفه في كراع، فكان الأولى أن يكون على رأس ذلك الجيش وفي مقدمته[٨٢].

٣- نجح لويس التاسع في مهمته، وأوقد نار الفتنة بين الأيوبيين والمماليك، وما إن انتهت المعركة حتى أرسل إلى أيبك يطالبه بالإسراع في إطلاق سراح بقية الأسرى الصليبيين[٨٣].

٤- حددت تلك المعركة مصير المنطقة حيث أضحت بلاد الشام للأيوبيين ومصر للمماليك ولم تكن لتنشأ دولة مملوكية لولا حالة الصراعات التي عاشتها السلطنة الأيوبية[٨٤].

كاد الجيش الأيوبي يحرز نصراً حاسماً على المماليك، ولكن افتقد الناصر يوسف الثاني للخبرة القتالية فحوّل النصر إلى هزيمة، وقررت تلك المعركة مستقبل المماليك، وبعد أن هُزم الأيوبيون أدركوا بأنهم لا يمكن أن يتغلبوا على المماليك وبالرغم من ذلك لم يستسلموا، ولم يكفوا عن إثارة المتاعب للأيوبيين في الوقت الذي تدخلت فيه الخلافة العباسية لعلها تصلح ما أفسدته الحروب بين القاهرة ودمشق[٨٥].

- دور الخلافة العباسية في إنهاء النــزاع الأيوبي المملوكي:

أصيب الناصر يوسف الثاني إثر هزيمته بخيبة أمل بينما اتفق أيبك وحليفه لويس التاسع على إعداد حملة مشتركة لمهاجمة بلاد الشام[٨٦] ولم تكن الخلافة العباسية راضية عن تلك الأحلاف والنــزاعات. وبخاصة بعد أن وضع أيبك ولويس التاسع خطة لاقتسام بلاد الشام[٨٧] حيث أعد لويس التاسع جيشاً وهاجم مدينة يافا، واستولى عليها من أيدي المسلمين[٨٨]، بينما أرسل أيبك جيشاً بقيادة فارس الدين أقطاي عسكر في قرية الصالحية قريباً من غزه[٨٩].

علم الناصر يوسف بأن الحليفين أيبك ولويس التاسع سيهجمان على بلاد الشام، فأرسل قوة عسكرية مؤلفة من أربعة آلاف مقاتل لمنع الاتصال بين الصليبيين في يافا و الجيش المملوكي الموجود في الصالحية[٩٠]، وبالفعل تابع ذلك الجيش مسيره إلى غزة واستقر فيها لمنع أي اتصال بين الصليــبيين والمماليك، وأصبحت المواجهة أمراً متوقعاً[٩١]، في الوقت الذي وصلت فيه أنباء عن قدوم حملة مغولية باتجاه الخلافة العباسية في بغداد، وهي دون شك لن تستهدف بغداد فحسب بل ستقتحم البلاد الإسلامية طالما أن الطريق أمامها مفروشة بالورد والرياحين، ولن تتوقف عن التوغل في بلاد المسلمين إلا إذا أعدوا لها ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل، وتحسباً لذلك الهجوم المغولي أراد الخليفة العباسي إصلاح أوضاع المسلمين[٩٢] وقبل اصطدام

الأيوبيين والمماليك أرسل الخليفة العباسي المستعصم بالله سفيره نجم الدين البادرائي حيث ((تردد من دمشق إلى مصر ومن مصر إلى الشام للإصلاح بينهما))[٩٣] وهنا يعني تردد رسول الخليفة وتنقله مابين القاهرة ودمشق كل ذلك من أجل محاولة التوفيق بين الطرفين، مما يؤكد بأن الخليفة غير قادر على فرض رأيه، وذلك بسبب حالة الضعف التي مرت بها الخلافة العباسية في ذلك الحين، وأخيرا أثمرت جهود رسول الخليفة العباسي، وتوصل في نهاية المطاف في شهر صفر سنة ٦٥١ هـ/شهر أبريل عام ١٢٥٣م لعقد اتفاق بينهما تقرر فيه ما يلي:

١- اعتراف الناصر يوسف الثاني بسيادة عز الدين أيبك على مصر وغزة وبيت المقدس ونابلس والساحل الفلسطيني[٩٤].

٢- اعتراف أيبك بسلطة الناصر يوسف الثاني على باقي بلاد الشام.

٣- إفراج عز الدين أيبك عن أسرى معركة العباسية[٩٥].

وبذلك اكتسب المماليك صفة الشرعية بعد أن اعترف الناصر يوسف بهم،بل إن تلك الوثيقة كانت منعطفاً تاريخيا فقد اعترف السادة الأيوبيون برقيقهم المماليك سادة على مصر وجنوب بلاد الشام، لأن الناصر يوسف الثاني كان مجبراً على ذلك فقد استهزأ في بداية الأمر بالمماليك، ولكنه إثر هزيمته التي لم يتوقعها أدرك بأن أولئك المماليك قوة لا يستهان بها، وإن لم يعترف بهم فربما تأتيه الجيوش المملوكية بين عشية وضحاها، وتستولي على ما تبقى من الأملاك الأيوبية في بلاد الشام[٩٦]، وما إن حل الصلح بين دمشق والقاهرة حتى عاد الجيش الأيوبي من غزة بعد أن كان يتأهب للإشتباك مع المماليك، ثم أغار على المواقع الصليـــبية حيث هاجم مدينة يافا سنة ٦٥١هــ/١٢٥٣م، ولكنه وجدها حصينة بفضل جهود لويس التاسع[٩٧] وعلى الرغم من حصانة يافا فقد اشتبك الجيش الأيوبي مع فرقة الاستطلاع الصليبية قريباً من يافا، وكاد أن يبيدها لولا تدخل جوانفيل مستشار لويس التاسع الذي أتى على رأس قوة

عسكرية لفك الحصار عن الفرقة المحاصرة، وما إن أفلح جوانفيل في مسعاه وفك الحصار عن تلك الفرقة، حتى انسحب الصليبيون من أرض المعركة ليتحصنوا جميعاً داخل أسوار يافا[٩٨]، ثم تابع ذلك الجيش سيره إلى مدينة عكا، ودمر المزارع والمروج المحيطة بها، فخرجت القوات الصليبية من عكا وأجبرت الجيش الأيوبي على التراجع[٩٩]، فتراجع متجهاً إلى مدينة صيدا التي لم يكتمل تحصينها بعد من قبل لويس التاسع، حيث أغار عليها ودمرها[١٠٠].

أراد لويس التاسع الانتقام لذلك الهجوم الأيوبي، فأعد حملة ثم وجهها لمهاجمة مدينة نابلس، حيث فر أهالي نابلس من مدينتهم وتحصنوا في قلعة الصبيبة القريبة منها، فلحق بهم الصليبيون، لكن الحاميات العسكرية في الصبيبة تصدت لهم، وعادت القوات الصليبية أدراجها إلى صور[١٠١]، وعلى هذا بعد أن كانت دمشق والقاهرة تخطبان ود لويس التاسع فقد احتدم الصراع بينه وبين الأيوبيين، بينما تجمدت علاقته مع المماليك، ولم يسفر حلفه مع أيبك سوى إطلاق سراح قسم من الأسرى، وإعفاءه من دفع مبلغ الفدية المتبقي عليه[١٠٢].

- خاتمة:

وعلى هذا فإن توران شاه لم يثق بالمماليك، فأراد تسليم المناصب الكبرى في مصر لرجاله الذين قدموا معه من حصن كيفا، لكنه لم يرض المماليك وهم أصحاب الفضل في هزيمة لويس التاسع مما زاد في غطرستهم، فانقلبوا على سيدهم، وأردوه قتيلاً متناسين معروف والده الصالح نجم الدين أيوب الذي اشتراهم من أسواق النخاسة، وخلصهم من ظلم واضطهاد تجار الرقيق، وصنع منهم أمراء وقادة، ولكن ما إن اشتد ساعدهم حتى نسوا كل ذلك وقتلوه بطريقة مؤلمة لازال يضرب بها المثل حتى يومنا هذا [١٠٣]، وإثر مقتله سلموا القيادة إلى شجر الدر التي ساست الدولة بحكمة وذكاء، ثم

ما لبثت الخلافة العباسية أن بدأت بالانتقادات بسبب استلام إمرأة لزعامة المسلمين، فتنحت عن العرش وسلمت القيادة لزوجها عز الدين أيبك [١٠٤]، وهذا ما أثار الملوك الأيوبيين على ذلك الانقلاب العسكري الذي أطاح بسلطانهم توران شاه واستلام المماليك بدلاً منه، وهنا انتهز لويس التاسع ذلك الخلاف وصب الزيت على النار [١٠٥]، وأفلح في مسعاه حيث قاد الطرفان إلى العباسة حيث جرت معركة حاسمة هزم فيها الملوك الأيوبيين أمام مماليكهم، وقد قررت تلك المعركة مصير مصر، فأصبحت تحت قيادة المماليك، بينما اقتصر الحكم الأيوبي على بلاد الشام، وتأججت البغضاء بين القاهرة ودمشق، وكاد أن يحصل هناك اصطداماً آخر، ولكن تدخلت الخلافة العباسية في الوقت المناسب، ونجحت مساعي الخليفة العباسي في إطفاء جذوة الخلاف بين الأيوبيين والمماليك، أملا في مواجهة أكبر خطرين واجها المشرق العربي الإسلامي ألا وهما الخطر الصليبي الخطر والمغولي، مما أدى لهدوء حالة التوتر بين دمشق والقاهرة، وتقرر الصلح بينهما [١٠٦]، وتلاشت أحلام لويس التاسع بعد أن بدأت الجيوش الأيوبية بشن الهجمات على المعاقل الصليبية، فبدى أن انهيار الكيان الصليبي قد اقترب وأصبح أمراً لا بد منه [١٠٧].

الحواشي

(١) ابن الأثير (عز الدين علي): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب، بيروت ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م،ج ٩،ص ٣٥٠-٤٠٤.

(٢) ابن دقماق، (إبراهيم): **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق: سعيد عاشور، دار إحياء التراث الإسلامي، السعودية، د.ت، ص٢٤٤-٢٨٠. رنسيمان (ستيفن): **تاريخ الحروب الصليبية**، نقله إلى العربية: السيد الباز العريني، دار الثقافة بيروت، ١٤٠١ هـ /١٩٨٠م،ج ٣، ص١٩-٣٩٩.

(٣) أصل المماليك: يعود أصلهم إلى يافث بن نوح عليه السلام، وقد عرفوا بالترك لأن الإسكندر ذو القرنين عندما بنى السد على يأجوج ومأجوج كانت طائفة منهم غائبة، فما علموا ببناءه، فتركوا خارجه وعرفوا بالترك، وقد تكاثروا وانتشروا في بلاد القفجاق، وهوجموا من قبل المغول سنة ٦١٦هـ/١٢١٢م فشردوهم وباعوهم في أسواق النخاسة، وقد اشترى الأيوبيين الكثير منهم وبخاصة الصالح أيوب.(ابن إياس: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح: محمد مصطفى، دار الهيئة المصرية، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص٢٨٨-٢٨٩).

(٤) الدوادار، (بيبرس): **زبدة الفكر في تاريخ الهجرة**، تح: دونالد ريتشاردز، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ص٢-٦. ابن دقماق، (إبراهيم): **النفحة المسكية في الدولة التركية**، تح: عمر تدمري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٣٧-٤٠.

(٥) ابن دقماق، (إبراهيم): **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تح: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ص١٨٦-١٨٧.

(٦) ابن سباط، (حمزة): **صدق الأخبار**، تحقيق: عمر تدمري، داجروس بروس، طرابلس، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٣٤٣-٣٤٧م. ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ج٦، ص٣٦٢-٣٦٨.

(٧) العيني،(بدر الدين): **عقد الجمان**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور سهيل زكار، دمشق، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م، ج٦٠، ص٥٩٥-٦٢٩.

(٨) حصن كيفا: قلعة عظيمة تشرف على نهر دجلة وتقع بين آمد وجزيرة ابن عمر (البغدادي ابن عبد الحق : **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تح: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١، ص٤٠٧.

(٩) ابن العميد، (جرجس): **أخبار الأيوبيين**، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٣٧. أبو شامة، (عبد الرحمن): **الذيل على الروضتين**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢٠، ص٣٦٢.

(١٠) ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٣٧٠.

(١١) ابن خلدون، (عبد الرحمن): **تاريخ ابن خلدون**، دار الفكر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٥، ص٤١٦-٤١٧. ابن واصل، (محمد): **مفرج الكروب** في أخبار بني أيوب، تح: عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ج٦، ص١٢٠-١٢١.

(١٢) العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية** للدكتور زكار، ج٦٠، ص٥٨٩. أبو الفداء، (اسماعيل): **المختصر** في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٨٧

(١٣) جوانفيل، (جون): **حياة القديس لويس**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٣٥، ص١٢٧-١٢٨.

(١٤) ابن العميد، (جرجس): المصدر المتقدم، ص٣٩.

Funch Brentano: Le moyen age la croisade d,Egypt، Paris، p296-297.

(١٥) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥٠. ابن العميد، (جرجس): المصدر المتقدم، ص٣٨.

(١٦) العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشا[illegible]** ج٦٠، ص٥٩٦.

(١٧) الذهبي، (محمد): **العبر في خبر من غبر**، تح: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣، ص٢٥٩. أبو الفداء، (إسماعيل): **المختصر**، ج٢، ص٢٨٧-٢٨٨.

(١٨) الدواداري، (عبد الله): **كنز الدرر وجامع الغرر**، تح: سعيد عاشور، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م، ج٧، ص٣٧٢.

(١٩) النويري، (أحمد): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: محمد الريس، دار الهيئة المصرية، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م، ج٢٩، ص٣٦٠.

(٢٠) العيني (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**،ج٦٠، ص٥٩٧-٥٩٨.

(٢١) ابن دقماق، (إبراهيم): **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تح: سعيد عاشور، دار إقرأ، السعودية، ص٢٥٠.

(٢٢) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥٠. ابن العميد، (جرجس): المصدر المتقدم، ص٣٨. الدويهي، (اسطفانوس): **تاريخ الأزمنة**، المطبعة

الكاثوليكية، بيروت، ١٣٧١هـ/١٩٥١م، ج٢، ص١٢٣. العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٥٩٨.

(٢٣) ابن دقماق، (إبراهيم): **الجوهر الثمين**، ص٢٥٠.

(٢٤) ابن واصل،(محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٢٩.

(٢٥) ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٣٧١. ابن خلدون، (عبد الرحمن): المصدر المتقدم، ج٥، ص٤١٧. ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٣٠-١٣١. المنصوري، (بيبرس): مختار الأخيار، تح: عبد الحميد حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٨.

(٢٦) المقريزي، (أحمد): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٤٥٨. رنسيمان، (ستيفن): المرجع المتقدم،ج٣، ص٤٧٠.

(٢٧) ابن دقماق، (إبراهيم): **نزهة الأنام**، ص٥٠-١٦٣.

(٢٨) أبو الفداء، (اسماعيل): **المختصر**، ج٢، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢٩) القدسي، (مجد الدين): **دول الإسلام الشريفة البهية**، تح: صبحي لبيب وأولريش هارمان، دار الريحاني، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٤-٢٦.

(٣٠) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥٠-٣٥١. ابن دقماق، (إبراهيم): المصدر المتقدم، ص٢٥٢. الدوادار، (بيبرس): المصدر المتقدم، ص٣. ابن الوردي، (عمر): **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تح: أحمد البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٣١) أبو الفداء، (اسماعيل): **المختصر**، ج٢، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٣٢) ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٣٧١-٣٧٢. جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص١٣٥.

(٣٣) جوانفيل،(جون): من خلال الموسوعة الشامية،ج٣٥، ص١٣٦.

(٣٤) فابري، (فيلكس): **جولات فيلكس فابري ورحلاته**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٣٨، ص١١٧٢. ابن إياس، (محمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٢٨٢. المقريزي، (أحمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٤٦٠.

(٣٥) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥١-٣٥٢. العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦٠١.

(٣٦) جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص١٤١-١٥٠.

(٣٧) الحريري، (أحمد): **الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين عن ديار المسلمين**، تح: سهيل زكار، دار الملاح، دمشق، ١٤٠٢ هـ/١٩٨١م، ص١٠٠.

(٣٨) ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٣٨٤.

(٣٩) المقريزي، (أحمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٤٥٩. ابن دقماق، (إبراهيم): **نزهة الأنام**، ص١٩٤-١٩٥.

(٤٠) ابن إياس، (محمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٢٧٨.

(٤١) ابن دقماق، (إبراهيم): **نزهة الأنام**، ص١٩٤-١٩٥. ابن إياس، (محمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٢٧٨.

(٤٢) الدواداري، (عبد الله): **كنز الدرر وجامع العزر**، تح: أولرخ هارمان، القاهرة، ١٣٩١ هـ/١٩٧١م، ج٨، ص١٣.

(٤٣) ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٣٧٤-٣٧٥. ابن تغري بردي، (يوسف): **المنهل الصافي**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ج١، ص٥-٦. الدواداري، (عبد الله): المصدر المتقدم، ج٨، ص١٣. المنصوري، (بيبرس): المصدر المتقدم، ص٩. القدس، (مجير الدين): المصدر المتقدم، ص٢٥.

(٤٤) ابن الوردي، (عمر): المصدر المتقدم، ج٢، ص٢٦٨-٢٦٩. أبو شامة، (عبد الرحمن): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٢٠، ص٣٦٥-٣٦٦. ابن فضل الله العمري، (أحمد): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: حمزة عباس، دار المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج٢٧، ص٣٤٢-٣٤٤.

(٤٥) العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦٠٤-٦٠٥. طقوش، (محمد سهيل): **تاريخ الأيوبيين**، دار النفائس، بيروت، ص٣٩٤.

(٤٦) القيمرية: وهم من الأمراء الأيوبيين الذين كان لهم نفوذ كبير في دمشق ومن أكبر أولئك الأمراء ناصر الدين أبو المعالي القيمري الذي سلم دمشق للناصر يوسف الثاني سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م. (المقريزي: **السلوك**، ج١، ص٤٦٢-٤٦٣).

(٤٧) أبو الفداء، (إسماعيل): **المختصر**، ج٢، ص ٢٨٨-٢٨٩. العيني (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦٠٢-٦٠٤.

(٤٨) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥٣. ابن العميد، (جرجس): المصدر المتقدم، ص٣٩. ابن الجزري، (محمد): **المختار من تاريخ ابن**

الجزري، تح: خضير المنشداوي، ط١، دار الكتاب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٢٤.

(٤٩) ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٣٧.

(٥٠) الدواداري، (عبد الله): المصدر المتقدم، ج٧، ص٣٨٥. المقريزي، (أحمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٤٦٣.

Robert Irwin: the middle east in the middle age، London، 1986، p22-23

(٥١) ابن خلدون، (عبد الرحمن): المصدر المتقدم، ج٥، ص٤٢٠.

(٥٢) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥٦. الدواداري، (عبد الله): ج٨، ص١٤. الدويهي، (اسطفانوس): المصدر المتقدم، ج١، ص٤٦٦.

(٥٣) المقريزي، (أحمد): السلوك، ج١،ص٤٦٤- ٤٦٦.

(٥٤) مظفر الدين موسى: هو موسى ابن الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل ابن العادل الأيوبي الملقب بأتسز، عاش في مصر عند عماته القبطيات بنات الملك العادل، وقد عينه المماليك سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م سلطاناً للأيوبيين ريثما يتم تثبيت حكمهم. (ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٦، ص١٤١-١٤٢).

(٥٥) ابن دقماق، (إبراهيم): المصدر المتقدم، ص٢٥٣-٢٥٤. العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦٠٥. أبو الفداء، (إسماعيل): المختصر، ج٢، ص٢٩٠.

(٥٦) ابن إياس، (محمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٢٨٩-٢٩٠. الدواداري، (بيبرس): المصدر المتقدم، ص٣-٦.

(٥٧) باريس، (متى): **التاريخ الكبير**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٤٨، ص١١٩٨-١١٩٩. الإفرنسي، (لومند): **تاريخ الكنيسة**، تر: يوسف البستاني، مطبعة أبناء اليسوعيين، بيروت، ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ج٢، ص١١٢-١١٣.

Lewis archibalds: nomand and croisaders، Indiana، 1991، p134.

Rene Grousset: histories de croisades، Paris، 1963، part 3، p496.

(٥٨) مؤلف مجهول: **ذيل روثلين**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور سهيل زكار، دمشق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٥٨، ص١٩٤٢-١٩٤٧. الدويهي، (اسطفانوس): المصدر المتقدم، ج٢، ص١٢٣.

Kenth setton: a history of the crusades، London، volume 2، p566.

(٥٩) سبب النزاع بين أرمينية وأنطاكية: توفي ملك أرمينية الصغرى سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، فاقترح بعض كبار رجال الدولة تسليم قيادة أرمينية لفيليب بن بوهمند الرابع سيد أنطاكية، وذلك لحماية أرمينية من هجمات سلاجقة الروم، ولكنه خيب آمالهم بعد إهماله شؤون أرمينية، فقاموا بقتله مما أدى لنقمة أمراء أنطاكية على أرمينية. (سمباط الأرمني: **التاريخ المعزو لسمباط**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور زكار، دمشق، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٣٥، ص٣٢٠-٣٢٤).

(٦٠) جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص٥٨-١٨٤.

(٦١) العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦٢٩. مونرود، (مكسيموس): **الحروب المقدسة**، تر: مكسيموس مظلوم، مطبعة

الرهبان الفرنسيسكان، أورشليم، ١٢٨٢هـ/١٨٨٢م، ص٣٣٣. شبارو، (عصام): **تاريخ المشرق**، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٢١٦.

(٦٢) جوانفيل،(جون): **من خلال الموسوعة الشامية**،ج٣٥، ص ١٦٤-١٧٣.

(٦٣) باريس، (متى): **التاريخ الكبير**، من خلال الموسوعة الشامية للدكتور زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٤٩، ص١٣٠٨-١٣٠٩.

(٦٤) جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص١٩١-١٩٧.

Rene Grousset: op. cit، part 3، p501-502.

(٦٥) مؤلف مجهول: **ذيل روثلين**، من خلال الموسوعة الشامية، ج٥٨، ص١٩٥٠-١٩٥١.

(٦٦) سبط ابن الجوزي، (يوسف): **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ق٢ج٨، ص٧٨٠.

(٦٧) ابن واصل، (محمد):المصدر المتقدم، ج٦، ص١٤٣.

(٦٨) ابن خلدون، (عبد الرحمن): المصدر المتقدم، ج٥، ص٤١٩. ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٥٥-١٥٦.

(٦٩) قرية كراع: تقع في مصر قريباً من الحدود المصرية الشامية، وسميت بهذه التسمية لأنها على المنطقة الحدودية لأن الكراع هو طرف الشيء، وهذه القرية على طرف الحدود الشمالية الشرقية لمصر. (ابن دقماق: نزهة الأنام، ص١٩٨).

(٧٠) المقريزي،(أحمد): المصدر المتقدم، ج١،ص٤٦٧.

(٧١) ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٥٩. المقريزي، (أحمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٤٦٧-٤٦٨.

(٧٢) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥٨. ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٧، ص٦-٧.

(٧٣) العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦٠٩.

(٧٤) المماليك العزيزية: إحدى طوائف المماليك التي كانت تنتسب إلى ملك حلب العزيز محمد بن السلطان غازي ابن صلاح الدين الأيوبي. (ابن تغري بردي: **المنهل الصافي**، ج١، ص١١).

(٧٥) العباسة: تقع في مصر شمالي بلبيس، وقد سميت بالعباسة نسبة إلى العباسة بنت أحمد بن طولون (أبو الفداء: **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، ص١٠٨).

(٧٦) الدواداري، (عبد الله): ج٨، ص١٧-١٨. ابن العميد، (جرجس): المصدر المتقدم، ص٤٠-٤١. ابن تغري بردي، (يوسف): **المنهل الصافي**، ج١، ص٩. العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦١٠. ابن الجزري، (محمد): المصدر المتقدم، ص٢٢٥. ابن الوردي، (عمر): المصدر المتقدم، ج٢، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٧٧) ابن تغري بردي، (يوسف): النجوم الزاهرة، ج٧، ص٨.

(٧٨) المقريزي، (أحمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٤٦٩.

(٧٩) ابن واصل،(محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص ٦٠٩-٦١١. ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم،ج١، ص٣٥٩-٣٦٠.

(٨٠) ابن خلدون، (عبد الرحمن): المصدر المتقدم، ج٥، ص٤١٩. ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٦٣.

(٨١) النويري، (أحمد): المصدر المتقدم، ج٢٩، ص٤٢٣-٤٢٧. سبط ابن الجوزي، (يوسف): ق٢ج٨، ص٧٨٠-٧٨٩. ابن فضل الله العمري، (أحمد): المصدر المتقدم، ج٧، ص٣٤٧-٣٥١.

(٨٢) سبط ابن الجوزي، (يوسف): المصدر المتقدم، ق٢ج٨، ص٧٨٠-٧٨١. ابن دقماق، (إبراهيم): **نزهة الأنام**، ص١٩٨-٢٠٠.

(٨٣) باريس، (متى): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٤٩، ص١٣٠٨-١٣٠٩.

Rene Grousset: op. cit، part 3، p500-502.

(٨٤) ابن سباط، (حمزة): ج١، ص٣٥٨-٣٦٢. سبط ابن الجوزي، (يوسف): المصدر المتقدم، ق٢ج٨، ص٧٨٠-٧٨٩.

(٨٥) ابن كثير، (إسماعيل): **البداية والنهاية**، تح: عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٧، ص٣٢١. ابن دقماق، (إبراهيم): **نزهة الأنام**، ص١٩٨-٢١٢.

(٨٦) باريس، (متى) : **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٤٩، ص١٣٠٩-١٣١٠. مونرود، (مكسيموس): المصدر المتقدم، ص٣٣٨.

(٨٧) مؤلف مجهول: **ذيل روثلين**، من خلال الموسوعة الشامية، ج٥٨، ص١٩٥٤. جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص١٩٠-١٩٨.

(٨٨) مؤلف مجهول: **ذيل روثلين**، من خلال الموسوعة الشامية، ج٥٨، ص١٩٥٤.

(٨٩) جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص١٩٠.

(٩٠) باريس، (متى): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٤٨، ص١٢١٤-١٢١٥.جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**،ج٣٥، ص١٩٩. يوسف، (جوزيف): **العدوان الصليبي على مصر**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م،ص٢٧٨.

(٩١) ابن العميد، (جرجس): المصدر المتقدم، ص٤٢. ابن الجزري، (محمد): المصدر المتقدم، ص٢٣٠.

(٩٢) المقريزي، (أحمد): **السلوك**،ج١، ص٤٧٤-٤٧٧.

(٩٣) ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٦٨. ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة**، ج٧، ص١١-١٢.

(٩٤) المقريزي، (أحمد): السلوك،ج١،ص٤٧٩. ابن خلدون، (عبد الرحمن):المصدر المتقدم، ج٥، ص ٤٣٢.

(٩٥) ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٧٥. المقريزي، (أحمد): **السلوك**، ج١، ص٤٧٩.

(٩٦) ابن تغري بردي، (يوسف): **النجوم الزاهرة**، ج٧، ص٩-١٠. ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٧٥. ابن الوردي، (عمر): المصدر المتقدم، ج٢، ص٢٧٤.

(٩٧) جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص١٩٩.

(٩٨) جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص١٩٨-١٩٩.
رنسيمان، (ستيفن): المرجع المتقدم، ج٣، ص٤٧٧-٤٧٨.
(٩٩) ابن الجزري، (محمد): المصدر المتقدم، ص٢٣٢.

Rene Grousset: op. cit، part 3، p506-507.

(١٠٠) ابن الجزري، (محمد): المصدر المتقدم، ص٢٣٢. عاشور، (سعيد): **الحركة الصليبية**، ط١، المطبعة الأنجلو المصرية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص١٠٩٥.
(١٠١) جوانفيل، (جون): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٣٥، ص٢٠٨-٢٠٩.

W. B. Stevenson: the crusaders in the east، Beirut، 1958، p331.

(١٠٢) مؤلف مجهول: **ذيل روثلين**، من خلال الموسوعة الشامية، ج٥٨، ص١٩٥٤.
(١٠٣) ابن خلدون، (عبد الرحمن): المصدر المتقدم، ج٥، ص٤١٧-٤١٨.
(١٠٤) ابن إياس، (محمد): المصدر المتقدم، ج١، ص٢٨٦-٢٨٧. القدسي، (مجير الدين): المصدر المتقدم، ص٢٥.
(١٠٥) ابن واصل، (محمد): المصدر المتقدم، ج٦، ص١٢٨-١٣٤. العيني، (بدر الدين): **من خلال الموسوعة الشامية**، ج٦٠، ص٦٠٩-٦٢٩.
(١٠٦) ابن سباط، (حمزة): المصدر المتقدم، ج١، ص٣٥٨-٣٦٦. الدواداري، (عبد الله): ج٨، ص١٨-٢٣. ابن العميد، (جرجس): المصدر المتقدم، ص٤١-٤٢.
(١٠٧) أبو الفداء، (إسماعيل): **المختصر في أخبار البشر**، ج٢، ص٢٨٧-٣٢٩.
الإفرنسي، (لومند): المصدر المتقدم، ج٢، ص١١٣-١١٥.

العلاقة بين الدولة الخوارزمية والقرخطائية

(٦-٤٠٦ هـ / ١١٤١-١٢٠٧م)

إعداد طالب الدكتوراه
أسامة مهنا

إشراف الأستاذة الدكتورة
اكتمال اسماعيل

قسم التاريخ
كلية الآداب
جامعة دمشق

مقدمة:

اتفق الجغرافيون في تحديدهم لإقيلم خوارزم فذكروا أن حدوده من الغرب بلاد الترك الغزية ومن الجنوب خراسان. ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ، ومن الشمال بلاد الترك. وهو إقليم منقطع عن خراسان وعن ماوراء النهر يشمل ضمن أرضيه على عدد كبير من المدن منها. كاث، خيوة، هزارأسب، جكر بند، الطاهرية، درغان، أرثخشميثن زمخر. وأعظم مدنها هي كركنج العاصمة، والتي تقع على الجهة الجنوبية لنهر جيحون وقد أطلق عليها اسم الجرجانية. (١)

ينتمي الخوارزميون من حيث الأصل إلى الجنس التركي الذي غلب على معظم أجزاء آسيا الوسطى.[٢] ويتكلم الخوارزميون اللّغة التركيّة وهي تختلف بطبيعة الحال عن اللّغة الفارسية التي يتحدث فيها أهل خراسان الواقعة جنوبي بلادهم[٣] وقد ظهرت الدولة الخوارزمية على مسرح التاريخ الإسلامي(٥٣٦-٦٤٤هـ / ١١٤١-١٢٤٦م) نتيجة لمقتضيات الظروف التي كان يمر بها العالم الإسلامي ومن ورائه الخلافة العباسية. إذ كان التخبط والضعف من سمات تلك المرحلة. فالثابت أنّ قادة الرأي من بني العباس عندما فكروا بإقامة خلافتهم العباسية اختطوا لأنفسهم خطة مغايرة لخطة الأمويين، ولخطة الخلفاء الراشدين من قبلهم، إذ تحولوا من الاعتماد على العنصر العربي للاعتماد على العنصر الفارسي وظنوا أنهم باعتمادهم على هذا العنصر الجديد في إقامة دولتهم قد شيدوا لأنفسه مجداً خالداً، على أن الضعف الذي أصاب الخلفاء في عقر دارهم ما لبث أن امتدّ إلى دولهم الشاسعة في الشرق والغرب، وانقسمت دولتهم إلى دويلات متعادية متنافرة ترتفع الواحدة على أكتاف الأخرى[٤] ولم تكن الدولة الخوارزمية إلا إحدى هذه الدول. والتي أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن العالم الإسلامي آنذاك. ويعود تاريخ هذه الدولة إلى مؤسسها أنوشتكين، الذي كان أوّل أمره عبداً اشتراه أحد أمراء السلاجقة من بلاد غرجستان (بلاد الغور) وكان أنوشتكين هذا يشغل وظيفة الساقي في بلاط السلطان ملكشاه السلجوقي وكانت مهمته الإشراف على الأسمطة التي تقام فيها الأعياد والمواسم[٥]، وانصب اهتمام أنوشتكين هذا على ولده محمد فأحسن تأديبه وتعليمه وتمكن أنوشتكين بشخصيته وعلمه وأدبه من لفت الأنظار إليه فكوفئ بأن عينه أحد قواد السلطان بركياروق السلجوقي[٦] حاكماً على إقليم خوارزم سنة٤٩٠ هـ /١٠٩٦ م.

وسار ابنه محمد من بعد على سياسته مع السلاجقة فقد ظل تابعاً مخلصاً للسلطان سنجر السلجوقي[٧] حتى وفاته سنة٥٢١هـ/١١٢٦م حيث تولى شؤون الحكم من بعده

ابنه آتسز الذي تغيرت سياسته تجاه السلطان سنجر إذ دخل في صراع معه استمر حتى وفاته سنة ٥٥١ هـ /١١٥٦ م. (٨)

ليتسلم الحكم من بعده ابنه ايل أرسلان الذي استطاع ان يبسط سلطانه على غربي خراسان واستمر في توسيع أركان دولته حتى وفاته سنة ٥٦٨هـ /١١٧٢ م.

ترك ايل ارسلان ولدين هما سلطان شاه محمود وعلاء الدين تكش اللذان دخلا في صراع على العرش انتهى باعتلاء علاء الدين تكش عرش الدولة الخوارزمية. وقد استطاع علاء الدين تكش خلال فترة حكمه والتي امتدت من (٥٦٨-٥٩٦ هـ / ١١٧٣-١١٩٢ م) أن يوسع نفوذ دولته غرباً وأن يعطي للدولة الخوارزمية وزناً وثقلاً سياسياً (٩) توفي بعدها ليستلم الحكم من بعده ابنه قطب الدين الذي تلقب بلقب أبيه علاء الدين. وقد وصلت الدولة الخوارزمية في عهده إلى ذروة قوتها فقد امتد نفوذها من العراق غرباً إلى حدود الهند شرقاً ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوباً. إلا أن علاء الدين محمد لم ينعم كثيراً بما حققه من نفوذ، إذ ما لبث أن ظهر الخطر المغولي ولم يستطع علاء الدين خوارزم شاه على الرغم مما امتلكه من جيوش كثيرة أن يقف في وجههم فأخذ يفر من مكان إلى آخر إلى أن انتهى به المطاف في أحد جزر بحر قزوين حيث توفي هناك سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م(١٠).

إلا أن علاء الدين قبل وفاته فعل ما كان يجب أن يفعله من البداية إذ أمر بخلع ابنه الأصغر قطب الدين أوزلاغ شاه عن ولاية العهد، وتعين ابنه الأكبر جلال الدين الذي أمضى حياته في محاربة المغول فكان مصيره مشابهاً لمصير أبيه. إذ أخذ المغول يطاردونه إلى أن وصل إلى أحدى مدن ميافارقين(١١)، حيث لاقى حتفه على يد أحد الأكراد ويعد مقتله بداية النهاية للدولة الخوارزمية (١٢). إذ تحول الخوارزميون بعد ذلك إلى مرتزقة يقاتلون مع الذي يدفع أكثر. لقد كان موضوع هزيمة دولة كبيرة

كالدولة الخوارزمية وانهيارها في مدة قصيرة على الرغم مما تمتلكه من مدن كبيرة وحضارة مزدهرة وجنود غفيرة وشعب أصيل على يد شعب بدوي لمن الأمور الغريبة حقاً. وربّما يعود ذلك إلى نزاعها مع الدّول المجاورة سواء الغوريين(١٣) أو القرخطائين والذي هو موضوع البحث.

العلاقة بين الدولة الخوارزمية والقرخطائية:

أ- العلاقة بين الدولة الخوارزمية والقرخطائية في عهد كل من آتسز وإيل أرسلان:

ينتمي القرخطائيون إلى عدة قبائل تركية كان أفرادها قد اعتنقوا الوثنية وسكنوا في أقصى شمال الصين واتخذوا من مدينة بلاد ساغون(١٤)، عاصمة لدولتهم والتي أسسوها سنة ٥١٨هـ/١١٢٤ م. و قد نزح هؤلاء من موطنهم الأصلي في شمال الصين في النصف الأول من القرن السادس الهجري /الثالث عشر الميلادي إثر الاضطرابات التي سادت هذه المنطقة، واستقروا غرب إقليم تركستان حيث كونوا دولة في ولاية كاشغر، وختن، والتي أخذت في الاتساع شرقاً وغرباً حتى امتدت حدودها من صحراء جوبي إلى نهر سيحون، ومن هضبة التيبت إلى سيبريا(١٥). وقد اعتمدوا النظام الملكي في حكمهم حيث أطلق على كل ملك من ملوكهم اسم كورخان، أي ملك الملوك ومالبثت هذه القبائل أن أخذت بالتوسع غرباً حيث تمكنت من إخضاع القبائل التركية الأخرى المعروفة بالأيغوريون الذين كانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال شرق تركستان الحالية (١٦).

وقد شن هؤلاء الغارات على المناطق المجاورة بغاية التوسع والسيطرة وتمكنوا نتيجة ذلك من السيطرة على كاشغر والختن، وكان من نتيجة السياسة التوسعية لهؤلاء القرخطائيون إن اصطدموا مع القوى المجاورة لهم وهي الدولة السلجوقية فدخلوا في صراع مع السلطان سنجر، وقد دخل هذا الصراع عنصراً ثالثاً وهو آتسز الخوارزمي

الذي كان يبحث عن حليف يقف إلى جانبه في صراعه مع السلطان سنجر فوجد ضالته بالقرخطائيين[١٧]

وبذلك التقت مصالح كلاً من القرخطائيين وآتسز الذي اتصل بهم محرضاً إياهم على سنجر ومسهلاً عليهم أمره.فساروا إليه في ثلاثمئة ألف فارس. والتقوا معه فيما وراء النهر في موضع يقال له قطوان وذلك سنة ٥٣٦هـ /١١٤١م.وكان مع السلطان سنجر في المعركة الأمير قماج على الميمنة وصاحب سجستان أبو الفضل على الميسرة. واقتتل الطرفان قتالاً عظيماً كان النصر فيه حليف القرخطائيين وقد ترتب على هذه المعركة نتائج عدة: [١٨]

- ❖ فرار السلطان سنجر بعد هزيمته ومقتل عدد كبير من جنوده.
- ❖ وقوع زوجة السلطان سنجر في الأسر مع عدد كبير من الأمراء أمثال قماج وصاحب سجستان وآخرين.
- ❖ عُدّت موقعة قطوان حداً فاصلاً بين عهدين من سلطنة سنجر عهد القوة والمجد وعهد الضعف والانهيار.
- ❖ أفول نجم السلاجقة في المشرق بعد هذه الهزيمة فأدى الأمر إلى تمرد الخوارزمين واستقلالهم فيما بعد[١٩].
- ❖ ازدياد نفوذ القرخطائيين بعد سيطرتهم على إقليم ماوراء النهر وكاشغر وسمرقند وبخارى.
- ❖ بداية حكم القرخطائيين الكفار للمنطقة ومنعكساته على السكان المحليين الذين وعلى الرغم من وثنيهم فقد عاملوا السكان المحليين أفضل من المعاملة التي تلقوها أثناء حكم السلاجقة والخوارزميين المسلمين لهم فقد عرف عن هؤلاء القرخطائيين الصدق في إعطاء الأمان وعدم الغدر. إذ كانوا يحثون ولاتهم

منذ أن حكموا بلاد ما وراء النهر على احترام الدين الإسلامي وهذا ما يؤكد مراسلة السكان المحليين للقرخطائيين لتخلصهم من الظلم الذي كان يقع عليهم أثناء حكم السلاجقة والخوارزميين[٢٠]، وهكذا سيطر القرخطائيون بعد هذه المعركة على ماوراء النهر وبالتالي وجهوا أنظارهم إلى أقاليم الدولة الخوارزمية والتي أصبحت مجاورة لأملاكهم. فاندفعوا سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م إلى غربي نهر جيحون حيث أملاك الدولة الخوارزمية، ولما لم يكن لآتسز القدرة على مجابهتهم فقد اعترف بتبعيتهم ووافق أن يدفع لهم الجزية السنوية والمقدرة بثلاثين ألف دينار ذهبي وأن يقدم ما يحتاجه كورخان من خيل وجنود مقابل أن يستقل في حكم بلاده، واستمر هذا الإجراء متبعاً إلى إن كانت وفاة آتسز سنة ٥٥١هـ /١١٥٦م ولحق به سنجر في السنة التالية[٢١] لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القرخطائية الخوارزمية غلب عليها الطابع العدائي والتي بدأت مع استلام ايل أرسلان ابن آتسز سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م الذي عمل على تثبيت دعائم حكمه بقضائه على البقية الباقية من نفوذ السلاجقة فورث ما كان للسلاجقة من نفوذ في فارس وخراسان، وكان أول عمل قام به أرسلان بعد أن اشتد ساعده أن رفض دفع الجزية للقرخطائيين والتي كان أبوه قد التزم بدفعها فما كان من هؤلاء إلا أن عبروا نهر جيحون سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م قاصدين القضاء على الدولة الخوارزمية قبل أن يشتد ساعدها وتصبح منافساً قوياً لهم في المنطقة[٢٢]، وما إن وصلت الأخبار إلى مسامع السلطان أرسلان حتى جهز الجيوش متحاملاً على مرضه الذي أصيب فيه أثناء وجوده بمعسكره بمدينة أمورية[٢٣] واتجه مباشرة لملاقاة القرخطائيين ولكنه مني بهزيمة أدت مع مرضه إلى وفاته سنة ٥٦٨هـ /١١٧٢ م.وبالتالي لم يتمكن آتسز ولا ابنه أرسلان من إضعاف القرخطائيين[٢٤].

ب- دور القراخطائيين في الصراع بين سلطان شاه بن ايل أرسلان وأخيه علاء الدين تكش حول حكم الدولة الخوارزمية:

بعد وفاة ايل أرسلان بدأ الصراع بين ولديه سلطان شاه، وهو الأصغر والذي تسلم الحكم بمساعدة والدته وبعض الموالين وبين ابنه الأكبر علاء الدين تكش، وصاحب الحق الشرعي في الحكم الذي كان موجوداً آنذاك في مدينة جند إحدى مدن بلاد ماوراء النهر والتي كان أبوه قد فوضها له أثناء حكمه.

وتعود أهمية هذه المدينة إلى كونها تقع على الحدود مع الدولة القرخطائية. وربما أراد إيل أرسلان من ذلك مراقبة القرخطائيين وإن دل هذا على شيء إنما يدل على توتر العلاقات بين الطرفين إذ كان كل طرف يترقب الفرصة المناسبة للانقضاض على الطرف الآخر. المهم في الأمر أن علاء الدين تكش لم يرض عن تولى أخيه العرش ولما أعيته الحيلة عن إيجاد وسيلة لانتزاع هذا العرش لم يتهاون وللأسف عن الاستعانة بالقرخطائيين مكرراً ما فعله جده آتسز من قبل عندما استعان بهم ضد السلطان السلجوقي سنجر(٢٥) وما إن لاحت له هذه الفكرة حتى عمل على تنفيذها فاتجه مباشرة من مدينة جند إلى معسكر القرخطائيين طالباً منهم العون والمساعدة ومزيناً لهم ما سوف يجنونه من مال ومتاع وتعهد لهم بأن يكون التابع المخلص إذا مكنوه من الوصول إلى العرش ويبدو أن كلام علاء الدين قد أقنع زعماء القرخطائين من جهة ودغدغ أحلامهم في التوسع من جهة أخرى فجهزوا جيشاً أسندوا قيادته إلى أحد قوادهم ويدعى قرماً. وبالمقابل لم يقف سلطان شاه مكتوف الأيدي بل طلب مساعدة المؤيد صاحب نيسابور، واحتدم الصراع بين الأخوين، ووقعت الحرب بين القرخطائيين وحليفهم علاء الدين من جهة وسلطان شاه وحليفه المؤيد من جهة أخرى فانجلت المعركة عن انتصار علاء الدين تكش وهزيمة سلطان شاه والمؤيد الذي أسر في المعركة وسيق إلى خوارزم شاه الذي أمر بقتله، أما سلطان شاه فقد هرب إلى دهستان فلحق به علاء الدين وتمكن من فتح المدينة عنوة ثم تمكن من القبض على أم

سلطان شاه وقتلها أما سلطان شاه فقد تمكن هذه المرة أيضاً من الفرار من وجه أخيه خوارزم شاه[٢٦]، وبعد أن استتب الأمر لعلاء الدين في خوارزم وصلت إليه رسل القرخطائيين كعادتهم لأخذ الخراج الذي اعتادوا على أخذه سنوياً، فعظم هذا الأمر على خوارزم شاه وخصوصاً بعد أن تعاظمت قوته، فأراد أن يتخلص من التبعية لملك وثني، فأمر بقتل أعضاء هذه البعثة ومن بينهم أحد أقارب الملك، كان هذا يعني خرق الاتفاق وإعلان الحرب من جهة خوارزم شاه على القرخطائيين[٢٧]، ولما سمع سلطان شاه بما جرى بين علاء الدين والقرخطائيين، ومن ثم قتله للوفد القرخطائي عمل على استغلال هذا الأمر لصالحه فسار إليهم واستطاع إقناعهم بأن النصر سيكون حليفه وحليفهم وبأن أهل خوارزم ما إن يروه حتى يسلموا له البلاد. فسير القرخطائيون معه جيشاً كبيراً قاصداً مدينة خوارزم فضيق عليها الحصار إلا أنها لم تستسلم بل قام الخوارزميون بقطع مياه نهر جيحون التي أغرقت جيوش القرخطائيين، وبالتالي أدى ذلك لانهزامهم فحملوا سلطا نشاه مسؤولية هذه الهزيمة بعدها أخذ سلطان شاه يتنقل في البلاد الإسلامية باحثاً عن تحالفات جديدة يستطيع من خلالها القضاء على علاء الدين تكش الذي لم يدخر أي جهد في سبيل التخلص من أخيه واستمر النزاع بينهما إلى أن انتهى بوفاة سلطان شاه سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م[٢٨].

ويبدو أن هذه الأحداث قد رفعت من معنويات علاء الدين تكش وأقنعته بأن الوقت قد حان لإعلان استقلال الدولة الخوارزمية بعيداً عن الخضوع لأي كان. لذلك عمل على اتخاذ الإجراءات التي من شأنها أن ترسم ملامح الدولة المستقبلية التي يطمح بها. فركز اهتمامه على الجيش باعتباره القاعدة الأساسية التي سوف يعتمد عليها في تثبيت أركان دولته وأصبحت هذه الدولة من الأهمية لدرجة أنها كانت مقصداً للحكام يستنجدون بها ضد خصومهم وأولهم الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي استعان بالسلطان علاء الدين تكش خوارزم شاه للقضاء على طغرل بن ألب أرسلان السلجوقي الذي كان قد استفحل شره وكذلك استنجاد قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب

همذان به ضد خصومه السلاجقة هذا وإن دل على شيء يدل على المكانة المرموقة التي وصلتها الدولة الخوارزمية ومن ورائها سلطانها خوارزم شاه ، إذ أصبحت محوراً أساسياً في النزاعات التي نشأت بين الحكام وقوة لا غنى عنها في رسم خارطة المنطقة[٢٩]. إلا أن القدر لم يمهل علاء الدين تكش ليرى دولته الفتية قد أصبحت محط أنظار الجميع،إذ توفي سنة ٥٩٦هـ/١١٩٧م تاركاً الحكم من بعده لابنه محمد[٣٠].

ج- العلاقة بين الدولة الخوارزمية والقرخطائية في عهد السلطان علاء الدين محمد

تسلم السلطان "علاء الدين محمد " حكم البلاد سنة ٥٩٦هـ/١١٩٧م فلقب بقطب الدين في حياة أبيه ثم حمل بعد وفاة أبيه لقب علاء الدين. وقد أراد أن يكمل سياسة أبيه تجاه القرخطائيين، لكنه ذهب إلى أبعد من ذلك حين فكر في كيفية التخلص منهم. ويبدو أنه التمس مدى القوة التي وصلت إليها دولته فأراد أن يتخذ لها مكاناً بين القوى الكبرى آنذاك، ومن هنا تغيرت النظرة إلى هؤلاء القرخطائيين بين نظرة سابقة ونظرة لاحقة أي بين نظرة الجد آتسز الذي كان يخشى الوقوف في وجه القرخطائيين، نظرة حفيده الذي أخذ يفكر في كيفية الخلاص منهم، فعمل على إتباع خطة كان من شأنها أن تعزز إمكاناته الداخلية وتقوي دفاعاته الخارجية منتظراً الفرصة المناسبة لتنفيذ سياسته تجاه القرخطائيين. إلى أن كان عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧ م حيث أتته رسالة من خان عثمان صاحب سمرقند وبخارى طالباً مساعدته ضد القرخطائيين الذي عاثوا فساداً و ظلماً في البلاد قال فيها: ((إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخليصهم مما يجري عليهم من التحكم في الأموال والبشر ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل إليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة))" [٣١].

إلا أن خوارزم شاه لم يطمئن إلى كلام صاحب سمرقند، وخاف أن يخلف بوعده، فما كان من صاحب سمرقند إلا أن بعث له وفداً من وجوه أهالي بخارى وسمرقند ليكونوا

عنده من اجل طمأنته. وبناءً على ذلك قويت روابط الثقة بين الطرفين، ووافق السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه على عقد هذا التحالف لأنه وجد ذلك مطابقاً لما يجيش في نفسه وما يحمله من رغبة في التخلص من هذه التبعية التي ألزمته وألزمت آبائه الثلاثة الذين حكموا من قبله بدفع الضريبة السنوية[٣٢].وبعد أن وضعت الأسس النهائية لهذا الاتفاق انطلق الحليفان بجيشهما قاصدين القرخطائيين الذين كانوا بدورهم قد تجهزوا للمعركة. وما لبث أن التقى الجمعان، فاقتتلا عدة أيام كان النصر حليف القرخطائيين الذين أسروا جماعة من المسلمين كان بينهم خوارزم شاه وأحد أمرائه ويدعى "ابن مسعود "[٣٣] وقد استغلا عدم معرفة القرخطائيين بشخص السلطان فاتفقا على حيلة مفادها أن يمثل خوارزم بأنه غلام لهذا الأمير فادعى هذا الأمير بأنه يريد أن يرسل رجلاً إلى أهله يبلغهم حالته وليدفعوا دينه وتابع حديثه:[٣٤]

((بما أنكم لا تعرفون أهلي فالأفضل أن أبعث غلامي هذا لأنني أثق به وأهلي يصدقونه))[٣٥].

فأذنوا له بذلك وبالتالي انطوت الحيلة عليهم وتمكن السلطان من العودة إلى بلاده ليرى بأم عينه حالة الفوضى والاضطراب التي عمت البلاد بعد أن وصل إليهم خبر مقتله فعمل على ترتيب أموره الداخلية وبعد ذلك اتجه لملاقاة القرخطائيين الذين كانوا قد جمعوا جمعاً عظيماً واستعدوا لملاقاته وكان على رأس جيشهم ملكهم المعروف بطاينكوا فالتقى الطرفان سنة ٦٠٦هـ /١٢٠٩ م وكان النصر حليف خوارزم شاه الذي توسع في بلاد ما وراء النهر حتى وصل إلى اوزكندا على نهر سيحون. [٣٦]

وبعد أن دانت له كل البلاد تركها بيد نوابه،وعاد معه خان عثمان صاحب سمرقند، فزوجه بابنته ثم أعاده إلى بلاده مع شحنة من الرجال الخوارزميين، ويبدو أن هؤلاء الرجال قد أساؤوا التصرف في البلاد، ولم يتركوا لصاحب سمرقند حرية إدارة شؤون البلاد فاشتد غيظه منهم،[٣٧] لذلك عمد إلى مراسلة القرخطائيين ثانية ليسلم لهم البلاد

ويعود إلى طاعتهم، ولم يكتف بذلك بل أعطى الأوامر بقتل كل خوارزمي موجود في المدينة ووصل حقده إلى درجة التمثيل بجثثهم إذ كان يأمر بشطر كل رجل منهم إلى نصفين وتعليقهم في الأسواق. (٣٨) ولم تسلم زوجته ابنة خوارزم شاه من شره وقد طالها الحساب إلا أنها أغلقت أبواب القلعة التي كانت تسكن بها وأخذت تستعطفه وأرسلت إليه تقول: "أنا امرأة، وقتل مثلي قبيح، ولم يكن مني إليك ما استوجب به هذا منك ، ولعل تركي أحمد عاقبة فاتق الله فيّ " فتركها ووكل إليها من يحرسها ويمنعها من الخروج. (٣٩)

لقد كان مافعله صاحب سمرقند بالخوارزميين مجزرة رهيبة بحق الإسلام والمسلمين، قد أقدم على هذا العمل الشنيع متناسياً بأن هؤلاء إخوانه في الدين، ومتناسياً حميته الدينية التي لا تظهر لدى الأمراء المسلمين إلا عندما تمس مصالحهم الشخصية، وهذا ما ظهر من خلال سياسة التأرجح التي اتبعها صاحب سمرقند، فلم يكن القرخطائيون في نظره كفاراً وأعداء للإسلام إلا عندما ازداد تدخلهم في بلاده ومن ثم رفضهم لطلبه بالزواج من أخت كورخان. فاعد ذلك إهانة لشخصه، وبالتالي ظهرت حميته الدينية وسارع إلى الاتصال بخوارزم شاه طالباً مساعدته باسم الدين وذلك من خلال الرسالة التي أشير إليها من قبل، ومايلبث أن يعود ويتناسى حميته الدينية، ويقدم على قتل كل الخوارزميين الموجودين في سمرقند، ولم يتردد في الاتصال بالقرخطائيين عارضاً تبعيته عليهم مفضلاً طاعة وثني كافر على البقاء تحت أمرة خوارزمي مسلم وما أن وصلت أخبار هذه المجزرة إلى خوارزم شاه حتى استشاط غضباً، وأراد قتل كل السمرقنديين الموجودين في خوارزم فمنعته أمه من ذلك(٤٠)، فما كان منه إلا أن جهز جيشاً كبيراً وتوجه مباشرة إلى سمرقند (٤١) وأرسل إلى صاحبها يقول"((قد فعلت مالم يفعله مسلم، واستحللت من دماء المسلمين مالا يفعله عاقلاً لا مسلم ولا كافر، وقد عفا الله عما سلف ، فاخرج من البلاد وامضي حيث شئت)) (٤٢). ألا أن صاحب سمرقند ضرب بكلام خوارزم شاه عرض الحائط عندئذ توجه إلى المدينة سنة

(٦٠٤هـ /١٢٠٧م) وألقى الحصار عليها إلى أن سقطت بأيدي جنوده الذين زحفوا إلى القلعة وألقوا القبض على صاحب سمرقند [٤٣] وقادوه أسيراً إلى خوارزم شاه، وعندما رأى خوارزم شاه أخذ يقبل الأرض بين يديه طالباً منه العفو والسماح إلا أن خوارزم شاه لم ينصت لكلامه وأمر بقتله فقتل على الفور هو وجماعة من أقاربه. [٤٤]

أما بالنسبة للقرخطائيين فقد مضى من كان قد سلم منهم في معركتهم الأخيرة مع خوارزم شاه إلى ملكهم الذي لم يحضر الحرب، فاجتمعوا عنده، ولما سمعت طائفة من التتر كانوا يسكنون بلاد تركستان وكان بينهم وبين القرخطائيين حروب كثيرة ما فعله خوارزم شاه بهم استغلوا ذلك وأرادوا التخلص منهم، ولما شعر القرخطائيين بالخطر يتهددهم لم يترددوا بالاتصال بخوارزم شاه طالبين مساعدته ومذكرين إياه بأن هؤلاء التتر لن يتركوه وشأنه بعد أن يفرغوا منهم وبالمقابل أرسل التتر يعرضون على خوارزمشاه الصلح ويطمئنوه بأنهم لا شأن لهم بأملاكه فأجاب خوارزمشاه كلا الفريقين بأنه معه وسار بعساكره إلى أن نزل قريبا من المكان الذي سوف تتم المواجهة به وكل فريق يظن بأن خوارزم شاه معه وعندما اصطدم الفريقان وانهزم القرخطائيين اتجه خوارزم شاه نحوهم وأخذ يقتل ويأسر بهم ولم يسلم منهم إلا القليل الذين تشتتوا في البلاد وانضمت طائفة منهم إلى خوارزم شاه [٤٥].

الخاتمة:

لم تكن علاقة الدولة الخوارزمية مع الدولة القرخطائية سوى نموذج عن سياستها مع بقية الدول المجاورة، والتي اتسمت بالعدائية والتوسعية مستنفدة قوتها وقوة غيرها من الدول بما فيها علاقتها مع الخلافة العباسية، ففي الوقت الذي كان من المفترض أن تكون هذه العلاقة مبنية على الاحترام لكونها خلافة المسلمين كانت على العكس من ذلك فقد غلب عليها طابع العدائية وتجلى ذلك في محاولة ملوك هذه الدولة إسقاط

الخلافة وبدورها الخلافة العباسية لم تقم بمسؤوليتها لجذب هذه الدوله والاستفادة من قوتها وتوجيه سياستها بما يخدم مصلحتها ومصلحة الأمة الإسلامية بل على العكس دخلت في سجال معها.

وبالتالي كانت الدولة الخوارزمية مصدر قلق لجميع القوى المحيطة بها التي تمنت الخلاص منها فكانت النتيجة أن تركت لتلاقي مصيرها على يد عدو لا يرحم (المغول)الذي اجتاحها بلداً تلو الآخر حتى أجهز عليها دون أن تحرك هذه القوى ساكناً مع إدراكها بأن هذا العدو لن يكتفي بالدولة الخوارزمية وإنّما سيسيطر على جميع أنحاء العالم الإسلامي ومع ذلك لم يقوموا بأيّ عمل من شأنه أن يكبح جماح هذا العدو. وهذا إن دلَّ على شيء يدل على ضعف نظر هذه القوى الإسلامية ومن ورائها خلافتها العباسية فقد كانت هذه الدولة بمثابة السور الذي حمى العالم الإسلامي لسنوات طويلة وما أن زال هذا السور حتى انساحت القوات المغولية قتلاً وتدميراً وليدفع الجميع بعد ذلك ثمن هذا التخاذل والضعف الذي تبلور من خلال سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

الحواشي

١- الإدريسي (الشريف): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١ ، ص ٦٩٧.

- أبو الفداء (عماد الدين): **تقويم البلدان**، بيروت، دار صادر، ط١، ص٧٧.

- القلقشندي (أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، بيروت، دار الكتب العلمية ، د.ط، ج٤ ، ص ٤٥١- ٤٥٢ -٤٥٣.

٢- الحموي (ياقوت): **معجم البلدان**، دار الصادر، بيروت ط٢، ج ، ص٣٩٥-٣٩٦.

- لسترنج (كي): **بلدان الخلافة الشرقية**، مطبعة الرابطة، بغداد، د.ط ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٤م ، ص ٤٩١.

- خطاب (محمود): **فتوح البلدان الإسلامية**، دار قتيبة، بيروت ، ط١ ١٤١١،-١٩٩٠م،ص٢٩.

٣- الإدريسي المصدر السالف: ص ٦٩٩.

- خطاب: المرجع السالف، ص ٣٤-٣٥-٣٦.

٤- النسوي(محمد): **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تحقيق حافظ حمدي،دار الفكر العربي، د.ط،١٩٣٥م،ص٤١.

- حمدي (حافظ): **الدولة الخوارزمية والمغول** "غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وأثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية "، دار الفكر العربي ، ١٩٤٩م ، ص ٢٣.

- العبود (نافع): **الدولة الخوارزمية**، نشأتها. علاقاتها مع الدول الإسلامية، نظمها العسكرية والإدارية، كلية الآداب، بغداد، ١٩٧٨م ، ص ٥.

٥- ابن الأثير(عز الدين): **الكامل في التاريخ**، حققه محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ، م٢ ، ص ١٠.

- النويري (شهاب الدين أحمد بن الوهاب): **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م ، ج ٢٧ ، ص ١٩٧.

- ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر): **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تحقيق أحمد البدراوي، دار المعرفة، بيروت ، ج٢، ص ١٨.

- طقوش (محمد): **تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى**، دار النفائس، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م ، ص ٢٤٧.

- حلمي(أحمد): **السلاجقة في التاريخ والحضارة**، ذات السلاسل، الكويت، د.ط، ص١١٤

- Barthold: turkestan down to the Mongols Invasion.London,1928. 323.

٦- بركياروق السلجوقي: هو بركياروق بن ملكشاه استلم حكم الدولة السلجوقية بعد وفاة أبيه ٤٨٥هـ/١٠٩٤م) لم ينعم بركياروق بالاستقرار طويلاً حيث جرى خلاف بينه وبين أخيه محمد انتهى بتوقيع الصلح بينهما عام (٤٩٧هـ - ١١٠٣م) ولم تدم أيام حكمه بعد ذلك طويلا اذ توفي سنة(٤٩٨هـ-١١٠٤م) (اسماعيل ، أحمد: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس، الشركة المتحدة للطباعة والنشر ، د. ط ، ص ٢٤-٥).

٧- سنجر السلجوقي: وهو سنجر بن ملكشاه ولد في مدينة سنجار عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م، وسنجر كلمة تركية معناها قاذف الحربة تولى حكم الدولة السلجوقية سنة(٥١١هـ/١١١٧م) واستمر في حكمه إلى أن توفي سنة(٥٥٢هـ/١١٥٧م) (إقبال، عباس: **الوزارة في عهد السلاجقة**، ترجمة أحمد حلمي، جامعة الكويت ، ١٩٨٤م ، ص٢٦٧ ، ٦٨).

٨- ابن الأثير: المصدر السالف ، م٩ ، ص ١٠.

- ابن الوردي: المصدر السالف ، ج٢ ، ص ١٨.
- ابن خلدون (عبد الرحمن): **العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، د.ط، ج٥ ، ص ٨٩.
- القرماني (أحمد): **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت ، م٢ ، ص ٤٦٣.
- النويري: المصدر السالف ، ج٢٧ ، ص ١٩٨-١٩٩.
- الهمذاني: رشيد الدين فضل الله: **التاريخ الغازاني من جامع التواريخ**، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م،ص ١٨٤، ١٨٥.
- Barthold: turkestan down to the Mongols Invasion. p.332.

٩- ابن الأثير المصدر السالف ، م١٠ ، ص ٣٩.

- ابن خلدون: المصدر السالف ، ج٥ ، ص ٩١.
- القرماني: المصدر السالف، م٢ ، ص ٤٦٤-٤٦٥.
- النويري: المصدر السالف ، ج٢٧ ، ص ٢٠٢.
- الهمذاني: المصدر السالف، ص١٩٣،١٩٢.

- Barthold: turkestan down to the Mongols Invasion. p.339.

١٠-ابن الأثير: المصدر السالف ، م١٠ ، ص ٢٦٦-٤٠٧.

- ابن خلدون: المصدر السالف ، ج٥ ، ص ٩٦-١١٢-١١٣.
- النويري: المصدر السالف ، ج٢٧ ، ص ٢٠٥.
- عبد الرؤوف (عصام): **بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي**، دار الفكر العربي ، د. ط ، ص ١٩٦-١٩٧.

١١-ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر وقيل أن ما بُني منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان بن قباذ وما بُني بالأجر فهو بناء أبرويز (الحموي: المصدر السالف، م٥ ، ص٢٣٥ - ٢٣٦).

١٢-ابن خلدون: المصدر السالف ، ج٥ ، ص ١١٢-١١٣-٢٧٥.

- ابن العبري(غريغوريوس): **تاريخ مختصر الدول**: دار الرائد اللبناني، لبنان، د.ط ، ص ٤٣١.
- ابن كثير (إسماعيل): **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياضي، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م ، ج١١ ، ص ١٩٢.
- النويري: المصدر السالف، ج ٢٧، ص ٢٠٥.
- عبد الرؤوف: المرجع السالف، ص ١٩٧.

١٣- الغوريون: يطلق اسم الغوريين على السلالة الإيرانية الشرقية التي تمتعت بسلطة مستقلة في ما بين القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي، حتى مطلع القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، وهي في منطقة غور التي تشكل الآن قلب أفغانستان وكانت عاصمتها فيروزكوه (مصطفى،شاكر:الدليل العربي الإسلامي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي،ط١، ١٩٨٧م،ج٢،ص٢٨٧،٢٨٨)

١٤-بلاد ساغون: بلد يقع في ثغور الترك وراء نهر سيحون(الحموي: المصدر السالف، ج٣، ص٥٠٨)

١٥-النويري: المصدر السالف، ج ٢٧، ص٢٠٠

- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٦
- الصياد (فؤاد): **المغول في التاريخ من جنكزخان إلى هولاكو**، بيروت، دار القلم، د. ط، ص ٦٥.
- Skrine &Ross:the heart of Asia, London , 1899 ,p.137.

١٦-ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٣.

- عدوان (أحمد): **موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي**، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م، ص ١٨٦، ١٨٧.
- الوزنة (يحيى): **الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر**، مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، ص١٥٥.
- Skrine &Ross:the heart of Asia , p. 137-138.

١٧-النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢٠٠

- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ٩٠
- الوزنة: المرجع السالف، ص ١٥٥، ١٥٦.
- عدوان: المرجع السالف، ص ١٨٧.

١٨-ابن الأثير: المصدر السالف، م٩، ص ٣٢٢

- الحسيني (صدر الدين): **زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية**، تحقيق محمد نور الدين، دار أقرأ، د. ط، ص ١٨٥، ١٨٦.
- الأصفهاني (محمد): **تاريخ دولة آل سلجوق**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة د. ط، ص ٢٥٣، ٢٥٤.

- النويري: المصدر السالف: ج ٢٧، ص٢٠٠
- عدوان: المرجع السالف، ص ١٨٧
- الصياد:المرجع السالف، ص ٢٩، ٣٠
- أمين (حسين): **تاريخ العراق في العصر السلجوقي**، المكتبة الأهلية، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م، ص ٨٦.
- الوزنة: المرجع السالف، ص ١٥٩، ١٦٢.

١٩-ابن الأثير: المصدر السالف، م٩، ص ٣٢٢.

- الحسيني: المصدر السالف، ص ١٨٥، ١٨٦.
- الأصفهاني: المصدر السالف، ص ٢٥٤.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٦.
- عدوان: المرجع السالف، ص ١٨٧.
- الوزنة: المرجع السالف، ص ١٥٩، ١٦٢.

٢٠-ابن الأثير: المصدر السالف، م٩، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

- الأصفهاني: المصدر السالف، ص ٢٥٤.
- الحسيني: المصدر السالف، ص ٨٦.
- الوزنة: المرجع السالف، ص ١٦١.
- فلاديمير: المرجع السالف، ص ٤٧٦.

٢١-فلاديمير: المرجع السالف، ص ٤٧٧.

- الصياد: المرجع السالف، ص ٦٦.
- فهمي (عبد السلام): **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، القاهرة، دار المعارف، د. ط، ص ٤٠

Bretschneider: Mediaveal researcher from Eastern Asiatic Sourees.Petesburg,1887, vol. I. p.229.

٢٢-النويري: المصدر السابق، ج٢٧، ص ٢٠١، ٢٠٢.

- منصور (محمد): **تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية**، القاهرة، دار الثقافة للنشر، د. ط، ص ٣٢٢، ٣٢٣

- فلاديمير: المرجع السالف، ص ٤٨٨

٢٣-آمورية: مدينة مشهورة تقع غرب نهر جيحون (الـ[illegible]ي: المصدر السالف، ج١، ص ٦٩).

٢٤-ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ٩١.

- الأمين (حسن): **الوطن الإسلامي بين السلاجقة والصليبين**، بيروت، الغدير، ط١، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦ م، ص ٢٤٣.
- حمدي: المرجع السالف، ص ٦٧.

٢٥-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص ٣٩.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص٢٠٢، ٢٠٣.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص٩١.
- القرماني: المصدر السالف، م٢، ص ٤٦٤.
- منصور: المرجع السالف، ص ٣٢٣.
- الهمذاني:المصدر السالف، ص١٩٣،١٩٢.

٢٦-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٩.

- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ٩١.

- القرماني: المصدر السالف، م٢، ص٤٦٤.

- الأمين (حسن) جنكيزخان وهولاكو، **الغزو المغولي للبلاد الإسلامية من بغداد إلى عين جالوت**، دار النهار، ط١، ١٩٧٦ م، ص ٣٥.
- حمدي: المرجع السالف، ج٦٧، ٦٨.
- الهمذاني:المصدر السالف،ص١٩٣.
- Skrine &Ross:the heart of Asia,p.145-146.

٢٧-ابن الأثير: المصدر السالف، م ١٠، ص ٣٩، ٤٠.
- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢٠٤.
- الصياد: المرجع السالف، ص ٦٧.
- الأمين: المرجع السالف، ص ٣٥.
- فلاديمير: المرجع السالف، ص ٥١٠.
- الهمذاني:المصدر السالف،ص١٩٣،١٩٤.

٢٨-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص ٤٠.
- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢٠٤.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ٩٢.
- حمدي: المرجع السالف، ج٦٨، ٧١.
- الهمذاني: المصدر السالف،ص١٩٤،١٩٥، ١٩٦.

Skrine &Ross:the heart of Asia,p. 146.

٢٩-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٢.
- ابن الوردي: المصدر السالف، م٢، ص ٢٤٧.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ٩٦.
- فلاديمير: المرجع السالف، ص ٥٠٠
- الصياد: المرجع السالف، ص ٦٧.

٣٠-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٢٦٦.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢٠٥.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ٩٦.

٣١-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٣.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢٠٥، ٢٠٦.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ٩٦، ١٠٣.
- فهمي: المرجع السالف، ص ٤٠، ٤١.
- الصياد: المرجع السالف، ص٦٦، ٦٧.
- حمادة (ماهر): الوثائق السياسية العائدة للعصور العباسية المتتابعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م، ص ٤٧٠.

Barthold: turkestan down to the Mongols Invasion. p.411-412.

٣٢-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٣.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢١٨.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٣.
- فهمي: المرجع السالف، ص ٤١.

Curtin: the Mongols History, Boston, 1908, p.94.

٣٣-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٤

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢١٨.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٤.

- حمدي: المرجع السالف، ص ٧٥.

٣٤-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٦.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢١٨، ٢١٩.
- ابن كثير: المصدر السالف، ج١٦، ص ٧٥٦.
- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٤.
- الحنبلي (شهاب الدين): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيـروت، دار الكتب العلمية، د.ط،ج٥، ص ١٢.
- حمدي: المرجع السالف، ص ٧٥، ٧٦.

٣٥-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٦

- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٤.

٣٦-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٨.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢٢٢.
- الأمين: المرجع السالف، ص ٣٧.
- فلاديمير: المرجع السالف، ص ٥١٥، ٥١٦.
- الهمذاني:المصدر السالف،ص٢٢٤.

Bretschneider: Mediaveal researcher from Eastern Asiatic Sourees, vol. II. p.51.

Barthold: turkestan down to the Mongols Invasion. p.415.

٣٧-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٨.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص ٢٢٢.

٣٨-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٨.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص٣٢٣.

- ابن كثير: المصدر السالف، ج١٦، ص ٧٥٧.

- ابن خلدون: المصدر السالف، ج٥، ص ١٠٦.

Skrine &Ross:the heart of Asia,p.95.

٣٩-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٨

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص٢٢٣.

- حمدي: المرجع السالف، ص ٧٦.

٤٠-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٨.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص٢٢٣.

- ابن كثير: المصدر السالف، ج١٦، ص ٧٥٧ ــ ٧٥٨.

٤١-سمرقند: مدينة كبيرة على جنوب وادي الصغد تقع على نحو مئة خمسين مـيلاً شرق بخارى (خطاب: المرجع السالف، ص ١١، ١٢)

٤٢-ابن الأثير: المصدر السالف: م ١٠، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

٤٣-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٩.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص٢٢٣ــ ٢٢٤.

- ابن كثير: المصدر السالف، ج١٦، ص ٧٥٧.

٤٤-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠، ص٣٣٩.

- النويري: المصدر السالف، ج٢٧، ص٢٢٤.
- ابن كثير: المصدر السالف، ج١٦، ص ٧٥٧.
- حمدي: المرجع السالف، ص ٧٧.

٤٥-ابن الأثير: المصدر السالف، م١٠،ص٣٣٩،٣٤٠.

- حمدي: المرجع السالف،ص٧٧، ٧٨.

جريدة المصادر

- ابن الأثير: (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم،ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

١- الكامل في التاريخ ، حققه محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- الإدريسي: (الشريف، ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)

٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، ط١.

- الحسيني:(صدر الدين علي بن ناصر، ت٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)

٣- زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، دار أقرأ، د.ط.

- الحنبلي:(أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)

٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط.

- ابن خلدون: (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، ت٨٠٨هـ /١٤٠٥م)

٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د.ط.

- ابن العبري: (غريغرويوس أبو الفرج بن أهرون، ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

٦- تاريخ مختصر الدول، لبنان ، دار الرائد اللبناني ،د.ط.

- أبو الفداء (عماد الدين، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)

٧- تقويم البلدان ، بيروت، دار صادر ، ط١.

- القرماني: (أحمد بن يوسف، ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠م)

٨- أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ ، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، د.ط.

- القلقشندي (أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ /١٤١٨م)

٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ط.

- ابن كثير: (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)

١٠-البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله التركي ، ار عالم الكتب ، لرياض ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

- النسوي: (محمد بن أحمد، ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)

١١-سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي ، ١٩٣٥م.

- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ /١٣٣٢م)

١٢-نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق سعيد عاشور ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- الهمذاني:(رشيد الدين فضل الله، ت ٧١٨هـ /١٣١٨م)

١٣-التاريخ الغازاني من جامع التواريخ، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م

- ابن الوردي: (زين الدين عمر بن مظفر، ت ٧٤٩هـ /١٤٤٩م)

١٤-تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد البدراوي، بيروت،دار المعرفة، د. ط

- ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله، ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م)

١٥-معجم البلدان ، بيروت ،دار صادر، د.ط ، د.ت.

جريدة المراجع:

اسماعيل: أحمد.

١-تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنيين الخامس والسادس، الشركة المتحدة للمطبوعات والنشر ، د.ط.

- إقبال: عباس.

٢-تاريخ المغول من حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، أبو ظبي، المجمع الثقافي،د.ط.

- الأمين: حسن.

٣-الوطن الإسلامي بين السلاجقة والصليبيين ، بيروت ، الغدير ، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

٤-جنكيزخان وهولاكو،الغزو المغولي للبلاد الإسلامية من بغداد إلى عين جالوت،دار النهار،ط١، ١٩٧٦م.

- أمين:حسين

٥-تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م.

- حمادة: محمد ماهر

٦-الوثائق السياسية والإداية العائدة للعصور العباسية المتتابعة، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

- حمدي: حافظ أحمد.

٧-الدولة الخوارزمية والمغول " غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية " ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٩م.

- خطاب: محمود.

٨-فتوح البلدان الإسلامي ، دار قتيبة، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

- سليم: صبري

٩-الخوارزميون في الشرق الأدنى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د،ط.

- الصياد: فؤاد عبد المعطي.

١٠-المغول في التاريخ ، دار القلم، د.ط.

- طقوش: محمد.

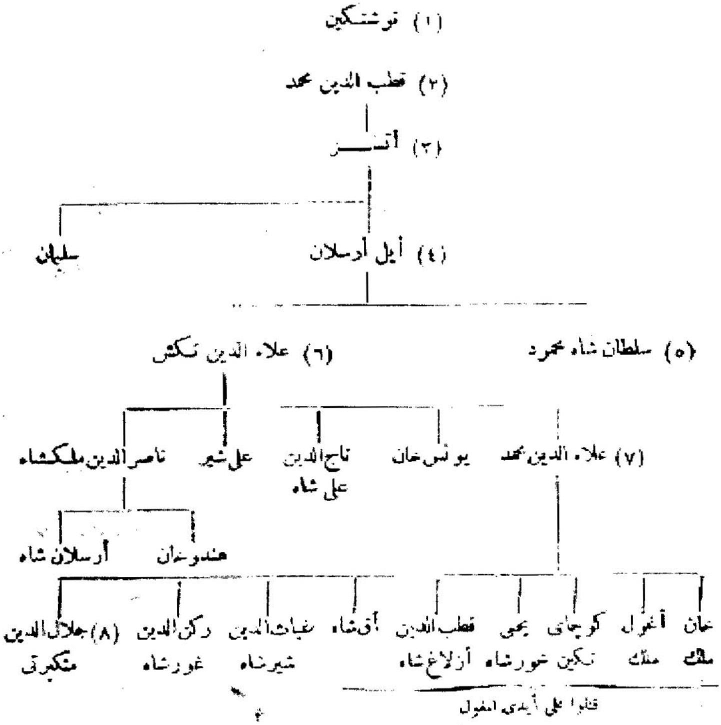
١١-تاريخ سلاجقة في آسيا الصغرى ، دار النفائس ، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

- عبد الرؤوف: عصام.
١٢- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، د.ط.
- العبود: نافع.
١٣- الدولة الخوارزمية. نشأتها. علاقاتها مع الدول الإسلامية ، نظمها العسكرية والإدارية، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، بغداد ،كلية الآداب ، ١٩٧٨م.
- عدوان:أحمد.
١٤- موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، دار عالم الكتب، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.
- فلاديمير: فاسيلي:
١٥- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، د.ط.
- فهمي:عبد السلام
١٦- تاريخ الدولة المغولية في ايران،القاهرة،دار المعارف،د.ط.
- لسترنج: كي.
١٧- بلدان الخلافة الشرقية ، بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٣٦٢هـ ـ ١٩٥٤.
- مصطفى: شاكر.
١٨- الدليل في التاريخ العربي الإسلامي ، الكويت ، ط ١، ١٩٨٧م.
- منصور:محمد
١٩- تاريخ ايران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية،القاهرة، دار الثقافة للنشر،د.ط.
- الوزنة: يحيى.
٢٠- الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ، مكتبة الثقافة الدينية ، د. ط.

المراجع الأجنبية:

1. Barthold: turkestan down to the Mongols Invasion.London,1928.
2. Skrine &Ross:the heart of Asia, London , 1899.
3. . Bretschneider: Mediaveal researcher from Eastern Asiatic Sourees.Petesburg,1887.
4. Curtin: the Mongols History, Boston , 1908.

الخوارزميون



١	توشتكين	: ٤٧٠ — ٤٩٠ هـ = ١٠٧٧ — ١٠٩٦ م.
٢ —	قطب الدين محمد	: ٤٩٠ — ٥٢١ هـ = ١٠٩٦ — ١١٢٧ م.
٣ —	آتسز	: ٥٢١ — ٥٥١ هـ = ١١٢٧ — ١١٥٦ م.
٤ —	أيل أرسلان	: ٥٥١ — ٥٦٨ هـ = ١١٥٦ — ١١٧٢ م.
٥ —	سلطان شاه محمود	: عزل سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م. وتوفي سنة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م.
٦ —	علاء الدين تكش	: ٥٦٨ — ٥٩٦ هـ = ١١٧٢ — ١١٩٩ م.
٧ —	علاء الدين محمد	: ٥٩٦ — ٦١٧ هـ = ١١٩٩ — ١٢١٩ م.
٨ —	جلال الدين منكبرتي	: ٦١٧ — ٦٢٨ هـ = ١٢١٩ — ١٢٣١ م.

حمدي، حافظ: المرجع السالف ، ص ٢٧٣.

قاضي القضاة جمال الدين الريمي في عصر بني رسول(٦٢٦-٨٥٨ هـ/١٢٢٩-١٤٥٤)

إعداد طالب الدكتوراه
عبد الله علي العصيمي

إشراف الدكتورة
اكتمال إسماعيل

قسم التاريخ
كلية الآداب
جامعة دمشق

المقدمة:

إن الكتابة في عصر الدولة الرسولية[١]، له شجون لأن هذه الدولة شهدت تنمية علمية واقتصادية واجتماعية كبيرة فبنت المدارس، وازداد أعداد الطلاب والعلماء، وكان هناك تسابق في هذا المجال. ويرجع ذلك كله إلى الاستقرار الذي حدث في هذه الحقبة مما أدى إلى هذا الذي سُطر في بطون الكتب عن العصر الذهبي لليمن في دولة بني رسول ولإبراز دور العلم في هذا الميدان لابد من تناول منصب قاضي القضاة، هذا المنصب الذي يؤلاه شخصيات هامة كجمال الدين الريمي، هذا العالم الذي شرق وغرب بمؤلفاته الضخمة والتي شملت جميع العلوم النظرية والتطبيقية في عهده.

وقد اشتهر بكتابه: **المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة**، حيث رد فيه على إجماع ابن حزم، وأورد أقوال العلماء في كل مسألة من المسائل واحتوى الكتاب على جميع أبواب الفقه الإسلامي، وذكر كل المذاهب الإسلامية وأضاف علماء كل مذهب، وأقوال الصحابة والتابعين في أكثر المسائل. ويعد موسوعة فقهية يعتمد عليها العالم والمتعلم، ولم يظهر عليه أي تعصب.

ونظراً لهذه المكانة العلمية وسعة الأفق الفقهي ولاه الأشرف الثاني الرسولي إسماعيل (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ م) منصب قاضي القضاة سنة ٧٧٨هـ/١٣٦٧ م.

وسوف يتم تقسيم هذا البحث إلى التالي: أولاً: تعريف القضاء لغةً واصطلاحاً. ثانياً: تعريف منصب قاضي القضاة. ثالثاً: حياته وعلمه. رابعاً: حياته السياسية والاجتماعية. خامساً: ولايته لمنصب قاضي القضاة، سادساً: وفاته. والخاتمة. وقائمة المصادر والمراجع. والهوامش.

أولاً: تعريف القضاء لغةً واصطلاحاً:

ورد معنى القضاء لغة بمعانٍ عدة، فبعض العلماء[٢]، اختار بعضها مستلهماً ذلك من القرآن الكريم فقال: القضاء هو الحكم بين الناس وقيل: الحكم عموماً. قال تعالى: **﴿فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾**[٣]، وورد القضاء بمعنى الأمر، لقوله تعالى: **﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾**[٤]، وورد بمعنى الإرادة، لقوله تعالى: **﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [٥]، وبمعنى الإتمام لقوله تعالى: **﴿إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾**[٦] وبمعنى القتل لقوله تعالى: **﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾**[٧]

والقضاء اصطلاحاً فقد حدد فصل الخصومات وقطع المنازعات[٨]، ولم يختلف في معناه. وقيل بأن القضاء أمر من أمور الدين ومصلحة من مصالح المسلمين تجب العناية به لأن بالناس إليه حاجة عظيمة.

ثانياً: تعريف منصب قاضي القضاة:

أنه قاضي قضاة الدنيا لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكمها الخليفة [٩].

- مشروعية القضاء وأدلته:

أجمع المسلمون على مشروعية القضاء والحكم بين الناس لأنه فريضة محكمة من فروض الكفايات باتفاق المذاهب فيجب على الإمام تعيين قاضٍ على المسلمين[١٠].

وأكد كل من القرآن الكريم والسنة النبوية مشروعية القضاء وأدلته ففي القرآن جاءت الآيات التالية: مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَىَ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ** ﴾[١١]. وقوله: ﴿**إِنَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً**﴾[١٢].

أما في السنة فقد ورد ذكره أكثر من مره منها ما رواه عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[١٣]. وقد قضى النبي ﷺ بين الناس وبعث علياً كرم الله وجهه إلى اليمن للقضاء بين الناس وكذلك بعث معاذاً [١٤] إلى اليمن.

كان هناك اعتراض على هذا اللقب باعتباره من ألقاب الله عز وجل. وأحياناً يطلق عليه لقب القضاء الأكبر[١٥] أو قاضي قضاة الدنيا، وبعض العلماء قال أن قاضي القضاة يعد بمثابة وزير العدل ويرى الباحث أنه بمثابة رئيس مجلس القضاء الأعلى كما هو الحال في اليمن.

- شروط القاضي:

يشترط العلماء للقاضي شروطاً كثيرة منها: أن يكون عاقلاً. فالعقل[١٦] هو مناط التكليف ولا تنفذ الأحكام الحدية على غير العاقل، فكيف بأن يكون حاكماً وقاضياً. أن

يكون بالغاً[١٧]. ومعروف بأن علامات البلوغ الاحتلام ونبت شعر العانة وبلوغه سن ١٥ سنة. أن يكون حراً[١٨] فلا يصح تولية العبد لأنه منقوص برقه مشغولاً بحقوق سيده. أن يكون مسلماً[١٩]. لا بد أن يكون القاضي مسلماً لأنه لا يجوز ولاية الكافر على المسلم لقوله تعالى: ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾[٢٠]. أن يكون سميعاً[٢١]. لأن بعكسه لا تتحقق المصلحة منه، مثل سماع الخصوم والشهود. أن يكون بصيراً[٢٢]. لأن الأعمى لا يدري ما يدور بين الخصمين ولا ما اختلفوا عليه من عقار أو منقول أو وثائق وأجاز الشافعية أن يكون أعمى مستدلين بأن شعيباً عليه السلام كان أعمى وورد أنه لم يثبت ذلك وحتى لو ثبت فلا يعد دليلاً قوياً. أن يكون ناطقاً[٢٣]. أي يكون متكلماً. أن يكون عدلاً[٢٤]. وهذا من الشروط المختلف فيها واشترطه المالكية والشافعية والحنابلة أي لا يجوز تولية فاسق لقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾[٢٥]، والقضاء من باب أولى. وخالفهم الحنفية وقالوا بأن الفاسق أهل للقضاء ولو عُين قاضياً صح قضاؤه للحاجة. أن يكون ذكراً[٢٦]. اشترط هذا جميع المذاهب ماعدا الأحناف ومن قال بهذا الشرط ما روي عن النبي ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» [٢٧]. والقضاء يحتاج إلى كمال الرأي وتمام العقل والفطنة والخبرة بشئون الحياة.

ولا بد للقاضي من مجالسة الرجال من الفقهاء والشهود والخصوم والشرطة والمرأة واستدل الأحناف بتولية الشفاء على سوق المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أن يكون مجتهداً[٢٨]. قال به المالكية والشافعية والحنابلة. وأهلية الاجتهاد أي ما يتعلق بالأحكام من القرآن والسنة والإجماع والاختلاف والقياس والعلم باللغة.

وأجاز الأحناف أن يتولى القضاء من ليس بمجتهد أي المقلد لأن الغرض من القضاء هو فصل الخصام وإيصال الحق إلى مستحقه.

وهناك شروط أخرى للقاضي أثناء ممارسة عمله[٢٩].

هذه شروط القضاء العامة والخاصة. ولكن إذا احتكم اثنان عند شخص فهو جائز بشرط أن يكون عارفاً بمسألتهما من الناحية الشرعية[٣٠].

أن أول من استخدم قاضي القضاة هو الخليفة العباسي الهادي. وأول من تولى هذا المنصب هو أبو يوسف[٣١] صاحب أبي حنيفة. ومن تلقب بهذا اللقب في عدة أزمنة وأماكن مختلفة من العالم الإسلامي منهم: صدر الدين بن أبي العز قاضي القضاة تلميذ ابن كثير جمال الدين سليمان بن الخطيب. وأحمد بن داود قاضي القضاة في عهد الواثق. وأبو عبد الله محمد بن علي الدمغاني[٣٢]. والشامي المالكي[٣٣]. وشهاب الدين الغزنوي. وأبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القسيري بن دقيق العيد. وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن السروجي. أبو منذر بن سعيد البلوطي. والقاسم عبد الرحمن عبد الوهاب بن خلف في القاهرة. وناصر الدين بن ميلق. فهؤلاء كلهم تلقبوا بقاضي القضاة إما بتولية من الخليفة أو الأمير أو الملك أو السلطان وبعضهم لُقب بهذا اللقب لكثرة علمه واشتهاره بالحكمة والفراسة والقدرة على الفصل بين المتخاصمين[٣٤]، ومن خلال البحث لم تجد في بطون الكتب خطاب تكليف لأي واحد من القضاة ولكن هناك تكاليف للقضاة ذكرت دون تحديد الأسماء.

وذُكر أن توران شاه الأيوبي عين أبو العباس عبد الله بن عمر الدمشقي القضاء الأكبر في اليمن[٣٥].

ثالثاً: حياته وعلمه:

١- حياته:

أ- مولده و نشأته ونسبه:

هو الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد الريمي الحثيبي النزاري الصردفي(ت ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩ م)، ولد في اليمن في قرية صردف من أعمال الجند سنة ٧١٠هـ/ ١٣٠٧ م، ونشأ في تعز وزبيد طوال حياته متنقلاً بين المدارس المختلفة في دولة بني

رسول، ومن المدارس التي درس فيها المدرسة المؤيدية بتعز[٣٦]، ومن ضمنها مدرسته التي أنشأها بزبيد إذ عين فيها مدرسين ومعيدين وطلبة وأيتام وكان ينفق على الطلبة والمحتاجين، وإليه انتهت الرئاسة والفتوى في هاتين المدينتين ونواحيهما [٣٧].

ب- أسرته:

هو من بيت علم فجده أبو بكر بن عبد الله الريمي كان فقيهاً عارفاً مدرساً تفقه على علي بن قاسم الحكمي كما تفقه به جماعة كثيرون ودرس بالمدرسة التاجية بزبيد، التي بناها تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري وخصها بالفقه، ثم خلفه ابنه عبد الله بن أبي بكر (والد جمال الدين الريمي) بالتدريس وأخوه محمد بن أبي بكر، وقد كان عبد الله معيداً بالمدرسة التاجية حينما كان والده يدرس، ثم تخلى عنها لأخيه محمد فأقام بها مدة، وهذا يدل على أنه من بيت علم متمكن ونشأ في وسط علمي فجده وأبوه وعمه كلهم من الفقهاء ثم ابنه عبد الله بعد ذلك وابن ابنه إسماعيل. فهي أسرة علم أباً عن جد وولد [٣٨].

٢- علمه:

كان إمام دهره وفريد عصره ونسيج وحده، أحد علماء الشافعية البارزين، والمشار إليه بجودة النقل وحدة الفهم إليه انتهت الرئاسة في التدريس والفتوى بمدينتي زبيد وتعز ونواحيهما أخذ عن جماعة من كبار علماء تهامة وغيرها، سوف يتم ذكرهم في السطور القادمة، وعنه أخذ جمع كثير، قصده طلاب العلم من شتى نواحي اليمن، وجد رعاية من السلاطين، أسند إليه السلطان المجاهد القضاء العام والتدريس بالمدرسة المؤيدية بتعز، وظل يدرس بها في عهد السلطان الأفضل، وزاد في مكانته، وله عدة مصنفات في علوم كثيرة، كان له عند السلاطين جاهٌ عريض وكسب أموالا جليلة من وجوه مختلفة لم يكسبها أحد من نظرائه باليمن في سالف الأحقاب، فنال عند السلطان المجاهد مرتبة ووجاهة وأختصه بمجلسه وأدناه منه، واستمر الفقيه في صحبة

السلاطين حتى ولاه السلطان الأشرف الثاني القضاء العام، وكان ممن يختص به السلطان الملك المجاهد، قال أعطاني السلطان الملك المجاهد أول يوم دخلت عليه أربعة شخوص(٣٩)، من الذهب، وزن كل شخص منها مائتا مثقال كتب على وجه كل واحد منها بيتين من شعره، هما:

إِذَا جَادَت الدُّنْيَا عَلَيْك فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ طُرَّاً قَبْل أنْ تَتَفلَّتِ

فَلاَ الجُوْدَ يَفْنِيْهَا إِذَا هِي أَقْبَلَتْ وَلاَ الشُّحَّ يُبْقِيْهَا إِذا مَا تَوَلَّتِ

وحباه السلطان بثمانية وأربعين ألف درهم إعظاماً للعلم ورفعاً لدرجته إذ هو بركة الدنيا والآخرة. ابتنى مدرسة في زبيد، فهي لا تخلو من الطلبة والمشتغلين بالعلم وقراءة القرآن. ولم يتغير كما ذكر الخزرجي شيء من ذلك في حياته، ولا بعد وفاته، فقد كان يقوم بإطعام الطعام للغرباء، والمنقطعين من الطلبة، والمشتغلين بالفقه نفقةً وكسوةً، ويعطيهم ما يحتاجونه من ورق ومداد لتحصيل الكتب. وكانت له مكتبة من ألفي مجلد في سائر الفنون(٤٠).

مما يظهر على أنه كان للسلاطين والملوك الدور الأكبر في تطور التعليم من علماء ومؤلفات ومدارس في ذلك العصر.

أ- شيوخه:

منهم الفقيه أبو الحسن علي بن سالم بن أبي الفتوح بن سلام الأبيني(ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٢ م) كان فقيهاً عارفاً محققاً عالماً ورعاً فاضلاً تفقه في بلده واستدعاه السلطان المؤيد (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١ م) إلى زبيد، ورتبه مدرساً في المدرسة السيفية الكبرى وتنسب إلى أم السلطان المظفر وتفقه به عدة من الطلبة وامتحن بالقضاء في زبيد وكانت سيرته أحسن سيرة، قوياً من غير عنف، ليناً من غير ضعف، جاهراً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، واستمر في القضاء حتى توفي (٤١). والفقيه محمد

ابن أبي بكر بن عبد الله الناشري كان فقيهاً عارفاً فاضلاً[٤٢]. والفقيه إبراهيم بن عمر العلوي سمع منه الحديث[٤٣].

ب- أقرانه:

قد يتصور البعض أن الأقران ليسوا مصدراً من المصادر المؤثرة في التحصيل العلمي ولكن لابد من النظر لهذا الأمر من واقع المجتمع الإسلامي حينذاك فقد كان الأقران علماء وكانت تدور في أوساطهم المناظرات والمدارسة العلمية وتبادل المواقع حيث كل يتلقى من الآخر مالم يتقنه وهكذا. ولذا جُعلت الأقران إحدى موارد علم جمال الدين الريمي وأولاده لأنه كان يرسل أولاده إلى علماء عصره[٤٤]، ورغم قلتهم إلا أنه من المحتمل أن من ترجم له لم يذكر إلا عدداً قليلاً منهم.

وكان هناك مدارس كثيرة في كل حواضر الدولة الرسولية منها تعز وزبيد وعدن وكانت تشبه الجامعات في الوقت الحاضر لأن أغلب الذين يتخرجون منها يتولون مناصب القضاء والإدارة والحكم، ولذلك لم يتم التعرض للمدارس ومن بناها وما هي العلوم التي تدرس فيها لأن أعدادها كبيرة لذلك سيتم الاقتصار على ذكر الأقران وأهمهم:

القاضي العلامة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن صفر الغساني الدمشقي (ت ٧٨٥ هـ/ ١٣٨٣ م) الفقيه الشافعي، الوافد إلى اليمن، نشأ بالشام وبها تفقه، وأخذ عن علماء مكة، كان فقيهاً أصولياً محدثاً أخذ العلم عن الأئمة المجتهدين وقد كلفه السلطان المجاهد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢ م) النظر على مدارس تعز وولاه القضاء الأكبر في جميع بلاد اليمن وبقي على حاله بذلك وبالتدريس والفتوى بمدة جمال الدين الريمي ودولة الأفضل، إلى أن توفي بمدينة تعز في زمان الأشرف، وقبر بالأجيناد[٤٥]. والعلامة عفيف الدين عبد الله بن صالح البريهي ممن تصدر الفتوى بحياة الريمي وكان يستحسن فتاواه وقد وصفه جمال الدين نفسه بأنه قليل القراءة ثبت

في الجواب موفق للصواب والظاهر أن معه ملكاً يلقنه الحق، وقد توفي سنة ٧٩٨هـ[٤٦]. والفقيه الصالح عفيف الدين عمر بن عيسى العماكري وكان عالماً خاشعاً زاهداً قرأ على جمال الدين الريمي وأجاز له، وكان من أكبر أصحابه وانتهت إليه الرئاسة في التدريس والفتوى بعد جمال الدين الريمي، توفي في العشر الأول من المائة التاسعة وقبر بالأجيناد بتعز[٤٧]. وكانت العلاقة فيما بينهم علاقة ود واحترام وتبادل وجهات النظر العلمية[٤٨]. وبرغم المحاولات الجادة للبحث عن علماء معاصرين لجمال الدين والصلات بينهم وبينه إلا أنها صدمت بفقر في المعلومات رغم ما عرف فيه هذا العصر من ثراء معرفي.

ج- تلاميذه:

وعلى عكس قلة شيوخه فإن تلاميذه كُثر وقد وصلوا إلى مكانة عالية من مراتب العلم والفقه والفتيا والقضاء والتأليف، وهم على النحو التالي:

الفقيه أبو العتيق أبو بكر بن جبريل أوسام العدلي(ت ٧٤١هـ /١٣٤٠م) فقيه صالح من أخير الفقهاء الموجودين في زمنه وأشرفهم نسباً وأعلاهم همةً، تفقه على جماعة كثيرين، منهم جمال الدين الريمي أخذ عنه شارح التنبيه، وموفق الدين علي الصريدح من ذوال، والأمام أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي[٤٩]. والفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن منصور الأصبحي الشنيني (ت ٧٩٧هـ/١٣٩٤م) كان عالماً ورعاً، رحل إلى جمال الدين الريمي للقراءة عليه فلازمه في تعز وكان من أجلّ تلامذته. لم يزل الفقيه الأصبحي يلتقط فوائد الريمي مجتهداً بالقراء والتحصيل [٥٠]. والعلامة رضي الدين أبو بكر بن محمد بن صالح بن أبي بكر بن عمر الهمداني المشهور بالخياط، والفقيه أبو بكر بن محمد بن صالح المعروف بابن الخياط(ت٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) كان إماماً فاضلاً عالماً، تفقه على الخطيب محمد بن الرخاء(ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) الذي انتهت إليه الرئاسة في

التدريس والفتوى بذي جبلة ونواحيها، ثم على قاضي القضاه وجيه الدين عبد الرحمن ابن عباس؛ وعلى الإمام جمال الدين الريمي وقد أجازوا له، وكان أشهر تلامذة الريمي وأثنى عليه بجوده وفهمه ودقة نظره حتى جعله معيداً لدرسه بتعز [٥١]. والعلامة المفتي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي الرخاء(ت ٨٠١ هـ/ ١٣٩٨ م)، تفقه بأكثر من عالم وقد تلقى عن الريمي وأشاد بقدراته حتى أطلق عليه خطيب الخطباء[٥٢]. والفقيه صفي الدين أحمد بن حسن بن إبراهيم بن يحيى البريهي(ت ٨٠١ هـ/ ١٣٩٨ م) كان فقيهاً عارفاً فصيحاً تفقه على الإمام الريمي وغيره بتعز واشتغل بالتدريس بمدينة إب[٥٣]. والعالم الوالي رضي الدين أبو بكر بن عمر بن منصور الأصبحي المشهور بالشنيني (ت ٨٠٨ هـ/ ١٣٩٨ م) تفقه بكثير من العلماء ولازم جمال الدين الريمي واجتهد بالقراءة عليه بمدينة زبيد ومدينة تعز، ففتح عليه بعلم الفقه أكثر[٥٤]. والفقيه الزاهد وجيه الدين عبد الرحمن أبي بكر الزوقري الهلالي (ت٨١٠هـ/ ١٤٠٧ م) كان إماماً في الأصول والفروع، أخذ الفقه على الإمام جمال الدين الريمي وغيره، وأخذ الحديث عن الإمام مجد الدين الشيرازي والإمام نفيس الدين العلوي وأجازوا له، ودرس بالمدرسة المظفرية [٥٥]. والإمام العلامة القاضي الصالح الفقيه جمال الدين محمد بن عمر العوادي التعزي(ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م) كان إماماً عالماً زاهداً ورعاً، أخذ العلم عن المشايخ من العلماء من أهل شنين منهم الإمام رضي الدين الشنيني، والفقهاء من بني سالم، ثم أنتقل إلى تعز فقرأ على الإمام جمال الدين الريمي الفقه، وعلى الإمام مجد الدين الصديقي، والإمام نفيس الدين العلوي الحديث والتفسير وأجازوا له، وانتفع به جماعة من طلبة العلم، ودرس بمدرسة سلامة بتعز[٥٦]. والفقيه أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري(٧٤٢هـ - ٨١٥هـ) ولي قضاء زبيد وكان شديداً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم[٥٧]. والفقيه العلامة عفيف الدين صالح بن أحمد الحميري الدمتي(ت بعد٨٠٠ هـ/١٣٩٧م) كان عالماً عاملاً صالحاً من الفقهاء المجودين والأئمة المحققين

لدقائق الفقه، أديباً شاعراً، قرأ على الإمام جمال الدين الريمي وعلى غيره في الفقه، وسمع على الشيخ مجد الدين الصديقي والإمام نفيس الدين العلوي في الحديث والتفسير، وأجازوا له الأفتاء، ودرس بالمدرسة الأسدية [٥٨]. والمقرئ الفقيه صفي الدين أحمد بن أبي القاسم الريمي(ت ٨١٩ هـ/ ١٤٠٨ م) أصل بلده ريمة وصاب، كان عالماً بالقراءات وقرأ الفقه على يد جمال الدين الريمي بزبيد[٥٩]. والفقيه العالم صفي الدين أحمد بن محمد التباعي(ت٨٣٢ هـ/١٤٢٨ م)، كان من أهل بيت فقه ورئاسة، طلب العلم على عدد من أشهر أعلام تعز وغيرها، مثل الفقيه جمال الدين الريمي في الفقه، فأجازوا له، ثم تصدر للتدريس والفتوى وتولى القضاء بمدينة تعز سنة ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م، ثم اعتذر عنه، وتولى تدريس المدرسة السابقية قبل أن يتولى التدريس بالجامع المظفري، وتوفي في مدينة تعز[٦٠]. والإمام محمد بن على بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب الموزعي الشهير بابن نور الدين (ت ٨٢٥ هـ/ ١٤٢٢ م) كان أماماً عالما، فخر اليمن وبهجة الزمن له الباع الطويل في علم الفقه والأصول والنحو والمعاني والبيان واللغة، أخذ ذلك على مشائخ كثيرة في زبيد، منهم الإمام الريمي عندما انقطعت عنه النفقة التي تأتيه من بلده موزع من أعمال تعز وجماعة من بني الناشري وغيرهم، وأجازوا له بجميع الفنون، درس وأفتى واشتهر ورزق القبول عند الخاصة والعامة [٦١]. والإمام شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ الشاوري(ت ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٣ م) كان إماماً يضرب به المثل في الذكاء، وقد امتدح جمال الدين الريمي بأبيات من الشعر إذ قال:

وَإِذَا كُنْتَ فِي دَعْوَاكَ أَصْدَقَ طَالِبٍ ... لِعِلْمٍ فَلاَ تَسْتَمِيلَ إلاَّ مُحَمَّدَا

وَاعْرِضْ عَنِ الْمَظْنُوْنِ مِنْ فَضْلِ غَيْرِهِ ... لاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ اليَقِينَ وَقَدْ بَدَا

وتفقه عليه، وله كتاب مشهور اسمه عنوان الشرف الوافي في الفقه وغيره من العلوم[٦٢]. والعلامة صفي الدين أحمد بن عبد الله الكاهلي(ت ٨٣٩ هـ/ ١٤٣٥ م)،

كان عابداً وقد أخذ الفقه عن والده وجمال الدين الريمي ومات بالطاعون(٦٣). والعلامة شمس الدين علي بن محمد قحر(٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م)، قرأ على أئمة أجلاء أبلغهم في الفقه جمال الدين الريمي واشتهر عند سلطان زمانه وألف كتاباً سماه الظاهري باسم السلطان الظاهر يحي بن إسماعيل (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨ م) وأجازه على ذلك بمائة مثقال من الذهب وتوفي بزبيد(٦٤). والعلامة شمس الدين علي بن محمد ابن أسعد الحذيفي(توفي بأول المائة التاسعة) تفقه على يد كثير من العلماء منهم جمال الدين الريمي وأجازوا له(٦٥). والفقيه شهاب الدين أحمد بن عبد الله الحرازي(ت بعد ٨٠٠ هـ/١٣٩٩م) كان من عباد الله الصالحين والأئمة العارفين، قرأ على الإمام جمال الدين الريمي فأجاز له، وخلفه بعد موته بالتدريس بالمدرسة المؤيدية بتعز، وتوفي فيها (٦٦). والفقيه العلامة عفيف الدين عبد الله بن جمال الدين الريمي(وتوفي في العشر الأول من المائة التاسعة)، قرأ على يد أبيه في الفقه وحضر السماع بالقراءة والتفسير على الشيخ مجد الدين الشيرازي وعلى نفيس الدين العلوي بتعز فأجازوا له(٦٧). والفقيه العلامة نور الدين سليم بن داود الوشاح الطياري(ت بعد ٨١٢هـ/ ١٤١٢م)، قرأ على الإمام الريمي في الفقه، وفي الحديث على جماعة من الأئمة، وتخرج عليه جماعة من العلماء، درس بالمدرسة الأشرفية(٦٨). والفقيه الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد الربيعي الحميري المشهور بالشلفي(ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، نسب إلى القرية المعروفة بمعشار السارة بشلف، قرأ القراءات وتفقه على جمال الدين الريمي، استدعاه السلطان الناصر أحمد (ت ٨٢٧ هـ/ ١٤٢٣م) إلى مدينة تعز وأقام بالمدرسة المجاهدية، فدرس وأفتى، له كثير من المصنفات، توفي في تعز. والفقيه الامام عفيف الدين محمد بن عمر العماكري(ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) عالماً خاشعاً زاهداً، قرأ الفقه على والده وعلى غيره، وقرأ على الإمام جمال الدين الريمي وسمع الحديث والتفسير على الشيخ مجد الدين الشيرازي والإمام نفيس الدين العلوي وأجازوا له، ورتب إماماً ومعيداً بالمدرسة المظفرية ظهرت له كرامات كثيرة، انتهت إليه

الرئاسة في التدريس والفتوى بعد الإمام الريمي، وتخرج على يديه جماعة من الفقهاء، امتنع عن ولاية القضاء بتعز وتوفي بها وقبر بالاجيناد. والفقيه أبو العتيق أبو بكر ابن جبريل العدلي (ت ٧٤١هـ /١٣٤٠م) فقيه صالح من أخير الفقهاء الموجودين في زمنه وأشرفهم نسباً وأعلاهم همةً، تفقه على جماعة كثيرين، منهم جمال الدين الريمي أخذ عنه شارح التنبيه، وموفق الدين علي الصريدح من ذوال، والأمام أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي، إليه انتهت رئاسة الفتوى في تعز. أنتقل بعد وفاة شيخه الأصبحي إلى تعز، فرتبه القاضي محمد بن أحمد في المدرسة الأتابكية مدرساً، ثم أنتقل مدرساً إلى المدرسة الشمسية. ثم أضاف إليه السلطان المجاهد قضاء تعز فأقام مدة في القضاء، ثم أعتذر فقبل عذره. ثم انتقل إلى زبيد، فرتب مدرساً في مدرسة أم السلطان المجاهد علي بن المؤيد بن داود(ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) (الصلاحية)، ثم استناب في تدريس المدرسة المؤيدية بتعز، التي بناها السلطان المؤيد داود بن يوسف ابن عمر بن علي بن رسول (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م) توفى بزبيد [٦٩].

كان جمال الدين الريمي متمكناً في العلوم والمعارف ولهذا كان له نتاج علمي في العقيدة والحديث والفقه وأصوله والسياسة الشرعية وعلم الفلك والحساب وعلم الرياضة والرماية وعلم الخيل. وهذه المصنفات ما تزال معظمها مخطوطة وهي كالتالي:

كتاب: **الانتصار لعلماء الأنصار** [٧٠] **(مخطوط)** وله: **شفاء الضمان في الكشف عن مسألة الإسلام والإيمان**[٧١]. **(مخطوط)** وكتاب: **الغامض المشروح في معرفة الإنسان والنفس والروح**[٧٢]، **(مخطوط)** وله: **كشف الخيال عن مدعي الجدال**[٧٣].**(مخطوط)** ولم يتم تبويبها، ويقال أنها في العقيدة، ولكن للأسف الشديد ليست حسب علمي موجودة في المكتبات التي تم الرجوع إلى فهارسها. كما تضلع في كثير من العلوم.

وله مصنفات قيمة في الحديث، منها: **الدر النظيم المنتقى من كتاب الترمذي الحكيم**[٧٤]،**(مخطوط)** وكتاب الترمذي الحكيم اسمه: **كتاب نوادر الأصول في أحاديث الرسول(مخطوط)** وله: **الكفاية في بيان فضل السبق والرماية(مخطوط)**، وله: **الأربعين في الحكم الموافقة في فضل الخيل والرمي والمسابقة** [٧٥].**(مخطوط)**

كما أنه برع في الفقه وأصوله وأبدع فيه واشتهر به وأصبح علماً ومدرسة تهفو إليه أفئدة طلاب العلم في مجال الفقه وأصوله، ولأن الفقه الشافعي كان مذهب الدولة الرسولية ولأن جمال الدين كان مدرساً بمعظم المدارس اليمنية في الفقه الشافعي، فقد كانت له مؤلفات عدة في الفقه الشافعي شرحاً وتأليفاً، ثم حينما أصبح إماماً معروفاً متبحراً دخل في ميدان التأليف في الفقه المقارن بجميع المذاهب التي ألف فيها كتباً في الفقه. وأهم مؤلفاته الفقهية:

اتفاق العلماء[٧٦].**(مخطوط)** **وبغية الناسك في كيفية المناسك**[٧٧]. **(مخطوط)** وكتاب: **التحقيق في حكم مبغض الحرية من الرقيق**[٧٨]. **(مخطوط)** وله الشرح الكبير للتنبية لأبي إسحاق الشيرازي، شرحه شرحاً مبسطاً مفيداً سمى: **التفقيه في شرح التنبيه**، وشرحه في أربعة وعشرين مجلداً، وذكر البريهي ستة عشر مجلداً والأصح أنه أربعة وعشرون جزءاً. ورفعه إلى مقام السلطان الأشرف الثاني في غرة ذي الحجة سنة ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦ م، وأجازه على ذلك جائزة كبيرة مقدارها اثنا عشر ألف مثقال من الذهب ولف الكتاب بقطع من الحرير وزف بالطبلخاناه أي فرقة الموسيقى إلى قصر السلطان وحملت نسخة من الكتاب إلى بغداد [٧٩]، وقد عثر على الجزء السادس عشر مخطوطاً سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦ م بجامع المظفر بتعز، وصورة معهد المخطوطات بالقاهرة[٨٠]. وكذلك الجزء الثاني والعشرون(تحت الطبع) [٨١] وقد اختصر التفقيه إلى ثلاث مجلدات من قبل عبد الرحمن بن محمد بن حسن البريهي[٨٢]، واختصر من قبل محمد بن إبراهيم ناصر الحسيني الزبيدي(ت ٨٥٤هـ/ ١٣٥٣ م) [٨٣] ومما يجب التنبيه إليه أن الحصول على الجزء الثاني والعشرين يثبت

عدم صحة رواية البريهي انهم ستة عشر مجلدا. وله: **خلاصه الخواطر اللوذعيه في كشف عويص المسائل اللغزية**(٨٤). **(مخطوط) ودلالة المسترشد على أن الروضة هي المسجد**(٨٥). **(مخطوط)** وله: **عمدة الأمة في اجتماع الأئمة الأربعة**. مخطوطة بالجامع الكبير بصنعاء في ١٥٠ ورقة برقم ٥٥٠ فقه(٨٦). وقد حقق(٨٧). وله: **غرائب كتب المذهب (مخطوط)** ، يحتوي على ما ذكر في كتب المذهب الشافعي(٨٨). **ومطلع الإشراق في اختلاف الغزالي وأبي إسحاق الشيرازي**(٨٩). **(مخطوط)** وله: **المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة**(٩٠)، **(مطبوع)** وهو كتاب في الفقه المقارن الذي اشتهر به فيقال: مؤلف المعاني وشمل جميع المذاهب الإسلامية ولم يتعصب لمذهب معين أو قول.

وقد امتدحه الفقيه العلامة محمد بن أحمد من أهالي صنعاء بأبيات من الشعر منها:

أنَّهُ مَنْ يَبْتَغِيْ عُلُوْمَ الشَّرِيْعَةِ ... فَلْيَكُنْ دَرْسُهُ المَعَانِيَ البَدِيْعَةَ
فَلَقَدْ ضَمِنَتْ كُنُوْزٌ مِنَ الْعِلْمِ ... فَصَارَتْ فَوْقَ العُلُوْمِ رَفِيْعَةَ
أوَضْح النقلِ والخلافاتِ فِيْهَا ... فَهِيَ فِيْ ذَرْوَةِ الْمَعَانِي مَنِيْعَةَ
فَهِيَ إذَا أَرَدْتَ اغْتِرَافَاً ... أَوْ جَنَّاتٍ تَجِدْ رِيَاضَاً وَسِيْعَةَ
خُذْ بِمَا شِئْتَ فَهِيَ أَقْوالُ قَومِ ... دُرَرَ الْعِلْمِ أَمْسَكُوْهَا وَدِيْعَةَ
رَحْمَةُ اللهِ تَغْشِيْهِم جَمِيْعَاً ... وَعَلَى مُنْشِئِ الْمَعَانِي البَدْيِعَةَ

كما أنه صنف في علم السياسة الشرعية كتاب: **بهجة اللطفاء في الرد على من نقم على العلماء بصحبة الخلفاء**(٩١).**(مخطوط)**

وهذا يدل على معارضة بعض العلماء لمرافقة الحكام والسلاطين وقد رجح الريمي مصاحبة الخلفاء حتى يكونوا من المرشدين لهم إلى الصواب وينبهونهم عن الزلل والضلال وهذا ظاهر من اسم الكتاب، ولم يُعثر عليه.

كما أنه صنف في علم الفلك والحساب ومن أبرز كتبه في هذا المجال: **النجم الثاقب في بغية الحاسب**[٩٢]،**(مخطوط)** ولم يعثر عليه. وكتاب: **الإلقاءات في المسائل المختلفات في علم الحساب**[٩٣].**(مخطوط)**

ولكن للأسف أهملت هذه الكتب.

وصنف أيضاً في علم الرياضة والرماية وعلوم الخيل منها: كتاب: **الكفاية في بيان فضل السبق والرماية**[٩٤].**(مخطوط)** وكتاب: **الأربعين في الحكمة الموافقة في فضل الخير والرمي والمسابقة**[٩٥]. **(مخطوط)**

كما صنف في علم الطب والزراعة: **تحفة الأدب في تفضيل الرطب على العنب**[٩٦]، **(مخطوط)** ويذكر أن هذا المصنف هو رسالة في المقامات [٩٧].

وذكر له الحبشي كتاب أسمه: **المصان**[٩٨]، بدون أن يذكر تبويبه. **(مخطوط)**

رابعاً: الجانب السياسي والاجتماعي:

أولاً: الجنب السياسي:

كانت اليمن تابعة للدولة العباسية حتى عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٣ م وعندما توفي المسعود آخر ملوك بني أيوب في اليمن، أعلن نور الدين عمر بن علي محمد هارون الغساني الرسولي نفسه ملكاً على اليمن مستقلاً عن دولة بني أيوب واستمر ملك الدولة الرسولية ٢٣٢ سنة تقريباً(٢٢٦- ٨٥٨ هـ/١٢٢٩-١٤٥٤). ثم مات عمر بن علي سنة ٦٤٧هـ وخلفه ولده يوسف بن عمر ولقب نفسه بالملك المظفر(ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤ م) وقد استمر بالحكم بين مد وجزر ثم خلفه الأشرف الأول بعهد من أبيه وتوفي سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦ م. وبعدها تولى الحكم المؤيد واستمر من (٦٩٦ – ٧٢١هـ/١٢٩٦- ١٣٢١ م) وكان في ذلك الوقت استقرار نسبي في اليمن وسببه المعارضة سواء في الشمال أو في الوسط، ثم توفي المؤيد وتولى الحكم ابنه المجاهد

من سنة (٧٢١ – ٧٦٤هـ/ ١٣٢١- ١٣٦٢ م)، وكان صغير السن فقد تصرف تصرفات ليست بالأمور السليمة له مما أثر على حكمه، ثم تولى الحكم الأفضل بن المجاهد سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢ م، وكان موفقاً بسياسة رعيته ودانت له اليمن كاملاً حتى توفاه الله سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦ م. بعد ذلك تولى الحكم الأشرف إسماعيل الثاني (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠ م) واستقرت اليمن له وقضى على كل المعارضة بالترهيب والترغيب.

والإمام جمال الدين الريمي عاصر أربعة سلاطين هم المؤيد والمجاهد والأفضل والأشرف.

ثانياً: الجانب الاجتماعي:

شهدت اليمن تطوراً اجتماعياً ملحوظاً، وهذا التطور ارتبط بالحياة الاقتصادية والسياسية، فموقع اليمن على البحر الأحمر والبحر العربي، وعلاقاتها مع الدول المجاورة تجارياً وسياسياً ووجود مواني متعددة فيها كعدن والمخاء، كان له الأثر الكبير في هذا التطور يضاف إلى ما سلف انتشار الزراعة في بعض مناطق اليمن، مما أدى إلى وجود المحاصيل الزراعية المتنوعة، وكذلك التطور العمراني.

وقد ذكر بعض المؤلفين لأكابر أهل اليمن حظاً من رفاهية العيش والتنعم والتفنن في المأكل يصبح في بيت الرجل عدة ألوان من الطعام وتطيب أوانيها بالعطر والبخور ويكون لأحدهم الحاشية وفي بيته العدد الصالح من الإماء وعلى بابه جملة من الخدم والعبيد والخصيان من الهند والحبشة ولهم الدور الجليلة والمباني الأنيقة.. والرخام ودهان الذهب فهو من خواص السلطان لا يشاركه فيه غيره.

وحدث أن الأشرف ختن أبناءه وأقام حفلاً كبيراً أحضروا فيه أنواع اللحوم من الطيور والحيوان والأطعمة والبقول والتوابل والفواكه وأنواع الطيب والرياحين مما لا حصر له وألوان الحلوى وكل رجالات الدولة قدموا هدايا للسلطان بهذه المناسبة وكل هدية

تزف بفرقه من المنشدين وكذا الباقات من الرياحين.

وأقيمت للناس أربعة سماطات: سماط الطعام، وسماط الحلوى، وسماط المكسرات من اللوز والجوز والفستق والبندق، وسماط رابع خاص بالعطور والمباخر ويشمل المسك والصندل والعود والبنفسج والعنبر والغالية وماء الورد [٩٩].

إن الحالة الاجتماعية في تلك الحقبة كانت متطورة وزاهية ولها علاقة بالجانب السياسي والاقتصادي فالاستقرار السياسي يؤدي إلى هذا الانتعاش الاجتماعي المتميز.

خامساً: تولية جمال الدين الريمي القضاء الأكبر باليمن(قاضي القضاة):

أن أول من استخدم قاضي القضاة هو الخليفة العباسي الهادي. وأول من تولى هذا المنصب هو أبو يوسف[١٠٠]، صاحب أبي حنيفة. ومن تلقب بهذا اللقب في عدة أزمنة وأماكن مختلفة من العالم الإسلامي منهم: صدر الدين بن أبي العز قاضي القضاة تلميذ ابن كثير جمال الدين سليمان بن الخطيب. وأحمد بن داود قاضي القضاة في عهد الواثق. وأبو عبد الله محمد بن علي الدمغاني[١٠١]. والشامي المالكي[١٠٢]. وشهاب الدين الغزنوي. وأبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القسيري بن دقيق العيد. وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن السروجي. أبو منذر بن سعيد البلوطي. والقاسم عبد الرحمن عبد الوهاب بن خلف في القاهرة. وناصر الدين بن ميلق. فهؤلاء كلهم تلقبوا بقاضي القضاة إما بتولية من الخليفة أو الأمير أو الملك أو السلطان وبعضهم لُقب بهذا اللقب لكثرة علمه واشتهاره بالحكمة والفراسة والقدرة على الفصل بين المتخاصمين[١٠٣]، ومن خلال البحث لم تجد في بطون الكتب خطاب تكليف لأي واحد من القضاة ولكن هناك تكاليف للقضاة ذكرت دون تحديد الأسماء.

وذُكر أن توران شاه الأيوبي عين أبو العباس عبد الله بن عمر الدمشقي القضاء الأكبر في اليمن[١٠٤]. وجمال الدين الريمي ولاه السلطان الأشرف سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦ م قاضي القضاة باليمن وكان يعين القضاة ويعزلهم ويحاسبهم، وقيل عنه: ولاه السلطان

الملك الأشرف القضاء الأكبر واتفقت له أربعة أشياء لم تتفق لأحد غيره كما علمت البتة بسطة في العلم وامتداد في العمر واتساع في الجاه وكثرة في المال وكان حسن الواسطة بين السلطان والرعية كثير السعي في قضاء حوائج الأصحاب من السلطان وغيره (١٠٥). وقيل عنه كذلك: وكان أوحد أهل العصر علماً وأحسنهم فهماً علامة العلماء واللج الذي لا ينتهي ولكل بحر ساحل (١٠٦).

وحدث في عصر السلاطين السابقين أن يكلف قاضي القضاة بمحاربة أعداء السلطان ويقود الحملات العسكرية، ففي أيام السلطان المؤيد كلف القاضي موفق الدين علي ابن محمد عمر اليحيوي سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧ م(١٠٧)، بمنصب الوزارة وقاضي القضاة.

وسيتم هنا ذكر بعض من خطاب التكليف للقضاة:

يبدأ خطاب التكليف الذي يصدر من الخليفة أو السلطان لمن يريد توليته منصب قاضي القضاة ببداية تحتوي على الحمد والثناء والتخويف من عذاب الله والتذكير بالحرص الشديد على العدل والإنصاف. على سبيل المثال:

"الحمد لله الحكم العدل الهادي عباده صراطاً مستقيماً، الحاكم الذي لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١٠٨)، المُثيب من قدم له الطاعة من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلال، الرقيب على ما يصدر من أفعالهم فلا يُغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(١٠٩)" (١١٠).

والمتأمل في صدر نص خطاب التكليف أن التولية تعتمد على خصال وصفات لمن يولى هذا المنصب، والملاحظ أنه يتعمد ذكر هذه الصفات المؤهلة لتحمل هذه المسؤولية من صفات حميدة وعلم ومعرفة. وهذا نموذج منها:

"ولمّا علمنا من حال فلان الفلاني الأوصاف الحميدة، والأفعال السديدة، فإنه قد حوى

المعرفة والعلوم، والاصطلاح والرسوم، وجُمعت فيه خصالٌ حملتنا علــى اســتنابته، وقوتنا على نيابته، استخرنا الله تعالى وفوَّضنا إليه كذا وكذا. فليباشر ذلــك متمــسكاً بحبلِ الله المتين ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين﴾(١١١)، وليجتهد في إقامة الدين وفصل الخصومات، وفي النظر في ذوي العدالات والتلبس بالــشهادات وإقامة البينات، فمن كان من أهل العدالة نزها، وإلى الحق متوجها، فليُراعه ويُقدمــه على أقرانه، ومن كان منهم خلاف ذلك فليُقْصه ويطالعنا بحاله" (١١٢).

وكذلك يركز الخطاب على توصيف لمجموعة من المهمات والمسئوليات التي يقوم بها قاضي القضاة، وهذا يعد من باب التنبيهِ والتذكير والتحذير، مثــل الخطــاب التــالي: "وينظر في أمر الأيتام، ويحتاط على ما لهم من الأموال، ويفعل في ذلك على جــاري عادة أمثاله من الحُكَّام، من نفقةٍ أو كسوةٍ ولوازم شرعيَّة، فمن بلغ منهم رشيداً أســلم إليه ما فضل من ماله بالبيِّنة المرضيِّة، ويُقرر الفروض على مقتضى قول الله تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ (١١٣). ويُزوِّج النــسوة الخاليــة مــن العــدد والأولياء، ممن رغب فيهنّ من الأكْفَاء، ويندُب لذلك من يعلم أمانته وخبرته، وينظــر في أمر المتصرفين: فمن كان منهم على الطريقة المأثورة أجراه على عادته، وأبقــاه على حكمه وخدمته، ومن كان منهم خلاف ذلك يُبعدُه ويُقصيه، ويستبدل بــه غيــره ليبقى مكانه وفي تصرفه" (١١٤).

ويؤكد الخطاب على بعض التحذيرات والتنبيهات مثل انصاف المظلوم والتسوية بــين الخصوم والنظر في أمر الأوقاف وحال المعسر والاهتمام بالجانب الاجتمــاعي مــن حيث التزويج والفسخ والعدل بين الصغير والكبير، مثل الخطاب التالي:

"فباشر أعانك الله: محافظاً على تقوى الله الذي إليه المرجع والمصير، قال الله تعــالى في كتابه العزيز: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. واستشعر خيفة الله واجعلها نصب عينك وتمسك بالحق واجعله حجاباً بين النار وبينك، وانتصب لتنفيذ الأحكام انتــصاب مــن

يراقب الله ويخشاه وحاسب نفسك محاسبة من يتحقق أنه يطلع عليه ويراه، وابذل في إنصاف المظلوم من الظالم وسعك، ورحب للمتحاكمين ذرعك، وانظر في أمر الشهود وحذرهم أن يزوغوا على الحق، وحاسبهم فيما جلَ ودق، ولا ترخص لهم، وألزمهم أن يتخذوا الصدق منطقهم، وانههم عن التسمح فيها، وعرفهم التحرز عما يؤدي من التهمة والتطرق إليها وانظر في أمر المتصرفين بباب الحكم العزيز نظراً يؤدي إلى صلاحهم، ولا تعول في النيابة عنك إلا على من تختاره وترضيه، ولا تعرج إلى من هو مستند إلى غاية ولا تمل إليه وانظر في أمر الأحباس نظراً يحفظ أصولها، ولا تُراع في استخلاص ما يتعين لها كبيراً ولا صغيراً، ولا تعامل فيها إلا ذوي الوفاء واليسار، وارفض معاملة من يستند إلى العُدم والإعسار ؛ وافعل ما يفعله مثلك من الحكام، من إنشاء العدالة والفسخ والإنكاح وغير ذلك فقد قلَدناك هذه الأحكام، فإن عملت فيها بتقوى الله تعالى وطاعته يعينك على ذلك، وإن عملت غير ذلك فأنت والله هالك ثم هالك، واستمع نصيحتي، وافعل ما تُبرد به جلدتك وجلدتي، إن شاء الله تعالى"(١١٥).

ويختتم خطاب التكليف بعبارة مزلزلة ولها وقع على النفس مما يجعلها متيقظة دائماً لمهمتها، ثم يمهر بتوقيعه وبالتاريخ وبقول الله عز وجل ﴿حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(١١٦). ونموذج من ذلك "هذا عهدي إليك، وحُجتي يوم القيامة عند الله عليك، فلتعلم ذلك وتعمل به إن شاء الله تعالى" (١١٧).

والمتأمل إلى هذه الخطابات من الولاة والسلاطين أن من يوجد فيه الكفاية والقدرة على تولي القضاء يتولى القضاء، وهذا يدل على الحس واليقظة والهمة العالية من الولاة والسلاطين للمحافظة على الإنسان وحقوقه من نفس ومال وعرض وعقل وكذا.. أولاً وأخيراً المحافظة على الدين وهذه من مهمة الخليفة أو السلطان وهي الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والعرض.

سادساً: وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعطاء والإنفاق على طلبة العلم وتولية القضاء توفي جمال الدين الريمي بزبيد في ٢٧ من المحرم سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩ م بعد أن خلف وراءه تركة علمية كبيرة سواء من التلاميذ أو من المؤلفات العلمية الباقية إلى يومنا هذا. وقد دفن بمقبرة سهام بزبيد [١١٨].

الخاتمة:

شهد عصر الدولة الرسولية ازدهاراً علمياً واقتصادياً واستقراراً سياسياً حيث أنه برز علماء كبار كان لهم الدور الكبير في الحياة كلها كجمال الدين الريمي الذي كان له الدور الكبير في إنشاء المدارس والإشراف عليها والتدريس ومنح الإجازات العلمية والالتقاء بالعلماء الذين يقدمون من خارج اليمن، كما كان له باع طويل في جميع العلوم النظرية والتطبيقية

وظهور منشآت تعليمية كبيرة في كل من تعز وزبيد وعدن.

كما أن توليه منصب قاضي القضاة من السلطان الأشرف الثاني الرسولي سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦ م يدل على كفاءته وإن هذا المنصب لا يمكن أن يتولاه أحد إلا إذا توافرت فيه شروط عدة تصل إلى درجة المجتهد.

يدل وجود هذا المنصب على أنه كان هناك فصل بين السلطة التنفيذية والسلطة القضائية حتى يضمن القاضي الاستقلال الكامل ويصدر حكمه بكل صراحة وقوة ولا يخاف في الله لومة لائم.. وقد تبين أن منصب قاضي القضاة تم أيام الهادي بن المهدي العباسي وأول من تولى هذا المنصب العالم أبو يوسف.

الهوامش

(١) قدم الرسولين، إلى موطنهم الأصلي اليمن بصحبة السلطان سيف الإسلام طغتكين ابن أيوب (٥٧٩- ٥٩٣هـ/١١٨٣- ١١٩٦م) سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، الذي أرسله أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي بسبب اضطرب أمر اليمن من جديد، وطمع كل نائب فيما تحت يده، عقب وفاة توران شاه، وكان من نتائج هذه الحملة دخول بني رسول إلي اليمن في صحبة الأيوبيين، وذلك باشتراك والدهم شمس الدين أبو الحسن علي بن رسول في حملة طغتكين حيث أصطحب معه أولاده الأربعة، وهم بدر الدين الحسن، شرف الدين موسي، وفخر الدين أبو بكر، ونور الدين عمر مؤسس الدولة الرسولية وهو أصغرهم، فقد جعل السلطان طغتكين بن أيوب الأمير شمس الدين أميراً على الجيش ونائبا له على مدينة حيس و أعمالها. وهنا كان أول ظهور للرسولين في اليمن بصفة رسمية في عصر الدولة الأيوبية باليمن إلا أن ظهورهم على مسرح الأحداث باليمن بشكل بارز كان سنة ٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م حيث تولى عدد من أبناء البيت الرسولى كثيراً من المهام السياسية والإدارية في اليمن حين أسند إليهم الأمير سنقرن المتوفى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، عدداً من المناصب الإدارية السياسية فولي الأمير علي بن رسول حصن حَبّ وابنه ابوبكر وصاب وأخيه الحسن ريمة وأعمال حرض والقحمة(الهلية) وهذين الآخرين بمساعده أخيهم نور الدين عمر فقد كانوا عضداً وعوناً لبني أيوب في اليمن، تولوا فيها المناصب الرفيعة ممثلين لبني أيوب ونواباً لهم في أقاليم ونواحي اليمن، كإمارة صنعاء، والحصون الأوصابية(وهي حصون مديريات وصاب العالي، وصاب السافل التابعة لمحافظة ذمار حالياً). وإمارة عدن وأعمالها كما تولوا إمارة مكة بعض الوقت واصل الرسولين تألقهم السياسي،

حيث غد لبعض أبناء هذه الأسرة دور فاعل في توجيه مجريات الأحداث السياسية في اليمن، ولقد بلغ هذا الدور ذروته على عهد السلطان المسعود بن الكامل الأيوبي(٦١٢-٦٢٦هـ/١٢١٥-١٢٢٨م)، الذي أرسله السلطان العادل أبو بكر محمد بن أيوب(ت٦١٥هـ/١٢١٨م)، كما تجد إن بني رسول اتجهوا نحو الاستقلال التدريجي منذ سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م فقبضوا على زمام الأمور في اليمن المدنية والعسكرية، وابقوا الولاء للأيوبيين مع ذكر الخليفة في خطبهم وتداول عملتهم، ولا شك أن انشغال الأيوبيين بالمنازعات القائمة فيما بينهم قد مهد للملك المنصور الاستقلال بملك اليمن ففي خلال عامين من عودة الملك المسعود إلى مصر، تمكن الأمير نور الدين عمر الرسولي من احتواء القوي المناهضة له، وبسط نفوذه على معظم بلاد اليمن، قام بخلع طاعة الأيوبيين وإعلان استقلاله بأمر اليمن، وتلقب بالملك المنصور واتخذ من مدينة تعز عاصمةً له، وكان ذلك سنة(٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠ م) وفي سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) قام باستكمال مظاهر الاستقلال وشعاراته وذلك بضرب السكة باسمه، وأمر الخطباء بالدعاء له بالمساجد ولإكساب ولايته الصفة الشرعية أوفد رسله إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله جعفر بن طاهر(٦٢٣-٦٤٠ هـ/١٢٢٦-١٢٤٢ م) في بغداد طالباً منه التفويض فوصله التقليد سنة(٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م) وارتقي رسول الخليفة (مٌعالي) على منبر جامع الجند وخطب قائلاً: " يا نور الدين إن العز يقرئك السلام ويقول: قد تصدقت عليك باليمن ووليتك إياه وألبسه الخلعة الشريفة على المنبر" مما سبق يمكن القول أن التاريخ الحقيقي لقيام الدولة الرسولية يرجع إلى سنة(٦٢٨ هـ /١٢٣٠م) وهي السنة التي خلع فيها السلطان المنصور طاعة الأيوبيين وأعلن قيام الدولة الرسولية وتعد المدة بين(٦٢٦-٦٢٨هـ/١٢٢٨-١٢٣٠م) هي مدة مكملة للحكم الأيوبي لليمن. لكون المنصور كان قائماً بأعمال النيابة

لبني أيوب وبقيام هذه الدولة، دخلت اليمن حقبة تاريخية جديدة، عدها البعض أزهي فترات الحضارة الإسلامية في التاريخ اليمني الوسيط ومن ذلك الوقت أصبحت تعز حاضرة الدولة الرسولية في اليمن. كما تعد الدولة الرسولية من أكبر الدول المستقلة في جنوب الجزيرة العربية والتي أمتد سلطانها ليشمل أغلب اليمن حتي ظفار الحبوظي، وفي فترات أخري امتد إلى الحجاز. ينظر: ابن حاتم اليامي، **السمط الغالي الثمن**، ص ١٧، ١٦٦- ١٦٨؛ ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص ٢٨؛الخزرجي، **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك**، اليمن، نشر وتصوير، وزارة الإعلام والثقافة، ط٢، ١٩٨١م، ص ١٦١، ١٩١، الكافة والأعلام، ورقة٧١أ، ٨٧أ، العقود، ج١، ص ٤١، ٥٦، ٥٩؛ ابن الديبع، **بغية المستفيد**- ص ٧٤، ٧٥، ٨١ ؛ يحي بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٤٢٠؛ محمد بن إسماعيل ألكبسي، **اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية**، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٨٤م، ص ٧٨؛ محمد بن عبد السلطان المروني، الثناء الحسن على أهل اليمن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢ ١٩٩٠م، ص ٢٦٦؛ عبدالله عبد الكريم الجرافي، **المقتطف في تاريخ اليمن**، بيروت، منشورات العصر الحديث ط٢، ١٩٨٧م، عبدالله بن عبد الوهاب الشماحي، **اليمن الإنسان والحضارة**، منشورات المدينة، ط٢، ٣، ١٩٨٦، ص ١٤٥؛ محمد كمال المحامي، **اليمن شماله وجنوبه**، بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٨٧ عدنان ترسيسي، **بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى**، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٩٩٠، ص ١٦٨؛ محمد احمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني**، جازان، شركة العقيلي، ط٣، ١٩٨٩م، ج١، ص ٢٣٥؛ عليان المرجع المتقدم، ص ٥١ص ١٣٣؛ عبد العال، **الأيوبيون في اليمن**، ص ٢٨٢؛ عسيري، **الحياة السياسية**، ص٩٠، ١٩٦ ؛ العبادي، **الحياة العلمية**- ص ١٢، ٢٨، ٣٣؛ حسين- **الحجاز واليمن**، ص ١٠٥؛ المقرمي،

الحياة الفكرية، ص١٥، ١٧- ١٨؛ السنيدي، **المدارس اليمنية**، ص ٢٣- ٢٤.

(٢) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص٢٣٧؛ الرازي: **مختار الصحاح**، ص٥٤٠؛ الزحيلي: **الفقه الإسلامي**، ج ٦، ص٤٨٠؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص٦٣٥؛ زيدان: **نظام القضاء في الشريعة الإسلامية**، ص١١.

(٣) سورة **طه**: آية٧٢.

(٤) سورة **الإسراء**: آية ٢٣.

(٥) سورة **آل عمران**: آية ٤٧.1

(٦) سورة **يوسف**: آية ٦٨.

(٧) سورة **القصص**: آية ١٥.

(٨) ابن قدامة: **المغني والشرح الكبير**، ج١١، ص٣٧٣؛ ابن رشد: **بداية المجتهد**، ج٢، ص٤٢١ وما بعدها؛ الريمي: **المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة**، ج٢، ص٧٨٧ وما بعدها؛ الزحيلي: **الفقه الإسلامي**، ج٦، ص٤٨٠؛ مغنية: **فقه الإمام جعفر**، ج٦، ص٦٤.

(٩) **البداية والنهاية**، ج١٠، ص١٨٠؛ الفيفي: محمد بن يحيى، **الدولة الرسولية في اليمن**، ص٣٣٩.

(١٠) **البداية والنهاية**، ج١٠، ص١٨٠.

(١١) سورة: **آية ٢٦**.

(١٢) سورة **النساء**: آية ١٠٥

(١٣) متفق عليه البخاري ومسلم. ينظر: ابن الأمير: **سبل السلام**، ج٤، ص١١٧؛ ابن قدامة: **المغني**، ج١١، ص٣٧٤.

(١٤) ابن قدامة: **المغني**، ج١١، ص٣٧٣- ٣٧٨.

(١٥) ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون الصالحي) (ت ٩٥٣هـ): نقد الطالب لزغل المناصب، ص ٥٤.

(١٦) زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٣٠؛ مغنية: **فقه الإمام جعفر**، ج٦، ص٦٦.

(١٧) زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٣٠؛ مغنية: **فقه الإمام جعفر**، ج٦، ص٦٦.

(١٨) زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٣٠؛ مغنية: **فقه الإمام جعفر**، ج٦، ص٦٦.

(١٩) زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٣٠؛ مغنية: **فقه الإمام جعفر**، ج٦، ص٦٨.

(٢٠) سورية **النساء**: آية١٤١.

(٢١) ابن قدامة: **المغني**، ج١١، ص٣٨٠؛ زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٨.

(٢٢) ابن قدامة: **المغني**، ج١١، ص٣٨٠؛ زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٨.

(٢٣) الدمشقي: **رحمة الأمة**، ص٤٠٦؛ الريمي: **المعاني البديعة**، ج٢، ص٧٩٠ ؛ ابن قدامة: **المغني**، ج١١، ص٣٨٠ ؛ زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٨.

(٢٤) الريمي: **المعاني البديعة**، ج٢، ص٧٨٧؛ مغنية: **فقه الإمام جعفر**،ج٦، ص٦٦؛ زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٨؛ الشيرازي: **المهذب**، ج٢، ص٢٩٠-٣٠٥.

(٢٥) سورة **الحجرات**: آية ٦.

(٢٦) ابن قدامة: **المغني**، ج١١، ص٣٨٠؛ الدمشقي: **رحمة الأمة**، ص٤٠٥؛ مغنية: **فقه الإمام جعفر**، ج٦، ص٦٧؛ زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٧؛ الريمي: **المعاني البديعة**، ج٢، ص٧٨٧-٧٨٨.

(٢٧) رواه البخاري وأحمد والنسائي والترمذي وصححه عن أبي بكر. ينظر: الشوكاني: **نيل الأوطار**، ج٨ ، ص٣٦٣؛ ابن الأمير: **سبل السلام**، ج٤، ص١٣٣.

(٢٨) ابن قدامة: **المغني**، ج١١، ص٣٨٩؛ الدمشقي: **رحمة الأمة**، ص٤٠٥؛ ابن رشد: **بداية المجتهد**، ج٢، ص٤٢١؛ الزحيلي: **الفقه الإسلامي**، ج٦، ص٤٨٠؛ الريمي: **المعاني البديعة**، ج٢، ص٧٨٩-٧٩٠.

(٢٩) الزحيلي: **الفقه الإسلامي**، ج٦، ص٧٤٩؛ زيدان: **نظام القضاء**، ص٢٧.

(٣٠) ابن قدامة: المغني، ج١١، ص٣٩٢؛ ابن رشد: **بداية المجتهد**، ج٢، ص٤٢٢؛ الريمي: **المعاني البديعة**، ج٢، ص٧٨٧، ٧٩٣.

(٣١) سليمان الطماوي: **السلطات الثلاث**، ٤٣٦- ٤٣٧.

(٣٢) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٩، ص٢٣٦

(٣٣) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٠، ص٢٤٤.

(٣٤) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٩، ص ٥٤١، ج ١٠، ص ٢٣٦؛ ابن كثير: ج ١، ص١٤، ج ٤، ص ٥٤٤ .

(٣٥) الرسولي: **العطايا السنية والمواهب السنية في المناقب اليمنية**، تحقيق: عبد الواحد الخامري، ص٣٧٩

(٣٦) الأفضل الرسولي: **العطايا**، ص ٦٢٠- ٦٢١؛ الخزرجي: **العقد**، ق١٢٤ أ- ب، **العقود** ج ٢، ص ١٠٩؛ ابن حجر: **إنباء الغمر**، ج٣، ص٤٧- ٤٨؛ الحبشي: **مصادر الفكر**، ص ٢١٢- ٢١٣؛ ابن العماد: **شذرات الذهب**، ج ٦، ص ٣٢٥.

(٣٧) الخزرجي: **العقود**، ج ٢، ص ١٠٩.

(٣٨) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٣٥-١٣٦.

(٣٩) شخوص: جمع مَشْخص، وهي وقوع من النقود التذكارية، ضربها المجاهد عرفت باسم شخوص المجاهد الذهبية، وهي أشبه ما تكون بنقود الصلة العباسية. ينظر: خليفة: **طراز المسكوكات الرسولية**، ص ٥٨ وهي

عملة ذهبية كبيرة تستعملها النساء في اليمن زينة في قلادة تتدلى على صدورهن وأغلب المستعمل اليوم عملة عثمانية من أيام السلطان عبد الحميد رحمه الله. ويسمى الواحد منها مَشْخصاً والجمع مشاخص.

(٤٠) الرسولي: **العطايا السنية**، ص ٧٣، ٦٢٠- ٦٢١؛ الخزرجي: **العقد الفاخر**، ق ١٢٤أ- ب، **العسجد**، ص ٤٠٧ ٤٤٩، ٤٦٣، **العقود**، ج٢- ص ١٠٥، ١٥٠، ١٦٠، ١٨٣؛ ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج٣، ص ٤٧- ٤٨، ١٠٦؛ ابن الديبع: **بغية المستفيد**، ص ٩٤؛ بامخرمة: **قلادة النحر**، مجلد ٣، ص٣٣٦٧- ٣٣٦٨؛ الحبشي: **مصادر الفكر**، ص ٢١٢- ٢١٣؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤.

(٤١) بامخرمة: **قلادة النحر**، مجلد ٣، ص٣٣٦٧- ٣٣٦٨؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ٧١.

(٤٢) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ٧١.

(٤٣) ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج ٣، ص٤٨٦.

(٤٤) البريهي: **طبقات صلحاء** اليمن، ص ٢٠٣ .

(٤٥) الرسولي: **العطايا السنية**، ص ٦٢٠؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٨٢- ١٨٣؛ **بامخرمة قلادة النحر**، مجلد٣، ص ٣٤٩٤. والأجيناد هي مقبرة مشهورة في مدينة تعز ، وتنطق في الوقت الحاضر الأجينات بالتاء.

(٤٦) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٨٥.

(٤٧) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٨٤- ١٨٦.

(٤٨) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٨٥- ١٩٢.

(٤٩) نسبة إلى قبيلة من السودان يُعرفون بالعَدَل كما ذكر الرسولي والجندي. والاكوع يقول عَدَل: وهي منطقة جنوب مرفأ مصوع في دولة اريتريا الحالية. إليه انتهت رئاسة الفتوى في تعز. أنتقل بعد وفاة شيخه الأصبحي إلى

تعز، فرتبه القاضي محمد بن أحمد في المدرسة الأتابكية مدرساً، ثم أنتقل مدرساً إلى المدرسة الشمسية. ثم أضاف إليه السلطان المجاهد قضاء تعز فأقام مدة في القضاء، ثم أعتذر فقبل عذره. ثم انتقل إلى زبيد، فرتب مدرساً في مدرسة أم السلطان المجاهد(الصلاحية)، ثم استناب في تدريس المؤيدية، توفى بزبيد. ينظر: الجندي: السلوك، ج٢، ص١٣٢- ١٣٣؛ الرسولي: **العطايا السنية**، ص٢٠٦؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص ٦٥، ج٢، ص ٦٩؛ الشرجي: **طبقات الخواص**، ص١٤٥؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ٢٤- ٢٥.

(٥٠) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٤٩- ٥٠.

(٥١) درس وأفتى، في مدينة ذي جبلة، وبمدينة تعز وانتفع به الطلبة، ثم تولى القضاء في مدينة تعز، ثم أعتذر عنه لاحقاً وتفرغ للتدريس والفتوى، وكانت إقامته في المدرسة المعتبية، والمدرسة المجاهدية، وتوفي بذي جبلة. ينظر: السخاوي: **الضوء اللامع**، ج١، ص٧٨،؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١١٧- ١٢٠.

(٥٢) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٣١.

(٥٣) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٨٤-٨٦.

(٥٤) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٤٨- ٥٣.

(٥٥) الجليل الإمام العابد، وهو من ذرية الإمام أحمد بن حميد الزوقري، تربيته بذي المليد من أعمال رأس قياض عزلة من تعز، عندها تنجح المقاصد، مدار الفتوى والتدريس في مدينة تعز، وكان باذلاً نفسه لإفادة العلم الشريف يتلقى الطلبة منه الفوائد الجلية، لا يخلو وقت من أوقاته عن تدريس أو قيام بعبادة أو فتوى، وكان يصحب الفقهاء والصالحين ويؤاخيهم، ولأياكل شيئاً فيه شبهة، ولا يقبل شيئاً من السلاطين ولا يأكل من زادهم، توفي في تعز. ينظر:

الشعبي: **تاريخ الشعبي**، ق٤٧ب؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج٤، ص٦٤؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٩٣.

(٥٦) العودي: نسبه إلى قرية عواد التي تقع بين شنين والمخادر من نواحي السحول، من أعمال إب. درس وأفتى بمدينة تعز. تولى قضاء مدينة تعز فسلك فيه طريق الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، من ذلك هَدْمُه لبعض الكنائس المحدثة بمدينة تعز لليهود وإلزامهم لبس الزّنار والتستّر بالحمام وغير ذلك، وكان له وقت معين يحضر فيه للحكم، أعتذر عن القضاء ولزم الاعتكاف في المساجد للعبادة والتدريس وحصل كتبا نافعة اجتهد بخدمتها، وسارع الناس بعد موته إلى المبالغة في أثمانها من ورثته ممن لم يشتغل بالقراءة بها، وقيل أنه توفي سنة٨١٠هـ/. ينظر: المكي: **تاريح ابن فهد** ق٣٠ب؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، ج٨، ص ٢٤٩؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٩٨- ١٩٩؛ الاكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ٢٥٧.

(٥٧) الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩٤.

(٥٨) الشعبي: **تاريخ الشعبي**، ق٤٨أ؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٩٥- ١٩٦.

(٥٩) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٧٣.

(٦٠) أصل بلده السحول تحت جبل بعدان، من أعمال إب. ينظر: البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص٢١٢- ٢١٤؛ الاكوع: **المدارس الإسلامية**، ص١٦٦- ١٦٧؛ الأهجري: **الحياة العلمية في اليمن**، ص١٩٠- ١٩١.

(٦١) الأهدل: **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**،ج ٢ ص ٣٦٠؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٢٦٨- ٢٦٩؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩٦، ٢٧٦، ٢٧٩.

(٦٢) المقرئ: **عنوان الشرف الوافي**، ص ١٨٩- ١٩٠؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٣٠١، ٣٠٥؛ أبو زيد: إسماعيل المقرئ، ١١٧، ١٧١.

(٦٣) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٩٤- ٩٥.

(٦٤) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٣٠٩- ٣١٠.

(٦٥) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٤٩.

(٦٦) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٩٧؛ الاكوع: **المدارس الإسلامية**، ص٢١٠.

(٦٧) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٢٠٣.

(٦٨) نسباً، القيداني مولدا، النظاري بلداً، وقيل إن بلده حراز، توفي بتعز. ينظر: البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٩٨- ٢٠٠؛ الاكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ٢٨٠.

(٦٩) الجندي: **السلوك**، ج٢، ص١٣٢- ١٣٣؛ الرسولي: **العطايا السنية**، ص٢٠٦؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ج١، ص ٦٥؛ الشرجي: **طبقات الخواص**، ص١٤٥؛ **طبقات صلحاء اليمن**، ص١٩١- ١٩٢، ٢١١- ٢١٢؛ الاكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩- ٢٠، ١١٥، ٢٣٥؛ الحبشي: **مصادر الفكر**، ص٢١٩.

(٧٠) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ٢٧٧.

(٧١) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ٢٧٧.

(٧٢) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١١١- ١١٢؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ٢٦.

(٧٣) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ٢٧٧.

(٧٤) الرسولي: **العطايا**، ص ٦٢٠- ٦٢١؛ الخزرجي: **العقد**، ق١٢٤ أ- ب؛ ابن حجر: **إنباء الغمر**، ج٣، ص٤٧ - ٤٨؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص١٨٢؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية** ص ١٩٥، ٢٥٩-٢٦٠؛ الحبشي: **مصادر الفكر**، ص ٤٥، ٢١٢- ٢١٣، ٢٧٧.

(٧٥) الرسولي: **العطايا**، ص ٦٢٠- ٦٢١؛ الخزرجي: العقد، ق١٢٤ أ- ب؛ ابن حجر: **إنباء الغمر**، ج٣، ص٤٧ - ٤٨؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص١٨٢؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية** ص ٢٥٩-٢٦٠؛ الحبشي: **مصادر الفكر**، ص ٤٥، ٢١٢- ٢١٣. إلا أن الحبشي زاد (ر) وجعله الدرر وهذا يخالف المعنى بل الأصح ما أورده الأكوع، وكذا ذكر الحبشي في كلمة (كتاب الغامض) (الغوامض) وهو مخالف المعنى وأثبت ما أورده الأكوع .

(٧٦) الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١ ، ٢٠١؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥.

(٧٧) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥.

(٧٨) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١.

(٧٩) الرسولي: **العطايا السنية**، ص ٦٢٠؛ الخزرجي: **العقد الفاخر الحسن**، ق ١٢٤ أ، **العقود**، ج ٢، ص ١٦٠، ١٨٣، ٢١٨؛ ابن حجر: **إنباء الغمر**، ج ١، ص ٤٠٧، ج ٣، ص ٤٧- ٤٨، ٤٨٦ ؛ البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**،، ص ١٨٢؛ الاكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥، ٢٥٩-٢٦٠؛ الحبشي: **مصادر الفكر الإسلامي**، ص ٢١٢- ٢١٣.

(٨٠) وتم تحقيقه من قبل أحمد الحيدري، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، ٢٠٠٨م .

(٨١) وقد تم تحقيقه من قبل الدكتور محمد الشجاع(تحت الطبع).

(٨٢) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٧٨؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩٧.

(٨٣) البريهي: **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٧٨؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩٧.

(٨٤) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١.

(٨٥) حاجي خليفة: **كشف الظنون**، ص ٧٥٨؛ الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١.

(٨٦) الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥.

(٨٧) حققه: محمد الشجاع: **صنعاء مركز عبادي**، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

(٨٨) الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١.

(٨٩) الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥

(٩٠) الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١؛ الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥. وقد تم تحقيقه من قبل الدكتور محمد الشجاع، وطبع على نفقة وزارة الثقافة بصنعاء سنة ٢٠٠٤م.

(٩١) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥.[1]

(٩٢) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٦.

(٩٣) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥.

(٩٤) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥ .

(٩٥) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٥.

(٩٦) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤- ١٩٥، ٢٥٩.

(٩٧) المقامات: هي جمع مَقامة، وهي في اللغة: اسم للمجلس والجماعة من الناس، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، وهي لون من النثر له خصائصه الفنية ودعائمه الأساسية، يتوخى مؤلفها طرح ما يشاء من أفكار أدبية أو خواص تأملية أو انفعالات وجدانية أو مهارات لغوية في صورة ذات ملامح بديعية وسمات زخرفية. ينظر: القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ١٢٤ السيوطي: **مقامات السيوطي**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، مكتبة ابن سيناء للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ م، ص٣ المقدمة

(٩٨) الحبشي: **مصادر الفكر العربي**، ص ١٩١ ، ٢٠١.

(٩٩) شوقي ضيف: **عصر الدول والإمارات**، ص ٢١- ٢٤، ٣٠-٣٦.

(١٠٠) سليمان الطماوي: **السلطات الثلاث**، ٤٣٦- ٤٣٧.

(١٠١) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٩، ص٢٣٦.

(١٠٢) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٠، ص٢٤٤.

(١٠٣) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٩، ص ٥٤١، ج ١٠، ص ٢٣٦؛ ابن كثير: ج ١، ص١٤، ج ٤، ص ٥٤٤ .

(١٠٤) الرسولي: **العطايا السنية والمواهب السنية في المناقب اليمنية**، تحقيق: عبد الواحد الخامري، ص٣٧٩

(١٠٥) الأكوع: **المدارس الإسلامية**، ص ١٩٤؛ الفيفي: **الدولة الرسولية في اليمن**، ص ٣٣٩- ٣٤٠.

(١٠٦) ابن الديبع: **العقود اللؤلؤية**، ج ٢، ص ١٨٢، ١٨٥.

(١٠٧) الخزرجي: **العسجد**، ص ٣٢٦؛ الخزرجي: **العقود**، ج . ١، ص٣٠٤.1

(١٠٨) سورة **النساء**: آية٤٠.

(١٠٩) سورة **الرعد**: آية١١.

(١١٠) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص٣٤٤- ٣٤٦.

(١١١) سورة **يوسف**: آية٩٠.

(١١٢) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص٣٤١ - ٣٤٢.

(١١٣) سورة **البقرة**:آية ٢٣٦.

(١١٤) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص٣٤٢- ٣٤٤.

(١١٥) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص٣٤٢- ٣٤٤.

(١١٦) سورة **آل عمران**: آية ١٧٣.

(١١٧) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ١٤، ص٣٤٢- ٣٤٤.

(١١٨) الأفضل الرسولي: **العطايا**، ص ٦٢٠- ٦٢١؛ الخزرجي: **العقد**، ق١٢٤ أ- ب، **العقود** ج ٢، ص ١٠٩؛ ابن حجر: **إنباء الغمر**، ج٣، ص٤٧- ٤٨؛ الحبشي: **مصادر الفكر**، ص ٢١٢- ٢١٣؛ مجهول: **الدولة الرسولية في اليمن**، ص ١٠٣؛ ابن العماد: **شذرات الذهب**، ج ٦، ص٣٢٥.

المصادر والمراجع

* الأكوع (القاضي إسماعيل بن علي):

١- المدارس الإسلامية، نشر جامعة صنعاء، طبع دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

* ابن الأمير (محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني)(ت ١٠٥٩هـ):

٢- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر (ت ٨٠٢هـ) راجعه وعلق عليه: محمد بن عبد العزيز الخولي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط٤، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

*البريهي (عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي):

٣- طبقات صلحاء اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، د. ت.

* حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ):

٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار العلوم الحديثة، ١٣٨٤هـ.

* الحبشي (عبد الله محمد):

٥- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث، د.ت.

* ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني) (ت ٨٥٢هـ)

٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت، دار الجيل، د.ت.

* الخزرجي (علي بن الحسن) (ت ٨١٢هـ):

٧- العسجد المسبوك فيمن ولي من الملوك، صنعاء، لجنة الكتاب وزارة الإعلام والثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٨- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بسيوني علي الفجالة، مطبعة الهلال، طبع على نفقة مسترجب،١٩١١م.

* الدمشقي(أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن):

٩- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، عني بطبعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وطبع على نفقة خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) (توفي بعد ٦٦٠):

١٠- مختار الصحاح، بيروت ودمشق، مؤسسة علوم القرآن، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

* ابن رشد (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي) (ت ٥٩٥هـ):

١١- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.

* الريمي (جمال الدين محمد بن عبد الله) (ت ٧٩٢هـ):

١٢- المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة، تحقيق ودراسة: محمد عبد الواحد الشجاع، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

* الزحيلي (وهبة):

١٣- الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* أبو زيد (طه):

١٤- إسماعيل المقرئ حياته وشعره، بيروت، د. م، نشر: مركز الدراسات والبحوث

اليمني، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* زيدان (عبد الكريم):

١٥- نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) (ت ١٢٥٥هـ):

١٦- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م.

* الشيرازي(أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي) (٤٧٦هـ):

١٧- المهذب في الفقه الشافعي، وبأسفله النظم المستعذب في شرح غريب المهذب لمحمد بن أحمد بن بطال الركبي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

* ضيف(شوقي):

١٨- عصر الدول والإمارات، مصر، دار المعارف، ط٢.

* الطماوي(سليمان محمد):

١٩- السلطات الثلاث، دار الفكر العربي، ط ٤، ١٩٩٧م.

* ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون الصالحي) (ت ٩٥٣هـ):

٢٠- نقد الطالب لزغل المناصب، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٢م.

* ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي) (ت ١٠٨٩هـ):

٢١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

* ابن قدامة (أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن محمد) (ت ٦٢٠هـ):

٢٢- المغني والشرح الكبير، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

* القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، راجعه وضبطه وعلق عليه: محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: محمود حامد عثمان، القاهرة، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

* القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي) (٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

٢٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

* ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي):

٢٥- تفسير القرآن العظيم، قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية وصححها نخبة من العلماء.

* (مجموعة من المؤلفين):

٢٦- المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، ط ٢٦، د.ت.

* مغنية (محمد جواد):

٢٧- فقه الإمام جعفر الصادق، بيروت، دار الجواد، ودار التيار، ط٥، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

* (مؤلف مجهول).

٢٨- الدولة الرسولية في اليمن، تحقيق: عبدالله الحبشى، صنعاء، دار الجيل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

رفيق العظم
بين الدعوة إلى الجامعة العثمانية والقومية العربية

إعداد طالبة الدكتوراه
حنان تقالة

إشراف الأستاذة الدكتورة
سمر بهلوان

جامعة دمشق

المخطط:

يعدّ رفيق العظم من المفكرين العرب الذين آمنوا بالجامعة العثمانية، لكن من غير أن ينسى للحظة واحدة قوميته العربية أو الدفاع عن حقوق قومه في الدولة العثمانية. فلقد سعى بكل قواه من أجل صيانة وحدة الدولة العثمانية، والحفاظ على ارتباط العرب بها كمواطنين عثمانيين، في وقت ظهرت فيه دعوات عدة للانفصال عنها. ولكن مع تطور الأحداث وتسارعها بعد سقوط حكم السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٩٠٩م، وتسلم الاتحاديين السلطة وتبنيهم نهجاً قومياً، ومع ازدياد الأطماع الأوربية

في البلاد العربية، أخذ يغير اتجاهاته السياسية تدريجياً حتى انتهى به الأمر إلى تأييد الثورة العربية والاستقلال عن الدولة العثمانية.

يمثل موقف العظم موقف العديد من المفكرين العرب الذين تحولوا من الدعوة إلى الجامعة العثمانية إلى العمل القومي العربي. وموضوع المقال هذا سيتناول البحث في موقف المفكر العربي رفيق العظم من الجامعة العثمانية والخلافة العربية، وفكرة القومية العربية، والعوامل التي أدت إلى تحوله إلى العمل القومي العربي.

أولاً- رفيق العظم(١٢٨٢-١٣٤٣هـ/١٨٦٥-١٩٢٥م):

هو رفيق بن محمود بن خليل العظم، ولد في دمشق ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م في أسرة ذات مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة، ونشأ نشأة أبناء الأعيان الذين يهيئون أنفسهم للدخول في خدمة الحكومة[1](٢)، غير أنّه لم يتعلم تعلماً منظماً (٣)، فقد بدأ التعليم الابتدائي في مدرسة من مدارس الروم لكنه خرج منها بعد سنة لوفاة والده (٤)، ثم أخذ شيئاً من اللغة العربية عن الشيخ توفيق الأيوبي، وكل ما حصلّه بعد ذلك كان بمطالعاته الشخصية(٥)، إذ انكب على مطالعة كتب التاريخ والفلسفة والأدب والشعر.

وقد عُرف رفيق العظم بنزعته العلمية والاجتماعية الإسلامية(٦) إذ وصف عبد الرزاق البيطار نهجه بقوله: "ولم تزل أوقاته معمورة بالمطالعة والكتابة والتأليف والتصنيف--- والتمسك بالسنّة والكتاب، والعمل بهما من غير تعصب، ولا تأويل موقع في التباب، ولا يميل إلى العمل والقول بالتقليد، بل يقول أن العمل بالأصلين الشريفين هو لكل سعادة اقليد(أي مفتاح)"(٧).

ولقد ساهمت عوامل عدة في توجهاته السياسية من أهمها: أولاً تردده على أهل الأدب والعلم والأفكار في الأمور العامة في دمشق كالشيخ طاهر الجزائري وسليم البخاري ومحمد كرد علي وتوفيق الأيوبي(٨). ولقد كان لاتصاله مع الجزائري والبخاري أثر كبير على تفكيره، فأخذ عنهما ما "استنار به عقله وخرّجه للنزول في مضمار الجهاد

لبث الأفكار الصحيحة وإنكار الظلم"(٩). وثانياً ملازمته للشيخ محمد عبده، بعد أن هاجر إلى مصر "فاستفاد من علمه الواسع وآرائه العالية فوائد عظيمة أزالت عن بصيرته حجباً كثيفة"(١٠). وثالثاً صحبته بعض أحرار الترك النازلين في دمشق "فأفاد منهم روحاً جديدة، وتلقح فكره بآراء حرة، ومن أيسرها مقاومة الاستبداد والمستبدين، والتنبيه إلى فساد الإدارة العثمانية"(١١). ورابعاً اتصاله مع رواد الإصلاح الإسلامي وخاصة السيد رشيد رضا صاحب المنار، والتعاون معه في سبيل تحقيق الإصلاح السياسي والاجتماعي في الدولة العثمانية، والاشتراك في الأحزاب والجمعيات السرية والجهرية(١٢)، فقد أسسا "جمعية الشورى العثمانية" التي اشترك فيها رجال من سائر الشعوب العثمانية، وأشرف العظم على تحرير القسم العربي من جريدة الجمعية "الشورى العثمانية". وبعد إعلان الدستور دخل في "جمعية الاتحاد والترقي" لكن بعد زيارته للآستانة عاد إلى مصر، ولم يكن راضياً عن سير الاتحاديين، حيث أخذ يدرك تعصبهم ضد العرب وهضمهم لحقوقهم، فاتجه لتأسيس جمعية سرية باشتراك مع رشيد رضا، هدفها التأليف بين أمراء الجزيرة العربية، والتعاون والاتفاق بين الجمعيات السياسية التي أنشئت في الولايات العربية والآستانة، لمقاومة تعصب الاتحاديين وضغطهم على العرب، ولحفظ حقوق العرب في الدولة والعمل لمستقبلهم، كما ساهم في تأسيس حزب اللامركزية خدمة للدولة العثمانية والبلاد العربية معاً(١٣).

كتب رسائل ومقالات كثيرة في الإصلاح الإسلامي، من أهمها كتاب "أشهر مشاهير الإسلام" قال فيه البيطار "ثم استفزه الولع بتاريخ الإسلام إلى وضع تاريخ جديد لمشاهير الإسلام من أهل الحرب والسياسة، على غير النمط المعهود عند المسلمين، أي أسلوب جديد يمثل رجال الإسلام في أجلِّ مثال وأظهره، بحيث يتناول في ذلك كثيراً من أخبار دول الإسلام الاجتماعية والسياسية، وأفيض في البحث في فلسفة التاريخ الإسلامي على وجه يتضح به حال تاريخ الإسلام"(١٤)، وكتاب "الدروس

الحكيمة للناشئة الإسلامية" الذي أقر تدريسه محمد عبده في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، وكتاب "تنبيه الإفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية والإسلام"، ورسالة في " البيان في كيفية انتشار الأديان"، ورسالة "الجامعة الإسلامية وأوربا"، وكتاب "السوانح الفكرية". توفي رفيق العظم في سنة ١٩٢٥م /١٣٤٣هـ في القاهرة ودفن فيها.

ثانياً- موقف العظم من الجامعة العثمانية:

مثّلت الدولة العثمانية في وعي العرب الدولة الإسلامية القوية، التي استطاعت توفير الحماية لهم من الأخطار الخارجية، وإعادة توحيد بلادهم، فعدت البلاد العربية نفسها جزء لا يتجزأ من الدولة العثمانية، وربطت مصيرها ومصير الإسلام بمصير هذه الدولة. ولقد ساهم في ذلك كون الدولة العثمانية تركت للمجتمع العربي أن يعيش في أطره السابقة دون إحداث تغيير جذري عليه، وسمحت له بأن يتطور بفعل عوامل ذاتية لم تتدخل فيها، يضاف إلى ذلك أنّ العرب لم يرووا في الحكم العثماني في بداياته سوى استبدال الإدارة المملوكية الضعيفة بالإدارة العثمانية القوية التي تمكنت من مواجهة القوى الأوربية والوقوف في وجهها.

وعلى الرغم من أنّ الدولة العثمانية أخذت تفقد قوتها تدريجياً لصالح القوى الأوربية، التي أخذت تقتطع أجزاء من ولاياتها العربية، وأنّ الإدارة القوية أخذت تحل محلها إدارة ضعيفة فاسدة، إلا أنّها بقيت تمثل لدى العرب رمز الإسلام الباقي بغير استعمار، لذلك تمسكوا بأهداب الدولة العثمانية، وخاصة أن ظروف تلك المرحلة كانت تتطلب من العرب والعالم الإسلامي أن ينتهجوا هذه السياسة، لتشكيل سدٍ منيعٍ أمام الأطماع الأوربية، يضاف إلى ذلك أنّ قيام أية ثورة فكرية أو سياسية في الدولة العثمانية في تلك المرحلة كانت تعد خروجاً عن تعاليم الإسلام كما كان يفهمها رجال تلك المرحلة، فضلاً عن الرابطة الدينية التي تجمع بين الطرفين، الأمر الذي جعل العرب يغضون النظر عن كثير من مساوئ الإدارة العثمانية ومظالمها. ولكن مع ازدياد أطماع الدول

الأوربية في الدولة العثمانية، واحتلالهم لبعض الولايات العربية(مصر، الجزائر،تونس،عدن وغيرها من المناطق العربية)، وقيام الثورات القومية في قسمها الأوربي، وازدياد النفوذ الأوربي في بلاد الشام، وطرحه لمشاريع استعمارية لفصل سورية عن الدولة العثمانية، وقيام التنظيمات العثمانية، التي بدأت تؤسس لعلاقة جديدة بين أتباع الدولة العثمانية المتعددة الأجناس والأديان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأ يبرز مصطلح "الوطن العثماني" و"الجامعة العثمانية" و"الرابطة العثمانية" كتعبير عن الرغبة في المحافظة على الدولة العثمانية، ودعم مواقفها أمام الأوربيين، وزيادة الترابط بين عناصرها في إطار الإخاء الوطني العثماني، بغض النظر عن الانتماءات الدينية والجنسية، لكن من غير القضاء على المقومات الشخصية لأي عنصر من عناصر الدولة، بل أن يكون العدل والمساواة والمحبة واحترام الآخر هي رائد هذا الوطن. وقد كان لهذه الفكرة أنصارها ودعاتها في البلاد العربية ومنهم رفيق العظم الذي يعد من أهم دعاة الرابطة العثمانية في بلاد الشام، ظهر ذلك بشكل واضح في كتاباته، فقد كان خطابه السياسي إلى أبناء الدولة العثمانية على اختلاف أديانهم وتباين جنسياتهم موجهاً دائماً من أجل الاتحاد والوفاق، إذ كان يخاطبهم: "إذاً يجب علينا نحن معشر العثمانيين على اختلاف المذاهب وتباين الأجناس أن نرفع إلى الله أكف الضراعة بأن يديم لنا كل دولتنا العلية العثمانية--- كما ينبغي لنا الاتحاد على دفع كل ما من شأنه أن يفرق الكلمة ويحل عرى الوفاق، وذلك بدوام المحافظة على الوحدة الجامعة"(١٥).

ومع تزايد دعوات الانفصال عن جسد الدولة العثمانية، وانتشار التعصب القومي أخذ العظم يبحث في أسباب اضطراب الجامعة العثمانية، انطلاقاً من حرصه على الجامعة العثمانية، وإيمانه بوطنه العثماني، وذلك من أجل إظهار الحقيقة فيتلافوا " أسباب الشقاق ويتكاتفوا على إحلال الحقيقة محلها من الاعتبار، لأن الأمر جلل، وهذه الريح

الهابة في آفاق البلاد العثمانية ريح التدابر والشقاق والشحناء إذا انقلبت لا سمح الله إلى عاصفة لا تبقي ولا تذر"(١٦).

لقد أرجع العظم أسباب اضطراب الجامعة العثمانية إلى سببين رئيسين: أولهما يتعلق بالشعوب العثمانية نفسها، إذ أن سوء الظن المتبادل بين عناصر الدولة وخاصة العنصر التركي بالعناصر الأخرى ولّد الخلاف والشقاق بين عناصرها مرجعاً ذلك إلى:

- سوء الإدارة العثمانية في عهد الاستبداد التي أدت إلى اتساع الهوة بين الحكومة والأمة "فأصبح الفارق بين الأمة والحكومة عظيماً، تفككت به عرى الصلة القانونية بين الأهالي والحكومة"(١٧). وهذا بدوره أدى إلى بروز فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية(١٨).

- اعتماد السلطان عبد الحميد الثاني على عناصر غير تركية، وقيام جمعيات سرية في أرمينيا ومقدونيا، هدفها الانفصال عن الدولة العثمانية، وهذا أدى إلى سوء ظن الأتراك بالعناصر الأخرى(١٩)، حيث "أصبحت الريب والظنون تحوم حول الأتراك بالشعوب العثمانية الأخرى الموالية لها دون أدنى الأسباب حتى كاد سوء الظن المتبادل يحل عرى الألفة بتاتاً"(٢٠).

أما السبب الثاني فقد أرجعه إلى مسلك الاتحاديين الأتراك الذين انفصلوا عن الأمة بعد تولي السلطة "فأصبحوا في شق والأمة في شق آخر"(٢١). وخاصة بعدما تظاهروا بالنعرة الجنسية، وأعلنوا ما كانوا يضمرونه من الاستمساك بمبدأ سيادة العنصر التركي على العناصر الأخرى كلها(٢٢)، وإلى النفور عن حزبهم، فقد ذكر بصدد ذلك: "ولما انفردوا عنها(أي الأمة)افترقت عنهم بل عادت إلى الانقسام على نفسها بأشد مما كانت عليه في عصر الاستبداد الماضي"(٢٣). يضاف إلى ذلك جملة

الأغلاط التي صدرت عن حزب الاتحاد والترقي ومنها استعمال سياسة العنف والشدة مع الشعوب العثمانية الأخرى(٢٤).

وبناء على ذلك أخذ العظم يوضح الآثار السلبية التي سوف تنتج عن اضطراب الجامعة العثمانية، وفي مقدمتها ضعف الأتراك ودولتهم، وخذلان الأمة العثمانية جميعاً واضمحلالها، وقد فسر ذلك بأن الانقسام بين عناصر الدولة وقتالهم بعضهم ببعض باسم العصبية والجنسية سوف ينهك قوى الدولة العثمانية ويشتت قوتها ويدفعها للتردي(٢٥). كما أنّ اضطراب هذه الجامعة سوف يساهم في تحقيق مطامع الدول الغربية بأراضيها(٢٦).

وعليه فقد رأى أنّه يجب تأسيس الجامعة العثمانية على قواعد وأسس تتناسب مع العهد الجديد عهد الحرية والدستور، وذلك من أجل الحفاظ عليها ولكن بعد أن يُؤخذ بعين الاعتبار أنّ الدولة العثمانية تتألف من عناصر مختلفة في الدين والمذهب ومتباينة في الأجناس، ومن تساوي هذه العناصر في الظلم والتظلم في عهد الاستبداد(أي عهد السلطان عبد الحميد الثاني). وهذه القواعد والأسس هي:

- التساوي بين جميع عناصر الدولة على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وآرائهم بالحقوق والواجبات، وذلك بجعل الأمة تحكم نفسها بنفسها(٢٧).
- أن يطبق الدستور لأنه الكفيل بمحو الحدود الجنسية لا من حيث خصائصها الذاتية بل من حيث مرامي الأقوام الاجتماعية، وذلك ببث روح الديمقراطية الصحيحة(٢٨).
- التكافل العام بين عناصر الدولة العثمانية على أساس الحرية والمساواة والإخاء(٢٩).

ثالثاً- موقف العظم من الخلافة العربية:

في أواخر القرن التاسع عشر ظهر بين القوميين العرب الأوائل، خاصة بين السوريين المقيمين بمصر، دعوات لإقامة خلافة عربية بديلة للخلافة العثمانية القائمة، يكون الحجاز مقرها الروحي، الأمر الذي استدعى من مؤيدي الدولة العثمانية الهجوم الشديد، واعتبار من يدعون لها أنهم يريدون هدم الخلافة، وإقامة خلافة بديلة تكون تابعة لانكلترا وخادمة لأهدافها(٣٠). وربما أرجع البعض هذا القول إلى أن هناك ثمة بعض المحاولات قامت بها شخصيات أوربية في تلك الفترة مثل محاولة الانكليزي بلنت صديق محمد عبده، والمقرب من أوساط الإصلاح الإسلامي، لإقامة خلافة عربية صديقة لانكلترا(٣١). غير أنّ هذه الفكرة ارتبط ظهورها بظروف تلك المرحلة، ومنها استبداد السلطان عبد الحميد الثاني، الذي دعا إلى فكرة الجامعة الإسلامية، واستخدامه للقب الخليفة كسلاح بوجه أعدائه سواء في الداخل أو الخارج. كما أنّ تزايد الأطماع الاستعمارية في بلاد الشام في الوقت الذي ظهر فيه ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن مواجهة هذه الأطماع، مما دفع بعض مفكري بلاد الشام إلى التفكير في مصير العرب وإيجاد بدائل عن الخلافة العثمانية(٣٢)، ويضاف إلى ذلك أنّ الدولة العثمانية بدت في نظر البعض أنّها لا تمثل الخلافة الإسلامية لأنّ السلطان العثماني لا تتوفر فيه شروط الخليفة(٣٣). فكيف فسّر العظم ظهور الدعوة إلى الخلافة العربية، وما هدفه من وراء ذلك التفسير.

لقد ارتبطت نظرة العظم وعدد من المفكرين العرب إلى الخلافة العربية بموقفهم من الخلافة العثمانية، فهو يُعد من المفكرين القائلين بشرعية الخلافة العثمانية لأنّ الخلافة في رأيه ليست حكراً لقوم دون آخرين(٣٤)، وليس هناك أي مانع في الدين يحول دون تولي العثمانيين الخلافة، كما لم يمنع أن تكون فيمن يقع عليه اختيار الأمة ورضاها في عهد الصحابة الكرام(٣٥).

ولم يتوقف كلام العظم عن شرعية خلافة العثمانيين عند هذا الحد بل إنه ذهب إلى القول أنَّ الواقف على أغراض الشرع وشروط الخلافة وحقيقتها لابد له من أن "يتحقق أن ليس من دولة إسلامية اليوم أحق بها من آل عثمان، هذا إذا صح وجوبها بالعقل والشرع"(٣٦). لأن هذه الدولة في رأيه من أجدر الدول الإسلامية في حفظ بيضة الإسلام وهي أعز دول الإسلام مكاناً(٣٧).

وبناء على ذلك فإنّه رأى أن الكلام عن فكرة إحياء الخلافة العربية أو الدولة العربية ليس إلاَّ من الأراجيف والأفكار الوهمية. وقد وضّح مقولته هذه فذكر: إنَّ الأتراك الذين فرّوا إلى مصر في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، عندما أراد مراد بك الداغستاني زيارة مصر دبروا مكيدة لإرهابه عساه يعيد القانون الأساسي، ويرضى بالحكومة الدستورية، وذلك بإيجاد خلافة عربية وهمية وتصويرها للسلطان في صورة الحقيقة. وعلى الرغم من فشل هذه المكيدة إلاَّ أنَّ الفكرة شاعت بين الناس واستغلها ذوو الأغراض السياسية لتحقيق بعض المكاسب عند السلطان، لكن هذه الفكرة برأيه لم تنعكس إلا سلباً بسبب ما تركته من أثر سيء في نفوس الأتراك حتى من الذين ابتدعوها(٣٨). كما رأى أنَّ هذه الدعوة استُغلّت من قبل أعداء الأمة لتمزيق وحدتها ومن قبل أصدقاء الدولة الجهلاء(٣٩). وهنا نرى العظم أنّه تجاهل دعوة بعض المفكرين العرب أمثال الكواكبي وعازوري إلى إقامة خلاقة عربية يكون مقرها الحجاز، وربما جاء هذا التجاهل بسبب رغبته بإظهار إخلاص العرب للدولة العثمانية، وإزالة شكوك الاتحاديين حول رغبة العرب بالانفصال عن الدولة العثمانية، وإعادة عرى الوفاق والاتحاد بين العرب والأتراك، وخاصةً في وقت زادت فيه شكوك الأتراك بالعرب، ووجهوا إليهم الكثير من التهم، ومنها الانفصال عن الدولة العثمانية.

رابعاً- العظم وفكرة القومية العربية:

على الرغم من دعوة العظم إلى الجامعة العثمانية وتجاهله لفكرة الخلافة العربية، واعتبارها من الأراجيف والأفكار الوهمية التي انعكست سلباً على العرب والدولة العثمانية، غير أننا لا نستطيع القول أنَّ العظم وقف ضد فكرة القومية العربية أو عمل على تهميشها أو تجاهلها وخاصةً أنّه ينتمي لحلقة الشيخ طاهر الجزائري(٤٠)، التي سعى أعضاؤها لإحياء التراث العربي الأصيل، ونشره بين أبناء العرب، وتخرج منها أعضاء "جمعية النهضة العربية"(٤١). فلو تتبعنا كتاباته وأعماله لوجدنا أنَّ أعماله كانت موجهة بالدرجة الأولى لخدمة القضية العربية، ولكنّها كانت تنمو تدريجياً مع تطور الأحداث شأنه في ذلك شأن فكرة القومية العربية في تلك المرحلة.

بدأ العظم مسيرته في الدفاع عن حقوق أبناء أمته في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في إطار معارضته لاستبداد السلطان وإدارته الفاسدة، وخاصة بعد أن اطلع على أنظم الحكم الدستورية في الغرب، وعاد إلى التاريخ الإسلامي، وبحث في مسائل الحكم والخلافة، وطبيعة السلطة في الإسلام(٤٢)، فشارك مع رشيد رضا بتأسيس جمعية "الشورى العثمانية" في القاهرة سنة ١٨٠٥م، وكان من أهم أهدافها إصلاح الدولة العثمانية، وتطبيق الشورى ونبذ الحكم الاستبدادي، وإعادة العمل بالدستور(٤٣).

وبعد إعلان الدستور في سنة ١٨٠٨م فإنَّ العظم مثل كثير من أبناء العرب عدَّ هذا الحدث انتصاراً على الاستبداد وعيداً للحرية، فمشاعر الابتهاج والفرح عمّت بلاد الشام بعد إعلان الدستور، فقد ذكر بصدد ذلك: "لم أجد مكاناً وصلته إلاَّ والأفراح قائمة فيه"(٤٤). كما أيد الاتحاديين، ولم ينظر بعين الرضا إلى تأسيس العرب لأي جمعية مهما كان نوعها، لأنَّ جمعية الاتحاد والترقي برأيه لم تقم بمهمتها على أتمّ وجه بعد(٤٥). وعندما جرت الانتخابات ١٩٠٨م أهاب بالأهالي أن يؤازروا الأحرار العثمانيين(٤٦)، وخلال زيارته لسورية في أوائل ١٩٠٩م قام بنشاط واسع لدعم

الحكومة الاتحادية "في شكر جمعية الاتحاد على خدمتها العظيمة للحرية مبشراً بمستقبل سعيد للوطن والأمة والدولة"(٤٧)، ولعل ذلك يرجع إلى اعتقاده أنّه بإعلان الدستور سيحصل العرب على حقوقهم في الدولة العثمانية، كعنصر له ماضيه الحضاري، وله أهمية من حيث العدد فيها. وكذلك ربما كان السبب هو نظرته لجمعية الاتحاد والترقي كجمعية عثمانية تعمل من أجل الحرية والدستور والنهوض بالوطن العثماني لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي توجه الدولة في تلك المرحلة. غير أن الاتحاديين وبعد محاولة الانقلاب الفاشلة لإعادة السلطة إلى السلطان عبد الحميد الثاني بدؤوا يظهرون توجهاتهم القومية، وينتهجون سياسة معادية للعرب، وتنبه أبناء العرب إلى أن العهد الجديد لا يختلف عن العهد القديم في شيء، إذ أنّ الدولة انتقلت من استبداد الفرد إلى استبداد الجماعة، ونتيجة لهذا التغيير بدأت مرحلة جديدة من مسيرة العظم القومية هي مرحلة التمايز القومي والدفاع عن العرب في مواجهة سياسة الاتحاديين العنصرية، فحاول في البداية تقريب وجهات النظر بين العرب والأتراك، معتقداً أنّ الخلاف الناشب بينهم مردّه إلى سوء التفاهم، لذلك رأى أنّ من واجبه توضيح موقف العرب من الجامعة العثمانية لإزالة سوء التفاهم بين العنصرين فأكد على إخلاص العرب للدولة العثمانية، فالعنصر العربي هو " أخلص المخلصين للدولة العثمانية، وأحرص عليها حتى من الترك أنفسهم"(٤٨). ومؤكداً بذات الوقت أن العرب لم يفكروا بالانفصال عن جسد الدولة في أي حال من الأحوال(٤٩). حتى أنّ الثورات والحركات التي شهدتها الولايات العربية -عدا اليمن- لم يكن هدفها مناوأة العثمانيين، أو يقصد بها أمر سياسي أو فكرة جنسية قط، وإنما كانت شغب -حسب تعبيره- سببه الجهل وسوء إدارة الحكومة(٥٠).

كما سعى بنفس الوقت إلى الكشف عن الأسباب الحقيقية التي كانت تقف وراء ذلك الخلاف وخاصة مع تنبهه إلى سياسة الاتحاديين في اضطهاد العرب، فالاتحاديون الأتراك هم المسؤولون عن النفور الحاصل بين العرب والترك، وذلك بسبب سوء

نيتهم تجاه العرب دون وجود مبرر لذلك(٥١)، ورغبتهم في حصر السلطة بالعنصر التركي على المبدأ القومي لا على أساس ديمقراطي(٥٢). الأمر الذي أدى إلى امتهان حقوق العرب واعتبارهم لا شيء في الدولة رغم أنهم يشكلون أكبر عنصر فيها، مما أدى إلى ازدياد شكوى العرب من مسلك الاتحاديين(٥٣). لقد أراد العظم من خلال ذلك القول أنَّ العرب غير مسؤولين عن الخلاف لا كما يصوره الاتحاديون ويروجون له، تبريراً لسياستهم المعادية للعرب، فقد رأى أنَّ الاتحاديين بدؤوا "باضطهاد العرب قبل كل الشعوب، وضربوا أول معول في أساس الوحدة العثمانية الذي وضعوا بأيديهم حجر القاعدة فيه قبل بضعة أسابيع "(٥٤).

وبعد توضيحه لموقف العرب من الجامعة العثمانية أخذ يؤكد على مسألة حقوق العرب في الدولة العثمانية، وأن مطالبتهم بها لا يعني أبداً أنَّ العرب غير مخلصين للدولة أو أنّهم يريدون الانفصال عنها، بل إنّهم والأتراك شركاء فيها، باعتبار أنّها دولة الخلافة، فهي ليست للترك وحدهم بل لكل المسلمين المستظلين برايتها والقائمين بحمايتها(٥٥). وهم كما كانوا في مستوى واحد في الظلم والتظلم في عهد الاستبداد، حيث كان "العرب والترك شركاء في تحمل المصائب أعواناً في الدفاع عن الدولة والذود عن حياضها"(٥٦) لابد أن يكونوا كذلك في عهد الحرية والدستور(٥٧). يضاف إلى ذلك أنَّ العرب يشكلون الجزء الأعظم من الدولة العثمانية، ولا يمكن لهم السكوت عن مسلك الاتحاديين بعد إعلان الدستور لأنّ "إذا ما سكت عليه كان جرحاً نغاراً في جسم الدولة يتعذر شفاؤه"(٥٨). وخاصة أنَّ أحرارهم ساروا مع أحرار الترك في ميدان الجهاد السياسي من أجل إيجاد حكومة دستورية تصلح شأن الأمة وترفع مقامها بين الدول(٥٩).

وعليه طالب العظم أن تؤسس الشراكة في الدولة العثمانية بين العرب والأتراك على أساس الإخاء والتعاون، والعدالة والمساواة، لا على أساس القوة والعنف، وسادة وعبيد لأنَّ الأمة العربية ذات الماضي العريق "أساتذة العالم" لا تحكم بالعنف(٦٠). وهو

يقول بصدد ذلك: "أمة هذا شأنها يمكن أن تكون والأتراك إخواناً متعاونين على الذود عن حياض السلطنة العثمانية والذب عن شرف الخلافة الإسلامية، ولكن لا يمكن أن تكون محكومة من الأتراك كحكم السادة للعبيد"(٦١). وهنا نلحظ النزعة القومية قد ظهرت بشكل واضح من خلال رفضه لأن يكون العرب أتباعاً للأتراك لا شركاء معهم في الحكم والإدارة، ومع إدراكه لسياسة الاتحاديين في تهميش العنصر العربي في الدولة العثمانية. ورغم ذلك فإنّه بقي مخلصاً للجامعة العثمانية متمسكاً بها فقد ذكر: "إنما نحن نؤيد المبدأ ونؤيد الرابطة العامة التي تربط الترك بالعرب وبالعكس، فكل مساس بهذه الرابطة سواء كان من قبل الترك أو العرب نعده مساساً بمبدأ الديمقراطية الصحيحة التي لا سبيل لبقائنا بدونهما أحياء بعد اليوم"(٦٢). كما دعا أبناء أمته العربية وعقلاء الأتراك للمحافظة على الرابطة العثمانية حتى لا يتداع بنيان الدولة العثمانية باسم العصبيات الجنسية لأنّ ذلك لا يزيدها إلاّ ضعفاً، ولا يزيد الغرب إلا طمعاً بل إنّ "ضعف الرابطة بين العرب والترك يكون وسيلة كبرى لتمادي التدخل الأجنبي في هذه المملكة"(٦٣). وبناء على ما تقدم رأى أنّه يتوجب محاربة الفكرة القائلة بأنّ الربطة "إنما تتم بأنّ يكون الترك حاكمين والعرب محكومين(٦٤). لأن قائلها عدو للترك، عدو للعرب، عدو للإسلام، عدو للدستور، ومن هنا كانت أهمية أن يتبادل كل من العرب والترك الاعتراف بفضل العنصر الآخر وأهميته لبقائه في رأيه، فالعرب يجب أن "يعترفوا للترك بفضلهم في جمع كلمة المسلمين في الشرق العثماني، ويخلصون للدولة العثمانية"(٦٥). وعلى الترك أن "يلاحظوا أنّ معظم قوة الدولة مستمدة في آسيا، وأنّ معظم آسية العثمانية بلاد عربية"(٦٦). وعليه ينبغي أن يقابل الإخلاص إخلاص مثله، وأن يحصل العرب على حقوقهم في الدولة العثمانية على أساس العدل والمساواة مع الترك، وأن تدار البلاد العربية برجال من أهلها "ينطقون بلسانهم ويعرفون عوائدهم وأخلاقهم، ويحسنون التفاهم بينهم وبين الحكومة"(٦٧)

ومع محاولة العظم لنفي الاتهامات التي وجهها الاتحاديون إلى العرب وتبديد شكوك الأتراك حول رغبة العرب بالانفصال عن جسم الدولة العثمانية، وأنهم يتعصبون لقوميتهم، وفي إطار تقريب وجهات النظر بين الطرفين، حفاظاً على وحدة الدولة، ولمواجهة الأطماع الأوربية، أخذ العظم يوضح حقيقة ظهور القومية العربية التي أصبحت خيار المفكرين العرب في مواجهة سياسة الاتحاديين المعادية لهم، ولكن ذلك لا يعني أبداً رغبتهم بالانفصال عن العثمانيين في تلك الفترة.

فقد رأى أن العوامل التي كانت تنمي فكرة القومية عند العرب في بلاد الشام هي: سوء ظن الاتحاديين بالعرب بدون مبرر في الوقت الذي انتهجوا فيه طريقاً قومياً، وارتكبوا أغلاطاً كثيرةً بحق بقية عناصر الدولة كاستخدام العنف والشدة(٦٨) وخاصة تجاه العنصر العربي رغم أنَّه من أشد العناصر تمسكاً بوحدة الدولة، فقاموا باضطهاده قبل كل الشعوب العثمانية، وعملوا على إلحاق الضرر به، وحلوا جمعية الإخاء العربي- العثماني وغيرها قائم، وكل ذلك ضمن سياسة الحط من شأن العرب، الأمر الذي أدى إلى تزايد شكوى العرب منهم، ومن أهم الأمور التي رأى أنَّها أثرت على العرب وعلى رابطتهم العثمانية استدعاء أكثر ضباط العرب من أوطانهم إلى الآستانة، وعدم قبول بعض طلبات الضباط العرب بإلحاقهم ببعثة الضباط العلمية التي أرسلت إلى ألمانيا لإتمام العلوم الحربية، وعدم إدخال أي عضو من أبناء العرب في اللجنة المركزية في سلانيك حتى من الضباط الذين شاركوا في العمل للدستور أو في اللجان المركزية للجمعية، وعدم إدخال أي عربي من أعضاء الحزب في المذاكرات السياسية التي يجتمع من أجلها الحزب في الآستانة، والبدء بعزل الموظفين العرب دون غيرهم من بقية عناصر الدولة، كانتزاع نظارة الأوقاف من الناظر العربي وإسنادها إلى تركي، واستبدال الولاة والمتصرفين العرب بآخرين من الأتراك، وعدم دعوة أي من أبناء العرب لحضور أي اجتماع يراد به التفاهم والتآلف بين العناصر، وعدم العناية بنشر المعارف في بلاد العرب، بل ووقوفها أحياناً في وجه الوطنيين الذين يريدون

تأسيس مدارس أهلية، وفي ذلك خطورة كبيرة، إذ أن ذلك سيجعل العنصر العربي متخلفا عن مجاراة بقية عناصر الدولة وفي ذلك اضمحلال للعرب المسلمين، والأشد خطورة بين هذه الممارسات مطاردة الحكومة للغة العربية حتى في بلاد المهجر، فضلاً عن إهمال الحكومة لها في مدارسها حتى في البلاد العربية، ومحاولة إحلال اللغة التركية محلها مع أن العرب لم يبقَ لهم من جامعة غير اللغة العربية(٦٩). إن هذه الممارسات في رأيه وخاصة الأخيرة منها كان بمثابة "مس وتنبيه لعصب الجنسية النائم" (٧٠).

وبذلك نجد أنَّ هذه العوامل التي تحدث عنها العظم دفعته مع عدد من المفكرين العرب نحو مزيد من العمل القومي، والافتراق عن الاتحاديين حلفائهم في الأمس، وخاصة أنَّه رأى أن سياسة الاتحاديين لا تدخل ضمن نطاق سوء الفهم كما رأى هو وغيره من مفكري العرب في البداية، وإنما أخذت بُعداً قومياً عنصرياً (٧١)، فعندما ثارت مسألة الاتهام بالتجسس بين بعض النواب العرب والاتحاديين لصالح السلطان المخلوع انتقد العظم هذه التصرفات، وعدَّ هذا شروع في فتح باب الفتنة والتنافر، وهو منافي للحرية والدستور. كما انتقد سياستهم في التعامل مع ثورة حوران والكرك في سنة ١٩١٠م(٧٢). وطلب في حفل أقيم في القاهرة لوداع النائب سليمان البستاني، أن يقوم النواب العرب بالبحث عن حلول لمشاكل العرب التي بدأت تتفاقم، وتوجه باللوم إلى الاتحاديين في هضم حقوق العرب، ودعا إلى منحهم حقوقاً متساوية مع غيرهم من عناصر الدولة، واحترام لغتهم، وجعلها لغة التدريس في مدارس العرب لأن الدولة لا تقوم بالترك وحدهم، كما أن العرب لا يستطيعون حفظ بلادهم بدون الترك(٧٣)، وهنا نرى أنَّه قد بدأ يتكلم عن مسألة المصالح المتبادلة بين الترك والعرب لا عن الرابطة الدينية وهذا تغيير في لغة خطابه السياسي والفكري.

ومع إعدام الأحرار العرب في بلاد الشام على يد جمال باشا قائد الجيش الرابع في سورية في آب عام ١٩١٥م ثم في أيار عام ١٩١٦م أصبحت المطالبة بدولة عربية مستقلة أمراً ظاهراً وشائعاً بين العرب، الأمر الذي دفع من كان يعمل في إطار

الرابطة العثمانية إلى العمل خارج نطاقها(٧٤) فقد أيد العظم الثورة العربية، وعمل على مناصرتها، واستقطاب التأييد لها(٧٥).

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، وهزيمة الدولة العثمانية، ووضوح الأطماع الاستعمارية خاصة الفرنسية في سورية، وما قامت به من خطوات تمهيدية لاحتلالها، ووضوح الخلافات بين العرب أنفسهم، حيث أنَّ الانسجام مع الشريف حسين والزعماء السوريين لم يكن كبيراً ولا دائماً(فعقلية التفكير لدى كل من الشريف حسين والسوريين ليست واحدة بالنسبة لبعض المسائل المهمة كمسألة الحكومة الديمقراطية النيابية وعدم التنازل للأجانب) ساهم في تحول العظم مع معظم مفكري بلاد الشام إلى العمل في سبيل المسألة السورية.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول أنَّ رفيق العظم قد انتقل من التأييد الكامل للجامعة العثمانية إلى محاولة التوفيق بين الرابطة العثمانية والقومية العربية، حيث كان يؤكد على حقوق العرب ومطالبهم كعنصر له تراثه الحضاري العريق في الوطن العثماني. ولقد كانت الفكرة القومية تنمو مع شعوره بفقدان العرب لحقوقهم في الدولة العثمانية وخاصة بعد إعلان الدستور، الذي أقر مشاركة الأمة في الحكم، والمساواة بين جميع عناصر الدولة العثمانية، لكن هذه الحقوق أصبحت مع سياسة الاتحاديين نظرية فقط. كما أنها كانت تنمو بشكل مطرد مع القومية التركية التي كانت تنمو بين صفوف خريجي المدارس الحديثة، ومحاولتهم التشدد في إقامة الحكم المركزي، وتطبيع البلاد بالطابع التركي.

وفي النهاية لا يسعنا إلاَّ ذكر ما قاله صديقه محمد كرد علي في توجهه الفكري والسياسي: "مثّل صديقي الرفيق في جميع أدوار حياته الوطنية الصحيحة في نبلٍ خالٍ من كل غرض، وأسمع صوت أمته في ديار العرب وغيرهم، وحذر الأتراك عواقب الطغيان، وحققت الأيام ظنه، وخدم الجامعة الإسلامية العربية خدمة كبيرة، وكان من أول من جالوا فيها مغتبطين"(٧٦).

الهوامش

(١) كرد علي، محمد، **المعاصرون**، دار صادر - بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص٢٢٤.

(٢) العظم، رفيق، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،جمعها عثمان العظم، مطبعة المنار-مصر، ط١، ١٣٤٤هـ المقدمة بقلم رشيد رضا ، ص ب.

(٣) البيطار، الشيخ عبد الرزاق،**حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر**، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٦٣م، ج٢، ص٦٣٠.

(٤) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، المقدمة بقلم رشيد رضا ، ص ج.

(٥) المصدر نفسه، المقدمة بقلم رشيد رضا، ص ج.

(٦) البيطار، مصدر سابق،ج٢، ص٦٣٣.

(٧) المصدر نفسه،ج٢، ص٦٣١.

(٨) كرد علي، مصدر سابق، ص٢٢٤.

(٩) البيطار، مصدر سابق،ج٢، ص٦٣٢.

(١٠) كرد علي، مصدر سابق، ص٢٢٤-٢٢٥.

(١١) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، المقدمة بقلم رشيد رضا، ص د.

(١٢) المصدر نفسه، مقدمة بقلم رشيد رضا، ص د-ح.

(١٣) البيطار، مصدر سابق، ج٢، ص٦٣٢.

(١٤) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، السوانح الفكرية، ص١٦-١٧.

(١٥) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، الجامعة العثمانية، ص١١٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(١٧) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(١٨) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، الجامعة العثمانية، ص١٢٠.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٢٠) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٢٢) المصدر نفسه ،ص١٢٤.

(٢٣) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٢٤) المصدر نفسه ،ص١٢٨.

(٢٥) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، السوانح الفكرية، ص١٧.

(٢٦) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، الجامعة العثمانية، ص١٢٤.

(٢٧) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**، الجامعة العثمانية، ص١١٩.

(٢٨) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٢٩) الملا، أحمد صلاح،**جذور الأصولية الإسلامية في مصر المعاصرة** رشيد رضا ومجلة المنار،دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة،٢٠٠٨م، ص١٢٩.

(٣٠) المرجع نفسه، ص١٢٩.

(٣١) من المفكرين الذين أخذوا يفكرون في مصير العرب الشيخ طاهر الجزائري الذي رأى أن على العرب أن ينهضوا ويتأهبوا بالعلم حتى يكون لهم دور في الدولة العثمانية يتناسب مع مكانتهم الحضارية أو ليكون على أهبة الاستعداد للحصول على الاستقلال والحفاظ على كيانهم القومي من الأطماع الاستعماري (الباني،سعيد، **تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر الجزائري**،مطابع الحكومة العربية بدمشق ١٩٢٠م،ص١١٢).

(٣٢) لقد عدَّ بعض المفكرين العرب أن الدولة العثمانية لا تمثل دولة الخلافة حيث أن السلطان العثماني لا تتوفر فيه أي شرط من شروط الخلافة ومن هؤلاء المفكرين عبد الرحمن الكواكبي وعبد الحميد الزهراوي ونجيب عازوري.

(٣٣) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٢٢.

(٣٤) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،أسباب سقوط الدولة الأموية، ص٢٧.

(٣٥) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٢٢.

(٣٦) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،أسباب سقوط الدولة الأموية، ص٢٧.

(٣٧) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٢٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ص١٤٤.

(٣٩) كان من أركان هذه الحلقة التي أطلق عليها حلقة دمشق الكبرى الشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار وسليم البخاري ومحمد كرد علي وعبد الحميد الزهراوي.(محب الدين الخطيب، حياته بقلمه، جمعية التمدن الإسلامي، ١٩٧٩م، ص١٣).

(٤٠) جمعية النهضة العربية تأسست عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م في الآستانة ثم نقل مركزها إلى دمشق وكانت تعمل لرفعة العرب ومجدهم ونشر اللغة العربية بكل الوسائل ومن أعضائها محب الدين الخطيب و صلاح الدين القاسمي.(انظر **صلاح الدين القاسمي**، آثاره، ص٤-١٦)

(٤١) انظر كتاب أشهر مشاهير الإسلام لرفيق العظم حول مسألة الحكم، ص٦٧٣-٦٨١.

(٤٢) المصدر نفسه، المقدمة، ص د-هـ.

(٤٣) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٤٥) البطوش، بسام،**رفيق العظم مفكراً ومصلحاً**،دار كنوز المعرفة-عمان،ط١، ٢٠٠٧م، ص١١٨.

(٤٦) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٢٩.

(٤٧) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٢٩.

(٤٨) المصدر نفسه، ص١٣٨.

(٤٩) المصدر نفسه، ص١٤٤.

(٥٠) المصدر نفسه، ص١٢٧.

(٥١) المصدر نفسه ،ص١٣٩.

(٥٢) المصدر نفسه، ص١٣٣.

(٥٣) المصدر نفسه،ص١٢٩.

(٥٤) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٢٨.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٣٨.

(٥٦) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(٥٧) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٥٨) المصدر نفسه، ص١٣٨.

(٥٩) المصدر نفسه، ص١٤٠-١٤١.

(٦٠) المصدر نفسه، ص١٤١.

(٦١) المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٦٢) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٦٣) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٤٢.

(٦٤) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٦٥) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٦٦) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٦٧) المصدر نفسه،ص١٢٥.

(٦٨) العظم، **مجموعة آثار رفيق بك العظم**،الجامعة العثمانية، ص١٣٣-١٣٥.

(٦٩) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٧٠) البطوش، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٧١) المرجع نفسه، ص١٢٣-١٢٤.

(٧٢) المرجع نفسه، ص١٢٤-١٢٥.

(٧٣) البطوش، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٧٤) المرجع نفسه، ص١٦٧.

(٧٥) كرد علي، مصدر سابق، ص٢٢٦.

المصادر والمراجع

- البانى، محمد سعيد، تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر الجزائري، مطابع الحكومة العربية بدمشق، ١٩٢٠م.
- البيطار، الشيخ عبد الرزاق، حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق،١٩٦٣م.
- الخطيب، محب الدين، حياته بقلمه، جمعية التمدن الإسلامي، ١٩٧٩م.
- العظم، رفيق: - مجموعة آثار رفيق بك العظم، جمعها عثمان العظم،مطبعة المنار- مصر،ط١، ١٣٤٤هـ .
- أشهر مشاهير الإسلام، مطبعة هندية بمصر،ط٤، ١٩٢١م.
- القاسمي،صلاح الدين، الدكتور صلاح الدين القاسمي آثاره، تقديم محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ١٩٥٩م.
- كرد علي، محمد، المعاصرون، دار صادر- بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
- الملا، أحمد صلاح، جذور الأصولية الإسلامية في مصر المعاصرة رشيد رضا ومجلة المنار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٨م.
- البطوش، بسام، رفيق العظم مفكراً ومصلحاً، دار كنوز المعرفة- عمان، ط١، ٢٠٠٧م.

الحياة الفكرية والاجتماعية للمجتمع العثماني

إعداد طالب الدكتوراه
علي محمد إبراهيم

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود عامر

قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

مقدمة:

تميزت الهجرات التركية الخارجية من الأناضول مع مطلع القرن الرابع عشر بالكثافة وهذه الهجرات فرضت حتمية البقاء، ونمت على هامش الأحداث والضعف والاضمحلال دولة عثمانية تمركزت في غرب الأناضول وجنوبه وقدر لها أن تنمو وتشتد وتصبح إمبراطورية مترامية الأطراف وأن تحكم شعوباً ومللاً ونحلاً غير متجانسة وأن تكون أطول الدول بقاءً، إذ عمرت ٦٣٢ عاماً وتربع على عرشها أربعون حاكماً، الثلاثة الأوائل منهم بكوات والباقون سلاطين ووليها منذ سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣م حتى انقراضها سنة ١٩٢٤م خمس وثلاثون سلطاناً وبجمعهم للسلطتين الروحية والزمنية امتلكوا أحقية اللقب بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين ودعي لهم على منابر العالم الإسلامي طوال ٤٠٦ أعوام.

ولدى إلقاء نظرة على حالة الدولة العثمانية، نرى في القمة الباديشاه الذي يبدو مطلق الصلاحية طوال حفاظه على ديناميكية الفتوحات، ولكن عندما تتوقف يغدو ألعوبة محتشمة وأن نفوذ السلطان موجود بصورة خاصة بمقدار ما يظل قادراً على إتباع الفئات العليا من جهة ومنع الفئات الدنيا من الثورة، ويساعد في إدارة الأمور الصدر الأعظم والوزراء والولاة في الولايات إلى جانب الإنكشارية التي هي أداة طيعة فقد يكافأها من خلال نظام الإقطاع بأنواعه المختلفة من تيمارات وزعاماتٍ وهذا التوزيع حسب نسبة ملكية الأراضي.

إن الدولة العثمانية في البداية كانت دولة حربية دينية بحتة، وبقدوم شيوخ خرسان إلى الأناضول أُخضعوا لنظام ينسجم مع تقسيم العمل في الوظائف المبدئية – الدينية من جهة والنضالية الدنيوية من جهة أخرى عند مجاهدي الإسلام، ونتيجة للتطور الحضاري، بدأت الوظائف تتعقد إلى أقصى الدرجات، فظهرت الطبقات المختلفة وزادت التقسيمات الاجتماعية (١).

تاريخ الفكر عند العثمانيين:

تشكل الحياة الفكرية عند الباحثين في التاريخ العثماني واحدةً من أكثر القضايا التي أهملت وافتقدت العناية اللائقة طبقاً لمفاهيم العصر واحتياجاته، ولم تحظَ بالبحث المتعمق والنقاش العريض يستدعي الدراسات والبحوث التي كثرت تقيِّم الحياة الفكرية في العالم الإسلامي، وحركة الاستشراق في الغرب لم تتعرض للعهد العثماني، مع أن تاريخ الفكر في العهد العثماني في النهاية جزء لا يتجزأ من تاريخ الفكر الإسلامي.

استحوذ هذا الموضوع على أهمية كبيرة على وجه الخصوص في فهم واستيعاب التاريخ العثماني بمجمله رغم حيازته على الأهمية نفسها في توصيف مكانة الفكر العثماني على وجه العموم داخل إطار الفكر الإسلامي وفهم محتواه.

على الرغم من تلك الأهمية المزدوجة، فالمعتقد أن السر وراء هذا الإهمال يكمن في الانطباع الذي ارتسم في نفوس العالم الغربي عن الدولة العثمانية. فضلاً عن الدور الذي أدته في الغالب كقوة سياسية وعسكرية.

إن الحديث هنا إنما هو صورة بلورتها أحاسيس الرعب والكراهية والانزعاج التي أسفرت عنها الانتصارات الظافرة التي حققتها تلك الدولة العظمى باسم القوة السياسية والعسكرية للإسلام في مواجهة الغرب على مدى حقبة طويلة من تاريخ يمتد لستة قرون.

إن الحياة الفكرية عند العثمانيين عجزت عن استشراف نهضة تتناسب ومستوى الفكر الإسلامي التقليدي أو مستوى الازدهار الذي حققه العثمانيون أنفسهم في المجالات الأخرى على مدى عمر دولتهم الذي امتد ستة قرون. والواقع أن أسباب ذلك ليست بسيطة جداً، وتختلف اختلافاً كبيراً عما يتصوره البعض وهنا ثلاثة عوامل هامة تكمن وراء تلك المسألة. هي:

١- إن الحياة الفكرية في العالم الإسلامي كانت قد فقدت وميضها قبل مائتي عام على الأقل قبل مجيء العثمانيين وعلى هذا الحال تسلم العثمانيون أمرها.

٢- طبيعة تركيب الأيديولوجية العثمانية في المركزية وهيمنة الدولة، على مجريات الأمور ثم أسلوب التفكير المرتبط بذلك.

٣- وجود الخطر الصفوي الذي أقلق سلاطين بني عثمان كثيراً (٢).

فالدولة العثمانية عندما وُضعت أسسها كإمارة تخومٍ صغيرة على الحدود البيزنطية في غرب الأناضول في أوائل القرن الرابع عشر، كان العصر الذي ازدهر فيه النشاط الفكري بكثافة في العالم الإسلامي ونشطت فيه المدارس الفكرية المختلفة قد انتهى

وولّى منذ مدة طويلة، وكان العالم الإسلامي آنذاك يسعى لتجاوز الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أسفر عنها الغزو المغولي.

وتدل البحوث والدراسات التي أجريت حتى اليوم في مجال تاريخ الفكر الإسلامي على أن أكثر الإنتاج الفكري نضجاً في العالم الإسلامي بدأ في الظهور مع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، علماً أن مرحلة الازدهار تراجعت لفترة استمرت أربعة قرون، ولم تلبث الحياة الفكرية أن دخلت مرحلة من الركود عند أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، وتوالت الإيضاحات والتفسيرات لتلك المرحلة حتى اليوم في أشكال شتى، فهناك من حاول تفسير ذلك الركود بالتركيب الداخلي للفكر الإسلامي وظروفه الخاصة، بينما ساء فهمة من قبل البعض وذلك على ضوء عدة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخلياً وخارجياً[٣].

أما المعلومات المتاحة اليوم فهي تدلنا على أن الأخذ بالرأيين معاً لأنه قد يكون أكثر واقعية. والدليل على ذلك بأن هناك عوامل مشابهة سوف تظهر لدى الفكر العثماني، وعلى كل حال فإن الهدف هنا ليس مناقشة أسباب الركود في الفكر الإسلامي، وإنما للتأكيد على أن أسس الحياة الفكرية في الإمبراطورية العثمانية توضّعت فوق هذا التراث الراكد.

ففي القرن الرابع عشر انتهت حياة الفكر الحر وحياة الجدل في العالم الإسلامي، وبدأت تظهر بدلاً من ذلك كيانات سياسية جديدة تكفلت برسالة حماية الإسلام ضد التيارات الخارجة على أهل السنة، وكانت الإمارة العثمانية هي الأخرى واحدة من تلك الكيانات الجديدة.

هذه الدولة الفتية التي تقوم بتوسيع حدودها عن طريق الفتح والضم، إما من أراضي البيزنطيين، وإما من الأمارات التركمانية الأخرى، كانت تهدف إلى تعزيز قوتها، وتدعيم أسس المشروعية التي تقوم عليها بين الأمارات الأخرى [٤].

والخلاصة إنه يمكننا القول: إن الإمبراطورية العثمانية شجعت على ظهور مناخ فكري في إطار الفكر السني الذي فرضته بشكل يناسبها ويلبي احتياجاتها العلمية، كمظهر طبيعي جيد للبناء الذي شيدته وطورته بما يتفق ونظرتها لمفهوم الدولة.

كما حرصت على مر القرون على عدم الانفصال عنه، بل أوقعت أشد العقاب بكل من حاول الانفصال عنه فها هي الحياة الفكرية العثمانية حتى عهد التنظيمات تضطر للتطور دائماً تحت هذه المظلة هيمنة الدولة، ومن ثم يجب علينا أن نرى فيها نتاجاً لهذه الظروف الخاصة بها.

الفكر السياسي العثماني:

١ ـ المفكرون السياسيون العثمانيون.

تمسك العثمانيون منذ أول عهدهم بمبدأ أن السلطان هو رئيس الجهاز السياسي والعسكري، ولهذا فقد أرغموا منذ أول عهدهم بالنظام الإقطاعي المعمول به لدى السلاجقة أمراء قونية، ثم جاء السلطان أورخان الثاني الملقب بالغازي وعين أخاه علاء الدين وزيراً له بناءً على طلب من علاء الدين نفسه، ومع توليه الوزارة قام بتنظيم الجيش وضربت السكة باسم السلطان أورخان بدلاً من السلاجقة، كما وضعت القوانين التي تخدم الدولة، فعلاء الدين هو أول وزير في الدولة العثمانية عمل على تنظيم النقود واللباس والجيش، وأمر أن يخطب للسلطان باسمه على المنابر، كما أن السلطان بيازيد الأول ١٣٨٩ ـ١٤٠٢ م، حصل على لقب السلطان من الخليفة العباسي في القاهرة في عهد السلطنة المملوكية باعتباره حامي الإسلام والمدافع عنه في وجه البيزنطيين (٥). لقد تمتع السلطان بسلطة سياسية مطلقة على جميع موارد الدولة وكان محصول الضرائب يصب في بيت مال المسلمين الذي بلغت إيراداته خلال السنوات العشر الأخيرة من حكم السلطان محمد الفاتح ١٤٥١-١٤٨١م. أربعة ملايين دوكة (٦) ثم ارتفع هذا المبلغ حوالي منتصف القرن العاشر الهجري إلى ما بين

١٠ – ٢٠ مليون دوكة، ويحتفظ السلطان بحصته منها لحين الازمات ولإقامة المشاريع الخيرية. أما السلطة التنفيذية فيرأسها السلطان ولم يكن الوزير سوى مستشار له ثم قوي مركزه مع مرور الزمن ودعمَ السلطان الفاتح هذا المنصب كثيراً حتى أصبح معتمد الباديشاه المطلق الصلاحيات وكان الصدر الأعظم يحمل الخاتم السلطاني رمزاً لقوته ويتقبل ولاء موظفي البلاط والدولة في أيام محدودة حيث مقر قصر الحكومة الحقيقي.

كان المفكرون من كبار موظفي الدولة وقد أسهموا في إغناء الفكر السياسي العثماني منذ القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر، وإذا نظرنا إلى الموضوع من جانبه الكرونولوجي نرى أن طورسون، هو أول من جذب الأنظار وهو أول رجل دولة عرف علامات التفكك في النظام العثماني وله رسالة وضعها في مسألة الجندرمة، وله كتاب أصفنامة، وكتاب تاريخ أبي الفتح، الذي يدور مجمله في الحكم والسلطنة. ومن المفكرين أيضاً المؤرخ الشهير مصطفى عالي ومن كتبه نصحة السلاطين، وقوجي بك، الذي دافع برسالته عن إحياء النظام العثماني التقليدي، وجلبي، الذي اشتهر برسالته (دستور العمل) وصاري محمد باشا الدفتر دار(٧).

٢ ـ أسس الفكر السياسي العثماني:

من الطبيعي في الفكر العثماني و خلال العهد الأول أن تتكشف صفة هيمنة الدولة على الفكر السياسي أولاً، ومن القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر لم يستطع أي كاتب في مجال الفكر السياسي العثماني أن يطورَ فكرة جديدة تختلف عن الأفكار التي وضعها المفكرون المسلمون الأوائل، فلم يكن للفكر السياسي العثماني دولة مثل دولة أفلاطون ولا مدينة فاضلة ولا أحكام سلطانية ولا مقدمة ابن خلدون وغيرها لأن السمة الأساسية لهذا الفكر لم تكن فلسفية وإنما براغماتية، علماً أن الفكر السياسي الفلسفي عند العثمانيين يقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ أفكار سياسية عثمانية قديمة أخذت شكلاً مختلطاً بالفلسفة السياسية الهندية القديمة.

٢ ــ الفلسفة السياسية الإيرانية المختلطة بالفكر السياسي الهندي القديم.

٣ ــ الفكر السياسي العربي المسلم الذي بدأ برسائل الكندي الفيلسوف الشهير في القرن التاسع الميلادي الثالث الهجري.

وإذا أخضعنا المؤلفات العثمانية بهذا الخصوص لتحليل عام فسوف ندرك أن الفكر السياسي العثماني اعتمد التقليد في الفكر السياسي منذ بداية الدولة متأثراً بالتقاليد السياسية البيزنطية بالتوازي مع اكتساب الدولة في القرن الخامس عشر بوجه خاص لتركيبها المركزي بالمعنى التام، لأن الفهم السياسي العثماني مهما رأى في العدالة دَيْناً عليه للرعاية، فإنه يؤثر فيهما المجتمع المحافظ بشكل واضح جداً كما يؤثر الحرص على عدم المساس بالوضع القائم (٨).

يرتكز الفكر السياسي العثماني على السلطان ورجال الحكم والجيش والخزانة والرعايا وعلى أوضاع هؤلاء والواجبات والمسؤوليات المتبادلة فيما بينهم في إطار العلاقة بين الحاكم والمحكوم التي لها قضايا رئيسة تمتلك أسس فكرية قليلة العدد وهي لا تتعدى الثلاثة.

ولهذا تنحصرُ كتب السياسة في الموضوعات التالية:

١. كتبُ السياسة (السياستنامة).

٢. كتبُ النصح والإرشاد (نصيحاتنامة).

٣. لوائح الإصلاح (إصلاحات نامة).

ويأتي موضوع جهاز الحكم على رأس القضايا التي تتناولها كتب السياسة وكتب النصيحة العثمانية وينادي طورسون بك بضرورة وجود سلطان أو حاكم، وهو بمثابة

(رئيس وزراء حالياً) لكي يحفظ النظام بين الناس ويضع كل شخص في الموقع الذي يناسبه من حيث ظروفه الخلقية وقدراته الذهنية والعقلية.

فالصدر الأعظم: هو المعاون الأول للسلطان في الدولة.

-**الجندي.** الذي يأتي في مقدمة الأمور التي يحتاجها السلطان لحماية ملكه فالجيش القوي ضروري لحماية الحدود والغزو والجهاد والقضاء على المفسدين في الداخل.

-**الخزانة.** تجهز الخزانة من عظائم الأمور لأنها أساس السلطنة.

-**الرعايا.** وهم سكان الولايات متفرقون حسب صنعتهم (أهل الحرب، أهل العلم، أهل الكتابة، أهل الفلاحة، أهل التجارة....) أو بحسب دينهم (مسلم، مسيحي، يهودي)، ولم يكن قد ظهر فيهم أساس أو فكرة لبناء تضامني جديد (٩).

الفكر الصوفي العثماني:

١ – التصوف وأثره في المجتمع العثماني:

اختلف الناس حول بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها، كاختلافهم في أصله وتعريفه، فذكر ابن تيمية، وسبقه ابن الجوزي، وابن خلدون في القول إن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتهر بعد ذلك.

وصرح عبد الرحمن الجامي بما يلي:
"أن أبا هاشم الكوفي أول من دُعي بالصوفي، ولم يسمَّ أحد قبله بهذا الاسم، كما أن أول خانقاه بني للصوفية هو ذلك الذي في رملة الشام.
وأما القشيري فقال: " اشتهر هذا الاسم بهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة ".

وأما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف مثل نيكلسون الذي يرى أن لفظة التصوف أطلقت على أبي هاشم الكوفي المتوفى سنة ١٥٠هـ، ولكن المستشرق الفرنسي ماسينيون يرى غير ذلك فيقول :

"ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، إذ نعتَ به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور".

أما صيغة الجمع (الصوفية) التي ظهرت عام ١٨٩ هـ ١١٤م في خبر فتنة قامت في الإسكندرية [١٠]، كانت تدل في ذاك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي نشأ في الكوفة، وحسبما تقدم فإن كلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة وبمثل ذلك قال ابن خلدون.

وخلاصة القول إن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو في عهد أصحابه.

يمثل التيار الديني الصوفي الفرق الصوفية المختلفة والمتنوعة وشيوخها في الخوانق والزوايا والربط، وقد لاقى هذا التيار من الدولة العثمانية التأييد والتشجيع.

وكان هذا التيار في بدئه زهداً، وتقشفاً، وإعراضاً عن الدنيا وزخرفتها، ولم يلبث أن تطور مع مرور الزمن وأصبح مزيجاً من الزهد، والفلسفة الناجمة عن مزج الفلسفة الأفلاطونية والأفلوطينية، والمؤثرات الهندية، وبعض المعتقدات المسيحية المتأثرة، بالتعاليم الإسلامية، ونتج عن هذا المزج قولهم بمعرفة كاملة لطبيعة الله وصفاته، لا عن طريق العقل؛ بل عن طريق القلب والكشف الإيحائي.

وقد استخدمت الدولة العثمانية هذه الطرق لخدمة مصالحها وسهولة الحكم في منطقة الأناضول التي تعج بالأجناس المختلفة والمتنوعة. فضلاً على أنها كانت مركز للطرق الصوفية.

وسنبدأ بمحاولة كشف أصول هذه الطرق، وفروعها وانتماءاتها وزواياهـا وتقاليـدها وعاداتها، مع السلطات العثمانية، وعلاقاتها مع بعضها، وعلاقاتها مع المجتمع.

من حيث الأصول والتفرعات نرصد الطرق الآتية:

النقشبندية، الخلوتية، السفرجلانية، المولوية، القلندرية، الحيدرية، الرفاعية، الجيلانية، السعدية أوالجباوية، الشاذلية، الصمادية، النحلاوية، المحيويـة، الرشـيدية، البكريـة، التغلبية، الهاشمية، التلمسانية، الأحمدية، العلوانية، الشيبانية، البرهامية، الـسهروردية، البكتاشية، الجشتية، وهناك تفرعات كثيرة لا يسعنا ذكرها.

ولم تكن هذه الطرق على درجة واحدة من الأهمية وكان يرأس هـذه الطـرق شـيخ مشايخ مهمته التحدث إلى جميع الخوانق والفقراء، ولدى هذا الشيخ سـجلات تحمـل أسماء النازلين بالتكايا [١١]، وسجلّ بمبالغ الأموال التي كانت تصرف على كل خانقاه.

لقد قامت الدولة العثمانية بتأييد هذه الطرق وحمايتها، واعتمدت هي تفـسها(الطريقـة البكتاشية[١٢]، والطريقة المولوية[١٣]) وسعت لإحلال الوفاق بين العلمـاء والآخيـات الصوفية وبالفعل فإنه حدث إبان الحكم العثماني وحتى القرن الثامن عشر نـوع مـن التوافق المستكين بين التيار الفكري الصوفي والتيار السني، ممـا أدى إلـى اتـساع الساحة التي اكتسبها التصوف، حتى أن العديد من العلماء انخرط في الفرق الـصوفية العديدة، واختلط الأمر على أفراد الشعب فأخذت هي الأخرى تنتمي إلى تلك الفـرق، وغدا للتصوف مراكز دائمة ونشاط مستمر، وأصبح من الطبيعي بالنسبة لذلك العصر أن يربط كل فرد نفسه بطريقة من الطرق.
هذا الأمر فسح المجال واسعاً أمام تدخل الطرق الصوفية في شؤون المجتمع فأصبحت مؤسسة اقتصادية واجتماعية إلى جانب كونها دينية.

وقد بدت سياسات السلطة العثمانية الناشئة في مراحل تكونها واسـتقرارها، وكأنهـا تعبير ثابت عن تشريعات ارتضتها قوى المجتمع بغية تحقيق العدالة بين رعاياها.

ولقد كان لهذا الأمر نتائج خطيرة منها:

١- انصراف عدد كبير إلى طرق وانقطاعهم للعبادة والزهد، مما سبَّب انعدام العقول التي اتجهت للتفكير فرضها واقع المجتمع وغدت مقبولة لدى العامة و الخاصة.

٢- لم يرَ العامة من الناس في وصفية الأفكار العميقة والعلم الغزير مؤثرات تثير قلقهم، وإنما أعجبهم منها حلقات الذكر والتمسح بقبور الأولياء.

٣- ساد لدى المجتمع اعتقاد عميق بالقدر المطلق[١٤].

ويبدو أن النشأة الأولى لهذه الطرق وظهورها كان في زمن السلطان محمد الأول (١٤١٣- ١٤٢٠) م. وذلك عندما قامت حركة تدعو إلى التآخي بين الأتراك والمسيحيين، وشجعت على قيام الثورة على السلطان محمد الأول، قادها قاضي العسكر الشيخ بدر الدين، وبعد أن قضى السلطان محمد الأول على هذه الحركة عمد إلى التقرب من هذه الفئات الفقيرة بأن رعى حركة خيرية ذات طابع صوفي أسسها ولي في أنقرة هو /الحاج بيرم/.

ولم تكن رعاية الدولة العثمانية لهذه الحركة الصوفية حادثاً منعزلاً، وإنما تدل على التعبير عن الرابطة القوية التي شدت الدولة العثمانية إلى الطرق الصوفية في مختلف قفزاتها، وقد لجأت الحركات الصوفية إلى مناطق الثغور وطبعت الغزاة بطابعها (الطابع الجهادي) [١٥].

وبمقابل تلك الاتجاهات الفكرية الصوفية قامت حركات مناهضة لها ومنكرة لأعمالها حيث، بدأت بحركة ابن تيمية في القرن الثالث عشر الذي استنكر الكثير من الأعمال التي تقوم بها هذه الطرق، وأنه منافٍ للأصول الإسلامية. وفي القرن الثامن عشر قامت الحركة الوهابية التي تنسب إلى محمد بن عبد الوهاب[١٦] ونهجت النهج الذي اتبعه ابن تيمية[١٧]، في مقاومة هذه الأفكار، وضرورة العودة إلى الإسلام الصافي،

ونبذ البدع والخرافات، وبسبب هذه الأفكار وقع العداء مع هذه الحركات الصوفية، مما دفع الدولة العثمانية إلى محاولة القضاء عليها [١٨].

٢ ـ التصوف العثماني ومدارسه:

إن نقطة الارتكاز الأولى في الفكر الصوفي العثماني هي التصوف الشعبي في بلاد فارس وأسيا الوسطى وهذا التصوف الشعبي كان يتجلى في شكل أسلوب حياة روحية تطورت تحت تأثيرات شديدة الدقة أكثر من موجهاٍ لعدد من النظريات والأفكار الصوفية، قد تكون ميزته الناشئة عن صبغته وشخصيته الملامية الخراسانية التي هي أصله ومرجعه، وهذه الأفكار الصوفية الملامية الشعبية كانت تحمل صبغة نظرية "وحدة الوجود" التي نظمها محي الدين ابن عربي[١٩] أكبر علماء الصوفية على الإطلاق بعد القرن الثالث عشر الميلادي، حيث ستتشكل القاعدة المشتركة التي سوف تجمع بين الفكر الصوفي العثماني الشعبي والعالي على السواء، وهذه القاعدة المشتركة سوف تندثر بأشكال تعبير ومظاهر خارجية مختلفة في هذين الفكريين الصوفيين المتلازمين، وبعد القرن الخامس عشر أخذ الفكر الصوفي العثماني في التطور بفضل مساهمة المولوية، والخلوتية، والملامية، والبيرامية، واستطاع أن يعزز إنتاجاً بمستوى عالي "فلسفة وحدة الوجود" أكثر رقةً ودقةً وبعد القرن الخامس عشر نلاحظ أن تقليداً فكرياً صوفياً أخذ ينمو في رعاية شديدة لمعتقدات أهل السنة وهذا الخط جرى اقتسامه على يد محمود عزيز هدابيني، مؤسس الطريقة الخلوتية بين أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر.

إن الفكر الصوفي خلال العهد التقليدي يمكن رؤيته في إطار مدرستين أساسيتين تطورتا على الأسس التي سعينا لإيجازها وتأصلت في القرنيين الثالث عشر والرابع عشر، وهما:

١. مدرسة في الجذبة ووحدة الوجود: أصلها من خراسان وتطورت في فرعين متوازيين أحدهما هرطقي، والثاني رشيد.

٢. مدرسة في الزهد: تطورت على مذهب أهل السنة تماماً، لكنها كانت على مستويين أحدهما للعامة والأخرى للخاصة (٢٠).

أ ـ مدرسة وحدة الوجود الشعبية وأهل الجذبة ونظريتها :

إن تقاليد الفكر الصوفي جاءت إلى الأناضول على أيدي احمد يسوي، وأبي الوفا البغدادي، اللذين جاءا مع الهجرات التركمانية، هذه التقاليد يمثلها أتباع القلندرية (أبدال الروم) ومع أن الفكر الصوفي برز بوضوح في جانبه الميال إلى الجذبة والوجود الصوفي القوي بين أتباع أحمد يسوي والبغدادي قبل دخول الأناضول، وربما تعرف على وحدة الوجود في القرن الثالث عشر، وجميعهم يتغنون في أشعارهم بمفهوم راسخ جداً لوحدة الوجود تحت تأثير الجذبة القوية والوجود العارم وزياده المتصوفين الذين استخدموا معنى الملامة، وعلى ما يبدو أن الشعر كان مفضلاً في التعبير عن الفكر الصوفي وأحياناً النثر، وجاءت طائفة حاجي بكتاش، التي أسفرت عن ظهور البكتاشية التي عرفت فكرة وحدة الوجود، وإن كل من جاء من هذه الطائفة فيما بعد لم يتجاوز التقليد والمحاكاة التامة لما صاغوه من ترنيمات وأفكار (٢١).

ب ـ نظرية وحدة الوجود:

لقد بدأت مع صبغة شبه فلسفية مع الشيخ بدر الدين في القرن الخامس عشر ليظهر فيما بعد مع التيارات الصوفية الأخرى، وقد سعى هذا الفكر إلى البقاء قدر طاقته في إطار السنة وأيضاً ظهر عند بعض الطرق الصوفية كالنقشبندية والمصدر الوحيد الذي يبرز الأفكار الصوفية عند الشيخ هو كتابه /واردات/، وهذا الكتاب ينقسم بين التصوف والفلسفة، إذ نرى أن الشيخ بدر الدين يدرس مسائل منها (ماهية الله، النبوة، الروح، الآخرة، الجنة، الملائكة) وهي من القضايا الأساسية في الفلسفة وعلم الكلام

عند المسلمين، حيث تناولها بإسلوب الفيلسوف العقلاني، وفي رأيه أن الله والكائنات أمران متجانسان والكائنات أبدية، أما الروح فهي قدرة جسد الإنسان على الحياة [٢٢].
إذاً مفهوم الوجود عند الشيخ بدر الدين يحمل صبغة فلسفية ولعل سبب التفسير هو ما تركه من آثر الفيلسوف الأخلاقي فيه والشخصية الأخرى التي تستدعي الانتباه هي شخصية الصوفي الشهير نيازي المصري، أحد المشايخ المنسوبين إلى الطريقة الخلوتية (من الخلوة) في القرن السابع عشر، فقد طرح أفكار غريبة ولاسيما في كتابه موائد العرفان، ومن أفضل الرواد الذين تمسكوا بالإطار الشيق للفكر الصوفي الرفيع المرتكز على وحدة الوجود هو الشيخ عزيز هدائي، مؤسس الطريقة الجلوتية التي تفرعت عن البيرامية، وكان هدائي يسعى لتفسير وحدة الوجود في إطار الشريعة، كما كان الشيخ الشهير إسماعيل حقي البرسوي يسير على النهج نفسه وهو كاتب غزير الإنتاج وكان يرى نفسه نداً لمحي الدين ابن عربي، وهناك أيضاً منلا سيماوي، من مشايخ النقشبندية.
إن الفكر الصوفي العثماني جعل من وحدة الوجود محوراً أساسياً ضمن مراحل تطوره ونضجه الذاتي من أقصى النظرات إفراطاً إلى أكثرها اعتدالاً سواء في الإطار الهرطقي أو في الإطار السني الرشيد، ومن ثم فإن الفكر الصوفي العثماني يرتكز في كل جوانبه على مذهب وحدة الوجود [٢٣].

مميزات الحياة الفكرية عند العثمانيين:

١. الحياة الفكرية العثمانية بكل أبعادها استمرار للفكر الإسلامي الذي كان قد دخل حياة الركود منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وعلى ما يبدو أن كل النواحي والمذاهب في هذا الرصيد الفكري كانت قد تشكلت قبل ظهور العثمانيين فانعكست على الفكر العثماني.
٢. إن التركيب المركزي للدولة العثمانية قد فرض وجوده بشكل واسع في مجالات الفكر السياسي والديني بصورة خاصة واستخدمت الدولة هذه المجالات بالشكل

الذي يخدمها في تقوية وتعزيز التركيب بصورة ربما لم تحدث من قبل في تاريخ الإسلام، وقد شكل هذا العامل حائلاً دون الابتكار والخلق في تلك المجالات المذكورة إضافة لذلك فقد أدى إلى ظهور ردود أفعال في المجال الديني ويسبب في نشوء تفسيرات ووجهات نظر بديلة.

٣. إن تاريخ الفكر العثماني لم يشهد حركة فكر فلسفي بالمعنى الحقيقي، أما الأعمال الفلسفية التي بدت وكأنها موجودة في عهد معين فهي لا تعدو أن تكون جهوداً في إطار الكلام الموجه لنقد الفكر الفلسفي ومناهجه أكثر من كونها موجهة لفكر فلسفي بذاته، وعلى هذا لم تحظَ الفلسفة بتقدير إلا بمقدار قدرتها على مساعدة العلوم الدينية.

٤. يجوز استثناء الفكر الصوفي من هذا الواقع الذي أسفر عنه مفهوم الدولة المركزية من حيث الأساس عند العثمانيين، ومع أن الفكر الصوفي قد بقي في إطار أكثر تحرراً وضمن قوالب هرطقية أو إما في إطار معتقدات أهل السنة في الظاهر، فإنه قد ضغط قدر الطاقة على هذا الإطار ووجد لنفسه مخرجاً على محور وحدة الوجود فاستطاع إنقاذ نفسه نوعاً ما بالقياس إلى المجالات الفكرية الأخرى من سيطرة النظام المركزي. وهكذا نرى أن فكر وحدة الوجود الذي كان يبلغ أحياناً حد المغالاة، وقد شكل تقليداً إسلامياً روحياً لفهم الإسلام الرسمي نوعاً ما[٢٤].

المجتمع العثماني.

الأوضاع العامة للمجتمع العثماني:

لقد برزت الدولة العثمانية على ساحة الوجود سنة ١٢٩٩ م، حيث تبنت إلى جانب إعلان الإمارة مسألة الغزو في آسيا الصغرى ضد الإمبراطورية البيزنطية، مشكّلة بذلك نقطة تحول الوجود التاريخي على مدار قرون عدة، فحولت جيرانها ومؤيديها إلى كتل عسكرية قبلها الجميع طواعية تحت مسوغ الجهاد ونشر الإسلام، فخلقت بذلك

مجتمعاً يتميز بصفة دينية عسكرية رغم التباينات الموروثة لعناصر هذا المجتمع المتفاوتة حيث أصبحت إسلامية الصيغة والطابع.

تواترت الروايات حول عبور العثمانيين الدردنيل واستقرارهم هناك، الأمر الذي أنذر من حولهم من دول "وإمارات" أن البلقان وآسيا الصغرى، غدت أملاكاً لهم وأن إمارتهم التخومية التي كانت تعيش على هامش الأحداث تبدلت مكانتها ولاسيما السياسية منها، وبفتح القسطنطينية ١٤٥٣م أصبحت الإمبراطورية رئيسة في القرار، لأن سليمان باشا ابن السلطان أورخان ١٣٢٦ -١٣٥٩ م رسخ وجوده على شبه جزيرة غاليبولي سنة ١٣٢٥م، كحليف لجان كانتوكوزانوس (John Cantocuzenus) المدّعي للتاج البيزنطي [٢٥].

إذاً : كانت الدولة العثمانية تكبر بفضل المؤسسة العسكرية،إذ إن الهيكيلية الإدارية للدولة المرتقبة شهدت خضوعاً قسرياً بفعل الفتوحات المدعومة من منظمات جهادية، وبالمقابل فإن الطرف المعادي للعثمانيين لم يكن مؤهلاً لمواجهة مقاومة أقل ما يقال عنها إنها شرسة إلى حد كبير.

لقد تأكدت عسكرة المجتمع العثماني غير المتجانس خلال المراحل الأولى أي قبل سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣م عندما وضعت الإيالات [٢٦] والسناجق والمقاطعات الفرعية تحت أمراء عسكريين عرفوا ببكوات السناجق أو أمراء الألوية. علماً بأن العثمانيين لم يفكروا جدياً بالمجتمع غير العسكري، وقد استمرت هذه النظرة متأصلة بهم حتى مطلع القرن الثامن عشر عندما بدأ النفوذ المحلي يتعاظم بشكل أرغم بعض قوى السلطة على الاعتراف بخطر التغيير القادم من خارج أراضي الدولة والمتضمن إصلاح شؤون الدولة العثمانية ظاهرياً تحت شعار أن ما تمتلكه من نظم إدارية لم يعد يتلاءم وواقع المجتمع العثماني المدني، وأن عسكرة المجتمع لم تعد هي الأخرى

مناسبة لمجتمع يتطلع إلى اللحاق بالحضارات ولاسيما الأوروبية التي اعترفت بقيمة الفرد ودوره في مجتمعه ومحيطه.

توافدت الأفكار الإصلاحية على المجتمع العثماني الذي تفكك رسمياً بعد فساد نظام الإنكشارية وانصرافها عن الدفاع عن الوطن والقيام بالمهام الملقاة عليها، فضلاً عما يتخلل الهيكلية الإدارية من فساد وانحلال أسهم في زيادة الفرقة الاجتماعية والعرقية والدينية، فالمجتمع المخملي الذي تباهت به الدولة العثمانية منذ سقوط بورصة(٢٧) بأيديهم وحتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر لم يعد موجوداً، والحركات الثورية أو الاحتجاجية التي بدأتها بعض الزعامات المحلية داخل مركز السلطنة أو في ولاياتها أسهم في تمزيق المجتمع الملتزم بالنهج العثماني برقابة صارمة من العسكر(٢٨).

عدَّ المؤرخون أن دولة المجتمع العثماني تكونت بترأس أطغرل بك ٢٣١ ـــ ١٢٨١م لها بعدما اتخذت قبيلة قايي، التي انفصلت عن بعض القبائل الأخرى هيئة اجتماعية متضامنة، بعدما خضعت في البداية ونظرياً لسلاجقة تركيا ثم للإيلخانيين من بعدهم.

مما لاشك فيه أن التجمعات الغزيّة، الوافدة من كل الأطراف، كانت قد تجمعت في مناطق الأناضول خلال السنوات العشر التي تلت انتصار الأتراك في ملاذكرد سنة ١٠٧١م، وباستمرار كانت تتغذى هذه التجمعات بموجات جديدة كثيفة نتيجة الزحف المغولي، مما أكسب مناطق الأناضول الصبغة التركمانية (الغزية) وبفضل هذه الهجرات غير المنظمة، بدأت أعداد كبيرة جداً من الأهالي تنتقل إلى العثمانيين فكونت المجتمع العثماني والدولة القابلة للعثمنة دون إثارة مشكلات ولو جزئية، لأن التجمعات التركمانية الفارة من ضغط المغول، وجدت مع قبيلة قايي، مأمناً يقيها التشرذم الذي يفرضه واقع الأناضول المضطرب والعكس هو الصحيح، فالعثمانيون وجدوا مأمناً في المجتمع السلجوقي (التركماني) الذي كان قائماً في الأناضول (٢٩).

فاتساع حدود الدولة، هيأ للأهالي الانخراط في المجتمع المصاغ عسكرياً من قبل العثمانيين ولاسيما ما اكتسب الصفة القانونية ولكن بحدود معينة قد لا تقنع علماء الاجتماع، لأن ما جرى لم يكن بموجب صيغ قانونية، وإنما تنفيذ لمفهوم الإنسان والمجتمع عند العثمانيين وتطبيقاً لفلسفتهم في الحكم والإدارة المتطابق لمفهوم معين هو أن الإنسان أشرف المخلوقات وهو حضري بطبعه، ومن ثم فهو بحاجة إلى الآخرين لضمان عيشه ومواصلة حياته.

إن هذه النظرية شكلت الأساس الفلسفي لواقع المجتمع المفروض على الأرض بالنسبة لنظام المجتمع العثماني، وهذه الفلسفة الاجتماعية لا نراها في الكتب النظرية، وإنما في وثائق دور المحفوظات الخاصة بالتطبيقات في مجالات شتى، ولكنها تعتمد على الآية الكريمة: (أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجت ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون).

لقد فسر الأتراك ذلك دائماً بأن الله عز وجل خلق الناس مختلفين في الملكات والمواهب لحكمته في تشكل الحياة في المجتمع ودورانها بشكل سليم. وبناء على ما سبق، واستناداً إلى الأسس الاجتماعية المعتمدة لدى الأتراك العثمانيين فإن عناصر العدالة والدولة والشريعة والسيادة والجيش والثروة والأهالي التي تشكل حلقات (طوق الحقانية) شكلت العناصر الرئيسة والأساسية لبناء المجتمع، وتؤكد فلسفتهم الاجتماعية هذه بأن انعدام أو فقدان حلقة من تلك الحلقات يؤدي بالضرورة إلى انهيار الدولة وتفكك المجتمع [٣١].

لقد أسفرت عن هذه الفلسفة نظمٌ حتمت على العثمانيين تقسيم المجتمع إلى فئتين. الأولى فئة الحاكمين (العسكريين) التي تتكون من الأشخاص الذين وقفوا إلى جانب السلطان فاعترف بهم بموجب مرسوم خاص منه بصلاحيات دينية أو إدارية، أما الفئة

الثانية فهي فئة المحكومين الذين لا يشاركون في الحكم بشكل من الأشكال، ويتكونون بالأصل من جماعات مختلفة دينياً وعرقياً، فرضت عليهم الظروف بشكل عام التـأقلم مع الواقع العسكري للمجتمع العثماني الذي أرغم تلك الجماعات على أن يكونوا دعماً لفئة الحكام وذلك عن طريق تأدية الضرائب والإنتاج [٣١]. وإذا كان القانون العثمـاني المنظم لشؤون الإدارة والحكم قد يستمد بعض بنوده من الأعراف والعادات التي تربت عليها القبيلة يخول رئيس القبيلة صلاحيات واسعة لا يحدها لا قانون ولا دستور على الأقل قبل التنظيمات وفترة الإصلاحات، فإن الواقع لا يؤكد تمتعه بتلك الـصلاحيات لاسيما بعد عهد السلطان سليمان القانوني ٥٢٠ -١٥٦٦ إلى الصدر الأعظم مباشـرة مجمل الصلاحيات وحمله الخاتم وعهد إليه قيادة الجيوش، فـضلاً عـن صـلاحيات أخرى، غير أنه قيده ببعض القيود التي تؤكد أن الدولة مرتبطة بـشخص الـسلطان، وليحد من صلاحيات الوزير الأعظم، وضع رقابة شيخ الإسلام كسيف سـلط عليـه، وعلى الرغم من أن الصدر الأعظم قد احتل مكانة مرموقـة فـي الدولـة غيـر أن أشخاصاً آخرين كانوا مساعدين له ومراقبين في آن واحد.

إذاً: لو ركزنا أنظارنا على ماهية التوجه العثماني الاجتماعي والتاريخي الكامن وراء الممارسة والتفكير، فإنه لا يبقى شيء غير مفهوم في البنية السياسية المجسدة للمجتمع المعروف باسم [الباديشاهية العثمانية]، وأن المجتمع العثماني بنيَ في غايـة المثاليـة المادية فكل أيديولوجيته تدور في فلك الدين الإسلامي الذي يتناول المـسائل الدنيويـة حتى أعماقها دون أن يغرق في أية أوهام حول الحقيقة المادية للعام [٣٢].

التنظيم الاجتماعي عند العثمانيين:

١ – المرأة:

رغم أنه كان للمرأة دور إيجابيٌ في الأسرة الواسعة المتفرعة إلا أنها بقيـت طـوال العهد العثماني أسيرة للعادات والتقاليد التي لا يمكن أن تتجاوزها فتوجب عليها العيش

بهذه الطريقة، دون إحداث أي تغيير في وضعها، و المرأة العثمانية الأولى، منذ قدوم العثمانيين إلى الأناضول، هي بطبيعة الحال امرأة بدوية، حيث عملت إلى جانب الرجل في الحقل وقامت بأعمال الرعاية والاحتطاب، والعمل المنزلي، وأعمال النسيج والحياكة، إلا أنها كانت دون الرجل مرتبة، ونُظر إليها نظرة دونية.

كما يذكر هنري كينر قنصل فرنسا في بيروت بقوله لا يتحدثون أبداً عن امرأة دون أن يستدركوا بقولهم:" أجلك الله" يشبهون فقدان الزوجة، بالألم الذي يشعر به عند اصطدام الكوع بشيء بشدة، يقولون إنه ألم موجع ولكنه لا يلبث أن يزول سريعاً.

كما كانوا يتحاشون ذكر أسماء نسائهم حينما يتحدثون عن أسرتهم فيعبر الرجل عن زوجته في معرض الحديث.... بهذه التعابير التقليدية: أهل البيت، بيت عمي، أو أم فلان... إذا ما استعملوا كلمة امرأة فحسب، أن يشفعوها حالاً بالاستدراكات اللائقة كما لو كانوا يتحدثون عن شيء خسيس دنيء، وعلى ضوء هذه النظرة يمكن فهم ظاهرة تقبيل يد الزوج كل صباح وعند خروجه من المنزل، من قبل زوجته، وهذا دليل على الطاعة وانقيادها له [٣٣].

ولم يكن لها أية حقوق كزوجة، وحرمت من حق اختيارها لزوجها، ومن حق التعليم لأن تعليم المرأة حسب وجهة نظر المجتمع في ذلك الوقت، يؤدي إلى إفسادها.

وعندما مرَّت بأمتنا الإسلامية عصور من الجهل والانحطاط نتيجة سياسة العزلة التي فرضتها الدولة العثمانية على ولاياتها، مما أدى إلى تفشي الأمية، وحرمان المرأة من معظم حقوقها في الإسلام كحقها في التعليم، واحترام رأيها، والمشاركة في الحياة العامة، كما كانت في عصور الإسلام المختلفة، ولاسيما في عصر صدر الإسلام، ونظروا إلى المرأة نظرة دونية، لسوء فهمهم للقوامة، وللحجاب، ولحديث نقصان عقل المرأة [٣٤].

ولقد عانت المرأة المسلمة في عصور العزلة والجهل، ولا تزال تعاني حتى الآن أمَــرَّ المعاناة من النظرة الدونية لها، إذ اعدّ الرجل أن المرأة دونه مرتبة باعتبــاره قيمــاً عليها، وعدّ أن القوامة استعباد واسترقاق للمرأة، وأن الرجال قوامون على النساء في كل الأحوال، فما دام هو رجل فهو قيم على المرأة حتى وإن لم تكن له أية صلة بها، وليس من حق المرأة أن تناقش الرجل وتعارضه في الرأي، وما زالت رواسب هــذا الفهم في عقول البعض، فالقوامة في الإسلام هي مسؤولية وتبعات، وحمايــة وأمــان لمن يعولهن الرجال وينفقون عليهن، وليست قوامة كل الرجال على كل النساء كمــا فهمها البعض، والآية الكريمة توضح هذا المعنى، إذ يقول جل شأنه: (الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم..) [٣٥].

وترتب على هذا الفهم الخاطئ للقوامة حرمان المرأة الكثير من حقوقها، إذ حكم عليها بالجهل، وكذلك حرمت من حق اختيار الزوج، وزوجت غصباً وكرهاً، وكذلك حرمت من حق إبداء الرأي، بل حرمت من أهليتها الحقوقية المالية، فبحكم قوامة الرجل على المرأة حكم عليها بعدم الأهلية، معلناً وصايته عليها، فلا يحق لها أن تتــصرف فــي مالها كما تشاء، فمالها يكون في حوزته، وقد يتــصرف فيــه دون إذنهــا، أو أخــذ مشورتها، ولكن لا يحق لهم أن تتصرف في مالها إلا في الحدود التي يأذن لهــا، ولا يزال بعض الرجال يعدون أنفسهم أوصياء على أموال من لهم الولاية عليهم، ويعدون المرأة قاصراً حتى ولو كانت في الستين، وهذا يتنافى مع ما جاء به الإســلام الــذي أزال عن المرأة الحكم عليها أنها قاصر، وأقر بأهليتها المالية [٣٦].

ولم يكتفوا بتعبير المرأة بنقصان عقلها، بل أساؤوا إلى مفهوم الحجاب فــي الإســلام، وأعطوه معنى القهر والحبس، ونظروا إلى المرأة أنها مصدر كل فتنة، ومصدر كــل رذيلة، وأن كل ما فيها مصدر إثارة للرجل، وتعاملوا معها من هذا المنطلق، وأهملوا كل ما لها من حقوق، وأنها إنسان، شريكة لأخيها الإنسان (الرجل) في حمــل أمانــة الاستخلاف، ولا يكادون يستوعبون حكمة الله في تكليفها بمختلف التكاليف، ومنحهــا

مختلف الحقوق السياسية والاجتماعية، والإنسانية، والاقتصادية، والمدنية، وتقرير أهليتها لذلك (٣٧).

٢ ـ الزواج:

إن الإنسان لكي يستطيع أن يحمي نفسه من غوائل الطبيعة لابد له من منزل وأمتعة، ولكي يحمي جنسه ويحافظ على نسله لابد له من زوجة وأولاد، ولكي يستطيع أن يمنح أولاده قدراً كبيراً ممتداً من التربية اللازمة لهم لابد له من عائلة.

والأب الذي يرأس عائلة تضم الزوجة والأولاد والخدم حريّ به أن يكون به عارفاً بصنعة الإدارة، فعليه أن يكون كالإداري والطبيب الحاذق. ولا بد له أن يكون ذا حرفة في التجارة أو الزراعة أو غيرها ليتكسب منها، ويعرف أيضاً كيف ينفق قسماً مما كسب، أو بمعنى أصح القدر الضروري منه، ويوفر لنفسه المأكل والملبس بالقدر الذي يحافظ به على صحة بدنه، ويتزوج لأجل الحفاظ على النسل. ولا بد أن يكون الهدف الأسمى لصحة البدن هو تحصيل العلم والمعرفة " فالمال لأجل الراحة في الحياة، وإلا فإن الحياة، ليست لجمع المال".

ويحبذ أن تكون المرأة صحيحة البدن عفيفة، تتمتع بالقوة والكفاءة، حتى تحمي بيتها. وعلى الزوج أن يكتفي بزوجته الأولى، فلا يأخذ عليها امرأة أخرى أو جارية والرجل في الدار كالروح في الجسد، وكما لا تكفي روح لجسدين لا يكفي الرجل الواحد أيضاً لدارين (٣٨).

وهذه الآراء في المجتمع العثماني لم تبق أقوالاً مجردة، بل جرى تطبيقها وتدل الدراسات التي أجريت حول العائلة العثمانية من خلال سجلات المحاكم الشرعية على صحة ذلك. والشاب أو الشابة اللذان قررا الزواج بإرادتهما، أو بالتشاور مع عائلتيهما كانا يتوجهان بنفسيهما في الغالب إلى المحكمة، وأحياناً يقوم أحد الطرفين أو كلاهما بإرسال وكيل عنهما إلى المحكمة، أو أن يجري استدعاء الموظف المختص في

المحكمة إلى الدار، فيعلنان في حضور الشهود عن نيتهما في الزواج، فيجري عقد النكاح، ويتم تسجيل العقد في سجلات المحكمة.

ويقدم الشاب عند الزواج[٣٩] قدراً من المال للمرأة يعرف باسم (مَهرْ) وهو تقليد عربي قديم أقره الدين الإسلامي لصالح المرأة، فجعل هذا الصداق من حقها بالكامل. وليس لأحد غيرها وهو يختلف عن عادة الـــ (بَاشْلِق) أي بدل التربية، غير أن الناس يخلطون بينهما أحياناً، وإن كان للأتراك قبل الإسلام عادة من مثل ذلك، عُرفت باسم (قالين)[٤٠]. وكان الفصل بين مال الزوج ومال الزوجة هو الأساس حسبما جرت عليه القوانين والتشريعات العثمانية، وهو أمر مصدره الإسلام، وتدلنا سجلات المحاكم الشرعية على أن الناس لم يُقبلوا على تعدد الزوجات. وقد جاء في دراسة أجريت على سجلات أواخر القرن التاسع عشر الخاصة بمحكمة قرشهر، أن أربعة فقط من مجموع / ٢٤/ رجلاً تزوجوا للمرة الثانية، فضلاً عن أن السبب وراء ذلك هو طلاق الزوجة الأولى، أو الرغبة في إنجاب طفل ذكر[٤١]. يقول الراهب الألماني البروتساتني /سولومون شويغر/، الذي زار تركيا في نهاية القرن الثامن عشر، حول موضوع تعدد الزوجات : إن الأتراك يحكمون الدنيا، وتحكمهم زوجاتهم. وليس هناك نسوة يتنزهن ويَفرحِنَ أنفسهن بقدر المرأة العثمانية. وليس بينهم تعدد للزوجات. ولعلهم جربوا هذا الأمر وأدركوا ما يجره عليهم من الهم وكثرة الأنفاق فانصرفوا عنه،ولا يكثر الطلاق بينهم، لأن الرجل عند الطلاق يدفع لزوجته مالها ومتاعها، ويبقى البنات من عيالهم عند أمهم.

كذلك فإن بعض العائلات غير المسلمة على الرغم من حريتها التامة في دينها وتقاليدها وقوانينها الخاصة كانت تتوجه إلى المحاكم الشرعية لبعض الأمور المتعلقة بقوانين العائلة، كعقد النكاح مثلاً، وتطلب تسجيل تلك العقود في سجلات المحكمة. كما لم يكن هناك فَرْقُ بين بيوت المسلمين وبيوت المسيحيين من ناحية أنواع الأمتعة ومقدارها، حتى أن العائلات المسيحية كانت تحتفظ في بيوتها بسجادة للصلاة

ليستخدمها الضيف المسلم إذا أراد الصلاة وتتكون العائلة العثمانية في الغالب من عدد يتراوح بين ٤ ــ ٧ أفراد هم الأب والأم والأولاد. ومع هذا فقد كان هناك نوع العائلات الكبيرة في الأحياء الثرية، ولاسيما في القصبات والمدن إذ تضم مثلاً الزوج والزوجة والأولاد والحماة وأخت الزوج وأخته في الرضاعة والخادمة والجواري، بحيث تصل إلى عدد يتراوح بين ٣٠ ــ ٣٥ فرداً. وهذه الحياة التي يمكن أن نطلق عليها حياة القصور والتي بدأت تتزعزع بعد عام ١٩٠٨م حتى انهارت، واخذ نوع العائلات الصغيرة في الانتشار أكثر منها [٤٢].

التطورات الديمغرافية في المجتمع العثماني:

لا شك أن المشكلات السياسية والاقتصادية انعكست سلباً على الحياة الاجتماعية التي تخلو أصلاً من استقرار يحدد نظام أفراد العائلة وكيفية التعامل القائم على أساس يخلو من تمسك بعادات أو تقاليد.

من الصعوبة بمكان عدم تعرض المجتمع العثماني إلى تطورات ديمغرافية في مقدمتها على الأقل واقعه القائم على السلب والنهب، أو الحياة لمن يبتلع الآخر، هذا ولابد لنا من أن نتعرض لكلا الحالتين أي في حالتي الابتلاع أو البلع وبتعبير آخر الانتصار والهزيمة أمام الغير. ليس بالمقدور اتخاذ عبارة متنقل أو مهاجر عن الفرد العثماني بعد فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، أما قبل فتحها فالمجتمع قبلي عشائري تنظمه عادات وتقاليد وتحكمه أعراف، ولم تكن الأرض مهمة بالنسبة له ولا تمتين علاقات طيبة مع جيرانه، لأنه يدرك تماماً أن وجوده في أرض ما مسألة وقت قد لا تتعدى أشهر في معظم الأوقات، لذلك كان يلتهم ما حوله بسرعة، فالأقدار قد تعيده إلى المنطقة التي احتلها سابقاً، (سكودا) لكن بثوب جديد [٤٣].

إن التطورات الرئيسة التي تسللت قسراً إلى بنية المجتمع العثماني هي الهجرة بعد فتح مدينة بورصة سنة ١٣٢٦م، كما فرض عليه تقبل الآخر ومشاركته أفراحه وأتراحه

وتعايشه مع قوى غريبة عنه، لم يكن سابقاً مجبر على قبولها، وغداً يتأثر بالأزمات الاقتصادية التي شكلت في معظم الأوقات خللاً كبيراً في أوضاعه الاجتماعية، كما اندفع إلى إقامة القلاع والحصون والجسور والبناء بدل الخيام وأعمدتها. ومن التطورات التي شهدها المجتمع العثماني بشكل مباشر، هو تحوله من مقاتل إلى درويش أو من مقاتل إلى مزارع، بعدما نزل عن ظهر جواده، واستبدل الخيمة ببناء لا تؤثر به الرياح والعواصف، وتخلى عن القلق خشية غزو يداهمه لأنه أدرك أن هناك جيشاً لا يصد المعتدين فقط، وإنما يلاحق اللصوص والمجرمين. هذه المميزات الديمغرافية محورت حياته مع واقع التعايش والتخاطب والانصراف إلى ممارسة بعض هواياته الخاصة بدلاً من انصرافه سابقاً إلى ركوب الخيل وإتقان رمي السهام واللعب بالصولجان (٤٤). وغداً بإمكانه الارتقاء إلى درجة أعلى في الوظيفة التي يشغلها، كما تلاشت المحسوبية القائمة على الأصالة والعراقة في الحسب والنسب، وغدت الاستقامة في العمل والإخلاص للسلطان أو الوطن وساماً رفيعاً يحق لحامله التباهي به. هذه التبدلات ديمغرافية في إطارها ومضمونها، وقد يتمكن العثمانيون من التأقلم مع هذه التبدلات لدرجة أن مجتمعهم تفوق على غيره من المجتمعات الأوروبية وغيرها. لم يقتصر التبدل لدى العثماني على الجهد أو السلوك، بل تأثر فكرياً بما أجمع الناس عليه، فكما سار إلى خدمة قائد القبيلة سابقاً، انحنى بخشوع إلى الإسلام مقتدياً بالأحاديث النبوية الشريفة، والشيء المدهش أن العثماني غدا وبسرعة مرجعاً يعتد به (٤٥).

الخاتمة:

إن دراسة الفكر أمر صعب جداً خاصة إذا قمنا بعملية إسقاط تاريخي على فقدان الديمقراطية في تلك الفترة.

ولهذا فإن استمرار التعليم في العهد العثماني قد يؤدي مهمته وإن كانت مسألة الإنجاز الجيد قاصرة، فبالرغم من أن التعليم كان عاجزاً عن أداء مهمته في الانفتاح واستقطاب العلوم الحديثة إلا أنه كان الأكثر شعبية وهو الذي حفظ للدولة ثقافتها وهويتها.

وإن الحياة العسكرية في الدولة العثمانية قد شهدت تطوراً واهتماماً تاركةً أثراً على الحياة الاجتماعية.

وإن النظام الإقطاعي أدى إلى وجود فوارق فئوية اجتماعية تعززت بدورها مع فساد الحكم العثماني.

إذاً يمكن القول:

أن الدولة العثمانية في مراحلها المتأخرة اعتمدت تسييس الدين وجعله وسيلة لتحقيق مصالحها، وكما تقدم فإن سيادة الطرق الصوفية مردها حالة الإحباط التي سادت الأوساط الشعبية نتيجة الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتردي. غير أن الدراسات العثمانية المتخصصة تؤكد أن الطرق الصوفية رغم محاولة سلطة الدولة التدخل بها ودفعها لتفكيك أي تحالف صوفي بين الطرق الصوفية إلا أنها أسهمت في توجه عامة الناس وفقراؤها إلى التعليم من خلال التكايا والزوايا التي زادت في عهد السلطان بايزيد الثاني ١٤٨١ ــ ١٥١٢ م، إلى حد كبيرٍ فقد تجاوزت عن ثلاثة آلاف زاوية ولأكثر من / ٥٥ / طريقة صوفية.

إن الفكر في الدولة العثمانية رغم عسكرته وتأطيره بإطار المركزية الفردية لم يكن منعزلاً عن الواقع الاجتماعي بكل طبقاته ولربما قد يكون لعسكره دور في ضمه علماً بأن مسألة المزج بين الفكر والواقع الاجتماعي كانت متشابهة لأنها مؤطرة بالأطر الدينية.

الحواشي

(١) زيادة أبو غنيمة، **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين**، ط١، دار الفرقان، ج١، ١٩٨٣ م، ص٣١.

(٢) عبدالله عبد اللطيف دهيش، **قيام الدولة العثمانية**، ط ٢، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ج١، ١٩٩٥، ص ٢٠١

(٣) أحمد طربين، **تاريخ المشرق العربي المعاصر**، ط ٤، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ج ١، ١٩٩٢ م، ص ٢٠٧.

(٤) طربين، المرجع سابق، ص ٢١٠.

(٥) كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة أمين فارس ومنير بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ج١، ١٩٨٨ م، ص ٨٧.

(٦) **دوكة:** نوع من أنواع العملة لدى البندقية وقد اعتمدتها الدولة العثمانية فيما بعد، سيطرت طويلاً على أسواق شرقي المتوسط، وبقيت النسبة الرسمية لتبادل الدوكة / ٦٠ / أقجة. للمزيد أنظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ١١٥.

(٧) علي حسون، **تاريخ الدولة العثمانية**، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ج١، ٢٠٠٢ م، ص ١٢٣.

(٨) قيس جواد الغزاوي، **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**، مركز دراسات الاسلام والعالم، الدار العربية للعلوم، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ص ٨٢ – ٨٣.

(٩) ابراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، المعروف بكتاب التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، ٢٠٠٠ م ص ١١١

(١٠) محمود عامر، **الدولة العثمانية تاريخ ووثائق**، دمشق٢٠٠١م، ص٢٤٤، ٢٤٥.

(١١) **التكايا** : مفردها (تكية) وأصل تسميتها (خانقاه) كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقامُ لإيواء الصوفية، الذين يختلون بها للعبادة، وقد انتشرت هذه المباني منذ القرن السادس الهجري الحادي عشر الميلادي، في العهد العثماني سميت هذه المباني (تكايا) وخصصت لإيواء الدراويش الذين ينقطعون للنسك والعبادة. انظر **الموسوعة العربية الميسرة**، ص ٧٥٠.

(١٢) **البكتاشية** : سميت بهذا الاسم نسبة إلى الحاج بكطاش ولمن اتبع طريقته، وكان البكطاشيون. وكان حاجي بكطاش من كبار شيوخ خراسان، وقد ولد في نيسابور، ويقال بأنه له كرامات كثيرة وكان معلمه هو الشيخ (لقمابرنده) والخوجة (أحمد ياسوي) انتشرت الطريقة البكطاشية بين المجاهدين والعسكر مع فتوحات العثمانيين، كما انتشرت في البلقان ونهر الطونة إلى الأرناؤوط. وبني هناك الكثير من التكايا والساحات. كان خليفة حاجي بكتاش هو بابا إسحق والمؤسس الثاني لهذه الطريقة هوباليم سلطان في القرن الخامس عشر والسادس عشر.

(١٣) **المولوية** : طريقة دراويش، مؤسسها في قونية الصوفي والشاعر المشهور جلال الدين الرومي الملقب بـــ (مولانا) وأول ظهور لهذه الجماعة كان في الأناضول في القرن الثالث عشر، وكانت طوع أمر مشايخها لا تتأخر إذا صدر الأمر عن خوض الحرب ومعها نسائها وأطفالها، ولا تؤمن بأن الموت المادي يدرك مشايخها. ولكنها أبطلت اليوم وأهلها متمسكون بدينهم وكان أتباعها يقيمون (حلقات الذكر) بالأناشيد والرقص على إيقاع آلات الطرب. ولهم أهمية سياسية

واجتماعية ودينية، وانتشرت تكاياهم في آسيا الصغرى، وتراقية، وفارس، ومصر وبخاصة في عهد السلجوقيين ومن جاؤوا بعدهم. ولا يزال قبر مؤسسها موجود في قونيه حتى الآن.انظر محمد فؤاد كوبريلي، **قيام الدولة العثمانية،** ص١٥٦

(١٤) . خلف دبلان خضر الوذيناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري، من ١٨٠٠ ــ ١٩٠٩، د. ط، مكة المكرمة، ١٩٩٦، ص ١٦٠.

(١٥) عرفان كوندوز، **الدولة العثمانية والتصوف**،د.ط، استانبول،١٩٨٤، ص٦٨.

(١٦) **محمد بن عبد الوهاب** : صاحب مذهب إسلامي ذو نزعة سلفية يرمي إلى تخليص الشريعة من الشوائب يستند في تعاليمه إلى ابن حنبل وابن تيميه، ساعد محمد ابن سعود على انتشاره في الجزيرة العربية.

(١٧) **إبن تيمية** : تقي الدين أحمد، ٦٦١ ــ ٧٢٨ هــ / ١٢٦٣ ــ ١٣٢٨ م، فقيه حنبلي وإمام من الأعلام جدد المذهب، ولد في حران وأقام في دمشق، مُنع من التدريس ومات سجيناً، من آثاره:(الفتاوى، الرسائل)

(١٨) محمد فؤاد كوبريلي، **قيام الدولة العثمانية**، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط١، الضاهري، دار الثقافة، ج١، ١٩٦٧ م، ص٦٩.

(١٩) **محيي الدين ابن عربي:** ٦٣٨ هــ -١٢٤٠م، صوفي أندلسي، لقب بالشيخ الأكبر، ولد في مرسيه ونشأ في إشبيلية، رحل إلى الشرق واستقر في دمشق وتوفي فيها، قال. بوحدة الوجود، له نحو أربعمائة كتاب منها.(الفتوحات المكية، فصوص الحِكم، مفاتيح الغيب، التعريفات، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار). في الأدب: (ديوان شعر).

(٢٠) أكمل الدين إحسان أوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ترجمة صالح سعداوي، ط١، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ح١، ١٩٩٩ م، ص ٥٣٠.

(٢١) محمد سهيل طقوش، **العثمانيون من قيام الدولة إلى انقلاب الخلافة**، ط١، بيروت، دار بيروت المحروسة، ج١، ١٩٩٥، ص ٥٩٤.

(٢٢) محمد أنيس، **الدولة العثمانية والمشرق العربي**، ط ١، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ج١، ١٩٩٣ م، ص ٢١٣.

(٢٣) حكمت ققلجمي، **التاريخ العثماني**، دمشق، ١٩٨٧ م، ص ١٠٤.

(٢٤) خليل إينالجك، **الدولة والرعايا**، مجلة الاجتهاد، العددان الواحد والأربعون والثاني والأربعون سنة 1999 م، ص 8- 82.

(٢٥) بجوى باشا، **تاريخ بجوى**، استانبول، 1413 هـ، ج2، ص 74.

(٢٦) **الأيالة** : أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة لعثمانية. فقد كانت الدولة مقسمة إداريا ً إلى أيالات، والأيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح ، والنواحي إلى قرى. ولقد أشرف على الأيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي، حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للأيالة، ولهم النفوذ المطلق — ماعدا الحالات القضائية عليها.

(٢٧) **بورصة** : تعد مدينة العرش الثانية، بعد إستانبول وتليها أدرنة، وكانت تعامل على هذا الأساس معاملة متميزة. وأصبحت عاصمة فعلية من ١٣٢٦ / ١٤٠٢، ثم اعتبرت بعد ذلك بصورة نظرية، إحدى مدن العرش الثلاث.

(٢٨) خليل اينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة محمد. م. الأرناؤوط، ط١، بنغازي، دار المدار الإسلامي، ج١، ٢٠٠٢، ص ١١٧.

(٢٩) خضر عمران، **الأوضاع الاجتماعية في لواء اللاذقية (١٨٧٠-١٩١٩)**، ط١، اللاذقية، جامعة تشرين ج١، ٢٠٠٧ م، ص ١١٧

(٣٠) إينالجيك، المرجع سابق، ص ١٢٠.

(٣١) حسن الضيقة، **الدولة العثمانية**، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص ١٩ ــ ٢١

(٣٢) جلال يحيى، **العالم العربي الحديث**، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٦٦، ص١٤٦

(٣٣) أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، تعليق محمد حسني شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ح١، ١٩٨٧ م، ص١٢٨

(٣٤) زكريا سليمان بيومي، **قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين**،ط١،القاهرة،دار الثقافة،ح١،١٩٩١ م، ص ٢٩٠.

(٣٥) **القرآن الكريم** : سورة **النساء**، الآية ٣٣.

(٣٦) أحمد جودت، **تاريخ جودت**، ترجمة عبد القادر الدنا، ط١، بيروت، دار لحد خاطر، ١٣٠٨ هـ، ص

(٣٧) جودت، المرجع سابق، ص ١٠٠.

(٣٨) أحمد سعيد برجاوي، **الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والاجتماعي**، ط١، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ح ١، ١٩٣٣م.

(٣٩) **الزواج:** عقد بين رجلٍ و امرأة، تحلُّ له شرعاً، غايته إنشاء رابطة للحيـاة المشتركة والنسل. ينظر الكويقي، (المحامي) في كتابه قانون الأحوال الشخـصية الصادر بالمرسوم التشريعي رقم /٥٩/ لعـام ١٩٥٣، ومذكراتـه الإيـضاحية، المعدل بالقانون /٣٤/ لعام ١٩٧٥، ومعه مختارات من إجتهادات محكمة النقض.

(٤٠) أمل ميخائيل بشور، **الدولة العثمانية في عصر الإصلاح حقبة التنظيمات من سنة ١٨٤٠-١٨٨٠م**، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، ٢٠٠٦ م.

(٤١) محمـود عـامر، **تـاريخ الإمبراطوريـة العثمانيـة دراسـة تاريخيـة اجتماعية**،ط١، دمشق، دار الصفدي، ٢٠٠٤ م.

(٤٢) عبد الجليل التميمي، **الحياة الاجتماعية أثناء العهد العثماني**، ط٢، زغوان، مركز الدراسات والبحوث العثمانية، ج ١، ١٩٨٨م.

(٤٣) التميمي، المرجع سابق، ص ١٠٧.

(٤٤) عمران، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٤٥) الغزاوي، مرجع سابق، ص ٩٩.

المصادر والمراجع

١. حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، المعروف بكتاب التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، ٢٠٠٠ م.

٢. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تعليق محمد حسني شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ح١، ١٩٨٧ م.

٣. جودت، أحمد، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، ط١، بيروت، دار لحد خاطر، ١٣٠٨ هـ.

٤. برجاوي، أحمد سعيد، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والاجتماعي، ط١، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ح ١، ١٩٣٣م.

٥. طربين، أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط ٤، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ج ١، ١٩٩٢ م،.

٦. أوغلي، أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، ط١، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ح١، ١٩٩٩ م.

٧. بشور ، أمل ميخائيل، الدولة العثمانية في عصر الإصلاح حقبة التنظيمات من سنة ١٨٤٠-١٨٨٠م، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، ٢٠٠٦ م.

٨. باشا، بجوى، تاريخ بجوى، استانبول، 1413 هـ، ج2.

٩. يحيى ، جلال، العالم العربي الحديث، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٦٦.

١٠. الضيقة، حسن، الدولة العثمانية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

١١. قفلجمي، حكمت، التاريخ العثماني، دمشق، ١٩٨٧ م.

١٢. عمران، خضر، الأوضاع الاجتماعية في لواء اللاذقية (١٨٧٠ ــ ١٩١٩)، ط١، اللاذقية، جامعة تشرين، ج١، ٢٠٠٧ م.

١٣. الوذيناني، خلف دبلان خضر، الدولة العثمانية والغزو الفكري، من ١٨٠٠ ــ ١٩٠٩، د.ط، مكة المكرمة، ١٩٩٦.

١٤. إينالجك، خليل، الدولة والرعايا، مجلة الاجتهاد، العددان الواحد والأربعون والثاني والأربعون سنة 1999 م.

١٥. اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد. م. الأرناؤوط، ط١، بنغازي، دار المدار الإسلامي، ج١، ٢٠٠٢ .

١٦. بيومي، زكريا سليمان، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ط١، القاهرة، دار الثقافة، ح١، ١٩٩١ م.

١٧. أبو غنيمة، زيادة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين، ط١، دار الفرقان، ج١، ١٩٨٣ م.

١٨. التميمي ، عبد الجليل، الحياة الاجتماعية أثناء العهد العثماني، ط٢، زعوان، مركز الدراسات والبحوث العثمانية، ج ١، ١٩٨٨م.

١٩. دهيش، عبدالله عبد اللطيف، قيام الدولة العثمانية، ط ٢، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ج١، ١٩٩٥.

٢٠. حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ج١، ٢٠٠٢ م.

٢١. كوندوز، عرفان، الدولة العثمانية والتصوف، د.ط، استانبول، ١٩٨٤،

٢٢. الغزاوي، قيس جواد، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مركز دراسات الإسلام والعالم، الدار العربية للعلوم، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٢٣. بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس و منير بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ج١، ١٩٨٨ م.

٢٤. أنيس، محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي، ط ١، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ج١، ١٩٩٣ م.

٢٥. طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى انقلاب الخلافة، ط١، بيروت، دار بيروت المحروسة، ج١، ١٩٩٥.

٢٦. كوبريلي، محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، ط١، الضاهري، دار الثقافة، ج١، ١٩٦٧ م.

٢٧. عامر، محمود، تاريخ الإمبراطورية العثمانية دراسة تاريخية اجتماعية،ط١، دمشق، دار الصفدي، ٢٠٠٤ م.

٢٨. عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، دمشق، ٢٠٠١ م.

المؤرخ والسياسي العسكري الفلسطيني إميل الغوري، ودوره في الدفاع عن فلسطين حتى عام ١٩٤٨

إعداد طالب الدكتوراه
مؤيد توفيق عقل حيدر العقرباوي

إشراف الأستاذة الدكتورة
سمر بهلوان

قسم التاريخ
كلية الآداب
جامعة دمشق

المقدمة:

تعرض العديد من القيادات الفلسطينية السياسية منها والعسكرية إلى التهميش من قبل الباحثين والمهتمين، وعدم إعطائهم حقهم في البحث والدراسة، خاصة وأن هناك نماذج من تلك القيادات تكاد تكون نادرة على المستوى الفلسطيني والعربي، وربما العالمي، وصاحب هذا البحث أحد هؤلاء. الأمر الذي دعاني إلى هذا القول أن هذه الشخصية قد اتسمت بممارسة النضال السياسي السلمي، والنضال العسكري السري في آن واحد، وتميزت بمقدرتها على التوفيق بينهما؛ وهذا نادراً ما نجده في رجل واحد يجمع بين عمله في السياسة وعمله في الجيش، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن إميل الغوري لم يجرِ حوله أي بحث أو دراسة، رغم أنه المؤرخ الفلسطيني الوحيد

الذي استطاع كتابة تأريخ جيش الجهاد المقدس، منذ بداياته. من هنا جاءت أهمية البحث، بالإضافة إلى أن مثل هذه الدراسات تدخل ضمن علم تراجم الأعلام، وهذا مهم للأمة جمعاء، وخاصة الشباب منهم، فقد يكون هؤلاء قدوة حسنة لهم.

اتبعت الدراسة المنهج العلمي القائم على البحث والنظر والتدقيق والتمحيص، أي التحليل والاستنتاج والربط المنطقي بين الأحداث التاريخية وخفاياها، من خلال التركيز على عاملي الزمان والمكان، وتأثيرهما في رسم الحدث التاريخي. فضلاً عن توخي الحيادية في التحليل، وإعطاء كل ذي حق حقه، والتعامل بحذر مع وجهات نظر المؤلفين وقناعاتهم، ومناقشتها بطريقة علمية، واستخدام التوثيق العلمي.

بدأ البحث بالتعريف بشخص إميل الغوري، ولادته ونشأته ووفاته، متناولاً طفولته وأثرها في تكوين شخصيته السياسية والعسكرية (١٩١٧-١٩٢٤)، ثمّ شبابه ودوره في تأسيس كتلة الشباب وعلاقته بعبد القادر الحسيني (١٩٢٥-١٩٣٠). ثم دراسة دور إميل الغوري في الحركة الوطنية الفلسطينية ومقاومته للاحتلال البريطاني (١٩٣١-١٩٣٣)، ثم دوره في تأسيس منظمة الجهاد المقدس والعمل الوطني الفلسطيني (١٩٣٤-١٩٣٥). وبعدها تناول البحث إميل الغوري ومشاركته في الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩)، وفي الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٠-١٩٤٨). وأخيراً دراسة بيان إميل الغوري بشأن موقف اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية لدعم عبد القادر الحسيني وتأثيره على الساحة العسكرية الفلسطينية، أما الخاتمة فقد تضمنت الاستنتاجات التي وصل اليها البحث.

إميل الغوري: ولادته ونشأته ووفاته:

ولد إميل إنضوني الغوري في القدس في ٢٤ آذار ١٩٠٧، وفي عام ١٩١٠ التحق بروضة أطفال تابعة لمعهد ضابيطا القومي الألماني، ثم انتقل عام ١٩١٢ إلى مدرسة ابتدائية تدرس اللغة الإنجليزية حتى عام ١٩١٦[١]. وفي تشرين الأول ١٩١٨، التحق

بمدرسة المطران (سان جورج) في الصف الثالث الإعدادي واستمر فيها لمدة أربعة أعوام وطرد منها لأسباب سياسية، تم عاد اليها وتخرج منها سنة ١٩٢٢، وحصل على شهادتها الثانوية(٢)، وهي تعادل شهادة المترك أو التوجيهي حالياً (٣). وأبرز الذين درّسوه خليل بيدس (١٨٧٤-١٩٤٩) ومعروف الرصافي (الشاعر العراقي) (١٨٧٧-١٩٤٥) وغيرهم(٤). عمل في شركة توماس كوك وولده للسياحة بالقدس حتى عام ١٩٢٩(٥)، وأسهم في هذه الفترة في العمل الوطني، وانتخب لعدة سنوات سكرتيراً للنادي العربي الأرثوذكسي في القدس(٦).

وفي ١٩٢٩ قصد الولايات المتحدة الأمريكية، والتحق بجامعة سينسيناتي University of Cincinnati في ولاية أوهايو Ohio الأمريكية وحصل على شهادة (B.A. البكالوريوس) ثم شهادة (M.A الماجستير) في تاريخ الشرق الأوسط والقرون الوسطى(٧). وفي حزيران ١٩٣٣ غادر مدينة سينسيناتي عائداً إلى فلسطين التي وصلها تقريباً(٨) في ١٦ تموز ١٩٣٣، فأصدر في أواخر سنة ١٩٣٣ صحيفة أسبوعية باللغة الانكليزية باسم الاتحاد العربي Arab Federation والتي استمرت لمدة عام واحد تقريباً، حيث أغلقها مكرهاً لأسباب مالية، وارتفاع أسعار الورق، وانعدام مصدر الاعلانات بالجريدة، إذ رفضت حكومة الانتداب نشر أي إعلان رسمي فيها، ووجهت جميع المؤسسات العامة والخاصة أيضاً بعدم نشر أي إعلان فيها(٩).وفي عام ١٩٣٣ انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية العربية للمؤتمر الفلسطيني السابع. وفي سنة ١٩٣٤ أصدر مجلة أسبوعية باسم (الشباب) (١٠). وفي سنة ١٩٣٤ التحق بمعهد الحقوق الفلسطيني(١١)، حيث حاز على شهادة الحقوق ثم دبلوم الحقوق. وفي أيار ١٩٣٥ أصدر جريدة يومية باسم (الوحدة العربية)، لكنها أغلقت في تشرين الأول ١٩٣٥(١٢).

وفي عام ١٩٣٥ انتخب سكرتيراً عاماً للحزب العربي الفلسطيني وشارك في العديد من الوفود الخارجية، وممثلاً للجنة العربية العليا في المؤتمر، وأسس المكتب العربي

الفلسطيني سنة ١٩٣٦ في لندن بطلب من اللجنة العربية العليا(١٣). وفي عام ١٩٣٨ مثل اللجنة العربية العليا في المؤتمر البرلماني في القاهرة ومنع من العودة(١٤). وفي سنة ١٩٤٦ عاد إلى فلسطين وتولى رئاسة تحرير جريدة الوحدة المقدسية، وكان أحد أصحابها إلى جانب إسحق عبد السلام الحسيني وعمر الحسيني(١٥). وشارك في تشكيل الهيئة العربية العليا وكان في عام ١٩٤٧ ممثل الهيئة في مؤتمر الدائرة المستديرة.

وبعد النكبة ١٩٤٨ انتخب سكرتيراً عاماً للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة. وفي سنة ١٩٤٩ اختارته الهيئة العربية العليا سكرتيراً لوفدها للإمم المتحدة وإلى دول امريكا اللاتينية. وفي الفترة ١٩٥٠-١٩٥٢ أصبح قائماً بأعمال الهيئة العربية العليا لفلسطين في بيروت، حيث تعرض لعملية اغتيال نقل على أثرها إلى مصر، وعمل في المكتب الرئيسي للهيئة العربية العليا كرئيس لدائرة الدعاية ورئيساً للدائرة السياسية حتى عام ١٩٦٦. وكان عضواً في الوفد الفلسطيني إلى مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥، ومندوباً عن فلسطين في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في بلغراد عام ١٩٦١، ورئيساً للوفود الفلسطينية إلى الأمم المتحدة للفترة ١٩٦٠-١٩٦٨(١٦).

وفي عام ١٩٦٦ انتخب نائباً للقدس ومنطقتها في مجلس النواب الأردني(١٧). وفي ١٣ آب ١٩٦٩ عين وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل في الحكومة الأردنية في وزارة بهجت التلهوني (١٩١٣-١٩٩٤) الخامسة حتى ١٩ نيسان ١٩٧٠(١٨). وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧١ عين وزير دولة في وزارة احمد اللوزي الأولى حتى ٢١ آب ١٩٧٢(١٩)، وتوفي في ١٧ شباط ١٩٨٤(٢٠).

وله العديد من المؤلفات: المؤامرات الكبرى واغتيال فلسطين(٢١)، طبع عام ١٩٥٥ في بيروت؛ حركة القومية العربية طبع عام ١٩٥٦؛ حركة القومية العربية ومعركة

القناة[٢٢]، طبع عام ١٩٥٧[٢٣]؛ الحكومات البرلمانية، ترجمة، طبع عام ١٩٥٧[٢٤]؛ ١٥ أيار ١٩٤٨ طبع عام ١٩٥٩ في بيروت[٢٥]؛ صيحة رائدة على دروب التحرير، طبع عام ١٩٦٠ في عمان، صدر عن المؤتمر الإسلامي العام[٢٦]؛ فلسطين، طبع عام ١٩٦١ في بغداد؛ المعذبون في أرض العرب، طبع عام ١٩٦١ في بيروت[٢٧]؛ الكيان الفلسطيني، طبع عام ١٩٦٤ في بيروت[٢٨]؛ جهاد الفلسطينيين ضد الاستعمار والحركة اليهودية من ١٩١٨-١٩٤٨، طبع عام ١٩٦٠ في بيروت، صدر عن الهيئة العربية العليا لفلسطين[٢٩]. وصدرت الطبعة الثانية تحت عنوان ملحمة الفداء الفلسطيني؛ جهاد الفلسطينيين ضد الإستعمار والحركة اليهودية من ١٩١٨-١٩٤٨، طبع عام ١٩٦٨؛. ثأر أو عار، طبع عام ١٩٦٩؛ دور التبشير في خدمة الاستعمار والصهيونية، طبع عام ١٩٧٠؛ فلسطين عبر ستين عاماً، وهو عبارة عن مذكرات في ثلاثة أجزاء من ١٩١٧ حتى ١٩٤٧، وصدر الجزء الأول ١٩٧٢ في بيروت، والثاني ١٩٧٣ في بيروت، والجزء الثالث ١٩٧٩ في عمان[٣٠]؛ أناشيد وطنية، قضية فلسطين في الأمم المتحدة[٣١]؛ الشقيري في الميزان، طبع في بيروت[٣٢]. هذا ولدى الباحث نسخة من الكتاب الأخير تحت عنوان: الشقيري في الميزان أباطيل تدحضها الحقائق،(د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت). هذا بالإضافة إلى وجود مؤلف لم تذكره المراجع وموجود لدى الباحث تحت عنوان: إظهار حقائق وتفنيد أباطيل، ردود على مقالات السيد قاسم الريماوي، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

الكثير من هذه الكتب مفقود، والبعض الآخر موجود ولكن من الصعب الحصول عليها، وبعضها موجود ولكن بطبعات قديمة جداً، أي لم تتم إعادة طباعتها من جديد.

طفولة إميل الغوري ودورها في تكوين شخصيته السياسية والعسكرية ١٩١٧-١٩٢٤:

لعبت نشأته الطفولية دوراً كبيراً في تكوين شخصيته فيما بعد. حيث إن العوامل والظروف التي ظهرت في أثناء طفولته جعلته يسير في خط العروبة، وقذفت به أيضاً إلى العمل الوطني والميدان السياسي، خاصة في الأعوام العشرة الأولى[٣٣].

وإميل الغوري مسيحي أرثوذكسي وممن رفضوا النزعة الطائفية وساعده على ذلك العلاقات الأخوية بين المسلمين والمسيحيين، خاصة الأرثوذكس منهم، حيث كانت العروبة هي الغالبة حتى تمكنت من نفسه[٣٤].

ومما يؤكده أن أحداث الحرب العالمية الأولى وأحداث الثورة العربية الكبرى كان لها تأثيرها أيضاً في تكوين شخصيته السياسية والعسكرية، حيث كان عمره عشر سنوات آنذاك. حين كان يشارك هو وأطفال القدس في سماع تلك الأحداث، وكان يطرح العديد من الاسئلة على والده -الذي كان أحد أعيان القدس آنذاك-، حول بعض المفاهيم، مثل الثورة والحرب وبعض الشخصيات ذات الصلة بهذه الأحداث، من أمثال جمال باشا (١٨٧٢-١٩٢٢) وأنور باشا (١٨٨١-١٩٢٢)، والشريف حسين (١٨٥٤-١٩٣١) وأولاده فيصل (١٨٨٥-١٩٣٣) وعبد الله (١٨٨٢-١٩٥١) [٣٥].

كان إميل الغوري شاهد عيان عندما احتلت بريطانيا مدينة القدس، وهو في العاشرة من عمره، ويبدو أن موقف الاحتلال بحد ذاته قد لعب دوراً في تكوين شخصيته السياسية والعسكرية، خاصة عندما سمع الخطاب الذي ألقاه اللنبي Allenby (١٨٦١-١٩٣٦) بعد دخوله القدس، والذي ترك أثراً سيئاً لدى أبناء فلسطين عامة وأبناء القدس خاصة، ومنهم إميل الغوري الذي شارك في إستقبال اللنبي. ويتحدث عن هذه اللحظة بقوله: "وقد احتشد الناس لاستقباله فرحاً بانتصار بريطانيا بالحرب وبدء فجر جديد للعرب في الحرية والاستقلال. لكن اللنبي لم يكمل لأهل فلسطين فرحتهم عندما بدأ خطابه أمام رؤساء الأديان، والمجلس البلدي، والوجهاء والأعيان، وكبار

الموظفين، وممثلي القرى في الساحة الواقعة بين القلعة والقشلة قرب باب الخليل بالقدس، عندما قال لهم "**اليوم انتهت الحروب الصليبية**"(٣٦).

أما على صعيد تفاعله مع فعاليات الحركة الوطنية الفلسطينية ضد السياسة البريطانية، وهو ما زال طفلاً، فقد شارك في مظاهرات آذار ١٩١٩ التي دعت إليها الجمعية الإسلامية-المسيحية في القدس، وكان يومئذ طالباً في مدرسة المطران. واستطاع هو وزملاء له أمثال داوود الحسيني (١٩٠٣-١٩٩٤) (٣٧)، تشكيل لجنة سرية من الطلبة تعمل على توعية الطلاب، وحشدهم في المظاهرات، وإعدادهم للمساهمة في الحركة الوطنية الفلسطينية. حيث تشكلت من عشرة طلاب، طالبين من كل من مدارس المطران، والروضة، والرشيدية، وصهيون، وكلية الشباب(٣٨).

وفي مظاهرة نيسان ١٩١٩ شارك فيها هو وزملاؤه دون موافقة الإدارة المدرسية التي كانت قد حذرت الطلبة من هذه المشاركة. لذا، في اليوم التالي، حاول مدير المدرسة محاسبتهم، إلا أن حجتهم منعته من ذلك عندما قالوا له أن أساتذتهم معروف الرصافي وخليل بيدس شاركوا فيها، بل خطبوا فيها أيضاً، فكيف يحرم الطلبة من ذلك؟(٣٩).

وعندما سافر وفد المؤتمر الفلسطيني الرابع في آب ١٩٢١ إلى لندن، قرر الطلبة مساندة هذا الوفد، وذلك عندما كتبوا رسالة باللغة الانجليزية موجهة للحكومة البريطانية، وفيها احتجاجهم على تصريح بلفور وتأييدً الوفد الفلسطيني. حيث وقّع هذه الرسالة خمسة طلاب عن كل من كلية الروضة والمدرسة الرشيدية والكلية الانجليزية ومدرسة صهيون ومدرسة المطران، وتم إرسالها بصورة سرية إلى المئات من المعاهد والمدارس والجامعات والكليات والصحف البريطانية؛ فكانت مفاجأة للمديرين. وقام مدير مدرسة المطران بدعوة الطلبة الخمسة الذين وقعوا على الرسالة وهم:

داوود الحسيني، وفهمي ترزي، وسالم الحسيني، وروبرت تلحمي[٤٠]، وإميل الغوري، وأحضرهم إلى مكتبه واحتج على فعلتهم وهددهم باتخاذ عقوبات ضدهم[٤١].

وعلى أثر مشاركته في مظاهرات ١٧ حزيران ١٩٢٢ في القدس، بفعالية مع زملائه، تم فصله هو وزميله داوود الحسيني من المدرسة[٤٢]، حيث كانا من ضمن قائمة اللائحة السوداء التي أقرتها المدرسة إثر أحداث ضرب وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل Winston Churchill (١٨٧٤-١٩٦٥)، عندما زار القدس في آذار ١٩٢١، من أجل الاحتفال بوضع الحجر الأساس لبناء الجامعة العبرية، بالبندورة والبيض والقاذورات[٤٣].

وفي كانون الأول ١٩٢٣ تقدم لامتحان دائرة المعارف (امتحان الكفاءة) واستطاع أن (يتفوق على كل الذين تقدموا لهذا الامتحان) وعندما قامت الثورة السورية ١٩٢٤-١٩٢٥، شكل الحاج أمين الحسيني[٤٤] (لجنة مركزية) في القدس، لجمع الأموال لإسعاف المصابين بين المجاهدين السوريين ومساعدة عائلات الشهداء، وتطوع إميل الغوري مع فرق الشباب التي تشكلت في القدس لجمع الإعانات وتقديمها إلى اللجنة المركزية[٤٥].

في شباط ١٩٢٤ خرج إميل الغوري لاستقبال الوفد الفلسطيني القادم من لندن، وكان يومئذ يعمل في الشركة السياحية. ترك وظيفته دون استئذان، وغادر الشركة من أجل المشاركة في استقبال الوفد عند باب العمود، ولكن الشرطة والجنود البريطانيين اقتحموا مكان التجمع فكان أن أصيب إميل الغوري ونقل على أثرها للعلاج[٤٦].

دور إميل الغوري في تأسيس كتلة الشباب وعلاقته بعبد القادر الحسيني (١٩٢٥-١٩٣٠):

بحكم أنهما يسكنان في نفس المدينة، وتقارب عمريهما، ومن طبقة اجتماعية واحدة، حتم عليهما الالتقاء في أماكن الدراسة والفعاليات الوطنية والاجتماعية والسياسية، أخذت تلك العلاقة تتعزز شيئاً فشيئا منذ الطفولة. لذا كانت أعمالهما وأفكارهما ونشاطاتهما واحدة، حتى تبلور أول عملٍ ميداني شاركا فيه لرفع الظلم عن الوطن، عندما أخذا يفكران مع العديد من أصدقائهما في تشكيل تكتل نضالي معهما، ففي عام ١٩٢٥، تم تشكيل كتلة الشباب[٤٧]، والتي ضمت كلاً من إميل الغوري، ونافد الحسيني، وضياء الدين الخطيب (١٩٠٥- ؟)، وعبد القادر الحسيني (١٩٠٨-١٩٤٨) وعبد القادر الجاعوني (١٩١٢- ؟) وجول دانيل، وخالد الدزدار، وسعد الدين العارف، وطاهر بركات، وعلي محي الدين الحسيني، وجورج فرح، وهنري كتن (١٩٠٦-١٩٩٢) [٤٨]، وسليمان صالح الحسيني[٤٩].

يقول إميل الغوري بهذا الشأن أنه، بعد أن كان يمارس أعماله في النادي الأرثوذكسي في الحقلين الوطني والسياسي، أراد أن يعمل في مجالٍ أوسع من هذا النادي، تنتفي فيه كل صفة طائفية أو مظهر محلي بقوله "... **وكانت علاقات الزمالة المدرسية لا تزال تربطني بعدد من شباب القدس الذين انتقلوا من المدرسة إلى الحياة العامة، أو إلى الدراسة الجامعية. فاتفقنا فيما بيننا على تشكيل كتلة من بعض هؤلاء الشباب للعمل الوطني دونما ضجة، ودون أن تتخذ هذه الكتلة لنفسها أي مظهر رسمي، وذلك لعدة اعتبارات كانت قائمة حينئذ، فإن ما كان يهم أفرادها هو توفير الانسجام والتفاهم فيما بينهم، والعمل المثمر والجهد الفعال...**"[٥٠].

وركزت هذه الكتلة نشاطها على: التوعية والدعاية والتجول في المدن والقرى للحث على مقاطعة اليهود الصهاينة ومقاومة بيع الأراضي؛ ومحاولة تنفيذ القرارات الوطنية

التي كانت تصدر عن زعامة البلاد الممثلة في اللجنة التنفيذية العربية للمؤتمر الفلسطيني. وكانت هذه الكتلة تقوم بزيارات إلى موسى كاظم الحسيني في بيته لتستمع إلى أحاديثه وتوجيهاته وإرشاداته، ومن خلالها استطاعوا التعرف على زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية ورجالها البارزين لا سيما في القدس، من أمثال خليل السكاكيني (١٨٧٨-١٩٥٣) [٥١]، وجميل الحسيني (١٨٧٦-١٩٥٢)[٥٢]، وشبلي الجمل، وجمال الحسيني (١٨٩٢-١٩٨٢) [٥٣]، وإبراهيم شماس، وعبد القادر المظفر (١٨٨٠-١٩٤٩) وغيرهم[٥٤]. وقاموا بالاتصال أيضاً مع الحاج أمين الحسيني (١٨٩٧-١٩٧٤)، والتقرب منه[٥٥]. وقد شارك هؤلاء في مظاهرة ضد زيارة بلفور سنة ١٩٢٥، ومنعوه من زيارة الحرم القدسي الشريف[٥٦]. وبقي هؤلاء الشباب يشاركون في الأحداث الجارية في فلسطين، حتى غادر بعضهم للدراسة سنة ١٩٢٧ مثل عبد القادر الحسيني، وإميل الغوري الذي غادر للدراسة إلى أمريكا في ١٥ أيلول ١٩٢٩[٥٧]. وبقيت علاقاتهم قائمة عبر الرسائل التي كانوا يتبادلونها فيما بينهم، والتي كانت تتناول أحوالهم الخاصة وأحوال البلاد فيقول إميل الغوري بهذا الصدد "**... ومن رسائل متواصلة كان يوافيني بها أصدقاء حميمون أذكر منهم الأب نقولا الخوري وفوتي فريج ونافذ الحسيني، ويوسف عبدو، وميشيل عازر، واسحق فانوس، وعبد القدر الحسيني، فضلاً عن شقيقي عيسى ورجائي. وكانت رسائل عبد القادر تدور حول أمور ما انفكت تشغل أفكاره وتثير حماسته.. وكان مضمون هذه الرسائل الأساس الذي قام عليه تعاوننا الوثيق بعد عودتي من أمريكا**"[٥٨].

وعندما أصبح عبد القادر الحسيني طالباً في الجامعة الأمريكية بقي على اتصال مع إميل الغوري. حيث يذكر أنه كان يرسل له الرسائل يحدثه فيها عن انطباعاته عن الجامعة الأمريكية التي تضايقه ومنها (سيطرة الروح الأمريكية المتفشية في الجامعة)، وينقم على الجامعة المذكورة (لاتجاهها الاستعماري والتبشيري..). وقال في إحدى رسائله أنه مصمم رغم ذلك على البقاء في هذا المعهد، أولاً لأن انتهاء دراسته فيه

بات وشيكاً، ولأنه من ناحية أخرى، يرغب في التعمق بدراسة وسائل الأجانب الاستعمارية وأساليبهم التبشيرية! [٥٩].

وعندما تولى عبد القادر الحسيني منصب مأمور لتسوية الأراضي في يافا ثم غزة بعد عودته من مصر[٦٠]. كان الموقف لإميل الغوري موقفاً مغايراً تماماً لموقف عبد القادر الحسيني حيث اختلف معه حول الوظيفة الحكومية، لكن عبد القادر الحسيني أقنعه بأنه أمر مهم للتنظيم السري وتضليل السلطات والتعرف على الموظفين من الشبان العرب واستقطابهم للتنظيم [٦١].

يتحدث إميل الغوري حول بدايات عبد القادر الحسيني في إنشاء التنظيم السري. فعندما أنهى إميل الغوري دراسته الجامعية في جامعة سينسيناتي، ونال شهادة (M.A). في حزيـران عام ١٩٣٣[٦٢]، بدأ يبحث إنشاء عمل سـري، فأخذ يجري لقاءاته السرية مع عدد من إخوانه الشباب، وخاصة أولئك الذين عمل معهم في عهد الدراسة وبعدها، وقبل سفره إلى أمريكا لإنشاء (عمل سري) في البلاد. واتصل بصورة خاصة بعبد القادر الحسيني، فوجد أنه قد بدأ في هذا التنظيم منذ عام ١٩٣١. واستطاع إميل الغوري الاتفاق معه على إيجاد تنظيم سري في القدس، يشمل جميع أنحاء فلسطين وأطلقوا عليه اسم "منظمة المقاومة والجهاد" وكان من مهامه: توعية الشعب ونشر روح التمرد على الحكم البريطاني في أوساطه؛ وإنشاء منظمات سرية – شبه عسكرية – من الشباب المؤمنين وتسليحهم وتدريبهم وإعدادهم للقتال. وأحيط هذا التنظيم بالسرية والكتمان، واستطاعوا إنشاء (١٧) فرعاً لهذا التنظيم في مدن فلسطين وقراها، وفيما بعد تم تغيير اسمه ليصبح: "منظمة الجهاد المقدس" [٦٣] كما سنرى. وقد جاء هذا التنظيم في سياق المرحلة التي امتدت بين عامي ١٩٢٩-١٩٣٦ من تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية[٦٤].

لذا يكاد يكون إميل الغوري الشخصية الوحيدة التي لازمت عبد القادر الحسيني منذ طفولته حتى استشهاده، وهذا جعله ينفرد بذكر تفاصيل دقيقة عن حياته في مذكراته التي لم ترد في أيٍّ من المصادر. ويبدو سبب تفرده أيضاً أن السرية والكتمان التي أحاطت بالتنظيم السري بقيادة عبد القادر الحسيني، حالت دون قيام المؤرخين بتدوين تفاصيل وتحركات وفعاليات وإنجازات هذا التنظيم، سوى إميل الغوري. هذا من جانب، ومن جانب آخر، لأنه كان أحد الأعضاء المؤسسين له. لذلك، تفرد إميل الغوري وخاصة في الأمور التي شارك فيها بنفسه في الاجتماعات والتحضيرات للثورة. لذا تجده مقلاً في جانب نقل الأحداث والمعارك التي لم يشارك فيها ، بسبب انشغاله بالأمور السياسية، حيث كان أحد رموز القادة الفلسطينيين السياسيين. والنقطة الهامة التي يجب التركيز عليها هي أنه لقربه من عبد القادر الحسيني، وموقعه القيادي المتميز، كان يتصدى كثيراً لبعض الإشكالات التي كان يثيرها فيما بعد بعض المشاركين في تلك الأحداث. هذا بالإضافة إلى ما تحتويه مؤلفاته من معلومات دقيقة حول تلك الأحداث التي قد لا تجدها عند غيره.

فهناك الكثير من المصادر أو المراجع قد أشكل عليها الكثير من الحقائق وخاصة عن عبد القادر الحسيني، لأنها لم تتطلع على ما ذكره إميل الغوري. ومنها: هل التحق عبد القادر الحسيني بالجامعة الأمريكية في بيروت أولاً أم بالجامعة الأمريكية في القاهرة؟ وقد تضاربت المراجع في تحديد ذلك فيقول: "**ورأى المغفور له والده أن يلحقه بالجامعة الأمريكية في بيروت للدراسة فيها، ولكن عبد القادر آثر الالتحاق بالجامعة الأمريكية في القاهرة. وكان حافزه إلى هذا الاختيار، كما أعلمني برسالة منه بعث بها إلي وأنا في أمريكا، رغبته في أن يعيش الحركة الوطنية المصرية التي كانت قد بلغت أوج شدتها حينئذ بقيادة مصطفى النحاس باشا، ليتمرس على أساليب المقاومة، وأن يشبع فهمه إلى الحياة في جو العروبة والإسلام، ومعرفة تاريخها**

على وجهه الصحيح، في قاهرة المعز وإلى جانب الأزهر الشريف"[٦٥]. وسيتلازم ذكر تلك العلاقة حتى نهاية هذا البحث.

إميل الغوري ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية ومقاومته للاحتلال البريطاني (١٩٣١-١٩٣٣):

بعد التجربة التي مرت بها الحركة الوطنية الفلسطينية في مقاومة سياسة بريطانيا في فلسطين سلمياً للفترة ١٩١٧-١٩٣٠، وجدت أن هذا الأسلوب لا يجدي نفعاً، ولا بد من تطويره. لذا دعت اللجنة التنفيذية العربية في جلسة لها في ١٦ آب ١٩٣١ إلى عقد مؤتمرٍ لها في نابلس في ٢٠ أيلول ١٩٣١ لدراسة سياسة التعاون مع حكومة الانتداب في فلسطين ودعوة الشباب لعقد اجتماع لهم في البلاد من أجل أن ينظموا صفوفهم [٦٦]. كان صاحب السبق في إعلان أن سياسة المهادنة والتعاون مع حكومة الانتداب غير مجدية، وأنه يجب ادخال عنصر الشباب في العمل السياسي، من خلال جمعية "فرسان الوحدة العربية". حيث كان إميل الغوري أحد مؤسسي هذه الجمعية، وهو من جملة الطلبة العرب في الجامعات الأمريكية، والتي أقرها مؤتمر لهم عقدوه في كانون الثاني ١٩٣١[٦٧] في مدينة كليفلند في ولاية أوهايو حيث حضره ٧٦ طالباً من مختلف الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية (أوهايو، وأنديانا ووست فرجينيا وكنتاكي) لبحث واجب الطالب العربي في المهجر الأمريكي نحو الوطن العربي وقضاياه. واتفقوا على واجب الرعاية لهذه القضايا، وخاصة فلسطين والدفاع عن فكرة (الوحدة العربية) التي كانت حديث الأوساط العربية، وقيام اليهود الصهاينة بتضليل الأمريكان بأن الوحدة العربية هي حركة عنصرية ودينية، وأنها تستهدف مقاومة الديانتين اليهودية والمسيحية.

فكان أحد قرارات هذا المؤتمر تشكيل هذه الجمعية، وتهدف إلى نشر معالم تاريخ العرب، وفروسيتهم واطلاع الأمريكيين على تاريخ العرب ومنجزاتهم السياسية

والعسكرية، والعلمية والفلسطينية وغيرها. وبالفعل تشكلت جمعية "فرسان الوحدة العربية"[٦٨]، وكان أحد فعالياتها لنشر فكرها عندما أرسل إميل الغوري من جامعة سينسيناتي الأميركية إلى جريدة فلسطين بياناً موجهاً إلى الأمة العربية في ١٥ نيسان ١٩٣١، والذي جاء فيه أن فريقاً من الشباب العرب في أمريكا بعد دراسة لجهاد العرب في فلسطين خلال فترة الأربعة عشر عاماً الأخيرة لم يثمر الثمرة المرغوبة، وأن الدول الغربية لا يهما أمر الفلسطينيين سوى ما يهم أمرهم، وأن الوعود والعهود من قبل الحلفاء لا قيمة لها، وأن أوروبا لا تقيم ولن تقيم لهم وزناً إلا إذا كانوا متحدين اتحاداً عاماً، وأن وقت التفاهم مع المحتلين والمغتصبين واتباع الطرق الدستورية السياسية التعاونية قد مضى، وأن الأمة العربية قاطبة في خطر، وأنه لا نهضة للعرب وللأمة العربية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً إلا بالوحدة العربية. وحيث أن الدول الاستعمارية لديها مشاكل اقتصادية وسياسية، فهذا سيساعد العرب والفلسطينيين على نيل مرامهم. لذا قرر الشباب العربي في الولايات المتحدة الأمريكية أن يوجهوا نداءً إلى الأمة العربية خاصة الشبان والشابات وخصوصاً التلامذة، الذين هم عماد الوطن وأساس نهضة الأمة، مقترحين ما يلي: تأسيس هيئات عربية في كل بقعة من بلاد العرب تعمل على الاستقلال ضمن الوحدة العربية، ويسمى أفراد هذه الهيئات "فرسان الوحدة العربية"، وأن تتبنى القَسَم التالي:

"باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت، أقسم بالله وبشرفي وبتربة أجدادي أن أعمل للوحدة العربية وأسعى لاستقلال العرب بكل وسيلة وطريقة بقطع النظر عن صفتها ما دامت تؤدي الغاية العليا، إنني لا أعترف مطلقاً بالتقسيم الذي أجراه الأحلاف في البلاد العربية، ولا بأي انتداب أو وعد مثل وعد بلفور، ولا بأي حل لا يتفق مع أماني العرب، بل أني اعتبر كل البلاد العربية جسماً واحداً لا يتجزأ وأعترف أن وجود الدول الغربية والمهاجرين الأجانب في البلاد العربية هو غير طبيعي وجائر واغتصاب لحقوقي وحقوق أمتي، وسلب لحريتي وحرية بلادي وأني أتعهد بأن

أطهر البلاد من كل استعمار أو احتلال وانتداب أجنبي وأن أهدم كل عقبة تقف في سبيل الغاية العامة، وأن لا أجعل أي غاية شخصية أو إقليمية تقف في سبيل الوحدة العربية والله عليّ شهيد!" وأخيراً طالب بتخليد ذكرى الشهداء الذين أعدمتهم السلطة البريطانية في فلسطين يوم ١٧ حزيران ويبدأ العمل بهذا الميثاق، وتأليف الهيئات يوم ١٧ حزيران(٦٩). ويبدو بناءً على هذه الدعوى عقد الشباب مؤتمراً لهم باسم مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني الأول في كانون الثاني ١٩٣٢، وأصبح هذا المؤتمر يمثل بلجنة تنفيذية برئاسة يعقوب توفيق الغصين (١٩٠٠-١٩٤٧) (٧٠).

أما بالنسبة للجنة التنفيذية العربية وتشكيلة أعضائها فلم يعهد عنها أن كان من بين أعضائها من الشباب إلا في ١٢ آب ١٩٣٣، عندما عقد لها اجتماع استثنائي بسبب استقالة أحد أعضائها نخلة كتن، وذلك من أجل إفساح المجال لمشاركة الشباب الجدد في الحركة. واقترح بدلاً منه إميل الغوري والبالغ من العمر (٢٦) عاماً. فاستغرب الأعضاء في البداية لكن موسى كاظم الحسيني (١٨٥٣-١٩٣٤) رئيس اللجنة أيد ذلك وقبل استقالة نخلة كتن، وقبول إميل الغوري عضواً بالإجماع. وهكذا كانت أول مشاركة شبابية لإميل الغوري في هيئة تمثيلية للشعب الفلسطيني التي تسعى لتحقيق مطالبهم من الاحتلال البريطاني والمؤسسات الدولية (٧١).

لعب الشباب ومنهم إميل الغوري، دوراً مهماً في تسيير المظاهرات عام ١٩٣٣ حيث أخذ الشباب بإجراء إتصالات للإعداد من أجل القيام بأعمال ضد السياسة البريطانية من خلال خطة مدروسة، تقرر الاجتماع في ٢٧ أيلول ١٩٣٣ في منزل إميل الغوري، والذي أحيط أيضاً بالسرية والكتمان(٧٢)،قرر المجتمعون ما يلي(٧٣):

القيام بمظاهرات دورية في المدن الفلسطينية الكبرى، ابتداء من القدس في يوم الجمعة ١٣ تشرين الأول ١٩٣٣، ثم يافا، حيفا، فنابلس فسائر المدن الفلسطينية، بحيث تستمر المظاهرات عدة أشهر، ومطالبة اللجنة التنفيذية العربية تبني هذا القرار وتنفيذه، وتم

اختيار إميل الغوري ونافذ الحسيني للقيام بذلك. ومن أجل تنفيذ هذا الأمر عبر القيادات العليا عقدوا اجتماعاً مع رئيس اللجنة التنفيذية العربية موسى كاظم الحسيني وأبدى موافقته، ودعاها إلى الاجتماع في ٦ تشرين الأول ١٩٣٣. فعقد الاجتماع الذي لم يتغيب عنه أحد من أعضائها، وأخذ موسى كاظم الحسيني يقنع الأعضاء بذلك حتى تبنوا هذا القرار بالإجماع، وكانت من مقررات هذا الإجتماع ما يلي(٧٤):

القيام بمظاهرات عامة دورية في مختلف مدن فلسطين، سواء وافقت حكومة الانتداب على قيامها أو لم توافق. تكون أولها في القدس يوم الجمعة في ١٣ تشرين الأول ١٩٣٣، وثانيها في يافا في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٣، ثم في حيفا فنابلس فغزة فالخليل وهكذا. على أن تُضرِب فلسطين كلها إضراباً عاماً في الأيام التي تجري فيها المظاهرات. بالإضافة الى مشاركة جميع أعضاء اللجنة التنفيذية العربية والمؤتمر الفلسطيني السابع في هذه المظاهرات(٧٥).

بالفعل قامت المظاهرة في القدس في ١٣ تشرين الأول ١٩٣٣، بقيادة موسى كاظم الحسيني، وكان جمال الحسيني يمسك ذراعه اليمنى، وإميل الغوري يمسك بذراعه اليسرى، وسقط العديد من القتلى والجرحى فكان إميل الغوري من بين الجرحى (٧٦). وعندما أصدرت اللجنة التنفيذية العربية بياناً في ٣ تشرين الثاني ١٩٣٣ بعد مظاهرة يافا دعت فيه إلى وقف التظاهر والإضراب إلى إشعار آخر(٧٧). قررت حكومة الانتداب بموافقة المندوب السامي آرثر واكهوب Arthur Wauchop، إلقاء القبض على رموز قادة الحركة الوطنية الفلسطينية ومنهم إميل الغوري(٧٨)، بتهمة أنهم المسؤولون عن المظاهرة وحوادث يافا. ولكنه تمكن وبعض القادة من الفرار عندما علموا بالقرار أثناء طريقهم إلى القدس عن طريق الرملة(٧٩). وبالفعل تم اعتقال العديد من القيادات(٨٠).

دور إميل الغوري في تأسيس منظمة الجهاد المقدس والعمل الوطني الفلسطيني ١٩٣٤-١٩٣٥:

تمّ الحديث سابقاً عن دراسة المراحل الأولى للسعي لتشكيل تنظيم عسكري سري. تبلورت هذه الفكرة عندما عقد المؤتمر التأسيسي في ٢٥ آذار ١٩٣٤ في أريحا – عقبة جبر في منزل محي الدين الحسيني- [٨١] حيث كان إميل الغوري أحد الأعضاء الذين حضروا هذا المؤتمر[٨٢]. وأقسم أعضاء التنظيم اليمين على التمسك بالميثاق الوطني والحفاظ على السرية والكتمان. وقد تمخضت عن هذا المؤتمر القرارات التالية: تتشكل القاعدة الشعبية العامة للتنظيم من الأشخاص المجتمعين ومن تأخر من زملائهم عن الحضور؛ مضاعفة الجهود والمساعي لتسليح الشبان وتدريبهم؛ إعادة بناء التنظيم السري على أساس الخلايا، بحيث تتألف كل خلية من خمسة أفراد، يرأسهم مسؤول، وتكون كل خلية منفصلة ومستقلة ولا صلة لها (أو معرفة) بأية خلية أخرى؛ تناط بعبد القادر الحسيني (قائد التنظيم) مهمة إنشاء الخلايا، واختيار المسؤولين عنها، وتنسيق أعمال التنظيم، ووضع أسس العلاقات بين العاملين؛ تعيين لجنة عليا للتنظيم من السادة: حسن سلامة (١٩١٢-١٩٤٨)، ونافذ الحسيني، وجميل الفارس، وصالح الريماوي، وإميل الغوري، لمعاونة عبد القادر الحسيني في أعماله ومهامه، وتنمية موارد التنظيم من المال والسلاح؛ تعقد اجتماعات دورية للقاعدة الشعبية للتنظيم بدعوة من القائد العام[٨٣].

كانت المشكلة الأساسية التي واجهت هذا التنظيم توفير السلاح والعتاد، لذا كان لا بد من إيجاد وسائل لحل هذه المشكلة. وبعد دراستها توصلوا إلى قرار أنه لا بد من الإغارة على مخافر الشرطة والجيش البريطانيين. لذا أعد عبد القادر الحسيني خطة للاستيلاء على بعض هذه المخافر من أجل السيطرة على ما بحوزتها من سلاح وعتاد؛حيث بدأ التنظيم تنفيذ تلك الغارات ففي ١٧ كانون الأول ١٩٣٤. أعدت خطة

للإغارة على مخفر كبير في باب الواد، الذي يحوي على أعداد كبيرة من الأسلحة والعتاد، وكان في هذا المخفر ما يقارب الخمسين شخصاً من الضباط والجنود (من عرب وإنكليز ويهود). فاختار عبد القادر الحسيني بعض رجال التنظيم لتنفيذ هذه المهمة، وكان منهم إميل الغوري[٨٤].

بناءً على ما سبق نجد أن التنظيم السري لمنظمة الجهاد المقدس فيما بعد، قد ظهرت بدايات تشكيله على أرض فلسطين، ولم يتم في مصر. وهذه الحقيقة أكد عليها إميل الغوري في رده على مقالة قاسم الريماوي (١٩١٨-١٩٨٢) [٨٥] عندما ادعى أنه تم تشكيل منظمة الجهاد المقدس عندما وطئت أقدام عبد القادر الحسيني أرض الكنانة[٨٦].

أما بالنسبة لعلاقة الحاج أمين الحسيني بالتنظيم فقد جاءت، وفق رواية إميل الغوري، متأخرة بعض الشيئ، وكانت بدايتها عندما بدأت الهجمة الشرسة ضده من قبل معارضيه، مما جعل أعضاء التنظيم يفكرون ملياً بمقابلته وبيان الحقيقة. لذا تم تشكيل وفد لمقابلته، وكان إميل الغوري أحد أعضائه[٨٧]. ويذكر أن اللقاء تم في ١٢ تموز ١٩٣٤، في مكتبه في المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، حيث طلب أعضاء الوفد منه إيضاح ما يشاع وشرح موقفه وسياسته لهم، فرد عليهم الحاج أمين الحسيني بالآتي:

"اسمعوا يا إخوان... إني أربأ بكم أن تصدقوا هذه الأقاويل... وأنكم تعلمون أني كنت أول شخص قاتل الإنكليز مباشرة عام ١٩٢٠... وأنا لست من الذين يبدلون اتجاههم أو يغيرون مواقفهم. ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها... وليس من مصلحة الشعب والبلاد أن يقوم اصطدام جدي مع الإنكليز قبل أن تتم التهيئة الكاملة له. وهنالك أمور وأشياء ستعلمونها في الوقت المناسب... وأود أن أحيطكم علماً بأني عالم بما تفعلون وتدبرون... وإن نجاحكم في مهمتكم هو أمنيتي الغالية، ويمكنكم الاعتماد علي لمعاونتكم، ضمن المستطاع، دون معرفة أحد غيركم. وسيأتي الوقت،

وأظنه قريباً، الذي يطلب فيه منكم التعاون وتنسيق العمل مع آخرين ما انفكوا يعملون بهدوء وسكون، مثل ما تعملون له بل أكثر"[٨٨].

ويذكر إميل الغوري إنطباعاته عن حديث الحاج امين الحسيني بقوله: "**واسترعى اهتمامنا بشكل خاص أمران مهمان، في كل منهما مفاجأة. الأول، قول سماحته أنه كان يعرف أعمالنا ويعلم بجهودنا... أما الأمر الثاني الذي استرعى انتباهنا وأثار اهتمامنا فهو قول المفتي أن هناك أموراً وأشياء (ستعلمونها في الوقت المناسب) وأنه ليس من مصلحة الشعب والبلاد أن يقوم اصطدام جدي مع الإنكليز قبل أن تتم التهيئة الكاملة له**"[٨٩]. يظهر من هذا اللقاء أن أعضاء التنظم لم يطلعوه على تنظيمهم. لذا بقي الحال على حاله، الكل يعمل وحده حتى تم اللقاء بينهما مرة أخرى في ٢٥ تموز ١٩٣٥. يقول إميل الغوري عنه: "**والأرجح أنه تعمد قيام هذا اللقاء**"[٩٠]. ويقول أيضاً أنهم في اللقاء الأخير هم الذين كشفوا للحاج أمين الحسيني عن حقيقة التنظيم.

وبعدها بدأت المساعي من أجل توحيد جميع التنظيمات والتشكيلات، والتنظيمات السرية في فلسطين في تنظيم واحد، وكان أن تم دمجها في تنظيم "منظمة الجهاد المقدس" في صيف ١٩٣٥، والتي أصبحت منظمة فلسطينية عسكرية عامة. ولكن بقي تنظيم واحد خارج هذا التنظيم وهو منظمة القساميين[٩١]. وقد أكد عبد الوهاب الكيالي (١٩٣٩-١٩٨١) ذلك في لقاء أجراه مع إميل الغوري حول تشكيل منظمة الجهاد المقدس هذه[٩٢]. وأكد إميل الغوري حول توحيد تلك المنظمات في منظمة واحدة، في رده على مقالة[٩٣] لقاسم الريماوي يتحدث فيها عن تنظيم منظمة الجهاد المقدس، فيقول: "... **فقد قام عدد من شبان فلسطين المؤمنين، خلال ١٩٣٤/١٩٣٥ بتشكيل تنظيمات سرية لمحاربة الاحتلال والحركة اليهودية، ثم توحدت هذه التنظيمات، بإشراف المفتي وتوجيهاته، في منظمة سرية واحدة. فلما تشكلت اللجنة العربية العليا في ٢٥ نيسان ١٩٣٦، اعتمد سماحة رئيسها الحاج أمين الحسيني، هذه**

المنظمة وأطلق عليها اسم (منظمة الجهاد المقدس) للقيام بالثورة التي كانت الحركة الوطنية تعتزم إعلانها. وأسند قيادتها العامة إلى عبد القادر الحسيني"[٩٤].

وقد أكد لعبد الوهاب الكيالي أنه كانت هناك اتصالات بين الحاج أمين الحسيني والشيخ عزالدين القسّام (١٨٨٢-١٩٣٥) [٩٥]، وأكد ذلك إميل الغوري في معرض رده على أحمد الشقيري (١٩٠٨-١٩٨٠) مؤكداً وجود تعاون بين القساميين ومنظمة الجهاد المقدس التي تشكلت عام ١٩٣٥، بقيادة عبد القادر الحسيني[٩٦].

أما بالنسبة لمقاومة الهجرة وحراسة السواحل والحدود، ففي جلسة للجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب العربي الفلسطيني، في ١٣ تموز ١٩٣٤، قررت قيام الشباب بحراسة السواحل والحدود بالمناوبة تحت اسم (لجنة حراسة السواحل والحدود). وبدأت هذه الحراسات من أجل مكافحة تهريب اليهود الصهاينة الى فلسطين يوم ٢٣ تموز ١٩٣٤، ووضعت ترتيبات لذلك، وتم توزيع العديد من قادة وشخصيات فلسطينية مسؤولين على مناطق السواحل والحدود. فقد كانت المنطقة بين سيدنا علي إلى مجدل عسقلان قد عهدت إلى رئيس وأعضاء مكتب مؤتمر الشباب أنفسهم، الذي كان إميل الغوري أحد أعضائه [٩٧]. وعندما تشكل الحزب العربي الفلسطيني بعد ذلك، في آذار من عام ١٩٣٥ برئاسة جمال الحسيني، كان إميل الغوري أحد أعضائه المؤسسين[٩٨].

الملاحظ مما سبق أن إميل الغوري كان يشارك في أي جانب سياسي وعسكري، وهذا جعله في موقع إقران الأقوال بالأفعال، أي لم يعتمد على التنظير فقط كما هو حال الكثير من السياسيين. كما يلاحظ، مدى تطور النضال الوطني الفلسطيني، ودخوله مرحلة التنظيم المسلّح، ما يدل على نضج قادة الثورة سياسياً، وهذا ما سيكون له أثره الايجابي في المراحل اللاحقة من النضال الوطني، لاسيما ثورة ١٩٣٦.

إميل الغوري ومشاركته في الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩):

عندما بدأت الصدامات بين اليهود الصهاينة والفلسطينيين في نيسان ١٩٣٦، عقدت سلسلة من الاجتماعات لمنظمة الجهاد المقدس. وكان من بينها اجتماع عقد في ١ أيار ١٩٣٦ في زاوية تقع داخل ساحة الحرم المقدسي الشريف، وكان إميل الغوري أحد الأعضاء المشاركين. وكان من ضمن قراراته اعتبار هذا اليوم بداية التمرد والعصيان على السياسة البريطانية وغيرها من القرارات المهمة[٩٩].

وعلى إثر الإضراب العام والعصيان المدني في فلسطين، وطرح حكومة بريطانيا التهدئة، وإيقاف الثورة بأشكالها المتعددة، من أجل إرسال لجنة تحقيقية، وفق ما أعلنه وزير المستعمرات أورمسبي غور Our Mesbi- Gor (١٨٨٥-١٩٦٤) في مجلس العموم البريطاني في ١٨ أيار ١٩٣٦[١٠٠]، فقد تم إرسال وفد للتباحث حول ما طرحته حكومة الانتداب وكان إميل الغوري أحد أعضائه [١٠١]، حيث كان في مهمة في أوروبا من أجل فتح المكتب العربي الفلسطيني في لندن، هناك تم ضمه إلى الوفد[١٠٢]. واجتمع الوفد بوزير المستعمرات أورمسبي غور في ٩ تموز ١٩٣٦ الذي أصر على إنهاء الإضراب في فلسطين كأساس لإرسال اللجنة؛ أما بالنسبة للهجرة فقد أكد أنه لا مجال لبحثها. وتنكر لموضوع مراسلات الشريف حسين- مكماهون وقال أنه لم يطلع عليها[١٠٣]. وهكذا فإن هذا الوفد لم يحقق أهدافه.

كان عبد القادر الحسيني قائد التنظيم يكتب لإميل الغوري، الموجود في لندن لمهمة انشاء المكتب العربي الفلسطيني هناك، رسائل يتحدث فيها عن الأوضاع العامة وخاصة العسكرية منها ذات الطابع الميداني. ففي إحدى الرسائل التي وجهها له في ٢٢ أيلول ١٩٣٦ جاء فيها حول تأمين السلاح وتكلفته الباهظة، وفيها استطاع أن يشخص الحالة في فلسطين، ويوضح الأسباب التي أدت إلى وقف الإضراب والثورة،

وهذا نصها: "صحيح أن الثورة قوية وشديدة، وأن الإضراب مستمر بإحكام ورسوخ، وأن الناس يتحملون التضحية بكل ارتياح وتصميم، ولكني لا أنكر عليك أننا أصبحنا نواجه تيارات مخيفة واتجاهات عجيبة لا تدعو أبداً إلى الاطمئنان والثقة، ولولا خوفي من أن تتهمني بالتشاؤم لقلت لك إن هذه التيارات والاتجاهات ستضر بالثورة وستؤذي الحركة الوطنية بشكل مؤسف.

ففيما يتعلق بالثورة نفسها والمجاهدين، فإننا نجد صعوبة عظيمة في الحصول على السلاح والفشك. ففضلاً عن أن الانكليز يتشددون في حراسة الحدود ويضيقون علينا الخناق، فإن سعر البندقية ارتفع إلى أكثر من ستين ليرة (جنيه) والمسدس إلى (٣٥) ليرة ومشط الفشك الانكليزي أصبح يساوي ١٠ قروش والألماني ١٢ قرشا، وأننا لا نجد المال اللازم للشراء في الداخل من المرابين، ومن الضباط الانكليز كما تعلم. وأشعر أن إخواننا العرب في الخارج أخذوا يتخلون عن الثورة ومساعدتها، مادياً. إلى جانب هذا فإن بعض الجهات العربية الرسمية جعلت تقف من الثورة موقفاً مريباً.. وأن بعض المتطوعين ... مرتبطون بسياسات عربية خارجية أكثر من ارتباطهم بالثورة، وهم لا يتورعون عن إثارة الاختلافات الحزبية المحلية لإضعاف الجهاد المقدس وإهاجة بعض الفئات الفاسدة.

وهناك أمر يحملني على التطير والخوف، فإن العم (الحاج أمين) يتعرض لبعض التدخلات من الخارج، ولضغط كبير من بعض زعماء الأحزاب لفك الإضراب ووقف الثورة. وأهم من هذا كله أن بعض رجال الأعمال والعمال والمزارعين وأصحاب البساتين والبيارات، يتصلون بالعم ويلحون عليه بطلب إنهاء الإضراب..."[(١٠٤)].

كان إميل الغوري قد أرسلته اللجنة العربية العليا من أجل إنشاء المكتب العربي الفلسطيني في لندن، وبالفعل وفي نايتسبردج أحد أحياء لندن تم فتح هذا المكتب للدعاية، حيث كان أول مكتب عربي للدعاية والإعلام في بريطانيا. وهناك أصيب في

كانون الأول ١٩٣٦ بمرض حيث نصحه الأطباء المغادرة إلى بلد فيه شمس ودفء، وبالفعل غادر لندن إلى القدس حيث وصلها في ١١ كانون الثاني ١٩٣٧. وبعدها تم إرسال جورج منصور (١٩٠٥-١٩٦٣) بدلاً منه لإدارة المكتب(١٠٥).

إثر إصابة عبد القادر الحسيني في معركة الخضر في ٤ تشرين الأول ١٩٣٦ وسفره للعلاج في دمشق، قرر عقد اجتماع لمنظمة الجهاد المقدس سراً في عمان، وطلب من مجلس القيادة اللحاق به إلى عمان، وتم اللقاء في ١٥ آذار ١٩٣٧، وكان من بين الحضور إميل الغوري، حيث عقد الاجتماع في بيت عارف العنبتاوي. ثم في ١٧ آذار ١٩٣٧ انتقلوا – للحيطة والحذر – إلى إربد وعقدوا هناك إجتماعين في دار كليب الشريدة (١٨٦٥-١٩٤١) في بلدة دير أبي سعيد، وإجتماعاً في دار سليمان السودي الروسان في بلدة سما الروسان(١٠٦).

عقد مجلس قيادة منظمة الجهاد المقدس اجتماعاً في بلدة بئر زيت في ٣١ تشرين الأول ١٩٣٧، وقرروا فيه إعلان الثورة في ٢ تشرين الثاني ١٩٣٧،- أي الذكرى العشرين لصدور وعد بلفور المشؤوم. وعندما علمت حكومة الانتداب بهذا القرار اتخذت خطوات عديدة لمواجهة ذلك ومنها: إلقاء القبض على عبد القادر الحسيني وزملائه أعضاء مجلس القيادة، ومنع العديد من القيادات دخول فلسطين، وكان إميل الغوري من بينهم(١٠٧)؛ ولكنه كان خارج فلسطين في مهمة سياسية.

إميل الغوري ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٠-١٩٤٨

بعد أن أصدر المندوب السامي السير هارولد ماك مايكل Sir Harold Mac Michael سنة ١٩٤٣ قراره برفع القيود عن العناصر الفلسطينية النشطة سياسياً(١٠٨)، عقد الحزب العربي الفلسطيني مؤتمراً في ٢٥ آذار ١٩٤٤ في منزل إميل الغوري في الذكرى التاسعة لتأسيسه، وحضره تسعة وسبعون زعيماً. وأكدوا فيه على تمسك

الشعب بالحاج أمين الحسيني، والمطالبة بوجوب السماح بعودة الغائبين والمعتقلين والمبعدين إلى فلسطين، وتقرر في هذا الاجتماع حول الحزب ما يلي[١٠٩]:

١- إسناد رئاسة الحزب بالوكالة إلى توفيق صالح الحسيني.

٢- تجديد انتخاب إميل الغوري أميناً عاماً للحزب.

٣- انتخاب الحاج خالد محمد الفرخ (١٩٠١-١٩٦٦) مديراً للحزب.

٤- إنشاء مكتب مركزي للحزب مؤلف من وكيل الرئيس والأمين العام والمدير، ومن ثمانية أعضاء[١١٠].

أخذ الحزب يدعو إلى تأليف هيئة عليا تمثل الشعب الفلسطيني، فشكلت لجنة لتحقيق هذا الغرض وكان إميل الغوري أحد أعضائها[١١١].

وبيّن في رسالة بعثها في ٤ أيلول ١٩٤٥ إلى محمد جميل بيهم (١٨٨٧-١٩٧٨) في بيروت، أن الحزب العربي الفلسطيني هو حزب الأكثرية والوحيد الذي يعمل في فلسطين، ويحمل لواء الجهاد والحركة الوطنية في فلسطين[١١٢]. ويذكر إميل الغوري أن الحزب عمل منذ إعادة تكوينه على إعداد الشعب للكفاح والجهاد، وذلك عندما اتخذ خطوته الأولى في إعادة تشكيل منظمة الفتوة بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٤٥[١١٣].

وعندما أنشئ جيش الجهاد المقدس، أكد إميل الغوري أن عمله المقاوم لم يكن عفوياً بل كان منظماً وله خطة مدروسة قام بإعدادها عبد القادر الحسيني، وحسن سلامة، وعدد من الضباط المصريين والعراقيين والسوريين، وتمت الموافقة عليها رسمياً في مطلع شهر أيلول ١٩٤٧. وجاء هذا الكلام كرد من إميل الغوري على كلام قاسم الريماوي في أن الخطة أعدها عبد القادر الحسيني وناقشها عبد الرحمن عزام (١٨٩٣-١٩٧٦)[١١٤] والشيخ يوسف ياسين وقاسم الريماوي في لبنان[١١٥].

عندما أصبح العمل المقاوم في داخل وخارج فلسطين بحاجة لوجود عبد القادر الحسيني الموجود في السعودية، وأنه لا بد من حضوره إلى القاهرة، لعب إميل الغوري مع أعضاء الوفد[١١٦] الذين ذهبوا في ١١ أيلول ١٩٤٥ إلى القاهرة لمقابلة رئيس الوزراء المصري من أجل السماح لعبد القادر الحسيني الحضور من السعودية إلى القاهرة. فأبلغهم بموافقته وأنه أرسل للبعثة المصرية في جده لإعطائه التأشيرة اللازمة لدخول مصر. وبالفعل وصل عبد القادر الحسيني في ٢٥ شباط ١٩٤٦[١١٧]. وفي ١٢ أيلول ١٩٤٦ عقد اجتماع للحزب العربي الفلسطيني، حضره إميل الغوري. حيث ترأس الاجتماع وتحدث فيه عن هدفه والغرض منه، وهو تنفيذ قرار لجنة الحزب التنفيذية بتأليف لجنة عامة للفتوة ولوضع الأسس والأنظمة. وأعرب الغوري عن الهدف من قيام هذه المنظمة بقوله "**...وأن قيام فرق الفتوة يجب أن لا يعني معاداة أو مقاومة أحد،...**" فيكون بذلك قد نفى كل ما يشاع من أنها قامت لتقاوم النجادة. وأحيل الأمر إلى إميل الغوري وبهجت أبو غربية، وعبد الحق الأتاسي لوضع الصيغة النهائية لنظام الفتوة، ورفعه إلى مكتب الحزب لإقراره[١١٨]. وعندما تم توحيد النجادة والفتوة كان إميل الغوري ممثلاً للفتوة. ففي ١٧ تشرين الأول ١٩٤٦ صدر بيان مشترك من منظمة النجادة والفتوة يعلنان فيه دمجهما في منظمة واحدة، ووقّـع البيان عن منظمة النجادة محمد نمر الهواري (١٩٠٨- ؟)[١١٩]، وعن منظمة الفتوة إميل الغوري[١٢٠].

وعندما تم الاتفاق على إعادة تشكيل اللجنة العربية العليا من اثني عشر عضواً، كان إميل الغوري أحد أعضائها ممثلاً عن الحزب العربي الفلسطيني مع أربعة آخرين من الحزب[١٢١]. وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٥ عقدت اجتماعاً لها تقرر فيه انتخاب الحاج أمين الحسيني رئيساً لها، عند عودته، وعوني عبد الهادي (١٨٨٨-١٩٧٠) [١٢٢] أميناً للسر، وإميل الغوري نائباً لأمين السر[١٢٣]. بل أصبح إميل الغوري مع موسى العلمي (١٨٩٥-١٩٨٩) [١٢٤] ويعقوب الغصين يعقوب توفيق الغصين

(١٩٠٠-١٩٤٧) [١٢٥] يمثلون فلسطين في اجتماعات مجلس الجامعة المنعقد في القاهرة[١٢٦].

وعقد في ٥ كانون الأول ١٩٤٥ اجتماع حضره توفيق صالح الحسيني، وأحمد حلمي عبد الباقي (١٨٨١-١٩٦٣) [١٢٧]، ويعقوب الغصين وعوني عبد الهادي، وإميل الغوري، من أجل الرد الفلسطيني على بيان آرنست بيفن Ernest Bevin (١٨٨١-١٩٥١) [١٢٨] [١٢٩] الذي تضمن المسألة اليهودية، وإشراك أمريكا في قضية فلسطين، والسماح بهجرة ١٥٠٠ يهودي صهيوني[١٣٠].

وعندما تشكلت الهيئة العربية العليا في ١٢ حزيران ١٩٤٦، بقرار من جامعة الدول العربية، احتفظ إميل الغوري بعضويته عن اللجنة العربية العليا[١٣١].

وعند صدور تقرير اللجنة الإنجلو-أمريكية[١٣٢]. بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٤٦[١٣٣]، دعت جامعة الدول العربية إلى اجتماع في الإسكندرية لمناقشة الدعوة، لإجراء مفاوضات مع بريطانيا لحل القضية الفلسطينية، ومثل الهيئة العربية العليا جمال الحسيني وإميل الغوري. وتقرر قبول الدعوة دون شروط مسبقة، والمفاوضات لا تجري على أساس التقسيم، وعدم جلوس العرب واليهود الصهاينة على طاولة مفاوضات واحدة[١٣٤]. وفي الدورة الثانية لمؤتمر لندن الثاني في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧[١٣٥]، شاركت الهيئة العربية العليا بحضور جمال الحسيني، وحسين فخري الخالدي (١٨٩٢-١٩٦٢) [١٣٦]، ومعين الماضي (؟-١٩٥٧) [١٣٧]، وإميل الغوري[١٣٨]؛ وفيها وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود، وأحيلت القضية الفلسطينية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة.

في ٩ آب ١٩٤٧ عقدت الهيئة العربية العليا اجتماعاً لاختيار وفد الهيئة العربية العليا إلى اجتماع الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في أيلول[١٣٩]. وتم تأليف الوفد من

جمال الحسيني، وحسين فخري الخالدي، وإميل الغوري وهنري كتن وواصف كمال وعيسى نخلة[١٤٠].

وفي ٣ تشرين الأول ١٩٤٧ أضربت فلسطين إضراباً عاماً وشاملاً تلبية لنداء الهيئة العربية العليا، لإظهار سخط الأمة على المؤامرات التي تحاك ضد فلسطين، واستنكاراً لما يخطط لفلسطين من تقطيع لأوصالها، واستنكاراً لعدم تلبية مطالب عرب فلسطين العادلة في الاستقلال والحرية، وأن إدعاءات بريطانيا بانسحاب جيوشها عن فلسطين لم يكن إلا ذر الرماد في العيون. وكان هذا الإضراب سلمياً، وقد أقيم حفل جماهيري في ساحة الحرم الشريف وألقى العديد من الخطباء، ومنهم إميل الغوري، كلمات لهم[١٤١].

إميل الغوري وإظهار الحقائق التاريخية لبعض قضايا فلسطين:

كان إميل الغوري يرد في الكثير من الأحيان على بعض الحقائق التاريخية لقضايا فلسطين التي ينشرها بعض معاصريه في الصحف، ومؤلفاتهم الخاصة، حيث ألف كتباً للرد عليهم، ومن بعض هذه القضايا تشكيل اللجان القومية. ولقد رد إميل الغوري على ما قاله قاسم الريماوي من أن اللجان القومية هي تنظيم منفصل عن باقي التنظيمات، وأنها تعمل على حل المشاكل المدنية بين الأهالي وحكم البلاد حكماً محلياً، وأن قوات جيش الجهاد المقدس لم تتدخل في عملها إلا إذا طلبت أمراً تريد تنفيذه، موضحاً أن هذه اللجان بمثابة فروع للهيئة العربية العليا في المدن الفلسطينية، وأن الهيئة العربية العليا تولت أمر تشكيلها في خريف ١٩٤٦، وحدد مهامها بما يلي: تنفيذ قرارات الهيئة العربية العليا؛ الإشراف على الحركة الوطنية المحلية؛ تمويل الحرس الوطني وحاميات المدن والإشراف عليها؛ تسهيل مهام المجاهدين[١٤٢].

يروي إميل الغوري كيف تم تأسيس هذه اللجان وما هي الجهات التي سعت من أجل تشكيلها. وجاء هذا الحديث في معرض رده على قاسم الريماوي الذي يقول أنه شارك

في تأسيسها مع الشيخ حسن أبو السعود، اللذين طافا جميع المدن الرئيسة في فلسطين، فرد إميل الغوري، بأن الحاج أمين الحسيني هو الذي أوفد كلاً من رفيق التميمي (١٨٨٩–١٩٥٦) والشيخ حسن أبو السعود، وبالتعاون مع مكتب الهيئة العربية العليا في القدس (جمال الحسيني، حسين فخري الخالدي، أحمد حلمي عبد الباقي، إميل الغوري). وقام رفيق التميمي والشيخ حسن أبو السعود بجولة استغرقت شهرين زارا خلالهما جميع المدن الفلسطينية، فشكلا فيها خلال تشرين الأول والثاني ١٩٤٦ اللجان القومية، وكان يرافقهما في الجولة أحد أعضاء المكتب بالتناوب، كما كان يرافقهما بصورة دائمة جميل الشهابي، ومصطفى الحسيني، وياسين الخالدي، وصالح الريماوي، وعبد المجيد بدورة وغيرهم[١٤٣]. وقد أكد عارف العارف (١٨٩٢–١٩٧٣) ان رفيق التميمي والشيخ حسن أبو السعود قد لعبا دوراً كبيراً في تشكيل اللجان القومية[١٤٤].

وفي رد إميل الغوري على ما قاله قاسم الريماوي حول أن الهيئة العربية العليا شيء وجيش الجهاد المقدس شيء آخر، بيّن إميل الغوري أولاً أن جيش الجهاد المقدس بمثابة الجناح العسكري للهيئة العربية العليا. وأوضح ثانياً أن العلاقة كانت قائمة بين تنظيمات سرية والحاج أمين الحسيني منذ عام ١٩٣٤–١٩٣٥، ثم توحدت هذه التنظيمات وأصبحت تحت إشرافه وتوجيهاته. وعندما تشكلت اللجنة العربية العليا في ٢٥ نيسان ١٩٣٦، اعتمد الحاج أمين الحسيني هذه المنظمة وأطلق عليها اسم "منظمة الجهاد المقدس" للقيام بالثورة، وأعطى القيادة إلى عبد القادر الحسيني. وعندما تشكلت الهيئة العربية العليا، أعاد الحاج أمين الحسيني تشكيل "منظمة الجهاد المقدس"، وحولها إلى جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، ومساعده كامل عبد الرحمن عريقات (١٩٠٦–١٩٨٤) [١٤٥]، وكانت الهيئة هي الممول والمشرف على أعماله وتزويده بالأسلحة والأعتدة[١٤٦].

وأكد هارون الجازي (؟-١٩٧٩)-أحد الأردنيين المقاتلين في فلسطين- في حديثه عن كيفية التحاقه بالجهاد في فلسطين، بأن إميل الغوري كان في مركز جيش الجهاد المقدس في بير زيت مع عبد القادر الحسيني، ومعه قاسم الريماوي، وحسن سلامة، وكامل عبد الرحمن عريقات، وإبراهيم أبو ديه (١٩١٩-١٩٥٢)[١٤٧]. بل بيّن أن إميل الغوري كان يتجول مع عبد القادر الحسيني وبعض قادة المقاومة في جولات ميدانية، وتعرضوا للاغتيال. ومنها أنه عقد اجتماع لعبد القادر الحسيني، وإبراهيم أبو ديه، وإميل الغوري، ووجوه الحي في ٣ كانون الثاني ١٩٤٨ بعد جولة قاموا بها في شوارع حي القطمون في سيارة جيب، وذلك من أجل الرد على اليهود الصهاينة الذين دمروا ثمانية بيوت من بيوتات العرب في أطراف الحي في ٢ كانون الثاني ١٩٤٨. كما أبلغت الاستخبارات الصهيونية (شلم) أن للعرب قيادتين في قطمون، وهما في نزل كلاريدج الصغير والثاني في فندق سميرأميس، حيث أنهم شاهدوا سيارة عبد القادر الحسيني ذات اللون الرملي؛ لذا تم نسف فندق سميراميس في ٥ كانون الثاني ١٩٤٨. وحسب الرواية التي ذكرها لاري كولينز أن نسفه كان من قبل اليهود الصهاينة لأنهم اعتقدوا أنه أحد معاقل عبد القادر الحسيني ورفاقه[١٤٨].

رفضت الهيئة العربية العليا في ٢٦ آذار ١٩٤٨ الهدنة والوصاية والانتداب. وقد أعلن هذا الموقف عضو الهيئة العربية العليا إميل الغوري رداً على دعوة الرئيس الأمريكي هاري ترومان Harry Truman (١٨٨٤-١٩٧٢) إلى هدنة بين العرب واليهود الصهاينة، وأنهم سيناضلون حتى النهاية[١٤٩].

توضيحات إميل الغوري حول موقف اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية من دعم عبد القادر الحسيني وأثر ذلك على الساحة العسكرية الفلسطينية:

نتيجة للمفاوضات التي أجراها عبد القادر الحسيني مع اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، ومقرها في ضواحي دمشق، والتي تمخضت عن قرارها بعدم دعمه،

قرر الاستقالة من قيادة جيش الجهاد المقدس، وقدمها بالفعل الى الحاج أمين الحسيني، ذاكراً فيها الأسباب(١٥٠). ويوضح إميل الغوري هذا الأمر: "**أيقن عبد القادر بأن عدم حصوله على ما كان يحتاج إليه من سلاح ومعدات لن يمكنه من الاضطلاع بالواجب الواقع على كاهله، واستعادة (القسطل) التي كان اليهود قد احتلوها خلال وجوده في دمشق. فرفع إلى سماحة المفتي كتاباً يعلن فيه استقالته من منصبه (كقائد عام لجيش الجهاد المقدس). ولكن سماحته طلب من عبد القادر سحب استقالته، ووعده ببذل الجهود المستطاعة لتزويده بالسلاح. وتردد عبد القادر في العدول عن استقالته. فحضر إلى الفندق عبد الرحمن عزام باشا وساهم مع المفتي لإقناع عبد القادر بالاستمرار في منصبه. ثم حضر السيد شكري القوتلي إلى الفندق للسلام على سماحة المفتي. ولما علم بأمر استقالة عبد القادر ضم جهوده إلى جهود المفتي وعزام لإقناعه بالعدول عنها، ووعده بأن (يدبر) له بعض السلاح والعتاد، فسحب عبد القادر استقالته، وتعهد بمحاولة استرداد القسطل**"(١٥١). واصطحبه الحاج أمين الحسيني الى جلسة الغداء التي حضرها أعضاء الهيئة العربية العليا الموجودون في دمشق ومنهم إميل الغوري، بالإضافة الى عبد القادر الحسيني وقاسم الريماوي، كان المكان في بستان أحد الأصدقاء السوريين الواقع على الطريق إلى الكسوة، جنوب دمشق(١٥٢).

نتيجة لعدم توفر الدعم الحقيقي لجيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني المرابطة في القسطل، فقد سيطر اليهود الصهاينة عليها، وفتحت لهم الطريق من أجل السيطرة على الطرق الرئيسة. ورغم هذا بقي العرب الفلسطينيون يسيطرون على أجزاء كبيرة من فلسطين؛ حيث يقول إميل الغوري "**إن عرب فلسطين والمجاهدين المنضوين تحت لواء الجهاد المقدس الفلسطيني، والقوات المناضلة المحلية الأخرى كحاميات للمدن والقرى، كانوا يسيطرون عسكرياً في صبيحة يوم ١٥ أيار ١٩٤٨ على نحو ٧٨ بالمئة من مجموع مساحة فلسطين... وكان العرب يحاصرون الأحياء**

اليهودية في القدس ويسيطرون على منطقة باب الوادي، ورأس العين وطريق حيفا- يافا، ووادي عارة وعرعرة، وطريق حيفا الناصرة- طبرية، وجميع الأراضي الفلسطينية الجنوبية (من الرملة جنوب عرب آل عسقلان حتى الحدود المصرية)؛ وكذلك جميع المناطق الجبلية المسيطرة في أقضية القدس والخليل ورام الله ونابلس وطولكرم وجنين، وسلسلة جبال الكرمل؛ وجميع المناطق الجبلية في الشمال باستثناء مدينة صفد وما حولها مباشرة"(١٥٣).

ونتيجة لتغير الكفة العسكرية لليهود الصهاينة، ظهرت قضية النزوح الفلسطيني، لكن إميل الغوري بيّن أن الدول العربية لم يكن لها دور فيها، وقال إنها لم تدع إلى النزوح ولكنها دعت فقط إلى نقل الأطفال والنساء والشيوخ العاجزين. كما عزا ذلك إلى تفشي دعاية أخرى بأن الجيوش العربية ستدخل فلسطين قريباً لتحريرها، فلا داعي للقتال وتحمل الخسائر في الأرواح والأموال. فيما عدا ذلك لم يصدر أي نداء أو دعوة أو نصيحة من الدول العربية أو جامعتها لأهل فلسطين بالنزوح عن وطنهم(١٥٤).

الخاتمة:

١- أهمية دور البيئة المنزلية في توجيه أفراد الأسرة نحو واجبات الوطن؛ فقد كان والد إميل الغوري يشجع ولده على كل ما يفعله ويوجهه نحو الأفضل. لذا لعبت طفولته دوراً كبيراً في تكوين شخصيته السياسية والعسكرية فيما بعد، رغم أن البيئة المدرسية لم تكن مساندة لذلك وعوقب عليها. لكن الظروف السياسية والاجتماعية داخل الوطن في ظل وجود محتل له كانت تساعده على ذلك.

٢- موقف العالم الغربي من القضايا العربية، ودوره في تكوين جيل عربي يحترم الغرب ويقدره، أو يَكنُ له العداء والبغضاء،(حسب الموقف المتخذ)، ويعمل ذلك الجيل على مقاومته في كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

٣- نستنتج من حياة أميل الغوري أن الإنسان يقوى بإرادته، فإذا توفرت أصبحت الظروف التي تحيط به لا قيمة لها، سواء كان ذلك على المستوى الشخصي، أو على مستوى المجتمع ككل، وخاصة حين وقوع الوطن في ظل احتلال غاشم ذي قوة كبيرة. فمقاومته سلمياً وعسكرياً لا يحتاج إلى أن يكونا متكافئين، ولكن لا بد أن تتوفر الإرادة من أجل مقاومة هذا الاحتلال.

٤- كان إميل الغوري سياسياً وعسكرياً في آنٍ واحد، أي بمعنى أنه كان يقاتل أعداءه، وهذا ما لم تعهده القيادات في فلسطين من قبل، فكان النموذج الذي يحتذى، فإن لم يذعن الأعداء للسلم لا بد أن يذعنوا للمقاومة المسلحة.

٥- كان إميل الغوري مؤرخاً سياسياً، وانفرد بهذه الصفة، ولم يشاركه أحد في تأريخ المقاومة المسلحة ضد الإحتلال البريطاني واليهود الصهاينة في فلسطين، من خلال منظمة المقاومة والجهاد، مروراً بمنظمة الجهاد المقدس، ووصولاً إلى جيش الجهاد المقدس، وكلهم واحد.

الهوامش

(١) الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، بيروت، دار النهار للنشر، ج١، (د. ط)، ١٩٧٢، ص١١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٦٦.

(٣) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، (د.ط)، ١٩٧٦، ص٤٨١.

(٤) للإطلاع على ابرز الذين درسوه. ينظر في، الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٧.

(٦) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨١.

(٧) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٢٥؛ العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨١.

(٨) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٤٩-١٥٢.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص١٧٦.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص١٨١-١٨٤.

(١١) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨١؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، بيروت، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، مج١، ط١، ١٩٩٨، ص٧٧.

(١٢) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٨١-١٨٤.

(١٣) حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ج١، (د.ط)، ١٩٨٥، ص٣٦٧.

(١٤) العودات، حسين والشكر، ياسين، **الموسوعة الصحفية العربية، (سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن)**، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د. ط)، ١٩٩٠، ص٧٨.

(١٥) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨٢.

(١٦) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨٣؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٨.

(١٧) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨٣؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٨؛ العودات، حسين والشكر، ياسين، **الموسوعة الصحفية العربية**، مرجع سابق، ص٧٨.

(١٨) وزارة الإعلام، **الوثائق الأردنية، الوزارات الأردنية ١٩٢١-١٩٨٤**، عمان، دائرة المطبوعات والنشر، (د.ط)، ١٩٨٤، ص٩١-٩٣.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٠١-١٠٣.

(٢٠) **جريدة الدستور**، عمان، العدد (٥٩٣٠) الصادر في ١٨ شباط ١٩٨٤، ص١.

(٢١) وذكر أن اسمه: المؤامرة الكبرى: إغتيال فلسطين ومحق العرب، (د.م)، دار النيل، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥. ينظر في، يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢٢) ذكر إسمه: الصراع بين القومية العربية والإستعمار، القاهرة، ١٩٥٧، والثاني صراع القومية العربية من معركة القناة إلى ثورة العراق، دمشق، ١٩٥٨. ينظر

في، أبو حمد، عرفان، **أعلام من أرض السلام**، حيفا، شركة الابحاث العلمية والعملية، (د. ط)، ١٩٧٩، ص٩٦.

(٢٣) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨٣-٤٨٤؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٨.

(٢٤) أبو حمد، عرفان، **أعلام من أرض السلام**، مرجع سابق، ص٩٦؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٩؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢٤) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨٣-٤٨٤؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٨؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٧.

(٢٥) يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢٧) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨٣-٤٨٤؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٨؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٧.

(٢٨) أبو حمد، عرفان، **أعلام من أرض السلام**، مرجع سابق، ص٩٦؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٩؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢٩) يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٣٠) العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٤٨٣-٤٨٤؛ أبو حمد، عرفان، **أعلام من أرض السلام**، مرجع سابق، ص٩٦؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٩؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٣١) أبو حمد، عرفان، **أعلام من أرض السلام**، مرجع سابق، ص٩٦؛ حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٩؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٣٢) حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج١، مرجع سابق، ص٣٦٩؛ يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، مج١، مرجع سابق، ص٧٨.

(٣٣) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١١.

(٣٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٦.

(٣٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٦-٢٤.

(٣٦) الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٢٩-٣٠؛ أبو النصر، عمر وآخرون، **جهاد فلسطين العربية**، يافا، (د. م)، (د. ن)، ط١، ١٩٣٦، ص٤٣؛ وذكر نفس العبارة الأخيرة، السفري، عيسى، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**، كتابان في مجلد واحد، يافا، مكتبة فلسطين الجديدة، ك١، ط١، ١٩٣٧، ص٢٦.

(٣٧) ولد في القدس، وتخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت طبيباً في عام ١٩٢٩، وزاول عمله كطبيب في يافا، وانظم الى النادي الإسلامي في يافا، وفي عام ١٩٣٧ غادر فلسطين الى لبنان هارباً من الإعتقال، وبعدها غادر الى بغداد وبقي فيها حتى

انتهاء ثورة رشيد عالي الكيلاني حيث غادر الى ايران وتم اعتقاله هناك مع رفاق له وتم نفيهم الى روديسنيا، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أفرج عنه، وفي عام ١٩٧٠ شارك في وزارة عبد المنعم الرفاعي. عن، موسى، سليمان، **أوراق من دفتر الأيام، ذكريات الرعيل الأول**، (د.ط)، عمان، نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى، (د.ط)، (د.ت)، ص١٢٨-١٣٤.

(٣٨) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٤١.

(٣٩) المصدر نفسه، ج١، ص٤٩.

(٤٠) لا يوجد لهؤلاء تعاريف في كتب التراجم.

(٤١) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٦٢.

(٤٢) المصدر نفسه، ج١، ص٦٦.

(٤٣) المصدر نفسه، ج١، ص٥٩.

(٤٤) محمد أمين، ولد وتعلم بالقدس وأقام سنتين بين الجامع الأزهر ودار الدعوة والإرشاد التي أنشأها محمد رشيد رضا بمصر. وتخرج ضابطاً احتياطياً في استانبول (١٩١٦) إلتحق إلى الفرقة ٤٦ في إزمير. وعندما توفي أخوه مفتي فلسطين (١٩٢٢) فانتخب بدلاً منه (بلقب مفتي فلسطين الاكبر) وتألف المجلس الاسلامي الأعلى فتولى رئاسته (١٩٢٢)، وفي الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ حاولت حكومة الإنتداب اعتقاله (١٩٣٧) فاتجه في زورق إلى لبنان لكن بريطانيا أخذت تضغط على فرنسا لتسليمه إليها (١٩٣٩) فإضطر للخروج سراً إلى بغداد. وفي ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق لعب دوراً في قيامها، وعندما فشلت الثورة غادر العراق متخفياً إلى إيران، ومنها إلى ألمانيا حيث أكرمه هتلر

(والحرب الثانية مشتعلة) وبعدها أراد البريطانيين مطاردته بصفة "مجرم حرب" ثم كفوا. وأقام قليلاً في فرنسا. ومنها انتقل متنكراً إلى مصر واستقر فيها. ونشبت حرب العرب واليهود الصهاينة (١٩٤٧-١٩٤٨) فقام بتأليف "جيش الجهاد المقدس" بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني وتوقفت الحرب بتدخل الدول الاجنبية. توفي إثر عمليات جراحية سنة ١٩٧٤، ودفن في بيروت. عن، الزركلي، خير الدين، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، بيروت، دار العلم للملايين، ج، ط٩، ١٩٩٠، ص٤٥-٤٦.

(٤٥) المصدر نفسه، ج١، ص٧٦-٧٧.

(٤٦) المصدر نفسه، ج١، ص٧٥.

(٤٧) لا يوجد للكثير من أعضاء هذه الكتلة تعريفات لهم في كتب التراجم.

(٤٨) ولد في بيت المقدس وبعد أن أتم دراسته الثانوية في كلية الفرير بالقدس نال دبلوماً في الصحافة من جامعة لندن سنة ١٩٢٦، ثم شهادة ليسانس الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٢٩، وفي سنة ١٩٣٢ اجتاز امتحان الماجستير في الحقوق من جامعة لندن فأذن له بالانضمام إلى عضوية نقابة المحامين البريطانية والمرافعة أمام المحاكم البريطانية، ولما عاد إلى القدس سنة ١٩٣٢ انضم إلى عضوية نقابة المحامين الفلسطينية، وعين أستاذاً محاضراً في تاريخ القانون وفي قانون التجارة بمعهد الحقوق الفلسطيني، وبين عامي ١٩٤٠-١٩٤٨ انتخب عضواً في مجلس الحقوق الفلسطيني، وعضوية نقابة المحامين السورية، وله العديد من المؤلفات. عن، العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، مرجع سابق، ص٥٢٤-٥٢٥.

(٤٩) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٧٩.

(٥٠) المصدر نفسه، ج١، ص ٧٨-٧٩.

(٥١) أديب ولد في مدينة القدس، درس في مدرسة صهيون، ثم التحق بالكلية الانجليزية، وأنهى سنة ١٨٩٣ دراسته فيها. انتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي بالقدس، وأسس سنة ١٩٠٩ المدرسة الدستورية في القدس، وفي سنة ١٩١٤ عين عضواً في إدارة المعارف بلواء القدس، وفي سنة ١٩٢٠ تولى إدارة التعليم العربي في مدرسة العبيدية في سورية. وفي سنة ١٩٢٦ عين مفتشاً عاماً للغة العربية في إدارة معارف فلسطين، وفي سنة ١٩٣٨ شارك في تأسيس كلية النهضة بالقدس، وفي مطلع عام ١٩٤٨ انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتوفي هناك. عن، هيئة الموسوعة الفلسطينية، **الموسوعة الفلسطينية**، دمشق، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج٢، ط١، ١٩٨٤، ص٣٧٠.

(٥٢) صحفي ولد بمدينة القدس، أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية في المكتب الرشدي بالقدس، ثم سافر إلى الاستانة حيث انتسب إلى المكتب السلطاني في جامعتها، فنال الشهادة العليا في الفلسفة والتاريخ واللغات. أجاد خمس لغات هي، العربية والفارسية والتركية والانجليزية والفرنسية، في عام ١٩٠٩ أسس بالقدس مدرسة أسماها (المدرسة الدستورية) بالاشتراك مع الاساتذة خليل السكاكيني، وعلي جار الله وافتيم مشبك، وكانوا جميعاً يدرسون فيها، كما أصدر بالقدس مجلة أسماها (الدستور). في عام ١٩١٨ عين مفتشاً للمعارف بمدينة القدس، ثم مفتشاً للواء الجنوبي حيث أقام بمدينة (غزة)، ومنها انتقل إلى عكا مفتشاً للواء الشمالي من فلسطين. في عام ١٩٣٥ أحيل على التقاعد فأقام في يافا. توفي بمدينة غزة، ودفن بالمقبرة الكبرى. عن، حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، ج٢، مرجع سابق، ص٩٤-٩٥.

(٥٣) ولد في مدينة القدس، تلقى علومه في مدرسة سان جورج بالقدس ثم التحق في الجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة الطب إلا أن الحرب العالمية الأولى كانت قد نشبت سنة ١٩١٤ فاضطر لترك الدراسة والتحق بالجيش العثماني، عين سنة ١٩١٨ سكرتيرا لدائرة الصحة بالقدس، وعين مساعدا لحاكم لواء نابلس واستقال منها سنة ١٩٢٠، وعين بعد ذلك سكرتيرا للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى حتى ١٩٣٧. وكان سكرتير اللجنة التنفيذية العربية منذ تأسيسها حتى سنة ١٩٣٤، وفي سنة ١٩٣٥ أسس الحزب العربي الفلسطيني وانتخب رئيسا له، وفي سنة ١٩٣٥ انشأ جريدة اللواء، وسجن ثلاث مرات. عن، مكتب الصحافة والنشر، **من هو لرجال فلسطين سنة ١٩٤٥-١٩٤٦**، القدس، مطبعة العرب، (د.ط)، (د. ت)، ص٣٤- ٣٥.

(٥٤) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٧٩-٨٠.

(٥٥) المصدر نفسه، ج١، ص٨٣-٨٤.

(٥٦) نويهض، عجاج، **مذكرات عجاج نويهض، ستون عاماً مع القافلة العربية**، إعداد بيان نويهض الحوت، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٣، ص١٢٥.

(٥٧) الغوري، إميل، **فلسطين عبرستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١١٨.

(٥٨) المصدر نفسه، ج١، ص١١٩.

(٥٩) المصدر نفسه والصفحة.

(٦٠) الآغا، نبيل خالد، **الشهيد الحي** عبد القادر الحسيني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٠، ص٢٠؛ محسن، عيسى خليل، **فلسطين الأم**

وابنها البار **عبد القادر الحسيني**، عمان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٦، ص١٤٩.

(٦١) الغوري، إميل، **فلسطين عبرستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٢٣١-٢٣٢.

(٦٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٩.

(٦٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٥٦-١٥٧.

(٦٤) الأزعر، محمد خالد، **جيش الجهاد المقدس في فلسطين ١٩١٣-١٩٤٩**، غزة، المركز القومي للدراسات والتوثيق، ط١، ٢٠٠٠، ص٦.

(٦٤) الغوري، إميل، **فلسطين عبرستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٢٣٠.

(٦٥) **جريدة الجامعة العربية**، القدس، العدد (٦٦٥) الصادر في ٢١ أيلول ١٩٣١، ص٢؛ **جريدة الصراط المستقيم**، يافا، العدد (٥٥٤) الصادر في ٢٤ أيلول ١٩٣١، ص٣؛ الكيالي، عبد الوهاب، **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨- ١٩٣٩**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بغداد، جمعية صندوق فلسطين، ط١، ١٩٦٨، وثيقة رقم (٩٣) ١٨ أيلول ١٩٣١، ص٢٤٣- ٢٤٤.

(٦٦) يذكر إميل الغوري أنه عقد في كانون الثاني ١٩٣٣، ويبدو أنه كان يعتمد على ذاكراته في تدوين مذكراته، أي لم يعمل على تدوين مذكراته يومياً، فوقع في هذا الخطأ أو ربما يكون خطأ طباعي، والصحيح أنه كانون الثاني ١٩٣١، ودليل ذلك ما أرسله إلى جريدة فلسطين في ١٥ نيسان ١٩٣١ كما سيتم إيضاح مضمونها لاحقاً، وذكر فيه موضوع فرسان الوحدة العربية. هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر، فإن فكرة مقاطعة حكومة الانتداب وصلت ذروتها عام ١٩٣١. ومن جانب ثالث،

أن المتأمل في المساق التاريخي لمذكراته يجد أنه ذكرها ضمن الفترة ١٩٢٩-١٩٣١، وليس ضمن فترة ١٩٣٣، للأطلاع على ذلك. ينظر في، الغوري، إميل، **فلسطين عبرستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٣٠.

(٦٨) الغوري، إميل، **فلسطين عبرستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٣٠.

(٦٩) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (١٧٢٠) الصادر في ١٩ أيار ١٩٣١، ص٢.

(٧٠) **جريدة الجامعة العربية**، القدس، العدد (٧٤٥) الصادر في ١٠ كانون الثاني ١٩٣٢، ص١.

(٧١) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٥٧-١٥٨.

(٧٢) وحضره كل من: الدكتور فوتي فريج، ومنيف الحسيني، وانسطاس حنانيا، ونافذ الحسيني، وموسى عبد الله الحسيني، وإبراهيم درويش، ومينا الحلبي، ويوسف عبدو، وطاهر الفتياني وعبد القادر الحسيني. عن، المصدر نفسه، ص١٥٩.

(٧٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٧٤) **جريدة العرب**، القدس، العدد (٥٦) الصادر في ١٤ تشرين الأول ١٩٣٣، ص١؛ السفري، عيسى، **فلسطين العربية**، ك١، مصدر سابق، ص٢٠٦-٢٠٨.

(٧٥) **جريدة الجامعة العربية**، القدس، العدد (١٢٠٠) الصادر في ١٥ تشرين الأول ١٩٣٣، ص٦؛ الكيالي، عبد الوهاب، **وثائق المقاومة الفلسطينية**، مصدر سابق، وثيقة رقم (١٢٨)، ١٣ تشرين الأول ١٩٣٣، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٧٦) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٢٤٦٠) الصادر في ١٤ تشرين الأول ١٩٣٣، ص١، ٤؛ والعدد (٢٤٦٧) الصادر في ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٣، ص١؛ والعدد

(٢٤٧١) الصادر في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٣، ص٥؛ **جريدة الجامعة العربية**، القدس، العدد (١٢٠٠) الصادر في ١٥ تشرين أول ١٩٣٣، ص١؛ والعدد (١٢١٧) الصادر في ٣١ تشرين الاول ١٩٣٣، ص١؛ الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٦٤-١٦٦.

(٧٧) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٢٤٧٦) الصادر في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٣، ص٢؛ زعيتر، أكرم، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩**، من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، ١٩٨٤، وثيقة رقم (٢٠٣)، ٣ تشرين الثاني ١٩٣٣، ص٣٨٢.

(٧٨) وهم: السادة جمال الحسيني، ويعقوب الغصين، وسليم عبد الرحمن، وأدمون روك، ومحمد علي الغصين، وسعيد الخليل، وصليبا عريضة، والشيخ عبد القادر المظفر، وعزة دروزة، ونافذ الحسيني، وعبد القادر الحسيني. عن، الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٦٩.

(٧٩) وأيضاً عبد القادر الحسيني، ونافذ الحسيني. عن، الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص١٦٩.

(٨٠) كل من جمال الحسيني ويعقوب الغصين، وأدمون روك، وسعيد الخليل، وصليبا عريضة وعزة دروزة، فريد فخر الدين، وعوني عبد الهادي. عن، زعيتر، أكرم، **وثائق الحركة الوطنية**، مصدر سابق، وثيقة رقم (٢٠٠) ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٣، ص٣٨٠- ٣٨١.

(٨١) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٢٣٢؛ **مجلة فلسطين الثورة**، العدد (٦٠٣)، الصادر في ١٩ نيسان ١٩٨٦.

(٨٢) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٢٣٢؛ محمود، سمير، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، العدد (الأول)، الصادر في١ كانون الأول ١٩٨٤، ص٤٦.

(٨٣) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج١، مصدر سابق، ص٢٣٣.

(٨٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٥.

(٨٥) سياسي ورجل دولة فلسطيني أردني، ولد في بيت ريما بفلسطين ودرس في القدس وانتسب إلى الحزب العربي الفلسطيني عام ١٩٤٤ ثم إلى قوات الجهاد المقدس، وقد عين قائداً لمنطقة القدس بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، بعد نكبة عام ١٩٤٨ قصد دمشق والقاهرة وعين سكرتيراً عاماً لحكومة عموم فلسطين التي تألفت في مدينة غزة عام ١٩٤٩، نال شهادة الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩٥٦، عمل مديراً لمناجم شركة الفوسفات الأردنية، وفي عام ١٩٦١ انتخب نائباً في البرلمان الأردني ثم رئيساً لمجلس النواب الأردني وعضواً في مجلس الأعيان، كما عين عضواً في أول لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة السيد أحمد الشقيري، وفي كانون الأول ١٩٧٩، عين وزيراً للزراعة في حكومة عبد الحميد شرف وبعد وفاته أسندت إلى الريماوي رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع ولكنه ما لبث أن استقال بعد أقل من شهرين ٢٨ آب ١٩٨٠، له مؤلفات عدة. عن، الكيالي، عبدالوهاب، **موسوعة السياسة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج٤، ط١، ١٩٨٣، ص٧١٨.

(٨٦) الريماوي، قاسم، الحقيقة كما عرفتها وعشتها (٣)، **جريدة الدستور**، عمان، العدد (١٨٢٤) الصادر في ٢١ آب ١٩٧٢، ص٤؛ الغوري، اميل، **إظهار حقائق**

وتفنيد أباطيل، ردود على مقالات السيد قاسم الريمـــاوي، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت)، ص١٩-٢١.

(٨٧) وكان أعضاء الوفد ايضاً: نافذ الحسيني، وعبـد القـادر الحـسيني، وصـالح الريماوي، وجميل الفارس.عن، الغوري، إميل، **فلسطين عبر سـتين عامـاً**، ج١، مصدر سابق، ص٢٣٨.

(٨٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٩.

(٨٩) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٩٠) المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٣.

(٩١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٩٢) الكيالي، عبد الوهاب، **تاريخ فلسطين الحديث**، بيـروت، المؤسـسة العربيـة للدراسات والنشر، ط١١، ١٩٩٩، ص٢٥٠.

(٩٣) الحقيقة.. كما عرفتها وعشتها (١)، **جريدة الدستور** (عمان)، العـدد (١٨١٠) الصادر في ٧ آب ١٩٧٢، ص٦.

(٩٤) الغوري، اميل، **إظهار الحقائق**، مصدر سابق، ص١٢.

(٩٥) الكيالي، عبد الوهاب، **تاريخ فلسطين الحديث**، مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٩٦) الغوري، اميل، **الشقيري في الميزان أباطيل تدحضها الحقـائق**،(د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت)، ص٥٤.

(٩٧) السفري، عيسى، **فلسطين العربية**، ك١، مصدر سـابق، ص٢٢١-٢٢٢. فقـد عهد إلى كامل الحسيني وفريد فخر الدين حدود سورية، وحـدود فلـسطين علـى

ساحل الأبيض المتوسط شمالا إلى حيفا عهد إلى أحمد العكي وعاطف نور الله وعبد المطلب فضة مع معونة كشافة حيفا، وعن حيفا إلى (سيدنا علي) عهد بها لسليم عبد الرحمن توفيق عبد الرزاق مع كشافة أبي عبيدة، ومن سيدنا علي إلى مجدل عسقلان عهد بها إلى رئيس وأعضاء مكتب مؤتمر الشباب أنفسهم يعقوب الغصين وسعيد الجليل، إميل الغوري، حسين يانس، محمد علي الغصين، ونمر المصري، ومن المجدل حتى غزة عهد بها إلى عاصم بسيسو والسيد أبو شرخ وفائق بسيسو. عن، المصدر نفسه والصفحة.

(٩٨) تأسس الحزب في ٢٧ آذار ١٩٣٥، وأعلن عن تأسيسه في فندق الأوقاف في القدس، وترأس الاجتماع قاسم آغا النمر، وانتخب جمال الحسيني رئيساً له بالإجماع، ومن أبرز أعضائه الشيخ حسن أبو السعود، فريد العنبتاوي، والشيخ محمد الخطيب ويوسف صهيون، الحاج طاهر قرمان، الحاج محمد عبد الرحيم، الحاج موسى الصوراني، إميل الغوري، يوسف العلمي، سليم عبد الرحمن، وأصدر جريدة ناطقة باسمه (جريدة اللواء اليومية). ينظر في، الحوت، بيان نويهض، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٣، ١٩٨٦، ص٣٠٧-٣١٠؛ للمزيد ينظر في، عطية، علي مسعود، **الحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني ١٩٣٤-١٩٣٧**، القدس، جمعية الدراسات العربية، (د. ط)، ١٩٨٥، ص١٤٠ فما بعد.

(٩٩) الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً ١٩٢٢-١٩٣٧**، بيروت، دار النهار للنشر، ج٢، (د. ط)، ١٩٧٣، ص٦٦.

(١٠٠) سلوتسكي، يهودا، **الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩**، الرواية الاسرائيلية الرسمية، ترجمة عن العبرية أحمد خليفة، راجع الترجمة سمير

جبور، الكويت، جامعة الكويت، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٩ ، ص٨٤.

(101) طنوس، عزت، **الفلسطينيون ماض مجيد ومستقبل باهر**، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ج١، ط١، ١٩٨٢، ص١٤٩. وضم الوفد أيضاً: جمال الحسيني وشبلي الجمل وعزت طنوس. ينظر في، المصدر نفسه والصفحة.

(١٠٢) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٢، مصدر سابق، ص١١٢.

(١٠٣) **جريدة أم القرى**، مكة المكرمة، العدد (٦٠٦) الصادر في ١٧ تموز ١٩٣٦، ص٣.

(١٠٤) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٢، مصدر سابق، ص٩٦.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص١١٦.

(١٠٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣١.

(١٠٧) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٢، مصدر سابق، ص١٦٢-١٦٣؛ العاني، نوري عبد الحميد، **الارهاب الصهيوني والمقاومة العربية في فلسطين**، من وثائق الممثليات العراقية في حيفا والقدس ١٩٣٦-١٩٤٨، بغداد، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٣٥-٢٣٦، تقرير القنصلية العراقية في فلسطين، الرقم ٦١٠/٢٤، بتاريخ ١٦/تشرين الأول/١٩٣٧، الملف ٣١١/٧٧٠، الوثيقة ٣٣/٩٦-٩٩، أرسله نائب القنصل في فلسطين إلى وزارة الخارجية العراقية في بغداد .

(١٠٨) الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً ١٩٣٩-١٩٤٧**، بيروت، طبعت في مطابع دار الشعب، ج٣، (د. ط)، ١٩٧٩، ص١٣٦.

(١٠٩) أبو الشعر، أمين، **مجاهد من أبو ديس**، عمان، (د.ن)، (د.ط)، ١٩٧٥، ص١٠١.

(١١٠) وهم: فريد العنبتاوي، ورفيق التميمي، وكامل الدجاني، وموسى الصوراني، ومحمد علي الجعبري، ويوسف صهيون، ورشاد الخطيب، وميشيل عازر. عن، ابو الشعر، امين، **مجاهد من أبو ديس**، مصدر سابق، ص١٠٠.

(١١١) الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٣، مصدر سابق، ص١٣٨. وتألفت من: توفيق صالح الحسيني، وفريد العنبتاوي، ويوسف صهيون، ورفيق التميمي، وموسى الصوراني. ينظر في، المصدر نفسه والصفحة.

(١١٢) حلاق، إحسان، **فلسطين في المؤتمرات العربية والدولية، وثائق ومراسلات تنشر للمرة الأولى**، عمان، منشورات روائع مجدلاوي، (د.ط)، ١٩٩٨، ص١٥٢؛ نقلاً عن وثائق محمد جميل بيهم، رسائل ووثائق ١٩٤٤-١٩٤٧، الملف (٢٦)، ص٣٣ .

(١١٣) الغوري، اميل، **إظهار حقائق**، مصدر سابق، ص٢٤.

(١١٤) ولد بالجيزة، درس الطب بالقاهرة ثم لندن في ١٩١٠ ولكن صرفته السياسة عنها، اتصل بالحزب الوطني ورئيسه محمد فريد، تطوع بالجيش التركي في حرب البلقان في ١٩١٣، اكتسب شهرة واسعة كمقاتل مع السنوسيين بليبيا، حكم عليه الايطاليون بالاعدام، عاد إلى مصر بعد الحرب وانضم للوفد ١٩٢٣، ابتعد عن الوفد وعين وزيراً مفوضاً بالعراق وإيران في آذار ١٩٣٦، والسعودية في آب

وأفغانستان في آذار ١٩٣٧، وتركيا في ١٩٣٩، اختير وزيراً للأوقاف ثم للشؤون الاجتماعية في وزارة علي ماهر من آب ١٩٣٩ إلى حزيران ١٩٤٠، كان أول أمين عام لجامعة الدول العربية عند إنشائها من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢، بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ استقر بالسعودية مستشاراً سياسياً لها، عاد إلى مصر في عام ١٩٧٤. عن، الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج٣، مرجع سابق، ص٨٢٨.

(١١٥) الغوري، اميل، **إظهار حقائق**، مصدر سابق، ص٣٣، وينظر كلام قاسم الريماوي، الحقيقة كما عرفتها وعشتها، **جريدة الدستور**، عمان، العدد (١٨٣١) الصادر في ٢٨ آب ١٩٧٢، ص٦.

(١١٦) شكل من: توفيق صالح الحسيني ومصطفى بوشناق والشيخ صبري عابدين. ينظر في، الغوري، اميل، **إظهار حقائق**، مصدر سابق، ص٢٦.

(١١٧) الغوري، اميل، **إظهار حقائق**، مصدر سابق، ص٢٦.

(١١٨) **جريدة الدفاع**، يافا، العدد (٣٤٦١) الصادر في ١٣ أيلول ١٩٤٦، ص٣.

(١١٩) عمل في بداية شبابه معلماً في فلسطين ودرس الحقوق في مدرسة الحقوق في القدس، عرف عنه أنه درس اللغة العربية لجولدا مائير رئيسة وزراء العدو الصهيوني، عمل محامياً في مكتب المحامي سعيد زين الدين في يافا، ثم للعمل في المحاكم، وعندما أسس النادي الرياضي الإسلامي بيافا ومنظمة النجادة أواخر عام ١٩٤٤، أصبح قائداً عاماً لها، وضع قانون النجادة الذي وافقت عليه حكومة بريطانيا ١٩٤٥، غادر مدينة يافا بعد سقوطها عسكرياً في ٢٨ نيسان ١٩٤٨ ولجأ إلى الضفة الغربية، وفي عام ١٩٥٠ غادر إلى لبنان ومن هناك إلى لوزان واختلف مع الوفد الفلسطيني في لجنة التوفيق، وعاد إلى مدينة الناصرة، وعين قاضياً في

محكمة الناصرة. عن، أبو الجبين، خير الدين صالح، **قصة حياتي في فلسطين والكويت**، عمان، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢، ص٤٩٥-٤٩٨.

(١٢٠) **جريدة الدفاع**، يافا، العدد (٣٤٩١) الصادر في ١٨ تشرين الأول ١٩٤٦، ص٣.

(١٢١) حيث تشكلت كل من: توفيق صالح الحسيني ورفيق التميمي ويوسف صهيون، وكامل الدجاني وإميل الغوري (الحزب العربي الفلسطيني)، وعوني عبدالهادي (حزب الاستقلال العربي) وحسين فخري الخالدي (حزب الإصلاح العربي الفلسطيني) وراغب النشاشيبي (حزب الدفاع الوطني)، ويعقوب الغصين (حزب لجنة مؤتمر الشباب العربي) وعبد اللطيف صلاح (حزب الكتلة الوطنية) وأحمد حلمي عبد الباقي وموسى العلمي كمستقلين. ينظر في، **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٦١٧٤) الصادر في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٥، ص١؛ والعدد (٦١٧٥) الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٥، ص١.

(١٢٢) ولد في نابلس سنة ١٨٨٢، وتلقى دراسته الاولى في بيروت، ثم درس بالمدرسة الملكية في استانبول، ثم درس الحقوق في باريس سنة ١٩١٠ وأسس مع زملاء له جمعية العربية الفتاة في باريس، كان ملازماً للأمير فيصل في فترة توليه حكم سورية في أيلول ١٩١٨ وتموز ١٩٢٠ وفي سنة ١٩٢١ تولى رئاسة الديوان الأميري في شرق الأردن، وزاول المحاماة في القدس، وشارك في تنظيم الوفود الفلسطينية إلى الخارج وتولى سنة ١٩٣٦ منصب سكرتير اللجنة العربية العليا وسنة ١٩٥١ انتقل إلى عمان وتولى عدة مناصب حكومية، ومن ذلك اعتزل الحياة السياسية سنة ١٩٥٦، وتوفي في القاهرة ودفن هناك. عن، هيئة الموسوعة الفلسطينية، **الموسوعة الفلسطينية**، مج٣، مرجع سابق، ص٣٦٤-٣٦٥.

(١٢٣) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٦١٧٨) الصادر في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٥، ص١.

(١٢٤) سياسي ومحامي فلسطيني. درس في جامعة بيروت الأمريكية. كان سكرتيراً للمندوب السامي البريطاني آرثر واكهوب. أثناء ثورة ١٩٣٦ تعاون مع الحاج أمين الحسيني. اتصل مراراً عديدة قبل الثورة وخلالها وبعدها بزعماء اليهود الصهاينة أمثال، بن غوريون وشاريت. استقال سنة ١٩٣٧ من الحكومة ولجأ إلى سورية والعراق ثم عاد إلى فلسطين سنة ١٩٤٠. مثل عرب فلسطين في اجتماعات جامعة الدول العربية التأسيسية سنة ١٩٤٤ وسنة ١٩٤٥. أصبح سنة ١٩٤٥ عضواً في اللجنة العربية العليا لفترة قصيرة. بعد النكبة عمل في السياسة مدة قصيرة ثم تفرغ للمشروع الانشائي في مزرعته التي أنشأها في أريحا. من مؤلفاته "عبرة فلسطين ١٩٤٩". عن، الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج٦، مرجع سابق، ص٤٤٤.

(١٢٥) أحد أعضاء اللجنة العربية العليا لفلسطين، ولد في مدينة الرملة وتلقى علومه الابتدائية ثم التحق بالمدرسة الصلاحية بالقدس، ثم بمعهد للدراسات العليا في إزمير بتركيا. بدأ حياته العامة رئيساً لجمعية الشبان المسلمين في الرملة عام ١٩٢٧. انتخب رئيساً لمؤتمر الشباب الثاني في ١٠ أيار ١٩٣٥. كان عضواً في مجلس إدارة صندوق الامة. وفي عام ١٩٤٦ حلت المجالس البلدية في فلسطين وجرت انتخابات لمجالس بلدية جديدة ففاز في هذه الانتخابات، وأسندت إليه رئاسة بلدية الرملة حتى وفاته. عن، الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج٧، مرجع سابق، ص٤١٧.

(١٢٦) الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٣، مصدر سابق، ص٢٠٣.

(١٢٧) اقتصادي وسياسي فلسطيني، ولد في مدينة صيدا، تعلم بمدينة نابلس ثم في استانبول، عمل بالبنك الزراعي العثماني بطولكرم ، وفي ١٩٢١ اختاره الأمير عبد الله مستشاراً للمالية وعضواً في مجلس المستشارين في أول تنظيم لإمارة شرقي الأردن، ثم اشترك بعد ذلك في تأسيس البنك الزراعي العربي، ثم صندوق الأمة العربية عام ١٩٤٠ لمقاومة تسرب الأراضي العربية إلى اليهود. وبعد الاحتلال الصهيوني انتقل إلى القاهرة حيث اختير من قبل مجلس جامعة الدول العربية رئيساً لحكومة عموم فلسطين التي قامت عام ١٩٤٩، وشغل هذا المنصب لحين وفاته في بلدة سوق الغرب بلبنان. عن، الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج١، مرجع سابق، ص٩٤.

(١٢٨) زعيم عمالي يميني. أصبح عضواً في الاتحاد العام للعمال (١٩٢٥-١٩٤٠)، وفي عام ١٩٤٥ أصبح وزيراً للخارجية. اشترك في محادثات بوتسدام بعد الحرب العالمية الثانية (تموز – آب) ١٩٤٥. تفاوض مع اسماعيل صدقي لإجراء مفاوضات الجلاء عن مصر، وفشلت المفاوضات، وعارض الشعب المصري معاهدة صدقي – بيفن، كما حدث نفس رد الفعل في محادثات جبر – بيفن بالعراق. له دور كبير في مشروع مارشال الأميركي لمساعدة أوروبا وحلف الأطلنطي. ومعارضة حصار برلين. وعارض الهيمنة الصهيونية الكاملة على السياسة الخارجية البريطانية والأميركية، وشنت عليه الأوساط الصهيونية حملة تشهير في أواخر أيامه وبعد مماته. وقد كان شخصية قوية أثرت على عدد من زعماء حزب العمال الصاعدين. عن، الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج١، مرجع سابق، ص٦٥٢.

(١٢٩) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٦١٩١) الصادر في ١١ كانون الاول ١٩٤٥، ص١؛ والعدد (٦١٩٢) الصادر في ١٢ كانون الأول ١٩٤٥، ص١؛ الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٣، مصدر سابق، ص٢١٤-٢١٦.

(١٣٠) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٦١٧٠) الصادر في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٥، ص١.

(١٣١) الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٣، مصدر سابق، ص٢٥٦-٢٥٧؛ **جريدة الدفاع**، يافا، العدد (٣٣٨٥) الصادر في ١٣ حزيران ١٩٤٦، ص١؛ أيوب، سمير، **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني**، بيروت، صامد للطباعة والنشر والتوزيع، ج٤، ط١، ١٩٨٥، الوثيقة رقم (٤)، ص٣٦-٣٨.

(١٣٢) الجمالي، محمد فاضل، **ذكريات وعبر من العدوان الصهيوني وأثره في الواقع العربي**، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٦٤، ص٢٨.

(١٣٣) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٦٣٦٩) الصادر في ٢٦ تموز ١٩٤٦، ص١؛ الحكومة البريطانية، **تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة البريطانية**، المذكرة التي قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين، ترجمة الدكتور فاضل حسين، بغداد، مطبعة الرابطة، (د. ط)، ١٩٥٦، ص٦١.

(١٣٤) الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ج٣، مصدر سابق، ص٢٦٣.

(١٣٥) **جريدة الدفاع**، يافا، العدد (٣٥٧٣) الصادر في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧، ص١ .

(١٣٦) ولد في القدس، تخصص في الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت. عمل في الجيش التركي وشارك في الحركة العربية، عين نائباً لمدير الصحة العام في القدس، وبقي في هذا المنصب إلى أن فاز برئاسة بلدية القدس عام ١٩٣٤. اعتقله البريطانيين مع عدد من وجوه الحركة الوطنية، ونفوهم إلى جزر سيشل، ولم يطلق سراحه إلى بعد عامين، وفي عام ١٩٥٠ عينه الملك عبد الله بن الحسين حارساً للأماكن المقدسة. عين وزيراً للخارجية الأردنية وعضواً في مجلس الأعيان عام ١٩٥٣. وأعيد تعيينه وزيراً للخارجية عام ١٩٥٥ وفي ١٥ نيسان ١٩٥٧ ألف الدكتور الخالدي وزارة انتقالية لكنه استقالته بعد أسبوع من تشكيلها. للخالدي مخطوطات لم تنشر. أهمها مذكراته. عن، الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج٢، مرجع سابق، ص٥٤٤.

(١٣٧) ولد في قرية اجزم، ودرس في حيفا واسطنبول حيث انتسب إلى المنتدى الأدبي (١٩٠٩). التحق بالعمل الاداري الحكومي (١٩١٢) وعين رئيساً لبلدية عكا. شارك في تأسيس حزب الاستقلال العربي عام ١٩٣٢. وفي عام ١٩٣٦ قصد بغداد واضطر إلى الالتجاء لدمشق عام ١٩٣٧ ومن ثم إلى تركيا هرباً من ملاحقة بريطانيا له، استأنف نشاطه السياسي في فلسطين عام ١٩٤٦ وأصبح ضابط الاتصال بين الحاج أمين الحسيني المقيم في القاهرة وبين الوطنيين في فلسطين. انتخب عضواً في الهيئة العربية العليا عام ١٩٤٦ واستقال منها في العام التالي أثر خلاف مع رئيسها الحاج أمين ولكنه ظل يعمل من أجل دعم القضية الفلسطينية وتحقيق الوحدة العربية. عن، الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ج٦، مرجع سابق، ص٢٥٧-٢٥٨.

(١٣٨) **جريدة الدفاع**، يافا، العدد (٣٥٦٣) الصادر في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٧، ص١.

(١٣٩) **جريدة فلسطين**، يافا، العـــدد (٦٦٨٥) الصادر في ١٠ آب ١٩٤٧، ص١.

(١٤٠) **جريدة فلسطين**، يافا، العـــدد (٦٧٠٩) الصادر في ٩ أيلول ١٩٤٧، ص١.

(١٤١) قاسم الريماوي مدير مكتب الحزب العربي الفلسطيني، كامل عبـــد الــرحمن عريقات مساعد القائد العام لمنظمة الشباب العربي، والسيد يوسف عقل أحد طلاب كلية روضة المعارف الوطنية. ينظر في، **جريدة فلسطين**، يافـــا، العـــدد (٦٧٣١) الصادر في ٤ تشرين الأول ١٩٤٧، ص١.

(١٤٢) الغوري، اميل، **إظهار حقائق**، مصدر سابق، ص١٣، وينظر ما ذكره قاســم الريماوي، الحقيقة كما عرفتها وعشتها، **جريدة الدستور**، عمان، العدد (١٨١٠) ٧ آب ١٩٧٢، ص٦، وهي سلسلة من المقالات رد على كتاب **يا قدس**، لمؤلفه لاري كولينز ودومينيك لابيير، ترجمة سليمان الموسى، عمان، منشورات دار فيلادليفيــا للنشر، ط١، ١٩٧٣، نشرها قاسم الريماوي في جريدة الدستور؛ للإطـــلاع أيـــضاً. ينظر في، إبراهيم، رشيد الحاج، **الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين، مذكرات رشيد الحاج ابراهيم ١٨٩١–١٩٥٣**، تقديم وليد الخالدي، بيروت، مؤســسة الدراســات الفلسطينية، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٠.

(١٤٣) الغوري، اميل، **إظهار حقائق**، مصدر سابق، ص٩٢؛ وينظر ما ذكره قاســم الريماوي، الحقيقة كما عرفتها وعشتها، **جريدة الدستور**، عمـــان، العـــدد (١٨٨٧) الصادر في ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٢، ص٤.

(١٤٤) العارف، عارف، **النكبة نكبة بيت المقـــدس والفـــردوس المفقـــود ١٩٤٧–١٩٥٢**، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنـــشر، ج١، (د.ط)، (د.ت)، ص٢٢٧.

(١٤٥) ولد في قرية أبو ديس في القدس، درس الثانوية في رام الله سنة ١٩٢٣، التحق بالشرطة الفلسطينية وخدم فيها ١٩٢٣-١٩٤١، وبلغ رتبة ضابط مفتش، رئيس نقابة التجارة في أريحا ١٩٤٢، نائب رئيس الاتحاد القروي في منطقة القدس ١٩٤٣، قائد عام فرق الفتوة في فلسطين ١٩٤٥- ١٩٤٧، القائد العام لمنظمة الشباب الفلسطيني ١٩٤٧-١٩٤٨، نائب القائد العام للجهاد المقدس، والقائد العام للقطاع الجنوبي للجهاد المقدس برتبة لواء في منطقة القدس ١٩٤٧-١٩٤٩، عضو مجلس النواب الأردني ١٩٥٠-١٩٧٤ ورئيساً له، عضو مجلس الأعيان ١٩٦٢-١٩٦٣ ومن ١٩٧٤-١٩٨٤، يتقن اللغات العربية والانجليزية والتركية والعبرية توفي في عمان. عن، موسى، سليمان، **أوراق من دفتر الأيام**، مصدر سابق، ص٢٧٦.

(١٤٦) الغوري، اميل، **إظهار حقائق**، مصدر سابق، ص١٢-١٣؛ وينظر ما قاله السيد قاسم الريماوي في المقال الأول، الحقيقة كما عرفتها وعشتها، **جريدة الدستور**، عمان، العدد (١٨١٠) الصادر في ٧ آب ١٩٧٢، ص٦.

(١٤٧) موسى، سليمان، **أوراق من دفتر الأيام**، مصدر سابق، ص٢٢٠.

(١٤٨) كولينز، لاري ولابيير، دومينيك، **يا قدس**، مصدر سابق، ص٥٣.

(١٤٩) **جريدة فلسطين**، يافا، العدد (٦٨٧٥) الصادر في ٢٧ آذار ١٩٤٨، ص١.

(١٥٠) الآغا، نبيل خالد، **الشهيد الحي**، مرجع سابق، ص١٠٠.

(١٥١) الغوري، إميل، **إظهار الحقائق**، مصدر سابق، ص٤١؛ شبيب، سميح، عبد القادر الحسيني في ذكراه الرابعة والثلاثين، **مجلة شؤون فلسطينية**، بيروت، العدد(١٢٥)، الصادر في ١٩٨٢، ص١٦٣.

(١٥٢) الغوري، اميل، **إظهار الحقائق**، مصدر سابق، ص٤٣.

(١٥٣) الغوري، اميل، **١٥ أيار ١٩٤٨**، دراسة سياسية علمية مركزة عن الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين، بيروت، دار النشر العربية، توزيع المكتب التجاري، (د.ط)، ١٩٥٩، ص٧٠-٧٢.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص٨٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: منشورات عربية ذات صيغة وثائقية:

- أيوب، سمير، **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني**، بيروت، صامد للطباعة والنشر والتوزيع، ج٤، ط١، ١٩٨٥.
- حلاق، إحسان، **فلسطين في المؤتمرات العربية والدولية، وثائق ومراسلات تنشر للمرة الأولى**، عمان، منشورات روائع مجدلاوي، (د.ط)، ١٩٩٨.
- زعيتر، أكرم، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩**، من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، ١٩٨٤.
- العاني، نوري عبد الحميد، **الارهاب الصهيوني والمقاومة العربية في فلسطين**، من وثائق الممثليات العراقية في حيفا والقدس ١٩٣٦-١٩٤٨، بغداد، بيت الحكمة، ط١، ٢٠٠٢.
- الكيالي، عبد الوهاب، **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨- ١٩٣٩**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بغداد، جمعية صندوق فلسطين، ط١، ١٩٦٨.
- وزارة الإعلام، **الوثائق الأردنية، الوزارات الأردنية ١٩٢١-١٩٨٤**، عمان، دائرة المطبوعات والنشر، (د.ط)، ١٩٨٤.

ثانياً: منشورات أجنبية معربة ذات صيغة وثائقية:

- الحكومة البريطانية، **تاريخ فلسطين السياسي تحت الادارة البريطانية**، المذكرة التي قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين، ترجمة الدكتور فاضل حسين، بغداد، مطبعة الرابطة، (د. ط)، ١٩٥٦.

ثالثاً: المصادر من الكتب العربية:

- إبراهيم، رشيد الحاج، **الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين، مذكرات رشيد الحاج ابراهيم ١٨٩١-١٩٥٣**، تقديم وليد الخالدي، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ٢٠٠٥.
- أبو الجبين، خير الدين صالح، **قصة حياتي في فلسطين والكويت**، عمان، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢.
- الجمالي، محمد فاضل، ذكريات وعبر من العدوان الصهيوني وأثره في الواقع العربي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٦٤.
- السفري، عيسى، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**، كتابان في مجلد واحد، يافا، مكتبة فلسطين الجديدة، ك١، ط١، ١٩٣٧.
- طنوس، عزت، **الفلسطينيون ماض مجيد ومستقبل باهر**، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ج١، ط١، ١٩٨٢.
- العارف، عارف، **النكبة نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٢**، بيروت، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ج١، (د.ط)، (د. ت).
- الغوري، اميل، **إظهار حقائق وتفنيد أباطيل، ردود على مقالات السيد قاسم الريماوي**، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).
- الغوري، اميل، **الشقيري في الميزان أباطيل تدحضها الحقائق**،(د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).
- الغوري، اميل، **١٥ أيار ١٩٤٨**، دراسة سياسية علمية مركزة عن الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين، بيروت، دار النشر العربية، توزيع المكتب التجاري، (د.ط)، ١٩٥٩.
- الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً ١٩٢٢-١٩٣٧**، بيروت، دار النهار للنشر، ج٢، (د. ط)، ١٩٧٣.

- الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، بيروت، دار النهار للنشر، ج١، (د. ط)، ١٩٧٢.
- الغوري، اميل، **فلسطين عبر ستين عاماً ١٩٣٩-١٩٤٧**، بيروت، طبعت في مطابع دار الشعب، ج٣، (د. ط)، ١٩٧٩.
- موسى، سليمان، **أوراق من دفتر الأيام، ذكريات الرعيل الأول**، (د.ط)، عمان، نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى، (د.ط)، (د.ت).
- أبو النصر، عمر وآخرون، **جهاد فلسطين العربية**، يافا، (د. م)، (د. ن)، ط١، ١٩٣٦.
- نويهض، عجاج، **مذكرات عجاج نويهض، ستون عاماً مع القافلة العربية**، إعداد بيان نويهض الحوت، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٣.

رابعاً: المصادر من الكتب الأجنبية المعربة

- سلوتسكي، يهودا، **الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩**، الرواية الاسرائيلية الرسمية، ترجمة عن العبرية أحمد خليفة، راجع الترجمة سمير جبور، الكويت، جامعة الكويت، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٩.
- كولينز، لاري ولابيير، دومينيك، **يا قدس**، ترجمة سليمان الموسى، عمان، منشورات دار فيلادليفيا للنشر، ط١، ١٩٧٣.

خامساً: المراجع العربية

- الآغا، نبيل خالد، **الشهيد الحي** عبد القادر الحسيني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٠.
- الأزعر، محمد خالد، **جيش الجهاد المقدس في فلسطين ١٩١٣-١٩٤٩**، غزة، المركز القومي للدراسات والتوثيق، ط١، ٢٠٠٠.

- الحوت، بيان نويهض، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨**، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٣، ١٩٨٦.
- أبو الشعر، أمين، **مجاهد من أبو ديس**، عمان، (د.ن)، (د.ط)، ١٩٧٥.
- عطية، علي مسعود، **الحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني ١٩٣٤-١٩٣٧**، القدس، جمعية الدراسات العربية، (د. ط)، ١٩٨٥.
- الكيالي، عبد الوهاب، **تاريخ فلسطين الحديث**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١١، ١٩٩٩.
- محسن، عيسى خليل، **فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني**، عمان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٦.

سادساً: الدوريات

- شبيب، سميح، "عبد القادر الحسيني في ذكراه الرابعة والثلاثين"، **مجلة شؤون فلسطينية**، بيروت، العدد (١٢٥)، الصادر في ١٩٨٢.
- **مجلة فلسطين الثورة**، العدد (٦٠٣)، الصادر في ١٩ نيسان ١٩٨٦.
- محمود، سمير، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، العدد (الأول)، الصادر في١ كانون الأول ١٩٨٤، ص٤٦.

سابعاً: التراجم والموسوعات

- حمادة، محمد عمر، **أعلام فلسطين**، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ج١، (د.ط)، ١٩٨٥.
- أبو حمد، عرفان، **أعلام من أرض السلام**، حيفا، شركة الابحاث العلمية والعملية، (د. ط)، ١٩٧٩.

- الزركلي، خير الدين، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، بيروت، دار العلم للملايين، ج، ط٩، ١٩٩٠.
- العودات، حسين والشكر، ياسين، **الموسوعة الصحفية العربية، (سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن)**، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د. ط)، ١٩٩٠.
- العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، (د.ط)، ١٩٧٦.
- الكيالي، عبدالوهاب، **موسوعة السياسة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٧ أجزاء، ط١، ١٩٨٣.
- مكتب الصحافة والنشر، **من هو لرجال فلسطين سنة ١٩٤٥-١٩٤٦**، القدس، مطبعة العرب، (د.ط)، (د. ت).
- هيئة الموسوعة الفلسطينية، **الموسوعة الفلسطينية**، دمشق، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج٢، ط١، ١٩٨٤
- يوسف، محمد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، بيروت، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، مج١، ط١، ١٩٩٨.

ثامناً: الصحف

١- **جريدة أم القرى**، مكة المكرمة:

العدد (٦٠٦) الصادر في ١٧ تموز ١٩٣٦.

٢- **جريدة الجامعة العربية**، القدس:

العدد (٦٦٥) الصادر في ٢١ أيلول ١٩٣١.

العدد (٧٤٥) الصادر في ١٠ كانون الثاني ١٩٣٢.

العدد (١٢٠٠) الصادر في ١٥ تشرين الأول ١٩٣٣.

العدد (١٢١٧) الصادر في ٣١ تشرين الاول ١٩٣٣.

٣-**جريدة الدستور**، عمان:

العدد (١٨١٠) الصادر في ٧ آب ١٩٧٢.

العدد (١٨٢٤) الصادر في ٢١ آب ١٩٧٢.

العدد (١٨٣١) الصادر في ٢٨ آب ١٩٧٢.

العدد (١٨٨٧) الصادر في ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٢.

العدد (٥٩٣٠) الصادر في ١٨ شباط ١٩٨٤.

٤-**جريدة الدفاع**، يافا:

العدد (٣٣٨٥) الصادر في ١٣ حزيران ١٩٤٦.

العدد (٣٤٦١) الصادر في ١٣ أيلول ١٩٤٦.

العدد (٣٤٩١) الصادر في ١٨ تشرين الأول ١٩٤٦.

العدد (٣٥٦٣) الصادر في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٧.

العدد (٣٥٧٣) الصادر في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧.

٥- **جريدة العرب**، القدس:

العدد (٥٦) الصادر في ١٤ تشرين الأول ١٩٣٣.

٦- **جريدة الصراط المستقيم**، يافا:

العدد (٥٥٤) الصادر في ٢٤ أيلول ١٩٣١.

٧-**جريدة فلسطين**، يافا:

العدد (١٧٢٠) الصادر في ١٩ أيار ١٩٣١.

العدد (٢٤٦٠) الصادر في ١٤ تشرين الأول ١٩٣٣.

العدد (٢٤٦٧) الصادر في ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٣.

العدد (٢٤٧١) الصادر في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٣.

العدد (٢٤٧٦) الصادر في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٣.

العدد (٦١٧٠) الصادر في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٥

العدد (٦١٧٤) الصادر في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٥.

العدد (٦١٧٥) الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٥.

العدد (٦١٧٨) الصادر في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٥.

العدد (٦١٩١) الصادر في ١١ كانون الأول ١٩٤٥.

العدد (٦١٩٢) الصادر في ١٢ كانون الأول ١٩٤٥.

العدد (٦٣٦٩) الصادر في ٢٦ تموز ١٩٤٦.

العـــدد (٦٦٨٥) الصادر في ١٠ آب ١٩٤٧.

العـــدد (٦٧٠٩) الصادر في ٩ أيلول ١٩٤٧.

العدد (٦٧٣١) الصادر في ٤ تشرين الأول ١٩٤٧.

العدد (٦٨٧٥) الصادر في ٢٧ آذار ١٩٤٨.

العلاقات السورية- الإيرانية

ما بين عامي (١٩٤٥-١٩٧٩م)

إعداد طالب الدكتوراه
ثائر يوسف عيسى

إشراف الأستاذة الدكتورة
سمر بهلوان

قسم التاريخ
كلية الآداب
جامعة دمشق

مخطط البحث

مقدمة:

أولاً: الأهمية الجيو استراتيجية لكل من إيران وسورية.

ثانياً: أثر الأوضاع الداخلية في سورية وإيران على علاقاتهما البينية (١٩٤٥-١٩٧٩م).

١- الأوضاع في إيران.

٢- الأوضاع في سورية.

ثالثاً: العلاقات السورية- الإيرانية منذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٧٩م.

1- العلاقات السورية- الإيرانية في عهد الشاه (١٩٤٥-١٩٧٩).

٢- العلاقات السورية مع الثورة الإسلامية الإيرانيـــة منـــذ انطلاقتهـــا حتـــى نجاحها.

رابعاً: الانعكاسات الإقليمية والدولية لعلاقات البلدين خلال ١٩٤٥-١٩٧٩م.

الخاتمة.

الملخص

شهدت منطقة الشرق الأوسط تطورات مهمة في القرن العشرين وخاصةً في المجال السياسي، وقد تأثر كلا البلدين بهذه المتغيرات، كجزأين أساسيين في المنطقة، وانعكس ذلك على واقع علاقات البلدين في الميادين كلها.

وقد تضمنت العلاقات بين سورية وإيران في عهد الشاه، دراسة الأهمية الاستراتيجية لكل من البلدين، والتطورات في سورية منذ حصولها على استقلالها عام ١٩٤٦م، والتطورات في إيران منذ تولى محمد رضا شاه الحكم في البلاد.

وقد اتجهت العلاقات السورية الإيرانية في منحيين، الأول: تاريخ العلاقات بين البلدين منذ استقلالهما عن الاستعمار الأجنبي، حتى قيام الحركة التصحيحية في سورية والتي قادها الرئيس حافظ الأسد، والثانية تتضمن علاقات البلدين منذ عام ١٩٧٠م حتى عام ١٩٧٩م، وطبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والسياحية، كما تحدث البحث عن علاقة سورية مع الثورة الإيرانية قبل نجاحها، وعلاقات الجانبين مع بعض دول العالم بمواقفها السياسية المختلفة.

ودراسة العلاقات السورية- الإيرانية تطرح مجموعة أسئلة يحاول البحث الإجابة عليها، أهمها:

- ماهي أسباب تردي العلاقات بين سورية وإيران في عهد الشاه محمد رضا شاه.
- ماهي مواقف سورية من الثورة الإسلامية في إيران.

مقدمة:

شَهِدتْ منطقة "الشرق الأوسط"[١] ما بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م، تطورات ومتغيرات مهمة في جميع المجالات، ولا سيما المجال السياسي. إذ أدت إلى تراجع دور الدول الاستعمارية القديمة (بريطانيا وفرنسا)، ودخول الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إلى الساحة الدولية كقوتين مهيمنتين، وبالتالي بدء الحرب الباردة بينهما، وقد تأثرت كل من سورية وإيران بشكل كبير بهذه المتغيرات، كجزأين أساسيين وفاعلين في سياسة المنطقة، وانعكس ذلك على علاقات البلدين، في الميادين كلها.

وكان لنتائج الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) نتائج مهمة على الواقع السياسي في كلا البلدين، فقد عرفت سورية على الصعيد السياسي، تطورات عدة تمثلت بالانقلابات العسكرية التي شهدتها البلاد ما بين ١٩٤٩-١٩٥٤م، ومن ثم تصاعد المد القومي العربي الذي خلص إلى الوحدة مع مصر (١٩٥٨-١٩٦١م)، وبعدها قيام ثورة الثامن من آذار عام١٩٦٣م التي تجاوزت الانفصال وسياسة ١٩٦١-١٩٦٣م، ليتمكن حزب البعث العربي الاشتراكي من حكم البلاد. والسير بها ضمن خط وطني قومي، وفقاً لمبادئ حزب البعث وأهدافه، قاده إلى إنهاء الخلافات والتأكيد على المسار الأسلم بعد حركة٢٣/٢/١٩٦٦م، ومن ثم قيام الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠م التي كانت بقيادة الرئيس حافظ الأسد الذي حكم في سورية إلى عام ٢٠٠٠م؛ فأنهى الصراعات القائمة داخل الحزب، وسعى لبناء أسس دولة عصرية في بنيتها الداخلية، إلى جانب سياسة خارجية بارعة، تمثلت بالحفاظ على الوطن والأمة من خلال رفض التنازل عن الحقوق العربية فيما يخص الصراع العربي- الإسرائيلي، والأطماع الخارجية الأخرى (الغرب والولايات المتحدة الأمريكية تحديداً)، ودعم الحركات الثورية في العالم، مما عزّز مكانة سورية في محيطها العربي والإقليمي والدولي.

كما شهدت إيران في تلك المرحلة، تثبيت حكم الشاه (محمد رضا بهلوي[٢]) الذي ربط حكمه بالقوى الكبرى في العالم، ورهن نفسه لخدمتها، وبالتالي وقف إلى جانبهم في الميادين كافةً، ونفذ سياسة غربية معادية للعرب في المنطقة، فكانت هذه السياسة من أهم أسباب تردي العلاقات السورية- الإيرانية، في عهد الشاه محمد رضا بهلوي.

ويتركز هدف الدراسة حول النقاط التالية:

- دراسة الواقع السياسي في سورية وإيران بعد الحرب العالمية الثانية(١٩٤٥م).
- أهمية الحفاظ على الروابط المتينة بين البلدان العربية، لمواجهة الأطماع الغربية والأمريكية و"الإسرائيلية"، والدول المتحالفة معها وعلى رأسها إيران.
- تحريض "إسرائيل" والقوى الغربية والولايات المتحدة الأمريكية للشاه محمد رضا خان لمعاداة العرب، لتخفيف الضغط العربي عن "إسرائيل"، وخلق حالة من العداء بين البلدان العربية، والبلدان المجاورة لهم.

وبذلك فإن أهمية دراسة العلاقات السورية- الإيرانية مهمة ما بين ١٩٤٥- ١٩٧٩م تنبثق من أهمية العلاقة بين دولة عربية يقودها نظام ثوري قومي، وأخرى يحكمها نظام ملكي رضخ بشكل كامل للمشيئة الاستعمارية في المنطقة، وسعى لتحقيق المصالح الغربية والأمريكية، للحفاظ على استمراريته، التي لم تتحق بفعل الثورة المضادة التي ستنهي نظام الشاه، بنظام جديد له خصوصيته السياسية والإيديولوجية، مما سيكون له أثره البالغ في تغير موازين القوى عربياً وإقليمياً ودولياً.

أولاً: الأهمية الجيو استراتيجية لكل من إيران وسورية:

تقع **إيران**[٣] في جنوب غرب القارة الآسيوية، وتبلغ مساحتها حوالي مليون وستمائة وثمانية وأربعين ألف كم٢. وهي دولة كبيرة المساحة، إذ تأتي بالمرتبة الثانية في بلدان "الشرق الأوسط" بعد السعودية، من حيث المساحة[٤]. ويحدها من الشمال دول

الاتحاد السوفيتي (تركمانستان، أرمينيا، أذربيجان) فضلاً عن بحر قزوين، ومن الشرق أفغانستان، ومن الجنوب الشرقي باكستان، ومن الغرب العراق، ومن الشمال الغربي تركيا(٥). أما حدود إيران في الجنوب، فهي مائية وتعتمد في إطلالتها الخارجية، على الخليج العربي وخليج عمان، ويبلغ طول هذه الحدود ٣٢٠٠ كم(٦).

قسمت البلاد **إدارياً**، إلى محافظات عدة أهمها: **خراسان** و**فارس** و**كردستان**، ومن أشهر مدن البلاد، **طهران** العاصمة السياسية الحالية، و**قم** العاصمة الدينية، و**أصفهان** عاصمة البلاد السياسية سابقاً(٧).

يتألـــف المجتمع الإيراني من قوميات عدة منها: **الفرس** وهم أكثـــرية يشكلون ٦٦% من السكان، يليهم **الترك** ويشكلون ٢٥% **والأكراد** ٥% **والعرب** ٤%(٨) ويبلغ عدد السكان وفقاً لتقديرات ٢٠٠٢م حوالي ٦٦ مليون نسمة (٩).

تحتوي الأراضي الإيرانية على **ثروات باطنية** عدة أهمها: **النفط** الذي يشكل المصدر الرئيس للدخل. وتعد إيران ثاني منتج للنفط العالمي؛ إذ يبلغ إنتاجها اليومي ٣,٥ ملايين برميل يومياً (١٠)، ويؤمن النفط للبلاد حوالي ٨٥% من الدخل الوطني، وينتج النفط بشكل أساس من المناطق الجنوبية والوسط، وتعد رابع احتياطي للنفط العالمي، وتملك إيران ثاني احتياطي عالمي **للغاز الطبيعي** في العالم؛ إذ يقدر بحوالي ١٣ مليار م٣(١١).

إن هذا الموقع المتوسط والثروات الهائلة، منحت إيران أهميتها الاستراتيجية الاقتصادية، فضلاً عن أهميتها الجيو استراتيجية فهي صلة الوصل بين دول وسط آسيا (المعروفة بدول بحر قزوين) في الشمال، والمحيط الهندي والخليج العربي جنوباً، وبين الوطن العربي غرباً والهند شرقاً، وزادت أهمية إيران الاستراتيجية في العصر الحديث، لأنها تتحكم بمداخل الخليج العربي النفطية، ولوجود ثروات نفطية كبيرة في البلاد من ناحية، ولأنها قوة إقليمية كبيرة ذات عمق حضاري في المنطقة،

من ناحية ثانية. ولذلك فإن لها دوراً مؤثراً في أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط عامةً، والوطن العربي، ومنطقة الخليج العربي خاصةً.

أما **سورية،** فتقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وتطل على البحر المتوسط، بواجهة بحرية طولها ١٨٥ كم[١٢]. أما حدودها السياسية، فيحدها من **الشمال** تركيا، ومن **الشرق والجنوب الشرقي** العراق، ومن جهة **الجنوب** الأردن، ومن **الغرب** لبنان، ومن **الجنوب الغربي** فلسطين، وتعد الحدود معها أكثر حدود سورية حساسية مع البلدان المجاورة فعلى الرغم من قصر مسافتها٧٠ كم إلّا أنّ الخطر ينبع منها، بسبب خلق "الكيان الصهيوني" فيها الذي تمكّن من احتلال القسم الأكبر من **هضبة الجولان،** إثر عدوان عام١٩٦٧م، إذ بلغت مساحة الأراضي المحتلة١١٥٠ كم٢ من مجمل مساحة الهضبة البالغة١٨٦٠ كم٢[١٣]. وهذه الحدود غير ثابتة، لعدم التزام "إسرائيل" بالمعاهدات الدولية، ومساعيها الدائمة للتوسع في أراضي البلدان العربية، كلما سنحت الفرصة بذلك، لتحقيق أهدافها في إقامة "إسرائيل الكبرى" من النيل إلى الفرات حسب سياساتها وإدعاءاتها[١٤].

ومن **الناحية الإدارية،** قسمت سورية إلى أربع عشرة محافظة منها: **دمشق** العاصمة. **وحلب** و**اللاذقية** و**حمص.** أما من **الناحية البشرية** فقد بلغ عدد سكان سورية في عام٢٠٠٣م، حوالي ١٨,٥مليون نسمة.

وتوجد في سورية ثروات باطنية كثيرة منها: **النفط** الذي يتوضع في شمال شرق البلاد. يبلغ إنتاجه حوالي٣٠ مليون طن، ويستثمر النفط في سورية، وطنياً دون تدخل الشركات الأجنبية، ويرافقه **الغاز الطبيعي** الذي يوجد أحياناً في حقول مستقلة في شرقي البلاد، و**الفوسفات** الذي يعد الثروة الباطنية الثانية في البلاد[١٥].

ولسورية أهميـــة استراتيجية كبيرة بسبب موقعها في جنوب غرب آسيا وشمال الوطن العربي، مما جعلها على تماس مع النفوذ العالمية الكبرى؛ فكان لإشراف سورية على

الممرات الشمالية للبحر المتوسط، والتحكم في الممرات البرية لغرب آسيا، وفي الرئة الشمالية لشبه الجزيرة العربية، دورٌ في جعلها محوراً لاهتمامات السياسة العالمية[١٦]. ومع ظهور الحرب الباردة إلى واجهة الأحداث بين القوتين **الشيوعية والرأسمالية**، سعت كلتا القوتين للحفاظ على مصالحهما في المنطقة. وقد وجدت سورية نفسها في خضم هذا التنافس، فكان لابد لها من تحصين نفسها، خوفاً من وقوعها بيد هاتين القوتين، وخاصةً أن الصراعات الدولية تركزت عليها، في محاولة لجرها إلى أحد الطرفين المتصارعين[١٧]. وهكذا كان لموقع سورية الجغرافي، أثره الواضح على أهميتها الاستراتيجية، مما جعلها مركز استقطاب عالمي، الأمر الذي جعل دول العالم الكبرى (القديمة والحديثة) تسعى لمد نفوذها إليها، بوصفها البوابة الرئيسة للسيطرة على الوطن العربي وثرواته.

ثانياً: الأوضاع الداخلية في كل من سورية وإيران وأثرها على علاقاتهما البينية (١٩٤٥-١٩٧٩م):

١- الأوضاع في إيران:

شهدت إيران خلال تاريخها (لا سيما التاريخ الحديث)، توالي عدد من الأسر الحاكمة في البلاد، أهمها **الأسرة الصفوية**، واستمر حكمها حتى عام١٧٩٥م، عندما استطاعت **الأسرة القاجارية** استلام الحكم والاستمرار فيه حتى عام١٩٢٥م، عندما خلع **رضا خان** Reza khan "١٩٢٥-١٩٤١م" آخر ملوك هذه الأسرة، واتجه الشاه إلى الإصلاح في بلده، على أسس علمانية في سائر مؤسسات الدولة، وسعى لاتباع النموذج الألماني في تحديث البلاد، فاستقدم عدداً من الخبراء الألمان للعمل في إيران[١٨]، لكن مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، أجبرت الدول الكبرى (الشاه رضا) على التنازل عن الحكم[١٩]، فتولّى ابنه **محمد رضا بهلوي** M.Reza Pahlave "١٩٤١- ١٩٧٩م" مكانه، الذي بدأ عهده بالتقرب من روسيا وبريطانيا، ولمّا انتهت

الحرب العالمية الثانية١٩٤٥م، حاول الشاه البحث عن حليف قوي يقف إلى جانبه، فرأى ضالته في القوة الكبرى الجديدة الأهم في العالم، الولايات المتحدة الأمريكية مما أدّى إلى تقارب العلاقات بين الجانبين، فسارعت إيران لوضع نفسها تحت النفوذ الأمريكي، إذ انضم الشاه إلى الأحلاف التي عمت أرجاء المنطقة في تلك الفترة، ووقع على **مبدأ ترومان**Doctrine Truman ١٩٤٧م، الذي ضم كلاً من تركيا وإيران. وبمقتضاه تحمي الولايات المتحدة البلدان الموقعة عليه من أي اعتداء خارجي[٢٠]. وفي عام ١٩٥٥م أعلن الشاه انضمامه إلى **حلف بغداد**[٢١].

وقد جرت خلال هذه الفترة انتخابات في البلاد، فازت بها **الجبهة الوطنية** بأغلبية المقاعد[٢٢] بزعامة الدكتور **محمد مصدق** الذي قام بعد وصوله إلى رئاسة الوزراء، مع بداية عام ١٩٥١م بإصلاحات جوهرية مهمة على الصعيدين الداخلي والخارجي. فعلى **الصعيد الداخلي** عمل مصدق على تحجيم دور الشاه، وإبعاده عن الحكم، ووضع نظاماً للدستور في عام ١٩٥٣م نص على أن الملك يملك ولا يحكم، ووضع الجيش تحت سيطرة الوزارة، وعَمِلَ على زيادة عدد فرقه، وطرد العناصر الموالية للشاه. وعلى **الصعيد الخارجي** ، قام مصدق بقطع علاقات بلاده مع "الكيان الصهيوني"، وإلغاء الاعتراف به. وتأييد العرب في مطالبهم العادلة لحل القضية الفلسطينية، لكنه استمر بمطالبه في جزر البحرين[٢٣]، هذا إلى جانب سياسة اقتصادية حرة دفعته إلى السعي لتأميم النفط كملكية وطنية عامة.

لم تستمر سياسة مصدق في نجاحها، فسرعان ما تدهور الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد، وازداد عدد العاطلين عن العمل[٢٤]، ورفض القوى الدولية وجود نظام تقدمي في إيران، يسير بعيداً عن مصالحها؛ فاستغلّ الشاه والقوى المعارضة الخلاف الحاصل في صفوف الحركة الوطنية، فعين الجنرال **فضل الله زاهدي** رئيساً للوزراء، وكلّف بقيادة الانقلاب ضد مصدق، وتحالف مع الشاه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا[٢٥].

فاستطاعت هذه القوى إسقاط الحكم الثوري والقبض على مصدق وعدد من أنصاره ليؤلف **فضل الله زاهدي**، بعد ذلك وزارة عسكرية ديكتاتورية، وسعى الشاه لتجميع كل القوى السياسية تحت سيطرته؛ فعيّن الوزراء والممثلين السياسيين الذين يؤيدونه و يوالونه في سياسته الداخلية والخارجية في المناصب العليا(٢٦) .

وفي عام ١٩٦٢م أجرى **الشاه محمد رضا** سلسلة إصلاحات اقتصادية، كما أعلن في بداية عام ١٩٦٣م بدء **ثورته البيضاء** التي ضمنت قانون تأميم الغابات، وإشراك العمال في أرباح الوحدات الإنتاجية، ولائحة تعديل قانون الانتخاب، وقانون تشكيل العلم الذي أخذ فيه على عاتقه تحويل التعليم إلى تعليم إلزامي، والقضاء على الأمية في البلاد(٢٧)، وكان أهم هذه القوانين قانون الإصلاح الزراعي الذي يعد من الأصول الستة التي طرحها الملك للاستفتاء. ونتيجة لهذا القانون أصبحت إيران من الدول المستوردة للغذاء، بعد أن كانت مصدرة له(٢٨). وذلك عندما وزع الأراضي على الفلاحين مقابل أقساط لمدة ١٥سنة. وعندما يعجز الفلاح عن دفع أقساط الأرض لمدة ثلاثة أقساط متوالية، تسترد الأرض منه. وهذا ما أدى إلى تدهور الإنتاج الزراعي، فأصبحت البلاد تنتج حوالي٢٥% من احتياجاتها وتستورد الباقي. أما الإقطاعيون الذين صودرت أراضيهم، فقد منحتهم الدولة أسهماً في المصانع التي تمتلكها، مما زاد في ثرواتهم .

وقد اعتمد الشاه لتمكين حكمه ، على القوة العسكرية المتمثلة بالجيش والأجهزة الأمنية اللذين عدّا **الركنين الأساسيين** لنظام الشاه **والحاميين الرئيسين** لعرشه .

الجيش: عد الدستور الشاه القائد العام للجيش، وله الحق في إقالة من يريد من الضباط أو ترقيتهم(٢٩). وقد كان للجيش في عهد الشاه، دورٌ اقتصاديٌ واجتماعيٌ؛ إذ إنه يشكل مصدراً كبيراً للعمالة، وله دورٌ كبيرٌ في الإنتاج وبرنامج التنمية (الصناعة العسكرية وتنظيم حملات محو الأمية وتنفيذ برامج الإصلاح الزراعي)، علماً أن

جزءاً كبيراً من ميزانية الدولة الإيرانية تدخل في تصرف الجيش(٣٠). كما عمل على إقامة ترسانة عسكرية بمساعدة فعالة من الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك تحولت إيران إلى منطقة دفاعية متقدمة للمصالح الأمريكية في الخليج(٣١).

الأجهزة الأمنية: أقام الشاه خلال حكمه، عدداً من الأجهزة الأمنية منها: الشرطة الحربية، وشرطة المدن، والمخابرات العسكرية، وجهاز التفتيش الملكي، وجهاز السافاك Savak. وقد كان الهدف من هذه المؤسسات، تصفية المعارضة السياسية في البلاد(٣٢). أما **السافاك:** فتأسس في عام ١٩٥٧م، وتعني هذه التسمية (منظمة الاستخبارات والأمن القومي). وتضمن القانون الذي تأسس بموجبه جهاز السافاك، أن يكون السافاك جزءاً من مكتب رئيس الوزراء. وكانت مهمة هذا الجهاز على الصعيد الداخلي، الحفاظ على الأمن الوطني ومواجهة المعارضين للنظام وقمعهم، وإلغاء حرية التعبير، وإجهاض الحركة الثورية في البلاد(٣٣). وقام السافاك على الصعيد الخارجي بالعمليات الخارجية وكشف خلايا التجسس، وكان له تعاون وثيق مع أجهزة الأمن الأمريكية و**الموساد**(٣٤) "الإسرائيلي"، اللذين كان لهما الفضل في وضع الأسس التنظيمية للجهاز، وذلك بهدف حماية الشاه من أي محاولة انقلابية ضده(٣٥).

وهكذا، فقد برز الشاه **محمد رضا** بوصفه حاكماً مطلق اليدين، في إيران وسعى لربط نظامه بالغرب، بعيداً عن مصالح الشعب الذي عانى من بطش الشاه، وتردي الأوضاع الاقتصادية، وتقييد حرية الرأي.

وعلى الرغم من سيطرة الشاه المطلقة على الحكم، فقد ظهرت في البلاد حركة معارضة لنظامه، تزعمها رجال الدين، وقد كانت انطلاقتها الأولى في عام ١٩٦٣م(٣٦)، عندما اعتقلت قوات الشاه آية الله الخميني، مما أدى إلى اندلاع لهيب انتفاضة شعبية في٥/ ٦ /١٩٦٣م، استخدمت فيها القوات الأمنية مختلف صنوف

الأسلحة للقضاء على الانتفاضة، التي استمرت لأيام عدة، مما أجبر الشاه على إطلاق سراح الإمام الخميني، لكنّه وضع قيد الإقامة الجبرية في منزله.

وفي عام ١٩٦٥م تأسست جماعات ثورية أطلق عليها اسم هيئة **الجمعيات المؤتلفة الإسلامية** التي عملت لصالح الإمام، وقد نفذت عمليات عدة في البلاد، وأهمها قتل رئيس الوزراء حسن منصور أمام البرلمان، والهجوم على بعض المصالح الأمريكية و"الإسرائيلية".

استمرت هذه العمليات حتى عام١٩٧٥م، عندما جرت مظاهرة ضخمة في **المدرسة الفيضية** عام١٩٧٥م، هتف خلالها الطلاب الثوريون بعودة الخميني، وسقوط الشاه، فحاصرت القوى الأمنية المدرسة، وانهالت على الطلاب بالضرب، وسجنت جميع المتظاهرين تقريباً[٣٧]، فقاد هذا إلى اضطرابات واسعة في البلاد، حيث شهدت البلاد حرباً أهلية بالمعنى الحقيقي، بين الثوار ونظام الشاه، مما دفع الشاه للقيام بتصفيات جسدية لقادة الثورة[٣٨]، وقد كان الهدف من عملية الاغتيال، إيصال رسالة إلى جميع الثوار بأن أحداً لن ينجو من بطش نظام الشاه. لكن المظاهرات ما لبث أن اشتعلت من جديد عام١٩٧٧م، فبدأت من مدينة **قم** ثمّ انتشرت في أرجاء البلاد. وقد خاض الثوار اشتباكات دامية مع القوى الأمنية، كان أعنفها ما جرى في ٨/ ١٩٧٨/٩م، عندما احتشد أكثر من ٢٠ألف متظاهر في ساحة **جلليه** للقيام بالواجبات الدينية. وقد رفض هؤلاء الامتثال لأوامر الجيش، فقام الجنود بإطلاق النار عليهم، فقتلوا المئات وجرحوا الآلاف، فعرف هذا اليوم **بـــ(يوم الجمعة الأسود)** الأمر الذي سبب بدء تنفيذ الأحكام العرفية في البلاد. لكن الجماهير رفضت الامتثال لهذه الأحكام، واستمرت في التظاهر، مما اضطر الشاه لتهدئة الأوضاع من خلال تغيير الوزارات القائمة، لكنها لم تستطع السيطرة على الأمور في البلاد[٣٩].

ومما زاد في ضعف حكم الشاه؛ انضمام عدد من فرق الجيش إلى المتظاهرين، وكانت نهاية هذه الأوضاع خروج الشاه محمد رضا خان من البلاد، وقرار آية الله الخميني بالعودة إلى البلاد، وفي محاولة أخيرة من الحكومة الإيرانية لمنع الخميني من العودة إلى البلاد، قام الجيش الإيراني بمساعدة القوات الأمريكية بإغلاق مطار مهر أباد الدولي، وأمرت بإطلاق النار على المتظاهرين، لكن الضغط الجماهيري أجبر الحكومة على فتح المطار، فوصل الخميني إلى البلاد في١/٢/١٩٧٩م[٤٠]، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ إيران، مع سقوط حكم الشاه، الذي امتلك أفضل الترسانات العسكرية في "الشرق الأوسط"، وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي أقامت دولة وفق النظام الإسلامي، وانتهجت سياسة جديدة مغايرة لسياسة النظام السابق تجاه القضايا العربية والإقليمية والدولية، أصابت دول العالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية بالهلع، نتيجة خوف تلك البلدان من امتداد نطاق الثورة إلى الدول المجاورة، وبالتالي فقدانها لسيطرتها على منابع النفط.

٢- الأوضاع في سورية:

تهدف دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، إلى الوقوف على واقع سورية، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية١٩٤٥م والتي ترافقت مع إنهاء الانتداب الفرنسي على سورية وتحقيق الجلاء عام ١٩٤٦م، حتى عام ١٩٧٩م، للوقوف عند الظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بسورية (وهي دولة حديثة الاستقلال، ودفعت بها لتبني نهج قومي عربي منفرد، وعلاقات متميزة باستقلاليتها (إقليمياً ودولياً)، ورافضة للهيمنة بكل أشكالها، واندفاعها نحو التضامن والتفاعل مع القوى الثورية على كل المستويات.

لم يكد الاستقلال السـياسي عن فرنسا ، يتحقق في١٧/٤/١٩٤٦م، حتى كانت سورية تخوض، إلى جانب الدول العربية، حرباً ضد "إسرائيل" كقوة غازية ومغتصبة

لفلسطين، في عام ١٩٤٨م التي استطاعت، بمساعدة **بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية**، احتلال جزء مهم وكبير من فلسطين، وإعلان قيام "إسرائيل". وقد شارك الجيش السوري حديث الإنشاء بإمكانياته المادية والعسكرية المحدودة، في المعارك العسكرية عام ١٩٤٨م، إلّا أنّ الحرب انتهت بتراجع الجيوش العربية، واحتلال "إسرائيل" لمعظم الأراضي الفلسطينية[٤١]. فكان لنكبة عام ١٩٤٨م وللمؤامرات الخارجية على سورية، والوضع الداخلي المتدهور، دورٌ في التمهيد لتدخـــل الجيش في الحيـــاة السياسية، وسيطرته على السلطة في البلاد. وعلى هذا، فقد شهدت البلاد منذ عام ١٩٤٩م حتى عام ١٩٥١م ثلاثة انقلابات عسكرية وهي:

انقلاب العقيد **حسني الزعيم**[٤٢]:١٩٤٩/٣/٣٠م الذي أطاح بحكومة **شكري القوتلي**[٤٣]، وذلك بدعم من قوى خارجية (عربية وأجنبية)[٤٤]، وقوى داخلية متمثلة في البرجوازية التي يئست من تطبيق الإصلاحات. فضلاً عن المصالح الشخصية للزعيم[٤٥]. والسخط الذي بدأ يشعر به الجيش على الحكومة المدنية[٤٦]، وقد سانده في انقلابه **أديب الشيشكلي**[٤٧]. ويعد هذا الانقلاب بداية لتدخل الجيش في الحياة السياسية في سورية.

انقلاب **سامي الحناوي**[٤٨]: ١٩٤٩/٨/١٤م وقد ساعده، في القيام به، عدد من ضباط الجيش. وقد أعلن الحناوي أنه سيعيد الحياة الديمقراطية إلى البلاد؛ إذ قال: "لكي تمنح سورية فرصة الحياة بلداً حراً مستقلاً، أعهد بالحكومة إلى زعماء البلاد". وفي١٥ آب سلم الحناوي السلطة **لهاشم الآتاسي**[٤٩] الذي شكل الحكومة، إلا أنّ حكومته لم تلبث أن سقطت[٥٠]، ليأت العميد **أديب الشيشكلي** في١٩٤٩/١٢/١٩م بانقلاب جديد أطاح بالحناوي، ومنحه فرصة تولي رئاسة البلاد بعد ستة أشهر من قيام الانقلاب، وأعلن أن انقلابه وقع للدفاع عن النظام الجمهوري والوقوف ضد الخطط الرامية لإقامة الوحدة مع العراق الملكي، وإنقاذها من النفوذ البريطاني[٥١]، الأمر الذي يبعد سورية عن سياسة الأحلاف الاستعمارية التي أخذت تنشط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية

في المنطقة. وقد استطاع الاستمرار في حكم سورية أربع سنوات متتالية جرت بعدها ثورة ضده، شارك فيها مختلف أبناء الشعب عام ١٩٥٢م، وعين هاشم الأتاسي رئيساً للبلاد بشكل مؤقت، ريثما تنتهي الانتخابات.

وبذلك نجد أن الأوضاع السياسية المتردية في المرحلة التي تلت الاستقلال، وتدخّل الجيش في السلطة بشكل مستمر، والصراع بين مصالح مختلف الفئات الاجتماعية المتنفذة، وعجز أي حكومة عن الاستمرار في حال عدم رضا الجيش عنها، وعجز السلطات عن تحقيق أماني الشعب، إضافةً إلى استمرار المؤامرات الخارجية عليها(٥٢)، وتصاعد دور القوى الوطنية التقدمية، لاسيما أصحاب الاتجاه القومي، هذه الأمور أسهمت جميعها في إسراع سورية لبناء علاقات عربية دافعها الأساس قومي تحرري، وكانت مصر التي أنجزت ثورة تموز عام ١٩٥٢م هي الأقرب لسورية ونهجها، إلى جانب علاقات دولية بعيدة عن الهيمنة والسيطرة، جسدّها آنذاك الاتحاد السوفييتي بعد إعلان وقوفه إلى جانب قوى التحرر في العالم، وعلى هذا كان قيام وحدة سورية مع مصر في شباط عام ١٩٥٨م. وقد حظيت هذه الوحدة بترحيب واسع من الشعبين المصري والسوري، وانتخب **جمال عبد الناصر**(٥٣) رئيساً للجمهورية العربية المتحدة.

لكن السياسة التي نهجتها حكومة الجمهورية العربية المتحدة، لم تستطع أن تعبر عن طموحات الشعبين وآمالهما في مزيد من القوة والنهوض، ولاسيما سيطرة كبار ضباط الجيش المصري على الإقليم الشمالي، الذين عملوا على مصادرة حرية الرأي، عدم الاهتمام اللازم بنهوض سورية وتقدمها، الأمر الذي زاد في معارضة الفئات السياسية والاجتماعية السورية للحكم المصري، وهذا ما استغلته قوى التآمر الرجعية على دولة الوحدة من الداخل السوري والعربي، وهو ما أفادت منه القوى الخارجية (الغرب والولايات المتحدة الأمريكية) التي قدّرت مدى خطورة الوحدة العربية على مصالحها، مما فسح المجال لتحالف أعداء الداخل والخارج لضرب الوحدة ونجاح الانفصال عن

مصر في عام ١٩٦١م[٥٤]. ومن هنا فإن فشل تجربة الوحدة السورية- المصرية في عام ١٩٥٨- ١٩٦١م، يُعدُّ ضربة قوية لمسار النضال العربي والقومي، وخاصةً أن قوى الانفصال سعت للارتداد إلى الخلف، وتطبيق سياسات ومصالح الرجعية من برجوازية ورأسمالية.

فقد أعلن حكام الانفصال عن تشكيل حكومة انتقالية من كبار الصناعيين والإقطاعيين برئاسة مأمون الكزبري ومهمتها الإشراف على الانتخابات، وبنتيجتها انتخب **ناظم القدسي** رئيساً للدولة و**معروف الدواليبي** رئيساً للوزراء. وقد جرت في عهده، اضطرابات وتحركات جماهيرية في مختلف المحافظات، مطالبة بإعادة الحكومة المدنية والنظم الدستورية الملغاة خلال حكم الانفصال[٥٥].

ونتيجةً لسياسة قادة الانفصال، قامت ثورة في ١٩٦٣/٣/٨م قادها **حزب البعث العربي الاشتراكي**، نجحت في إسقاط حكم الانفصال، واستلام حزب البعث الصلاحيات كافة في البلاد، ووصول شرائح اجتماعية جديدة إلى الحكم كالفلاحين والعمال[٥٦]. تلا ذلك تشكيل مجلس وطني لقيادة الثورة، وانتخاب **لؤي الأتاسي**[٥٧] رئيساً للمجلس الوطني. في الوقت الذي كان فيه الصراع على أشده، بين مراكز القوى في الحزب؛ مما أدى إلى انقسامه على نفسه، بين جناح يميني متشدد في سيطرته على جميع مفاصل الدولة، ويتزعمه اللواء **أمين الحافظ**[٥٨]، وآخر يساري يتزعمه اللواء **صلاح جديد**[٥٩]. وقد بدأت قوة الجناح اليساري تتزايد في صفوف الحزب، إلى أن استطاعت تقويم المسار السياسي داخلياً وخارجياً حين قيام حركة١٩٦٦/٢/٢٣م، وأخذ خلالها يتضح منهج السياسة الخارجية السورية من القضايا الدولية، كتضامنها مع حركات التحرر العالمية، وتأييدها الحد من سباق التسلح الدولي[٦٠] وقضايا عالمية أخرى.

وفي هذا يقول الرئيس السوري **حافظ الأسد**[٦١] عن تلك الحقبة: "لقد كانت نظرة اليمين في الحزب تقليدية جداً، إذ كنا نرى أن يتمتع ممثلو المنظمات المنتجة بأوسع

الصلاحيات...، وإزاء هذا الوضع كان لابد للتيار الذي يبغي الوصول إلى أهدافه، أن يفرض مشيئته على التيار الآخر. لقد كنا في مأزق مابين سنة ١٩٦٣- ١٩٦٦م، حيث جرت حركة شباط التي قامت لتخلص الحزب من بعض الفاسدين، وتعيده إلى الشعب، خاصة أن القيادة القديمة لم تعد تستحوذ على ثقة القواعد الحزبية، فكان لابد من حسم الأمور. ولم يتبق من أمر ســوى إقصاء القيادة السابقة"(٦٢).

وفي عام ١٩٦٧م شنت "إسرائيل" حرباً على الدول العربية (مصر، سورية، الأردن، فلسطين)، واستطاعت بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، أن تربح المعركة العسكرية وتحتل أراضي عربية جديدة وتهدد أمن المنطقة وتعرض السلام العالمي للخطر(٦٣). لكنها فشلت في تحقيق أهدافها السياسية، في إسقاط نظامي مصر وسورية القوميين والقضاء على المنجزات الاقتصادية للشعب العربي(٦٤). وكان من نتائج نكسة حزيران ١٩٦٧م التي أدت إلى تنامي مشاعر الإحباط والخيبة لدى الشعب والقيادة المدنية والعسكرية في البلاد، وبنفس الوقت كانت تنمو لدى الشعب والجيش وأصحاب القرار ضرورة الاستعداد لمواجهة جديدة مع العدو لاسترداد الحق العربي، ومع انعقاد المؤتمر القطري الرابع لحزب البعث عادت الصراعات بين أعضائه، وكانت الأزمة الرئيسة بين وزارة الدفاع، متمثلة باللواء **حافظ الأسد**، والقيادة القطرية لحزب البعث، ممثلة **بصلاح جديد**(٦٥).

في عام ١٩٧٠م، عقد المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي لحزب البعث. وقد شهد بداية النهاية للأزمة القائمة في البلاد(٦٦)؛ حيث نجح المؤتمر في فرض مسار جديد للبلاد بعيداً عن التطرف، كان على رأسه اللواء حافظ الأسد، الذي أعلن في١٦/١١/١٩٧٠م، عن قيام الحركة التصحيحية لتصحيح الوضع في الحزب والدولة، ونهج سياسة متوازنة. وتم تشكيل قيادة قطرية جديدة، وعين **أحمد الخطيب** رئيساً للبلاد، **وحافظ الأسد** رئيساً للوزراء(٦٧). وقد سعت الحركة التصحيحية لإحداث تغييرات شاملة على صعيد السياسة الخارجية والداخلية، وذلك لإخراج سورية من

عزلتها العربية والدولية، ووضع البلاد في إطار نهضة اقتصادية واجتماعية شاملة. فعلى صعيد **السياسة الخارجية**، قامت سورية بتنشيط العمل العربي المشترك، وانضمت إلى اتفاقية طرابلس التي وقعتها مع مصر وليبيا والسودان، من خلال إقامة اتحاد فيدرالي بين الدول العربية عام ١٩٧١م. ومن خلال التنسيق الكامل بين سورية ومصر، خاض الجيشان عام ١٩٧٣م حرب تشرين لتحرير الأراضي العربية التي احتلتها "إسرائيل". وقد استطاعت القوات العربية إثبات قدرتها على المواجهة، وتحقيق النصر في هذه الحرب[٦٨] رغم أن نتائجها لم تحقق كامل أهداف العرب، بل تبع ذلك اضطرابات خطيرة على الأمة العربيةعامةً وسورية خاصةً، فكانت الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥م، التي تركت لبنان عرضة للأطماع "الإسرائيلية" والغربية والولايات المتحدة الأمريكية، مما دفع سورية للتدخل والسعي لإيقاف الحرب الأهلية اللبنانية "١٩٧٥-١٩٩٠م"، وعقد الصلح بين أطراف الصراع فيه[٦٩]. ولمّا نجحت سورية بإنهاء الاقتتال، أبقت قسماً من قواتها في لبنان، كقوات ردع عربية، للإشراف على وقف إطلاق النار بين الجانبين اللبناني والفلسطيني[٧٠]. وقد نشطت سورية عربياً للحد من تأثير اتفاقية كامب ديفيد والنشاط الاستسلامي الذي تبناه الرئيس المصري **أنور السادات**[٧١] على الوضع العربي، بسبب أهمية مصر في الأسرة العربية وثقلها السياسي في القضايا العربية عامة وقضـــية فلسطين خاصة، وذلك من خلال اتخاذ إجراءات ردع جماعية تجاه مصر. أما على الصعيد الدولي، فقد قامت سورية بتدعيم أواصر علاقاتها مع المعسكر الاشتراكي عامةً، والاتحاد السوفيتي خاصةً؛ فعقدت معه اتفاقية صداقة وتعاون تقوم على أسس المساواة والمصلحة المشتركة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية[٧٢].

وقد سعت الحركة التصحيحية خلال تلك المرحلة للنهوض في البلاد، في المجالات كافةً الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعسكرية، إلا أن البلاد عانت من بعض المشكلات في المجال الاقتصادي، منها أن قسماً كبيراً من صادرات البلاد كان

من المواد الخام ذات الأسعار المنخفضة، إضافة إلى استيرادها المعدات المصنوعة ذات الأسعار العالية[٧٣] وتنامي دور بعض أصحاب السلطات العليا في بعض الجوانب الاقتصادية، مستغلين انشغال الرئيس **حافظ الأسد** في شؤون البلاد الخارجية، وغياب الرقابة عنهم[٧٤]. ولكن من الواضح، أن الرئيس السوري **حافظ الأسد** سعى داخلياً إلى تحويل سورية إلى بلد المؤسسات القادر على حل مشكلاته بنفسه، والقادر على امتصاص الهزات التي يمكن أن تصيبه.

ثالثاً: العلاقات السورية- الإيرانية منذ عام١٩٤٥ حتى عام١٩٧٩م:

على ضوء دراسة الواقع السياسي والداخلي في سورية وإيران، ووضوح النهج السياسي في كل منهما، يمكن دراسة العلاقات السورية- الإيرانية، بين نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حين قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م، في مرحلتين: الأولى العلاقات السورية- الإيرانية في عهد الشاه، والتي تقسم بدورها إلى فترتين، الفترة الأولى منذ بدايات حكم الشاه عام١٩٤٥م حتى قيام حرب حزيران عام ١٩٦٧م، أما الفترة الثانية فتبدأ من نكسة حزيران حتى سقوط نظام الشاه محمد رضا بهلوي وقيام الثورة الإسلامية في إيران عام١٩٧٩م كحدث مهم له انعكاساته على المستويين الإقليمية والدولية. أما المرحلة الثانية فسيتم خلالها دراسة علاقة سورية مع قوى الثورة الإسلامية، منذ بداية الثورة في أواسط الستينيات حتى انتصارها عام ١٩٧٩م.

1- العلاقات السورية- الإيرانية في عهد الشاه (١٩٤٥-١٩٧٩م):

١- العلاقات السورية الإيرانية بين عامي ١٩٤٥-١٩٦٧م:

يرجع أول اتصال سياسي بين سورية وإيران في التاريخ المعاصر، إلى عام ١٩٤٤م، وذلك عندما أعلنت إيران اعترافها باستقلال سورية ولبنان عن سلطة الانتداب الفرنسي، بعد قيام حكومة فرنسا الحرة بإعلان استقلال البلدين عنها[٧٥]. وفي عام

١٩٤٩م طلب الرئيس السوري **حسني الزعيم** من شركة النفط الإيرانية- الإنكليزية، قرضاً لشراء أسلحة من إنكلترا، لكن طلبه هذا رفضته الشركة(٧٦). وفي عام ١٩٥٠م جرى توقيع اتفاق اقتصادي سوري-إيراني سمح فيه لشركة نفط إيرانية، بمد خط أنابيب النفط عبر الأراضي السورية، إلى البحر المتوسط **(ميناء طرطوس)**(٧٧). وشهدت علاقات الجانبين تطوراً كبيراً خلال حكم **محمد مصدق**"١٩٥١- ١٩٥٣م"، في خضم مشاعر العداء الشعبي القائمة في المنطقة، والمعادية للاستعمار الغربي والولايات المتحدة الأمريكية، بما طرحت من مشاريع استعمارية ومساعيها الرامية للسيطرة عليها، ونهوض القوى القومية والتقدمية، والتقارب الحاصل بين الأنظمة، الناتج عن سياسة **مصدق** المؤيدة للعرب في الدفاع عن حقوقهم المشروعة في فلسطين.

وعندما عاد الشاه إلى الحكم بعد سقوط حكومة مصدق عام ١٩٥٣م، سعى إلى تطوير علاقته مع مختلف البلدان، ومنها سورية؛ ففتح سفارة لبلاده في دمشق عام ١٩٥٣م، وأرسل **مرتضى مشفق كاظمي** بوصفه وزيراً مفوّضاً إلى الجمهورية العربية السورية(٧٨)، ووقع الجانبان عام ١٩٥٣م **معاهدة صداقة** نصت على استمرار العلاقات السياسية والقنصلية بين البلدين، واتّفق الجانبان بموجبها، على إجراء مباحثات لتنظيم الشؤون الثقافية والتجارية والجمركية والبحرية والجوية وتسليم المجرمين، ووافقا على إيجاد تسوية سلمية لكل خلاف ينشأ بينهما ويتعذر حله بالطرق الدبلوماسية(٧٩). وفي عام ١٩٥٤م تعزز التعاون وتم اتخاذ القرار الآتي بين الطرفين: "إن من يرغب باقتناء الجنسية الإيرانية من المواطنين السوريين، عليه أن يأخذ رضا بلده سورية، بشرط أن تأخذ الحكومة السورية موافقة دولة إيران، عندما يرغب المواطن الإيراني أن يتخلى عن جنسيته، ويقدم طلب الحصول على الجنسية السورية"(٨٠).

وهكذا، فإن علاقات الجانبين كانت حسنة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٥٤م. إلا أن هذه العلاقات ما لبثت أن شهدت في النصف الثاني من عقد الخمسينيات، تدهوراً واضحاً نجم عن الاختلاف الحاصل في سياسات البلدين تجاه قضايا المنطقة، وخاصةً مع تصاعد تأثير المد القومي العربي وبروز الأحزاب الراديكالية[٨١] اليسارية إلى واجهة الأحداث في المنطقة العربية، كالأحزاب الشيوعية في البلدان العربية، وحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق وسورية، وقد أكد الحزب على أهدافه القومية من خلال تحقيق وحدة الأمة العربية، والنهوض بالمجتمع العربي ووضعه في مسار التطور. وقد أكسبت هذه الأفكار الحزب كثيراً من المؤيدين على المستوى العربي[٨٢]، وهذا ما جعل الشاه يتوخى الحذر من الأحداث الجارية في المشرق العربي عامةً، وسورية خاصةً .

أما قلق **الأنظمة الراديكالية العربية** من إيران فيرجع إلى أنها كانت جزءاً من مخطط استراتيجي إمبريالي يشمل "إسرائيل" ويهدف إلى ضمان تفوقها على دول المنطقة والسيطرة على وثرواتها، واحتواء الاندفاع العربي نحو الوحدة وهزيمته ثانياً[٨٣]، هذا فضلاً عن انضمام حكومة الشاه إلى مختلف المشاريع الاستعمارية المطروحة، ليشكل أداة استعمارية خطيرة، إلّا أنّ القوى الثورية العربية وقفت في وجه هذه التهديدات، عند إعلان الوحدة بين سورية ومصر في عام ١٩٥٨م وقيام ثورة في العراق ١٩٥٨م التي أسقطت الحكم الملكي، مما جعل الشاه يدخل في مواجهة مباشرة مع معظم الحكومات العربية، ويعمل على تنسيق مواقفه مع تركيا، حليفته الأهم في المنطقة، والمعارضة أيضاً للحركات الثورية العربية، وللمد القومي العربي، والراغبة بالقيام بدور فعال في الحرب الباردة، إلى جانب المعسكر الغربي، في مواجهة المعسكر الشرقي، بحيث تكون وسيلة ضغط ممكنة العرب عامةً، والنظام السوري خاصةً بحكم توجهه القومي الأبرز عربياً، بينما تقوم إيران بالضغط على النظام الثوري العراقي. بعد أن تمّ تحالف إيران الشاه مع الولايات المتحدة بوصفها الداعم الرئيس له في

مواجهة أي عدوان من الدول المتعاونة مع المعسكر الاشتراكي وذات التوجهات القومية الاشتراكية في الوطن العربي(٨٤).

وقد جرت مع بداية عقد الستينيات، أزمة بين الجامعة العربية وإيران، بعد تسرب الأخبار عن إقامة علاقات دبلوماسية بينها وبين "إسرائيل" سُحِب على إثرها، سفير الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسورية) من إيران، مما جعل العلاقات بين الطرفين تتجه نحو الأسوأ، حتى قطعت في نهاية تموز عام ١٩٦٠م، الأمر الذي جعل المقاطعة العربية الاقتصادية ضد "إسرائيل"، تمتد نحو إيران. وبعد انفصال سورية عن مصر، إثر التآمر على حكومة الوحدة، وتولي حكومة الانفصال حكم البلاد في عام١٩٦١م، سارعت إيران إلى الاعتراف بسورية، وعدّها دولة مستقلة في٢/١٠/١٩٦١م. ونتيجة لاستمرار سياسة الشاه المعادية للعرب، فقد ردّت سورية في أواسط الستينيات بالمطالبة بالحقوق العربية في إقليم عربستان بوصفها جزءاً أساسياً من الوطن العربي(٨٥)، مما دفع الشاه إلى استدعاء سفيره في سورية، وإغلاق سفارة بلاده في دمشق.

كان لنجاح حركة٢٣/٢/١٩٦٦م، ووصول اليسار البعثي إلى القيادة السياسية في سورية، دورٌ في ازدياد سوء العلاقات بين الجانبين؛ مما دفع إيران لزيادة التجهيزات العسكرية ضد أي تهديد عربي محتمل. خاصةً أن الشاه عمل على زيادة تعاونه الاقتصادي والسياسي مع "إسرائيل".

ومن هنا يُستنتج، بأن علاقات البلدين تميزت خلال تلك المرحلة بالهدوء الكامل حتى منتصف الخمسينيات، لكون سورية قد خرجت لتوها من نكبة عام ١٩٤٨م خاسرةً إلى جانب الجيوش العربية الأخرى، ولعدم وجود حكم قوي في سورية أو المنطقة العربية قادر على قيادة الوطن العربي، إزاء الأخطار المحدقة به، ولأن الشاه حتى تلك المرحلة لم يكن قد أقام أية علاقات مع "إسرائيل"، لكن هذا الواقع تبدل في النصف

الثاني من الخمسينيات وبدايات الستينيات، مع وصول قيادات راديكالية عربية إلى الحكم في بلدان عربية عدة، ومنها سورية التي كانت في مقدمة المدّ التقدمي والقومي العربي، الذي توجته وحدة عام ١٩٥٨م، ثم نجاح حزب البعث بالوصول إلى الحكم في٨/٣/١٩٦٣م، وبالمقابل كانت إيران في اتجاه معاكس، حيث اعترف الشاه "بإسرائيل" كدولة في المنطقة، وقد لها المساعدات المختلفة لها، فضلاً عن سياسة الشاه المعادية للعرب وحقوقهم في أراضيهم، فضلاً عن دوره في تنفيذ مصالح الغرب والولايات المتحدة الأمريكية في "الشرق الأوسط"، كل هذه القضايا أفسحت المجال لتردي العلاقات العربية (ذات الأنظمة الثورية) مع إيران عامةً، وسورية وإيران خاصةً.

٢- العلاقات السورية- الإيرانية بين عامي ١٩٦٧- ١٩٧٩م:

شهدت العلاقات السورية- الإيرانية في النصف الثاني من الستينيات توتراً كبيراً، نتيجة وقوف الشاه إلى جانب "إسرائيل" خلال عدوان عام ١٩٦٧م، إذ قام جهاز السافاك بتقديم معلومات مهمة "للموساد"، عن سورية ومصر والأردن قبل عدوان حزيران، وذلك تمهيداً للقيام بعمل عسكري ضد البلدان العربية[٨٦]. ولعل أكثر ما يبرز دور الشاه المعادي للعرب، في حرب حزيران عام١٩٦٧م، قول وزير البلاط الإيراني **أسد الله علم**: "منذ عامين وأثناء الحرب العربية- "الإسرائيلية" تعمدنا أن نحافظ على سريان إمدادنا من البترول، علامة على عدم انحيازنا للعرب"[٨٧].

ومنذ نهاية حرب حزيران عام ١٩٦٧م، فقد شهدت علاقات الجانبين جموداً سياسياً واقتصادياً متأثرةً بأسباب عدة، منها: تعاون إيران مع "إسرائيل" خلال تلك الحرب، ومجمل الاضطرابات الداخلية في سورية والتي انعكست بشكل أو بأخر على علاقاتها العربية والإقليمية والدولية، ولم يستقر الوضع حتى قيام الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠م، ووصول الرئيس حافظ الأسد إلى الحكم.

واستمر تردي علاقة سورية مع إيران إلى ما بعد حرب تشرين الاول عام ١٩٧٣م، خاصةً عندما طلب الاتحاد السوفييتي من إيران، السماح لطائراته العسكرية بالمرور في المجال الجوي الإيراني، لنقل السلاح إلى سورية، لكن طهران رفضت هذا الطلب(٨٨). وفي المقابل، أمدّ الشاه "إسرائيل" بحاجاتها النفطية خلال فترة الحرب، وسمح للقواعد العسكرية الأمريكية الموجودة في طهران، باستخدام أراضيه لإيصال ما تحتاج إليه "إسرائيل" من دعم سياسي و عسكري في أثناء الحرب(٨٩). وهكذا كان النظام الإيراني المتنفس الرئيس "لإسرائيل" في أثناء حرب تشرين، وخلال المقاطعة العربية الفعالة ضدها، اقتصادياً(٩٠).

وخلال حرب ١٩٧٣م، سعت الولايات المتحدة و"إسرائيل" بالتواطؤ مع إيران، إلى الضغط على سورية لتوقيع اتفاقية وقف إطلاق النار، وذلك بمنع العراق من تقديم أي دعم مستقبلي لسورية، من خلال إزكاء نار حرب داخلية بين العراقيين والأكراد، وإبقاء الجيش العراقي مشغولاً في داخل العراق. وأوضح **هنري كيسنجر**(٩١) Henry Kissinger "١٩٧٣- ١٩٧٧م" في تقرير نشرته مؤسسة **برتراند الأمريكية**(٩٢) " إن تسليح الأكراد كان وسيلة لردع العراق عن أية مغامرات دولية- **أي تقديم العون لسورية** - ولم يكن الهدف أن يربح الأكراد بل إضعاف العراق واستنزاف قوته... وقد وصل كيسنجر في اعترافاته إلى قوله: "إن إيران حليفتنا. وكانت تبقي القوات العراقية مشغولة على الحدود الشرقية، بعيدة عن سورية" (٩٣). ورغم أن الشاه رفض أن تتلقى سورية والعرب الدعم العسكري عبر أراضيه من موسكو إلّا أنّه سعى لتزويد سورية والأردن بمساعدات طبية واقتصادية. ولعل رغبة الشاه بتقديم هذه المساعدات بشكل جزئي إلى العرب، يرجع إلى أمور عدة منها:

أولاً: التقرب من دمشق والوطن العربي بوصفه وسيلة ضغط ممكنة على المعارضة الداخلية.

الآخذة بالتنامي في داخل إيران وخارجها والتي شهدت نشاطاً متزايداً خلال السبعينيات[٩٤]، وذلك من خلال حمل الدول العربية على إقفال مراكز تدريب الثوار الإيرانيين وإمدادهم بالسلاح والمال[٩٥].

ثانياً: لكي يتقي غضب الشعب الإيراني عليه في حال تأييده "لإسرائيل" في الحرب[٩٦]، بحكم وضوح اعتدائها على فلسطين العربية وشعبها.

كان لمواقف الشاه الأخيرة في تأييد العرب، وبدء تعديل موقفه من الصراع العربي–"الإسرائيلي" دورٌ في تحسين العلاقة مع سورية. ففي عام ١٩٧٤م وقع الجانبان **اتفاقية تجارية** تهدف إلى تسهيل وتوسيع المبادلات التجارية بين البلدين، واتخاذ التدابير لحل المشكلات العالقة بينهما[٩٧]، ووقع الجانبان في ١٩٧٤/٧/٢٣م على **إتفاقية تعاون سياحي** هدفت إلى تنشيط المبادلات السياحية وتبسيط إجراءات السفر بين البلدين، علماً أن مدة الاتفاق عام واحد تجدد كل عام[٩٨]. في أواخر عام ١٩٧٥م قام الرئيس السوري **حافظ الأسد** بزيارة إلى (طهران)، التقى خلالها بالشاه **محمد بهلوي**[٩٩].

أما الصحف الإيرانية فقد رحبت بزيارة الرئيس **حافظ الأسد** إلى إيران فقد كانت الزيارة الأولى لرئيس سوري إلى طهران؛ إذ ذكرت صحيفة **اطلاعات**" أن الشعب الإيراني يشيد بالجهود التي بذلها الشعب السوري من أجل الدفاع عن القضايا العربية". بينما نشرت صحيفة **راز تاخيس**، مقالاً ذكرت فيه، أن هذه الزيارة فتحت صفحة جديدة للعلاقات التاريخية بين سورية وإيران، وهذه الزيارة تعدّ حدثاً مهماً وتوطيداً للعلاقات الودية بين البلدين التي ترجع إلى ما قبل٢٥٠٠ سنة. وعلى الرغم من انفراج العلاقات بين سورية وإيران، إلّا أنّ هذا الانفراج لم يكن له تأثير مباشر على العلاقات الثنائية أولاً، وعلى التوازن الإقليمي ثانياً[١٠٠]. فقد دخلت العلاقات بين البلدين مرحلة من التراجع في السنوات الأخيرة من حكم الشاه؛ وذلك بسبب إسهام

الشاه في توقيع اتفاقية الصلح بين مصر و"إسرائيل" والتي كان لهنري كيسنجر الدور الرئيس فيها. وقد وقع الشاه في آذار عام ١٩٧٥م اتفاقية الجزائر مع النظام العراقي، التي تضمنت بنوداً سرية من بينها، تعهد الشاه بإنهاء الحركة الكردية في شمال العراق، مقابل تعهد النظام العراقي بالضغط على سورية، لإجبارها على تقديم تنازلات في أثناء المفاوضات مع "إسرائيل" وتوقيع معاهدة سلام معها على غرار اتفاقية السلام مع مصر[١٠١]. ولتمرير هذه الاتفاقية، سعت الولايات المتحدة و"إسرائيل" لإشعال نار حرب أهلية في لبنان عام ١٩٧٥م، من خلال دعمها لجماعات لبنانية **كحزب الكتائب**[١٠٢] الذي طلب السلاح من "إسرائيل"، وذلك لمحاربة الفصائل الفلسطينية الموجودة في لبنان[١٠٣]. وبذلك تكون "إسرائيل" المدعومة من الولايات المتحدة، قد نجحت في إشعال نار حرب أهلية في العراق ولبنان، في محاولة لمنع العرب من إقامة جبهة عربية شرقية، موحدة قد تكون قادرة على التصدي لأي هجوم عسكري "إسرائيلي" محتمل على سورية أو الأردن أو العراق.

أما **العلاقات التجارية** خلال هذه المرحلة، فهي الأخرى بقيت ضعيفة. فالتبادل التجاري بين البلدين كان معدوماً، إذ لم تكن هناك صادرات وواردات بين سورية وإيران منذ عام ١٩٧٥م حتى ١٩٧٧م، لتصبح قيمة الصادرات السورية إلى إيران في عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩م (٠,١) مليون دولار، بينما ارتفعت قيمة الواردات السورية من إيران إلى ٣,٢ ملايين دولار عام ١٩٧٨م لتصل إلى ١٣,٤ مليون دولار عام ١٩٧٩م[١٠٤] . وفي **الناحية الصناعية** استفادت سورية من اتفاقية القرض الإيراني الممنوح للحكومة السورية الموقع بتاريخ١٠/٣/١٩٧٦م، وذلك بهدف تمويل مشروع سماد الفوسفات الثلاثي، وتمويل جزء من تكاليف القطع الأجنبي لمشروع سد الفرات. وقد بلغت نسبة القرض١٥٠مليون دولار[١٠٥].

وقع الجانبان في عام ١٩٧٥م **اتفاقية علمية وثقافية** نصت بعض بنودها على ما يلي: تبادل المدرسين والكتب العلمية والفنية بين البلدين، وتبادل برامج الراديو والتلفزيون،

وإقامة أفلام سينمائية مشتركة بينهما، وإرسال الطلاب من كلا الطرفين لمتابعة تحصيلهم العلمي في جامعات البلد الآخر، إضافةً إلى تأسيس المؤسسات والمراكز الثقافية بين الجانبين[١٠٦].

يُستنتج مما سبق، بأن السياسية الإيرانية لم تتبدل تجاه معاداة العرب، وتأييد القوى الغربية والولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل"، لكن الواقع السياسي الجديد في سورية، مع وصول الرئيس السوري حافظ الأسد إلى الحكم، والمساعي للحصول على أكبر تأييد إقليمي ودولي للقضايا العربية، فسعى لجذب إيران لتأييد تلك القضايا، وخاصةً في مشكلة الصراع "الإسرائيلي"- العربي، وبذلك يكون التقرب من إيران، والسعي لإظهار النوايا الحسنة تجاهها، الوسيلة الأفضل من معاداتها، وإثارة المشكلات لها، ومن هنا كانت الرغبة السورية في كسب إيران إلى جانب القضايا العربية، بدلاً من خلق عدو جديد للعرب على الحدود الشرقية.

2- العلاقات السورية- الإيرانية مع الثورة الإسلامية الإيرانية منذ انطلاقتها حتى نجاحها:

ترجع العلاقات السورية مع قوى الثورة فعلياً، إلى فترة الوحدة بين سورية ومصر ١٩٥٨-١٩٦١م، عندما سعى الخميني إلى جمع المساعدات لأسر الأشخاص الذين قتلوا عند فشل انقلاب كاشاني- مصدق؛ فبعث رسائله إلى حكام الدول العربية والإسلامية، طالباً مساعدتهم المالية. لكن هذه الدعوة لم تلق استجابة إلا من الرئيس **جمال عبد الناصر**، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، خلال فترة الوحدة بين (مصر وسورية)، فأمر بإرسال ١٥٠ألف دولار عن طريق جهاز المخابرات السورية. لكن هذه الأموال لم تصل إلى لجنة الإعانات في إيران، بسبب إلقاء القبض على حامل هذه الأموال في مطار طهران[١٠٧]، فتأزمت العلاقات بين البلدين. وكانت هذه بدايةً للتعاون بين سورية والثورة الإيرانية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البرود كان السمة البارزة في العلاقات بين سورية والثورة الإيرانية عند بداية الثورة في عام١٩٦٣م. وذلك بسبب وضع سورية الداخلي المتوتر، بعد الانفصال عن مصر، وحالة الغليان في الساحة الشعبية، وتخبط القيادة السورية في سياستها الداخلية والخارجية. لكن مجريات الأمور تغيرت عند قيام الحركة التصحيحية، ووصول الرئيس السوري **حافظ الأسد**١٩٧١-٢٠٠٠م إلى السلطة؛ إذ استطاع إخراج سورية من أزمتها الداخلية، ووجه سياسة بلاده على الصعيد الخارجي، باتجاه دعم الحركات الثورية العالمية، وخاصةً في بلدان العالم الثالث. وقد كانت الثورة الإيرانية إحدى أهم الحركات التي أيدتها سورية، ومدت لها يد العون؛ إذ أصبحت سورية مأوى بعض قيادات الثورة الإيرانية كبعض مساعدي الخميني من أمثال **إبراهيم يزدي ومصطفى شمران وصادق قطب زاده** [١٠٨]، الذين استلموا مناصب وزارية بعد انتصار الثورة. وقدم الرئيس السوري **حافظ الأسد** مساعدات أمنية وعسكرية من خلال اللواء **محمد ناصيف** الذي كان حينها المسؤول عن الأمن السياسي في سورية[١٠٩]، وكان أيضاً على اتصال مع قيادات الثورة الإيرانية المعارضة الموجودة في الخارج، خاصةً في (ألمانيا وسويسرا) وغالباً ما كان يسافر إلى هاتين الدولتين، للقاء الثوار الإيرانيين كـ **قطب زادة، والطباطبائي**[١١٠].

وقد عرض الرئيس السوري **حافظ الأسد** على الإمام الخميني[١١١] استقباله في دمشق وتقديم مختلف المساعدات له، بعد أن خرج من العراق في تشرين الأول١٩٧٨م[١١٢]، عند تحسن علاقات العراق مع إيران؛ ورفض الحكومة الكويتية استقباله –عندما قرر التوجه نحو الكويت– فقامت بإغلاق الحدود في وجهه[١١٣]، ثم سمحت له السلطات العراقية بالذهاب إلى دمشق عندما دعته سورية للنزول في أراضيها. لكن **الخميني** رفض الأمر؛ وذلك لأسباب عدة أهمها: عدم إحراج الحكومة السورية على الصعيد الدولي بصفة عامة، والإيراني بصفة خاصة، وليؤكد للشاه أن الشعب هو مصدر الثورة الإيرانية، وأن هذه الثورة ليس لها علاقات خارجية مع أي دولة في العالم[١١٤].

كانت وسيلة الاتصال الأساسيّة بين الرئيس السوري **حافظ الأسد** ومعارضي الشاه الإسلاميين، الإمام **موسى الصدر**[١١٥] الذي عُد همزة الوصل بين الرئيس **حافظ الأسد ومعسكر الإمام الخميني** في عقد السبعينيات[١١٦]. وكان لوقوف سورية إلى جانب الثورة، وحماية نشاطات أعضائها، دورٌ كبيرٌ في إنجاحها[١١٧].

وجدير بالذكر هنا أن الإمام **الخميني** -قبل الثورة وبعدها- ساعد سورية، وغيرها من الدول العربية، في صراعها مع "إسرائيل"؛ ففي كثير من خطبه، كان يندّد بحكم الشاه، وعلاقته الوطيدة مع "الكيان الصهيوني"، ويحفز العرب على مجابهة العدوان، وقد عدّ قضية فلسطين صراعاً بين الخير والشر، وشبه "إسرائيل" بالغدة السرطانية الواجب استئصالها، وأعلن أن الشعب الإيراني بريء من أفعال الحكومة [١١٨]. ودعا حكومات الدول الإسلامية عامةً، والعربية خاصةً، لتتناسى خلافاتها، ولرصّ الصفوف لتحرير الأراضي المحتلة، ودعا الدول التي حاربت "إسرائيل" عام١٩٧٣م لتكون جدية، وقوية الإرادة في هذه المعركة. ولعل الدور الذي لعبته سورية كحامي للثوار الإيرانيين، ساعد هؤلاء في حرية التحرك، والمناورة داخل إيران، وذلك بحكم القرب الجغرافي بين البلدين، ولأن الثوار وجدوا في سورية قوةً يعتمد عليها عند الحاجة. ولعل ما قاله الرئيس الإيراني **أبو الحسن بني صدر،** عند لقائه مع وزير الأوقاف السوري في عام١٩٨٠م، يعبر عن مدى أهمية الدور الذي أدته سورية في دعم الثورة فقد قال: "إن إيران لا تنسى ما قدمه الرئيس الأسد من دعم وتأييد للثورة الإسلامية، ومن رعاية لقائدها الإمام الخميني، أثناء وجوده في الخارج" [١١٩].

وهكذا فقد عملت سورية على تقديم شتى وسائل الدعم الاقتصادي والسياسي والأمني للثورة، ويرجع سبب مساندة سورية لتلك الثورة، إلى قناعتها بأن نجاح الثورة سوف يكسب العرب حليفاً قوياً لهم، في صراعهم مع "إسرائيل"، هذه القناعة التي ترسخت عند السوريين مع الخطب التي كان يلقيها آية الله الخميني، والمنددة "بإسرائيل"

وسياستها في المنطقة، والمؤيدة للحق العربي، وهذا ما أثبتته الأحداث التي تلت قيام الثورة.

رابعاً: الانعكاسات العربية والإقليمية والدولية لعلاقات البلدين خلال ١٩٤٥-١٩٧٩م:

بعد دراسة العلاقات السورية- الإيرانية في عهد الشاه، لابد من دراسة انعكاسات تلك العلاقات على الصعد كافةً العربية والإقليمية الدولية ذات التوجهات المختلفة.

- على الصعيد العربي: شهدت علاقات إيران مع الدول العربية ازدواجية في المعايير السياسية، فسعى الشاه إلى تطوير علاقاته مع الدول العربية ذات التوجهات الغربية والأمريكية، وعمل على تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية(١٢٠). في الوقت ذاته كانت علاقات الشاه مع الدول العربية ذات التوجه القومي أو المجاورة له، علاقات متوترة(١٢١)، نتيجة سياسته المعادية للعرب، أو لرغباته التوسعية في الخليج العربي، وأطماعه في ضم بعض بلدان الخليج الصغيرة إلى بلاده.
- على الصعيد الإقليمي: فقد أقام الشاه علاقات وثيقة مع "إسرائيل" في الميادين كافةً، (الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية)، ودعمها بالنفط(١٢٢)، وأيد سياستها التوسعية في المنطقة العربية، بوصفهما حليفين أساسيين للولايات المتحدة الأمريكية. كما شهدت علاقات الشاه وتركيا تطوراً كبيراً، لتأييد البلدين للسياسات الغربية والأمريكية في المنطقة، ووقوفهما ضد الاتحاد السوفيتي، والانضمام إلى جميع الأحلاف الاستعمارية التي انتشرت في المنطقة خلال تلك المرحلة(١٢٣).
- على الصعيد الدولي: فقد توثقت علاقات الشاه مع بلدان المعسكر الغربي، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، بوصف الشاه الحامي الرئيس للمصالح الغربية والأمريكية في منطقة الخليج العربي، وكون الولايات المتحدة الأمريكية الداعم

الأساسي للشاه عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، ولعل قول الرئيس الأمريكي جيمي كارتر Gemi Carter (١٩٧٧-١٩٨١م) يؤكد بأن إيران تمثل عنصراً أساسياً في سياسة الولايات المتحدة الخارجية، فيقول: "إن صداقتنا وتحالفنا مع إيران هي واحدة من أهم القواعد التي تستند إليها سياستنا الخارجية"[١٢٤]. أما علاقته مع المعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي فقد عرفت توتراً كبيراً نتج عن عداء الشاه للإيديولوجية الشيوعية، وتحالفه مع الولايات المتحدة والمعسكر الغربي، ولقناعة القادة السوفييت أن إيران هي حلقة أساسية في التآمر على سلامة البلاد، ومما يؤكد ذلك قبول إيران في الانضمام إلى الأحلاف الاستعمارية التي أقامتها الولايات المتحدة في المنطقة.

أما السياسة السورية فقد اختلفت بشكل جذري عن السياسة الإيرانية في عهد الشاه، في الصعد كافةً، لأنها وجدت معوقات عدة أمام تطوير علاقات البلدين:

- على الصعيد العربي: فقد سعت سورية إلى تفعيل التضامن العربي، وتوحيد المواقف السياسية العربية، لحل المشكلات العربية عامةً، والقضية الفلسطينية خاصةً، وقامت بمحاولات تضامنية عدة مع بلدان عربية أخرى بهدف الوصول إلى الوحدة العربية الشاملة، والتي هي أحد أهم أهداف حزب البعث العربي الاشتراكي، وأعلنت وقوفها إلى جانب البلدان العربية التي تعرضت لاعتداءات إيرانية على أراضيها.

- على الصعيد الإقليمي: فقد ازدادت حدة النزاع مع "إسرائيل" بعد حرب ١٩٦٧م وقيام "إسرائيل" باحتلال المزيد من الأراضي العربية، وردة الفعل العربية بشنهم حرب ١٩٧٣م، ونجاحهم بتحرير جزء من الأراضي العربية المحتلة. في الوقت الذي شهدت فيه العلاقات السورية- التركية انفراجاً، في أواسط الستينيات والسبعينيات، وذلك لوقوف تركيا إلى جانب سورية والدول العربية الأخرى بعد

عدوان "إسرائيل" عليهم عام١٩٦٧م، ومطالبتها بانسحاب "إسرائيل" من الأراضي العربية المحتلة، وتأييدها قرار الأمم المتحدة الصادر في تشرين الثاني/١٩٧٥م، باعتبار "إسرائيل" شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري[١٢٥].

- على الصعيد الدولي: فقد اتبعت سورية سياسة عدم الانحياز فيما بين القوى الكبرى في العالم (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية)، إذ وجدت سورية نفسها في خضم هذا التنافس، فكان لابد لها من تحصين نفسها، خوفاً من وقوعها بيد هاتين القوتين، وخاصةً أن معظم الصراعات الدولية توجهت نحوها، في محاولة لجرها إلى أحد الطرفين المتصارعين[١٢٦]. وعلى الرغم من ذلك فقد سعت لتدعيم أواصر الصداقة مع الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي، للحصول على المساعدات العسكرية والاقتصادية مع الحفاظ على سياستها الحيادية؛ وذلك لمواجهة الخطر "الإسرائيلي" الذي يتهدد وجودها والمدعوم بشكل كامل من الولايات المتحدة الأمريكية.

الخاتمة:

يستخلص مما عرض، أن العلاقات بين سورية وإيران، منذ جلاء القوات الفرنسية عن سورية١٩٤٦م حتى نهاية عهد الشاه ١٩٧٩م، كانت تعتريها شوائب عدة نتيجة الاختلاف العميق في النهج السياسي بينهما منها:

- تأييد الشاه "لإسرائيل" بشكل مباشر وغير مباشر، لاسيما ما يخص الصراع مع العرب، وإمدادها بالنفط وغيره من المواد الأولية، والتبادل التجاري. خلال حرب حزيران ١٩٦٧م وبعدها وتأييدها باحتلال المزيد من الأراضي العربية.
- تبعية الشاه الكاملة للولايات المتحدة والغرب؛ إذ ارتبط مع المعسكر الغربي بعلاقات اقتصادية وعسكرية وسياسية متينة، وبالتالي خضع بشكل كامل للمشيئة الأمريكية والغربية، من خلال انضمامه إلى الأحلاف الغربية في المنطقة، وسماحه

بإقامة القواعد العسكرية الأجنبية في بلاده، بهدف الوقوف في وجه المد الثوري العربي، وعدم اتباعه سياسة الحياد الدولي. في حين عملت الأنظمة المتتالية في سورية، منذ جلاء القوات الفرنسية عن أراضيها عام ١٩٤٦م على الحفاظ على الاستقلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بعيداً عن السيطرة الغربية والأمريكية على قراراتها الوطنية، ورفضها الانضمام إلى الأحلاف الدولية المؤيدة للسياسة الإمبريالية في المنطقة، واتباع سياسة داخلية تعتمد على الإيديولوجية الاشتراكية، بعيداً عن الخضوع للسيطرة الشيوعية، وانتهاجها سياسة الحياد الإيجابي بين القوى الكبرى في العالم، وانضمامها إلى بلدان عدم الانحياز، منذ بداية خمسينيات القرن الماضي.

- مساعي الشاه في التوسع عسكرياً في البلاد العربية، من خلال احتلال مناطق عدة (الجزر الإماراتية) ، أو التهديد باحتلال مناطق جديدة (البحرين)، بهدف إحياء أمجاد الإمبراطورية الفارسية. في حين شجعت سورية على تفعيل التضامن العربي، بهدف حل المشكلات التي تواجهها الدول العربية عامةً، والفلسطينية خاصةً، والوقوف في وجه مطامع الدول الغربية والإقليمية في البلدان العربية.
- اختلاف سياسة الشاه في علاقاته العربية ، ففي الوقت الذي كانت هذه العلاقات حسنة مع الكثير من الأنظمة العربية ذات التوجهات الغربية والمؤيدة لسياسة الولايات المتحدة في المنطقة، كانت علاقاته متردية مع قلة من الأنظمة العربية ذات التوجهات الثورية الراديكالية الرافضة للهيمنة الأمريكية.
- كان لتردي العلاقات السياسية بين سورية وإيران، دورٌ في تردي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. ويبرز هذا الأمر من خلال ضعف التبادل التجاري (إذ أن حجم التبادل التجاري بين البلدين حتى منتصف السبعينيات كان معدوماً) وضعف

الاستثمارات الصناعية والزراعية بين البلدين، فضلاً عن قلة السياح المتبادلين بين البلدين.

إن هذه الأمور أدت إلى استمرار تعثر العلاقات؛ فسورية الساعية إلى لملمة الصف العربي والإسلامي، في مواجهة الهيمنة الأمريكية والصهيونية على المنطقة، اختلفت مع سياسة الشاه القائمة على السير في ركب الدول الغربية . وكان لسياسة الشاه هذه دور في وقوف سورية إلى جانب الحركة الثورية الإسلامية الإيرانية، ودعمها بالسبل والوسائل كافة.

وهكذا نرى أن العلاقات السورية-الإيرانية كانت مضطربة على مدى طويل، بفعل تعارض المصالح بين البلدين حيناً ، وبفعل التدخلات الغربية والإمبريالية حيناً آخر، تلك التدخلات التي لا تترك بقعة في العالم ذات أهمية إلا وتمتد إليها.

هوامش البحث

(١) أطلق مصطلح الشرق الأوسط على كل من شبه الجزيرة العربية (السعودية، قطر، البحرين، الكويت، الإمارات، عمان، العراق، اليمن) ووادي النيل (مصر والسودان) وبلاد الشام (سورية، الأردن، فلسطين، ولبنان) وليبيا. أما الدول غير العربية التي ضمها هذا المصطلح فهي إيران وتركيا، وأحياناً الهند وباكستان وأفغانستان. وخلال البحث، سيتم استخدام هذا المصطلح لكيلا تتكرر أسماء تلك البلدان كل مرة تذكر فيها. انظر: المنجد في **الأعلام**، (بيروت: دار المشرق العربي، ط٣٣، ١٩٩٢م)، ص٣٣٢.

(٢) محمد رضا بهلوي: ١٩١٩–١٩٨٠م شاه إيران١٩٤١م خلف والده الشاه رضا خان في حكم إيران، ثار عليه الإمام الخميني فترك البلاد في عام ١٩٧٩م، وتوفي في مصر. انظر المنجد في الأعلام، المصدر السابق، ص٤١.

(٣) إن أصل تسمية إيران يرجع إلى رضا شاه الذي أطلق عليها هذا الاسم عام ١٩٣٥م. ويرجح أن الألمان لعبوا دوراً في هذه التسمية، إذ ألحوّا على أن الإيرانيين (هم آريون) وعلى أن المستعمرين كانوا يحطّون من قيمة البلاد بتسميتها (فارس) فأطلقوا عليها اسم إيران. انظر: شوكروس، وليم: رحلة الشاه الأخيرة "مصير حليف"، (دمشق: دار الأهالي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٢م)، ص٦٠.

(٤) Encarta, Reference Library 2005, 1993- 2004 Microsoft

(٥) عواد، رياض سليمان: **إيران الماضي والحاضر والمستقبل**،(منشورات مركز الرضا، ١٩٩١م)، ص٨٩.

(٦) مسعد، نيفين عبد المنعم: **صنع القرار في إيران والعلاقات العربية- الإيرانية**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠١م)، ص١٦.

(٧) هيكل، محمد حسنين: **مدافع أية الله (قصة إيران والثورة)**، (بيروت، القاهرة، دار الشرق، ط٣، ١٩٨٣م)، ص١٠٢.

(٨) عواد، رياض: مرجع سابق، ص٨٩ .

(٩) الياسين، أنور: **إيران تراث الروح ونسائم الانفتاح**، مجلة العربي، العدد ٤٧٧، (الكويت: مطابع حكومة الكويت، آب، ١٩٩٨م)، ص٤٤.

(١٠) الياسين ، أنور : مرجع سابق ، ص٥٥.

(١١) Abdol- Hossein Harati :the Era of Construction (Anarration of 8years of Construction During the Presidency of Ayatollah Hashemi Rafsanjani) Nashr-e- Kelid- 1997 p 338- 347

(١٢) عبد السلام، عادل: **جغرافية سورية الإقليمية** (دمشق: مطبعة الروضة، القسم١، ١٩٨١-١٩٨٢م)،ص٢.

(١٣) الياسين، أنور: **الجولان أرض عربية مازالت أسيرة**، مجلة العربي، العدد ٤٣٧، (الكويت: مطابع حكومة الكويت، نيسان، ١٩٩٥م)، ص٤٧-٤٩.

(١٤) يدعي الإسرائيليون بأن أرضهم الموعودون بها في التوراة تمتد من وادي النيل /مصر والسودان/ مروراً بدول شبه الجزيرة العربية /السعودية، الكويت، الإمارات، عمان، البحرين، قطر، العراق/ وبلاد الشام /سورية والأردن وفلسطين ولبنان وأجزاء من إيران وتركيا/. يلاحظ هنا التشابه الكبير بين المشروع البريطاني والمشروع الصهيوني في السيطرة على المنطقة.

(١٥) الحمش، منير: **تطور الاقتصاد السوري الحديث**، (دمشق: دار الجيل، ط١، ١٩٨٣م)، ص٣٠.

(١٦) البزي، ناجي عبد العزيز: **سورية صراع الاستقطاب**(دراسة وتحليل لأحداث الشرق الأوسط والتدخلات الدولية في الأحداث السورية، ١٩١٧-١٩٧٣م)، (دمشق: دار ابن العربي، ط١، ١٩٩٦م)، ص٢٧.

(١٧) راتميل ، اندرو: **الحرب الخفية في الشرق الأوسط (الصراع السري على سورية ١٩٤٩- ١٩٦١م)** ، ترجمة عبد الكريم محفوض ، (سورية: توزيع دار السلمية، ط١، ١٩٩٧م)، ص١٩.

(١٨) مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني: **سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (الشؤون الدولية)**، ٢٠٠٤م، ص١٣٨.

(١٩) لقد أغضب رضا خان دول الحلفاء (بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والاتحاد السوفيتي) بسبب رفضه تزويد الاتحاد السوفيتي بالسلاح عبر أراضي إيران. وقد عدت هذه الخطوة، تأييداً لألمانيا في الحرب ومعاداة لدول الحلفاء، فتوجهت قوات سوفياتية إلى شمال إيران، وأنزلت بريطانيا قواتها في جنوب البلاد. انظر: المبيض، وليد، كتن، جورج شكري: خيارات إيران المعاصرة (تغريب أسلمة ديمقراطية)، (دمشق: مركز علاء الدين، ط١، ٢٠٠٢م)، ص١٢ .

(٢٠) صحيفة الثورة : ٩/ ١ / ١٩٨٠م، العدد ٥١٧٩ ، ص٥.

(٢١) عقد المؤتمر التأسيسي للحلف في بغداد بين ٢١- ١٩٥٥/١١/٢٢م، وحضره رؤساء وزراء كل من (العراق: نوري السعيد، وإيران: حسين علاء، وتركيا: عدنان مندريس، وباكستان: جودري محمد علي) وعن بريطانيا (هارولد ماكملان). أما الولايات المتحدة فقد كانت مشاركتها شكلية ومحدودة في الحلف. انظر: سيل، باتريك: **الصراع على سورية** (دراسة للسياسة العربية بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٥٨م) ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، (دمشق: دار طلاس، ط٧، ١٩٩٦م)، ص ٢٤٦- ٣١٠. الأيوبي، الهيثم: ميزان القوى العسكرية في العالم العربي والدول المجاورة (١٩٧٦-١٩٧٧م)، (دمشق: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٧م)، ص٤٨ .

(٢٢) تألفت الجبهة الوطنية في إيران من جناحين: **الأول** جناح سياسي يتزعمه الدكتور (محمد مصدق) (١٨٨١-١٩٦٧م)، و**الثاني** الجناح الديني يتزعمه آية الله (أبو القاسم كاشاني) الذي نفي إلى لبنان وبقي هناك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م. انظر: هيكل، محمد حسنين: مدافع آية الله، مصدر سابق، ص٧٩.

(٢٣) المبيض، وليد، كتن، جورج شكري: مرجع سابق، ص١٤.

(٢٤) هيكل، محمد حسنين: **مدافع آية الله**، مصدر سابق، ص٨٦.

(٢٥) أيد الشاه كل من (ونستون تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيته (انطوني أيدن) وكذلك الرئيس الأمريكي(أيزنهاور) ووزير خارجيته (جون فوستر دالاس) وأطلق الأمريكيون على العملية (أجاكس) بينما أطلق عليها الإنكليز تسمية (الجزمة). وقد أعلنت الولايات المتحدة عن عزمها على إرسال

مشاة البحرية الأمريكية إلى إيران في حال فشل زاهدي بقيادة الانقلاب. انظر شوكروس، وليم: مصدر سابق ، ص٧٤ .

(٢٦) Sick, Gary: All Fall Down America,s Fate Full Encounter With Iran , I.B.Tauris& Co. ltd - London ,1985,p8-9.

(٢٧) Sick, Gary: All Fall Down America's Fate Full Encounter With Iran ,Op Cit ,p11.

(٢٨) أنصاري، حميد: **حديث الانطلاق**(جولة في سيرة حياة الإمام الخميني)، (مركز بقية الله الأعظم، ١٩٩٩م)، ص١١٢.

(٢٩) هوليداي، فريد: **مقدمات الثورة في إيران**، ترجمة مصطفى كركوتي، مراجعة خليل هندي (بيروت: دار ابن خلدون، ط١، ١٩٧٩م)، ص٩٦-٩٧.

(٣٠) هوليداي، فريد: المرجع السابق، ص١٠١- ١٠٤.

(٣١) حداد، سلمى:**المساعدات العسكرية الأمريكية لإيران**،دراسة مقدمة إلى معهد الدراسات العليا في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية (جامعة نيويورك)،(دار القدس: ط١، ١٩٧٤م)، ص٤٥- ٤٦.

(٣٢) النبالي، عبد الله: **عالمية الإمام الخميني** (حياته وفكره)، (عمان: د.م، ٢٠٠١م)، ص٢٥.

(٣٣) أنصاري، حميد: مرجع سابق، ص١١١.

(٣٤) الموساد: هو جهاز الاستخبارات في "إسرائيل". تأسس في ١٩٥١/٤/١م بقرار صادر عن رئيس مجلس الوزراء "الإسرائيلي" (ديفيد بن غوريون) ويقسم إلى: أ-قسم جمع المعلومات، ب-قسم العمليات المسؤول عن عمليات الاغتيال

والخطف والتجسس، ج-قسم الارتباط والاتصال الخارجي المكلّف بالتعاون مع أجهزة الاستخبارات المختلفة، د-قسم الإدارة والتنظيم. وقد تولى رئاسة الجهاز منذ تأسيسه: روبين شيلوح١٩٥١-١٩٥٢م. إيسار هارئيل١٩٥٢-١٩٦٣م. مائير عميت١٩٦٣-١٩٦٨م. تسفي زامير١٩٦٨-١٩٧٤م. اسحاق حوفي١٩٧٤-١٩٨٢م. ناحوم أدموني١٩٨٢-١٩٨٩م. شبغاي شبيط ١٩٩٠-١٩٩٦م. داني ياتوم ١٩٩٦-١٩٩٨م . مئير داغان ٢٠٠١. www.google.com- www.palasteen. com - 11-1-2007

(٣٥) هوليداي، فريد: مرجع سابق، ص١١٢- ١١٣.

(٣٦) يعد آية الله الخميني (١٩٠٢-١٩٨٩م)، من أهم رجال الدين الذي تولى زعامة الثورة، فأصبح قائداً سياسياً ودينياً، مما دفع الشاه إلى سجنه عام ١٩٦٣م، ثم نفي إلى تركيا عام ١٩٦٤م، وبقي فيها ١١شهر نقل بعدها إلى النجف الأشرف عام١٩٦٥م، استقر فيها حتى عام ١٩٧٨م، لينتقل بعدها إلى باريس، بقي فيها حتى ١٩٧٩/٢/١م عندما عاد إلى بلاده بعد نجاح الثورة الإسلامية، وسقط حكم الشاه. انظر: يعقوب، أحمد حسين: **الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران**، (بيروت: الدار الإسلامية، ٢٠٠٢م)، ص١٣٩.

(٣٧) أنصاري، حميد: **حديث الانطلاق جولة في سيرة الإمام الخميني**، مركز بقية الله الأعظم، ١٩٩٩م، ص٥٣-٩١.

(٣٨) تم اغتيال النجل الأكبر للخميني (مصطفى الخميني) في ١٩٧٧/١٠/٢٣م، كما تم اغتيال الشيخ عباس الطهراني، وذلك بمساعدة فعالة من جهازي CIA الأمريكي والموساد الإسرائيلي. انظر: النبالي، عبد الله: **عالمية الإمام الخميني حياته وفكره**، عمان: ٢٠٠١م، ص٦٩.

(٣٩) عين الشاه عدد من الوزراء منهم: أمير عباس هويدا بين (١٩٦٥-١٩٧٧م)، وجمشيد موزكار (١٩٧٧-١٩٧٨م)، جعفر شريف إمامي استمرت حكومته شهرين، الجنرال أزهاري من تشرين الأول/١٩٧٨- ١٩٧٩/١/١م، وشابور بختيار شهر واحد. انظر: أنصاري، حميد: مرجع سابق، ص١٠٠.

(٤٠) السكبي، آمال: **تاريخ إيران السياسي بين ثورتي** ١٩٠٦-١٩٧٩م، عالم المعرفة، العدد ٢٥٠، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩م، ص٢٢١.

(٤١) هيكل، محمد حسنين: **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، (القاهرة: دار الشروق، ج١، ط٣، ١٩٩٦م)، ص٢٧٨.

(٤٢) حسني الزعيم: ضابط سوري من مواليد مدينة حلب (١٨٩٩- ١٩٤٩م). قام بأول انقلاب عسكري في سورية، وتولى رئاسة الجمهورية. بقي في الحكم أقل من عام، وقتل في انقلاب معاكس. انظر: المنجد: مصدر سابق، ص٢٧٩.

(٤٣) شكري القوتلي(١٨٩١-١٩٦٧م) سياسي سوري، تولى رئاسة الجمهورية في سورية لمرات عدة المرة الأولى كانت بين عامي (١٩٤٣-١٩٤٩م) والثانية بين عامي (١٩٥٥-١٩٥٨م)، أعلن الوحدة مع مصر وإثر إعلان الوحدة تنازل عن الحكم لصالح الرئيس جمال عبد الناصر. انظر: المنجد: المصدر السابق، ص٤٤٣.

(٤٤) كان للمملكة الأردنية، دورٌ في تأييد انقلاب حسني الزعيم، نتيجة معارضتها لسياسة الرئيس شكري القوتلي، وقد جاء في حديث لدبلوماسيين بريطانيين في كانون الأول١٩٤٨م قولهم:"من المعروف أن حسني الزعيم كان على اتصال بالملك عبد الله قبل حين من الزمن"، بينما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا

ترغبان في حماية مصالحهما النفطية والاستراتيجية في المنطقة، وتعملان على تمرير خط أنابيب التابلاين عبر الأراضي السورية، فساندتا الانقلاب. وهذا ما ذكرته صحيفة البرافدا السوفيتية بقولها :"إن ديكتاتورية الزعيم ما هي إلا حلقة من حلقات المخططات الرامية لإقامة كتلة شرق أوسطية تحظى بمساندة الولايات المتحدة. وإن الانقلاب كان من تدبير المنافسات الإنكليزية والأمريكية على الموارد النفطية والقواعد الاستراتيجية في تلك المنطقة ". انظر: راثميل، اندرو: مصدر سابق، ص٣٩ – ٤٤.

(٤٥) قال خالد العظم في مذكراته: (لابد لي من القول: إن أسباب الانقلاب لم تكن سوء الحالة في البلاد، ورغبة الشعب في التخلص من القائمين على الحكم، لكن يرجع السبب الحقيقي إلى حركة طائشة قام بها رجل أحمق، أراد حماية نفسه من العزل والإحالة إلى المحاكمة، بتهمة الاشتراك في صفقات مريبة وخاسرة تعاقدت عليها مصلحة تموين الجيش مع بعض الملتزمين الذين قدموا بضاعة فاسدة ، وقبضوا ثمناً مضاعفاً. إلا أنني لا أستبعد الدور الذي قامت به الدول الأجنبية في تحضير الانقلاب وفي تشجيع الزعيم على الإقدام عليه). انظر: حسين، خالد: **سوريا المعاصرة ١٩٦٣- ١٩٩٣م**، (دمشق: دار كنعان للدراسات،١٩٩٦م)، ص٢٦.

(٤٦) راثميل ، اندرو: مصدر سابق، ص٣.

(٤٧) أديب الشيشكلي:(١٩٠٩- ١٩٦٤م) ضابط سوري ولد في مدينة حماة، شارك في معارك فلسطين ١٩٤٨م، تولى رئاسة الأركان العامة١٩٥١م، ورئاسة الجمهورية (١٩٥٣-١٩٥٤م) عزل على أثر انقلاب عسكري، ومن ثم هرب إلى السعودية وبقي فيها حتى ١٩٥٧م، ومن ثم فرنسا التي غادرها ١٩٦٠م، اغتيل في البرازيل. انظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام** (قاموس تراجم لأشهر النساء

والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين) (بيروت: دار العلم للملايين، ط١٤، ١٩٩٩م)، ١٠أجزاء، ج١، ص٢٨٥.

(٤٨) سامي الحناوي (١٨٩٨-١٩٥٠م): من زعماء الانقلابات العسكرية في سورية، دخل المدرسة العسكرية في استانبول، ثم دخل المدرسة الحربية في دمشق، شارك في حرب عام ١٩٤٨م، في عام ١٩٤٩م قاد الانقلاب على حسني الزعيم، وشكل حكومة مدنية يشرف عليها العسكريون، اغتيل في بيروت عام ١٩٥٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: المصدر السابق، ج٦، ص١٣٥ .

(٤٩) هاشم الأتاسي: سياسي سوري ولد في حمص(١٨٧٥- ١٩٦٠م)، انتخب رئيساً للمؤتمر السوري١٩٢٠ في العهد الفيصلي، ترأس الكتلة الوطنية ١٩٢٨م، وكان رئيس الوفد السوري المفاوض بباريس، للمفاوضة في توقيع معاهدة الاستقلال عن فرنسا، وانتخب رئيساً للجمهورية (١٩٣٦-١٩٣٩م). وأعيد انتخابه رئيساً عام (١٩٥٠-١٩٥١م) في عهد الحناوي. وتولى الرئاسة بعد إخراج أديب الشيشكلي من الحكم في سورية عام١٩٥٤م. انظر: المنجد، مصدر سابق، ص٢٤. و الزركلي: المصدر السابق، ج٨، ص٦٥ .

(٥٠) توري، جوردون: **السياسة السورية والعسكريون ١٩٤٥- ١٩٥٨م**، ترجمة محمود فلاحة، (دمشق: دار الجماهير، ط٢، ١٩٦٩م)، ص١٥٤.

(٥١) صحيفة الحياة ، ٢٨-٦- ٢٠٠١م ، www . goggle .com .

(٥٢) سيل، باتريك: **الصراع على سورية**، مرجع سابق ، ص٤٠١-٤٠٢.

(٥٣) جمال عبد الناصر: ١٩١٨-١٩٧٠م رجل دولة مصري، ولد في مدينة أسيوط. تخرج في كلية أركان حرب ١٩٤٨م، وشارك في حرب فلسطين ١٩٤٨م، ألف حركة الضباط الأحرار التي قلبت نظام الملك فاروق ١٩٥٢م،

وأمم قناة السويس ١٩٥٦م، وقامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في عهده بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وحول مصر إلى النظام الاشتراكي ١٩٦١م ، ومن مؤسسي حركة عدم الانحياز مع الرئيسين نهرو وتيتو. انظر : المنجد : مصدر سابق ، ص٣٦٩. الزركلي: مصدر سابق، ج٢، ص١٣٤.

(٥٤) كان للأردن وبريطانيا والولايات المتحدة و"إسرائيل"، دورٌ في عملية الانفصال. وقد حذر المسؤول الأمني عن الإقليم الشمالي عبد الحميد السراج الرئيس عبد الناصر من محاولة انفصال وشيكة الوقوع، تديرها بعض العناصر الانفصالية، مدعومةً من بعض القوى الإقليمية الدولية، وتسعى للانفصال عن دولة الوحدة. لكن عبد الناصر اعتمد على ما يبلغه إياه المشير عامر، ليقع الانفصال بين البلدين في عام١٩٦١م عبر انقلاب عسكري، حاول عبد الناصر إعادة الوحدة بالقوة العسكرية، فأرسل إلى سورية وحدات مظليين، إلا أنهم اضطروا للاستسلام بسبب عدم رغبة الشعب السوري بإعادة تجربة الوحدة مع مصر. انظر: حسين، خالد: مرجع سابق، ص٣٨. والدين، رشيد شهاب: **أميركا ترى السراج شيوعياً**، وتطلب منه التعاون ضد الشيوعية، مجلة الشراع (بيروت: دار صنين للطباعة، العدد ٦٢٨، السنة ١٣، ١٦ أيار ١٩٩٤م)، ص٢٥.

(٥٥) الشريف، جلال فاروق: **الدور التاريخي لثورة ٨آذار في نضال حزب البعث العربي الاشتراكي**، مجلة المناضل، العدد ١٥٨، آذار ١٩٨٣م، ص٥٠- ٥١.

(٥٦) البزي ، ناجي عبد العزيز : مرجع سابق ، ص٣٣١.

(٥٧) لؤي الأتاسي: ١٩٢٦-٢٠٠٣م تخرج في الكلية الحربية في مدينة حمص عام ١٩٤٨م واشترك في حرب ١٩٤٨م. عمل خلال الوحدة بين مصر وسورية،

كملحق عسكري في سفارة الجمهورية العربية المتحدة في الاتحاد السوفيتي ورقي في٢٣/٣/١٩٦٣م إلى رتبة فريق كقائد عام للقوات المسلحة، وتولى رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة، وبعدها تولى منصب رئيس الدولة. استقال من منصبه في ٢٧/٧/ ١٩٦٣م. www.personal.umich–13-1-2007

(٥٨) أمين الحافظ: ولد في مدينة حلب عام١٩٢١م، تخرج في الكلية العسكرية وشارك في حرب ١٩٤٨م أوفد خلال الوحدة في مهمة عسكرية إلى موسكو، وبعد الانفصال عمل كملحق عسكري لسورية في الأرجنتين، وبعد انتصار ثورة آذار، عين في مجلس قيادة الثورة ورقي إلى رتبة لواء وأصبح رئيساً للأركان العامة للجيش. انتخب رئيساً لسورية بعد استقالة لؤي الأتاسي، وبقي حتى قيام ثورة ٢٣/٢/١٩٦٦م. الجزيرة نت.

(٥٩) صلاح جديد: ولد في عام١٩٢٦م في مدينة جبلة، وكان ولاؤه السياسي للحزب القومي السوري ثم تحول إلى حزب البعث، خلال عقد الخمسينيات. تولى منصب مكتب شؤون الضباط بين ١٩٦٣–١٩٦٥م والأمين المساعد للقيادة القطرية لحزب البعث١٩٦٦–١٩٧٠م. توفي بتاريخ١٩/٨/١٩٩٣م. انظر: سيل، باتريك: **الأسد (الصراع على الشرق الأوسط)**، (دمشق: ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر، ١٩٨٨م)، ص١٠٨.

(٦٠) أ-أ سازونوف، ف-ف رفافيلوف: **السياسة الخارجية السورية منذ الاستقلال حتى بداية الثمانينات**، ترجمة ماجد علاء الدين مجلة المناضل، (دمشق: العدد ١٥٨ آذار ١٩٨٣م)، ص٨٣.

(٦١) حافظ الأسد: قائد سياسي سوري ولد في مدينة القرداحة عام١٩٣٠م. تخرج في الكلية العسكرية بحمص ١٩٥٥م وتولى قيادة قاعدة الضمير الجوية عام

١٩٦٣م، وعين قائداً لسلاح الطيران١٩٦٤م. تولى منصب وزير الدفاع١٩٦٧-١٩٧٠م، وقام بالحركة التصحيحية لتصحيح الأوضاع داخل حزب البعث العربي الاشتراكي، عام١٩٧٠م وانتخب رئيساً للبلاد عام ١٩٧١م. انظر: المنجد: مصدر سابق، ٤٤.

(٦٢) بيترلان، لوسيان: **حافظ الأسد مسيرة مناضل**، ترجمة الياس بديوي، (دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٧م)، ص١٠٤-١٠٥.

(٦٣) في ذكرى حزيران(الذكرى الثالثة لعدوان حزيران) طلائع حرب التحرير الشعبية، دراسات، ص٥- ٦.

(٦٤) أ-أ سازونوف ، ف- ف رفافيلوف: مصدر سابق ، ص٨٤.

(٦٥) خلال الأزمة سعى أعضاء القيادة لعزل وزير الدفاع حافظ الأسد الذي رفض التنازل لهم عن الأمور التي تتعلق بالناحية العسكرية، لصالح القيادة القطرية التي مثلها صلاح جديد، فأصدرت القيادة قراراً بعزل وزير الدفاع ونقله إلى مكان آخر. انظر: العلي، محمد إبراهيم: **حياتي والإعدام**، (دمشق: ط١، ج٣)، ص٣٦١.

(٦٦) أراد صلاح جديد من مؤتمر الحزب، إخضاع القيادة العسكرية بوصفه السلطة الأعلى والحد من سيطرة حافظ الأسد على وزارة الدفاع، في الوقت الذي أراد حافظ الأسد منها عزل القيادة القطرية وإجبارها على إعادة النظر في قرارها. وقد نجح الأسد في مسعاه، وأمر باعتقال أعضاء القيادة وشكل قيادة قطرية جديدة ضمت كلّاً من: حافظ الأسد ومصطفى طلاس وناجي جميل ومحمد حيدر وعبد الحليم خدام وعبد الله الأحمر وعبد الله الأحمد وعبد الغني إبراهيم وأحمد الخطيب ومحمد بجبوج وإلياس ملاطي وفايز ناصر ومحمود الأيوبي وطه

الخيرات وفهمي اليوسفي ومتعب شنان. انظر: العلي، محمد إبراهيم: مصدر سابق، ص٣٨٧.

(٦٧) العلي، محمد إبراهيم: المصدر السابق ، ص٣٨٦.

(٦٨) هيكل، محمد حسنين: **خريف الغضب** (بداية ونهاية أنور السادات)، (القاهرة: مكتبة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٣، ١٩٨٣م)، ص١٦٠.

(٦٩) التقرير السياسي الذي أقره المؤتمر القومي الثالث عشر لحزب البعث العربي الاشتراكي، المنعقد في دمشق أواخر تموز١٩٨٠م، مطبوعات مكتب الإعلام والنشر في القيادة القومية، أيلول،١٩٨٠م، ص٤٩-٥٤.

(٧٠) أ-أ سازونوف ، ف-ف رفافيلوف: مصدر سابق، ص٨٩- ٩٠.

(٧١) أنور السادات: ١٩١٨- ١٩٨١م ضابط وسياسي مصري، ورئيس الجمهورية منذ عام ١٩٧٠م. حاز على جائزة نوبل للسلام ١٩٧٨م، اغتيل في العام ١٩٨١م. انظر: المنجد: مصدر سابق، ص٢٨٥.

(٧٢) أ-أ سازونوف ، ف-ف رفافيلوف : مصدر سابق ، ص٤٠.

(٧٣) الحمش، منير: مصدر سابق، ص٢١- ٢٢.

(٧٤) سيل، باتريك: **الأسد (الصراع على الشرق الأوسط)**، مرجع سابق، ص٥١٥-٥١٦.

(٧٥) لونغريغ، ستيفن همسلي: **سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ترجمة بيار عقل، (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨م)، ص٤٣٥.

(٧٦) رغب الرئيس السوري حسني الزعيم بشراء معدات عسكرية بريطانية بقيمة٢ مليون جنيه، لمواجهة الأخطار على البلاد، لكن بريطانيا رفضت الطلب

السوري، نتيجة حظر بيع الأسلحة المفروض على بلدان المنطقة، بسبب قرار مجلس الأمن، إثر الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨م. انظر: راثميل، اندرو: مصدر سابق، ص٤٨.

(٧٧) - Encarta, Reference Library 2005, 1993-2004 Microsoft

(٧٨) الزعبي، خيام: **تجزيه وتحليل روابط سياسي بين سوريا وإيران ١٩٧٩-٢٠٠٤م** رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة أصفهان، إيران، ص١٢٦.

(٧٩) أقرت هذه الاتفاقية بموجب القانون ذي الرقم ٣١ الصادر بتاريخ٣٠/١/١٩٥٥م من قبل رئيس الجمهورية. وثيقة إبرام رئيس الجمهورية السورية هاشم الأتاسي لمعاهدة الصداقة السورية- الإيرانية الموقعة بتاريخ٢٥شوال١٣٧٣هـ الموافق٢٦/٧/١٩٥٤م، وزارة الخارجية، إدارة الاتصالات والأتمتة (غير مصنف).

(٨٠) (سند٦٠) نامه هاي متبادل راجع به تغيير تابعيت وزارة أمور خارجه في تهران ٤/٤/١٩٥٤م وقد وقع الجانب السوري عليها بتاريخ ٢٨/٦/١٩٥٤م. مأخوذة من كتاب إسناد معاهدات دو جانبيه إيران باساير الدول ، دفتر مطالغات سياسي وبين المللي وزارت أمور خارجة ، تهران ١٣٧٥هجري شمسي .

(٨١) الراديكالية : فرنسية الأصل نسبة إلى راديكال Radical وتعني لغوياً الجذر وسياسياً تعني نهج الأحزاب والحركات السياسية التي تتوجه إلى إحداث إصلاح شامل وعميق في المجتمع وهي تنظر إلى مشكلات المجتمع من مختلف ميادينه السياسي والاقتصادي والفكري والدستوري بهدف التغيير العميق في بنية المجتمع من واقع التخلف إلى واقع التقدم . www.google.com

(٨٢) بهلوان، سمر: **العلاقات السورية- الإيرانية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م حتى قيام الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩م**، دراسة قيد النشر في مجلة جامعة دمشق ٢٠٠٦م، ص٦.

(٨٣) شفيق، عبد المنعم: **حقيقة المقاومة** ، ٨/١١/١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، www.google.com.

(٨٤) سعيد، عبد المنعم: مرجع سابق، ص٨٣.

(٨٥) Encarta, Reference Library 2005, 1993-2004 Microsoft

(٨٦) موسى، ضياء: شعاع من رؤى الإمام الخامنئي للعلاقات الدولية (بيروت، الدار الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م)، ص٤٤.

(٨٧) أسد الله علم: **المذكرات السرية لوزير البلاط الإيراني أسد علم**، إعداد علي ناغي خاني، تعريب مجموعة خبراء عرب، بإشراف رفعت السيد أحمد، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٣م)، ص١٠٢.

(٨٨) بعد رفض إيران الطلب السوفييتي الأول، طلبت موسكو مرور الطائرات المدنية من طراز (ايروفلوت) محملة بقطع الغيار للسلاح السوري فوافقت طهران على الطلب. انظر: المصدر السابق، ص٣٣٩.

(٨٩) فضة، رفيق سليمان: **أثر فكر الخميني على القضية الفلسطينية**، د.م، د.ت، ص٣٥.

(٩٠) قهوجي، حبيب: **استراتيجية الصهيونية تجاه المنطقة والحزام المحيط بها** (دمشق: مؤسسة الأرض للدراسات، ١٩٨٢م)، ص١٦٤.

(٩١) هنري كيسنجر: سياسي أمريكي ولد في ألمانيا عام ١٩٢٣م. ووزير خارجية الولايات المتحدة ١٩٧٣- ١٩٧٧م حاز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٣م. انظر: المنجد: مصدر سابق، ص٤٨٣ .

(٩٢) حققت لجنة تابعة للكونغرس الأمريكي برئاسة أوتيس بايك بالعمليات التي تقوم بها وكالة المخابرات الأمريكية. وقد تسربت معلومات التقرير إلى صحيفة ذي فيليج فويس /صوت القرية/ في شباط ١٩٧٦م ونشرتها برتراند رسل للسلام. انظر: سيل، باتريك: **الأسد (الصراع على الشرق الأوسط)**، ص٣٩٢.

(٩٣) سيل، باتريك: المرجع السابق ، ص٣٩٢.

(٩٤) شفيق ، عبد المنعم : **حقيقة المقاومة** ، مرجع سابق .

(٩٥) إن ما كان يخشاه الشاه هو تأييد العرب لمعارضيه. وبالفعل فقد استقبل العديد من الدول العربية المعارضة الإيرانية التي تلقت التدريب على حمل السلاح في تلك البلدان /كلبنان وليبيا ومصر وسورية/.

(٩٦) المبيض، وليد خالد- كتن، جورج شكري: مرجع سابق، ص٢١.

(٩٧) (سند ٦٥) موافقتنامه تجاري دارزمدت بين دولت بادشاهي إيران ودولت جمهوري عربي سوريه، تاريخ ٢٨ زوئيه ١٩٧٤م. مأخوذة من كتاب إسناد معاهدات دو جانبيه إيران باساير الدول، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي وزارت أمور خارجة ، تهران ١٣٧٥هجري شمسي .

(٩٨) اتفاق تعاون سياحي بين حكومة الجمهورية العربية السورية وحكومة إيران الموقع بتاريخ ٢٣/٧ /١٩٧٤م، وزارة السياحة، مديرية العلاقات الدولية، (غير مصنف).

(٩٩) أعلن الشاه في كلمة الترحيب بالرئيس السوري، وقوف بلاده إلى جانب الحق العربي، وأعلن عن الدور السوري المهم في حل الصراع في المنطقة إذ قال:"...أما حول القضية المصيرية الهامة لأزمة الشرق الأوسط ، والتي لسورية دورٌ أساسيٌ وهامٌ فيها، فربما ليس هناك ضرورة للإشارة إلى أن بلدنا اتخذ مواقف حاسمة حول ضرورة إخلاء جميع الأراضي العربية المحتلة". وقد رحب الرئيس السوري في كلمته، بالموقف الإيراني الجديد قائلاً: "لابد لي أن أعرب عن تقديرنا الكبير لتأييدكم ودعمكم لقضيتنا العادلة. إن شعبنا يرى في هذه المواقف تشجيعاً له في النضال ضد العدوان" صحيفة الثورة: ١٩٧٥/١٢/٣٠م، العدد ٣٩٤٦.

(١٠٠) شفيق ، عبد المنعم: **حقيقة المقاومة** ، مرجع سابق .

(١٠١) موسى، ضياء: **شعاع من رؤى الإمام الخامنئي للعلاقات الدولية**، مرجع سابق، ص١٠٧.

(١٠٢) أسس بيار الجميل(١٩٠٥-١٩٨٤م) حزب الكتائب في عام ١٩٣٦م ، وهو سياسي لبناني ولد في مصر وبقي رئيس الحزب حتى وفاته. انظر: المنجد: مصدر سابق، ص٢٠٤.

(١٠٣) بلاك، إيان- مورسي، بني: **حروب إسرائيل السرية**، ترجمة عمار جولاق- عبد الرحيم الفرا، (عمان: دار الأهلية للنشر والتوزيع ، ط١- ١٩٩٢م)، ص٣٤١.

(١٠٤) سعيد، عبد المنعم: مرجع سابق، ص١٧٨- ١٧٩.

(١٠٥) مرسوم تصديق اتفاقية القرض من الحكومة الإيرانية قانون رقم /٩/ بتاريخ ٥/٤/١٩٧٦م. وقعها وزير الاقتصاد الإيراني هوشنك أنصاري ووزير الاقتصاد السوري محمد عمادي.

(١٠٦) (سند٦٧) موافقتنامه فرهنكى بين إيران وجمهورى عربى سوريه بتاريخ ٨ نوامبر ١٩٧٥م. مأخوذة من كتاب إسناد معاهدات دو جانبيه إيران باساير الدول، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي وَزارت أمور خارجة، تهران ١٣٧٥هجري شمسي.

(١٠٧) هيكل، محمد حسنين: **مدافع آية الله (قصة إيران والثورة)**، (بيروت: دار الشرق، ط٣، ١٩٨٣م)، ص١١٥.

(١٠٨) بعد نجاح الثورة، تولى هؤلاء مناصب قيادية في إيران كقطب زاده الذي شغل منصب وزير الخارجية بعد انتصار الثورة، وكان خلالها يعيش في دمشق، وأعطي جواز سفر سوري مكنه من القيام بنشاطه ضد الشاه، بوصفه مراسلاً صحفياً لجريدة الثورة السورية في باريس. انظر: سيل، باتريك: **الأسد (الصراع على الشرق الأوسط)**، مرجع سابق، ص٥٧٢.

(١٠٩) محمد ناصيف: من مواليد مدينة حماة (مصياف) عام١٩٣٤م. تخرج في كلية الحربية، وبعد قيام الحركة التصحيحية نقل إلى إدارة المخابرات العامة وتولى فيما بعد الأمن الداخلي في سورية ويعمل حالياً معاون نائب رئيس الجمهورية. www.google.com .

(١١٠) سيل، باتريك: **الأسد (الصراع على الشرق الأوسط)**، مرجع سابق، ص٦٩٦.

(١١١) ممّا ذكره أحمد الخميني نجل الإمام الخميني عن تفاصيل هجرة الإمام إلى فرنسا قوله، باختصار: "بعد تصاعد ثورة الشعب الإيراني، عقدت الحكومتان الإيرانية والعراقية لقاءات عديدة انتهت بالاتفاق على امتناع الإمام عن الأعمال السياسية التي تؤدي على توتير العلاقات بين العراق وإيران. وفي حال استمرار الإمام بذلك؛ عليه مغادرة العراق وبالفعل قرر الإمام السفر إلى الكويت. وعلى الحدود جاء إلينا شخص من الكويت ولخص كلامه بأن الدخول إلى الكويت ممنوع فغادروا إلى مدينة البصرة. وفي اليوم التالي سألته عن قراره قال الإمام: سورية، فقلت إذا لم يسمحوا فإلى أين بعد ذلك؟ درسنا الدول المجاورة كلها. الكويت لم تسمح لنا، ودول الخليج لابد أن ترفض. العربية السعودية كانت تصب علينا شتائمها باستمرار، وأفغانستان وباكستان لا يمكن الذهاب إليهما كذلك، تبقى سورية لكن لا يمكن الإبحار في الماء دون قارب. كان يجب أن ندخل دولة لا يحتاج دخولها تأشيرة دخول. وعلينا الاتصال من هناك بالمسؤولين السوريين واستشارتهم حول استعدادهم لقبول الإمام دون أي قيد أو شرط؛ أي من دون أن يطالبوا الإمام بتحديد حريته بأي شكل من الأشكال. انظر: الكوثر (مجموعة من خطابات الإمام الخميني التي تتضمن تسجيلاً لوقائع الثورة خلال الأعوام ١٩٦٢-١٩٧٨م)، (مؤسسة تنظيم تراث الخميني "الشؤون الدولية"، ط١، ١٩٩٦م)، ص٩-١١.

(١١٢) طلاس، مصطفى: **مرآة حياتي (العقد الرابع ١٩٧٨- ١٩٨٨م)**، (بيروت: دار الذاكرة للطباعة، ط١، ٢٠٠٤م)، ص١٢.

(١١٣) أنصاري، حميد: مرجع سابق، ص٩٩.

(١١٤) يعقوب، أحمد حسين: **الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران**، مرجع سابق، ص١٣٧.

(١١٥) موسى الصدر: إيراني الأصل. ولد في مدينة (قم) الإيرانية عام١٩٢٨م، وتخرج في كلية الحقوق والاقتصاد والسياسة في جامعة طهران. انتقل للعيش في لبنان عام١٩٥٨م وأسس المجلس الشيعي الأعلى، كما أسس حركة أمل (أفواج المقاومة اللبنانية). كان الرئيس الأسد قد استقبله في دمشق، قبل نجاح الثورة، مرات عدة. وقد اختفى في ظروف غامضة في آب/١٩٧٨م في أثناء زيارته إلى ليبيا، واتهم النظام الليبي بإخفائه. انظر: سيل، باتريك: **الأسد (الصراع على الشرق الأوسط)**، مرجع سابق، ص٥٧٣.

(١١٦) سيل، باتريك: المرجع السابق، ص٥٧٣.

(١١٧) صباغ، مازن يوسف: **العرب وإيران** (نداء التاريخ والحضارة)، (دمشق: دار السوسن، ط١، ٢٠٠٣م)، ص٣٨.

(١١٨) مصطفى، أمين: **إيران وفلسطين بين عهدين**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ط١، ١٩٩٦م)، ص٤٠- ٤٤.

(١١٩) صحيفة البعث: العدد ٥٢٠٩، ١٤/٢/١٩٨٠م.

(١٢٠) عمل الشاه على تنسيق مواقفه مع الساسة السعوديين، لأن كلا القوتين تعدان الركيزتين الأساسيتين لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، فيما أطلق عليه مبدأ العمودين المتساندين، وفيه تؤدي إيران مع السعودية دور الشرطي في الخليج العربي، كما قدم الدعم العسكري لسلطنة عمان بهدف القضاء على الثورة التي اندلعت في إقليم ظفار ضد حكم السلطان قابوس بن سعيد. انظر: هيكل،

محمد حسنين: مدافع آية الله الخميني، ص١٣٦. وهوليداي، فريد: مرجع سابق، ص١١٢-١١٣.

(١٢١) في علاقة الشاه مع العراق: فقد سعى لتقديم الدعم العسكري للحركات الكردية المعارضة لنظام الحكم في بغداد، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى عام ١٩٧٥م، عندما وقع الشاه والعراق اتفاق الجزائر، تعهد فيه العراق بإيقاف دعم المنشقين الإيرانيين، بينما تعهدت إيران بوقف إمداد السلاح للأكراد. كما كان للشاه أطماع في السيطرة على بعض بلدان الخليج العربي كالبحرين التي يعدها محافظة إيرانية، واحتلاله لثلاثة جزر إماراتية (طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى) وضمها إلى بلاده، بهدف السيطرة على موقعها الاستراتيجي. انظر: النبالي، عبد الله: ص٦٧. وحداد، سلمى: ص٥٨.

(١٢٢) كان للشاه دورٌ رئيسٌ في الاتصالات التي قامت بين أنور السادات وشمعون بيريز وساعده في ذلك الملك الحسن الثاني ملك المغرب وذكرت صحيفة فرانس سوار أنّ لقاءً سرياً جمع بين مناحيم بيغن وأنور السادات في قبرص في الفترة بين٨-١٤/١٠/١٩٧٧م، وانتهى بتوقيع اتفاقية صلح بين الجانبين، وقيام السادات بزيارة القدس. قامت سويسرا برعاية المصالح الإيرانية في "إسرائيل"، بينما كانت كندا راعيةً للمصالح "الإسرائيلية" في طهران. وقد وجد مكتبٌ في طهران يديره دبلوماسيون "إسرائيليون" بإشراف شخص يشار إليه بأنه سفير "إسرائيل" في إيران، وساهمت "إسرائيل" في إقامة مشاريع صناعية في إيران، كالصناعة الكيماوية والأدوات الزراعية والمشاريع العمرانية، ودعمت إيران "إسرائيل" بالنفط؛ إذ تم إنشاء أنبوب للنفط في عام١٩٧٠م يصل بين إيلات وساحل البحر الأبيض المتوسط. هيكل، محمد حسنين: **خريف الغضب**، مصدر سابق، ص ٢٢٩.

(١٢٣) في نهاية عام عام ١٩٥٨م، قام تعاون استخباراتي بين إسرائيل وتركيا وإيران، تهدف إلى إقامة منظمة ثلاثية الأبعاد، تتبادل فيما بينها المعلومات حول دول الجوار (الاتحاد السوفييتي- سورية- مصر- العراق). انظر: الجهماني، يوسف إبراهيم: **تركيا وإسرائيل (ملفات تركية)**، (دمشق: دار حوران للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م). ص٥٥.

(١٢٤) يعقوب، أحمد حسين: **الإمام الخميني والثورة الإسلامية**، ص١٥٤-١٥٥.

(١٢٥) الجهماني، يوسف إبراهيم، وأوسي، سالار: **تركيا وسورية (ملفات تركية)**، (دمشق: دار حوران للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م)، ص٤٧.

(١٢٥) راثميل ، اندرو: **الحرب الخفية في الشرق الأوسط** ، مرجع سابق، ص١٩.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: الوثائق:

١- (سند ٦٥) موافقتنامه تجاري دارزمدت بين دولت بادشاهي إيران ودولت جمهوري عربي سوريه، تاريخ ٢٨ زوئيه ١٩٧٤م. مأخوذة من كتاب إسناد معاهدات دو جانبيه إيران باساير الدول، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي وزارت أمور خارجة، تهران ١٣٧٥هجري شمسي.

٢- (سند٦٠) نامه هاي متبادل راجع به تغيير تابعيت وزارة أمور خارجه في تهران ١٩٥٤/٤/٤م وقد وقع الجانب السوري عليها بتاريخ ١٩٥٤/٦/٢٨م. مأخوذة من كتاب إسناد معاهدات دو جانبيه إيران باساير الدول ، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي وزارت أمور خارجة ، تهران ١٣٧٥هجري شمسي.

٣- (سند٦٧) موافقتنامه فرهنكى بين إيران وجمهورى عربى سوريه بتاريخ ٨ نوامبر ١٩٧٥م. مأخوذة من كتاب إسناد معاهدات دو جانبيه إيران باساير الدول، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي وزارت أمور خارجة، تهران ١٣٧٥هجري شمسي.

٤- اتفاق تعاون سياحي بين حكومة الجمهورية العربية السورية وحكومة إيران الموقع بتاريخ ٧/٢٣ /١٩٧٤م، وزارة السياحة، مديرية العلاقات الدولية.

٥- التقرير السياسي الذي أقره المؤتمر القومي الثالث عشر لحزب البعث العربي الاشتراكي، المنعقد في دمشق أواخر تموز١٩٨٠م، مطبوعات مكتب الإعلام والنشر في القيادة القومية، أيلول،١٩٨٠م.

٦- مرسوم تصديق اتفاقية القرض من الحكومة الإيرانية قانون رقم /٩/ بتاريخ ١٩٧٦/٤/٥م. وقعها وزير الاقتصاد الإيراني هوشنك أنصاري ووزير الاقتصاد السوري محمد عمادي.

٧- وثيقة إبرام رئيس الجمهورية السورية هاشم الأتاسي لمعاهدة الصداقة السورية- الإيرانية الموقعة بتاريخ٢٥شوال١٣٧٣هـ الموافق١٩٥٤/٧/٢٦م، وزارة الخارجية، إدارة الاتصالات والأتمتة.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

١- أسد الله علم: المذكرات السرية لوزير البلاط الإيراني أسد علم، إعداد علي ناغي خاني، تعريب مجموعة خبراء عرب، بإشراف رفعت السيد أحمد، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٣م).

٢- أنصاري، حميد: حديث الانطلاق(جولة في سيرة حياة الإمام الخميني)، (مركز بقية الله الأعظم، ١٩٩٩م).

٣- الأيوبي، الهيثم: ميزان القوى العسكرية في العالم العربي والدول المجاورة (١٩٧٦-١٩٧٧م)، (دمشق: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٧٧م).

٤- البزي، ناجي عبد العزيز: سورية صراع الاستقطاب(دراسة وتحليل لأحداث الشرق الأوسط والتدخلات الدولية في الأحداث السورية، ١٩١٧-١٩٧٣م)، (دمشق: دار ابن العربي، ط١، ١٩٩٦م).

٥- بلاك، إيان- مورسي، بتي: حروب إسرائيل السرية، ترجمة عمار جولاق- عبد الرحيم الفرا، (عمان: دار الأهلية للنشر والتوزيع ، ط١- ١٩٩٢م).

٦- بهلوان، سمر: العلاقات السورية- الإيرانية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م حتى قيام الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩م، دراسة قيد النشر في مجلة جامعة دمشق ٢٠٠٦م.

٧- بيترلان، لوسيان: حافظ الأسد مسيرة مناضل، ترجمة الياس بديوي، (دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٧م).

٨- توري، جوردون: السياسة السورية والعسكريون ١٩٤٥- ١٩٥٨م، ترجمة محمود فلاحة، (دمشق: دار الجماهير، ط٢، ١٩٦٩م).

٩- الجهماني، يوسف إبراهيم: تركيا وإسرائيل (ملفات تركية)، (دمشق: دار حوران للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م).

١٠-الجهماني، يوسف إبراهيم، وأوسي، سالار: تركيا وسورية (ملفات تركية)، (دمشق: دار حوران للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م).

١١-حداد، سلمى:المساعدات العسكرية الأمريكية لإيران،دراسة مقدمة إلى معهد الدراسات العليا في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية (جامعة نيويورك)،(دار القدس: ط١، ١٩٧٤م).

١٢-حسين، خالد: سوريا المعاصرة ١٩٦٣- ١٩٩٣م، (دمشق: دار كنعان للدراسات،١٩٩٦م).

١٣-الحمش، منير: تطور الاقتصاد السوري الحديث، (دمشق: دار الجيل، ط١، ١٩٨٣م).

١٤-راثميل ، اندرو: الحرب الخفية في الشرق الأوسط (الصراع السري على سورية ١٩٤٩- ١٩٦١م) ، ترجمة عبد الكريم محفوض ، (سورية: توزيع دار السلمية ، ط١ ، ١٩٩٧م).

١٥-الزركلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين) (بيروت: دار العلم للملايين، ط١٤، ١٩٩٩م)، ١٠أجزاء.

١٦-الزعبي، خيام: تجزيه وتحليل روابط سياسي بين سوريا وإيران ١٩٧٩-٢٠٠٤م رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة أصفهان، إيران.

١٧-السكبي، آمال: تاريخ إيران السياسي بين ثورتي ١٩٠٦-١٩٧٩م، عالم المعرفة، العدد ٢٥٠، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩م).

١٨-سيل، باتريك: الأسد (الصراع على الشرق الأوسط)، (دمشق: ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر، ١٩٨٨م).

١٩-سيل، باتريك: الصراع على سورية (دراسة للسياسة العربية بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٥٨م) ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، (دمشق: دار طلاس، ط٧، ١٩٩٦م).

٢٠-شوكروس، وليم: رحلة الشاه الأخيرة "مصير حليف"، (دمشق: دار الأهالي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٢م).

٢١-صباغ، مازن يوسف: العرب وإيران (نداء التاريخ والحضارة)، (دمشق: دار السوسن، ط١، ٢٠٠٣م).

٢٢-طلاس، مصطفى: مرآة حياتي (العقد الرابع ١٩٧٨- ١٩٨٨م)، (بيروت: دار الذاكرة للطباعة، ط١، ٢٠٠٤م).

٢٣-عبد السلام، عادل: جغرافية سورية الإقليمية (دمشق: مطبعة الروضة، القسم١، ١٩٨١-١٩٨٢م).
٢٤-العلي، محمد إبراهيم: حياتي والإعدام، (دمشق: ط١، ج٣).
٢٥-عواد، رياض سليمان: إيران الماضي والحاضر والمستقبل،(منشورات مركز الرضا، ١٩٩١م).
٢٦-فضة، رفيق سليمان: أثر فكر الخميني على القضية الفلسطينية، (د.م، د.ت).
٢٧-في ذكرى حزيران(الذكرى الثالثة لعدوان حزيران) طلائع حرب التحرير الشعبية، دراسات.
٢٨-قهوجي، حبيب: استراتيجية الصهيونية تجاه المنطقة والحزام المحيط بها (دمشق: مؤسسة الأرض للدراسات، ١٩٨٢م).
٢٩-الكوثر (مجموعة من خطابات الإمام الخميني التي تتضمن تسجيلاً لوقائع الثورة خلال الأعوام ١٩٦٢-١٩٧٨م)، (مؤسسة تنظيم تراث الخميني "الشؤون الدولية"، ط١، ١٩٩٦م).
٣٠-لونغريغ، ستيفن همسلي: سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل، (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨م).
٣١-المبيض، وليد، كتن، جورج شكري: خيارات إيران المعاصرة (تغريب أسلمة ديمقراطية)، (دمشق: مركز علاء الدين، ط١، ٢٠٠٢م).
٣٢-مسعد، نيفين عبد المنعم: صنع القرار في إيران والعلاقات العربية- الإيرانية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠١م).
٣٣-مصطفى، أمين: إيران وفلسطين بين عهدين، (بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ط١، ١٩٩٦م).
٣٤-مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني: سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (الشؤون الدولية)، ٢٠٠٤م.

٣٥-المنجد في الأعلام، (بيروت: دار المشرق العربي، ط٣٣، ١٩٩٢م).
٣٦-موسى، ضياء: شعاع من رؤى الإمام الخامنئي للعلاقات الدولية (بيروت، الدار الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م).
٣٧-النبالي، عبد الله: عالمية الإمام الخميني (حياته وفكره)، (عمان: د.م، ٢٠٠١م).
٣٨-هوليداي، فريد: مقدمات الثورة في إيران، ترجمة مصطفى كركوتي، مراجعة خليل هندي (بيروت: دار ابن خلدون، ط١، ١٩٧٩م).
٣٩-هيكل، محمد حسنين: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، (القاهرة: دار الشروق، ج١، ط٣، ١٩٩٦م).
٤٠-هيكل، محمد حسنين: خريف الغضب (بداية ونهاية أنور السادات)، (القاهرة: مكتبة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٣، ١٩٨٣م).
٤١-هيكل، محمد حسنين: مدافع أية الله (قصة إيران والثورة)، (بيروت: القاهرة، دار الشرق، ط٣، ١٩٨٣م).
٤٢-يعقوب، أحمد حسين: الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران، (بيروت: الدار الإسلامية، ٢٠٠٢م).

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1-Abdol- Hossein Harati :the Era of Construction (Anarration of 8years of Construction During the Presidency of Ayatollah Hashemi Rafsanjani) Nashr-e- Kelid- 1997 p 338- 347.

2- Sick, Gary: All Fall Down America,s Fate Full Encounter With Iran , I.B.Tauris& Co. ltd - London ,1985,p8-9.

رابعاً: الصحف والمجلات:

١- مجلة العربي العدد ٤٧٧، (الكويت: مطابع حكومة الكويت، آب، ١٩٩٨م).

٢- مجلة العربي، العدد ٤٣٧، (الكويت: مطابع حكومة الكويت، نيسان، ١٩٩٥م).

٣- مجلة الشراع (بيروت: دار صنين للطباعة، العدد ٦٢٨، السنة ١٣، ١٦ أيار ١٩٩٤م).

٤- مجلة المناضل، العدد ١٥٨، آذار ١٩٨٣م.

٥- صحيفة الثورة: ١٩٧٥/١٢/٣٠م، العدد ٣٩٤٦.

٦- صحيفة الثورة : ١٩٨٠/١/٩م، العدد ٥١٧٩.

خامساً: مواقع الإنترنت:

Encarta, Reference Library 2005, 1993- 2004 Microsoft

www.palasteen. com

الأوضاع الاجتماعية للسكان في الجولان المحتل مابين ١٩٦٧-١٩٨٢م

إعداد طالب الدكتوراه
نضال نصر الكاج

إشراف الدكتورة
كاميليا أبو جبل

قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

مخطط البحث:

المقدمة: حول الجولان، جغرافيته وسكانه قبل عام ١٩٦٧م.

١- حرب عام ١٩٦٧م وأثرها على سكان الجولان.

٢- أوضاع النازحين من سكان الجولان في الوطن الأم سورية.

٣- أوضاع سكان الجولان تحت الاحتلال.

آ - العمل وأوضاعهم المعيشية.

ب- الأوضاع الصحية.

ج - بنية الأسرة.

د- الأوضاع الثقافية والتعليمية.

و- الأوضاع الخدمية(مشاكل البناء والتنظيم العمراني).

٤- التغييرات "القانونية" التي أحدثتها سلطات الاحتلال.

٥- المقاومة الوطنية في الجولان ضد الاحتلال "الإسرائيلي" مابين ١٩٦٧- ١٩٨٢م.

آ - محاولة فرض الجنسية "الإسرائيلية" على سكان الجولان عام ١٩٧٨م.

ب - قرار ضم الجولان في ١٩٨١/١٢/١٤م.

ج- موقف سكان الجولان من قرار الضم .

١- الإضراب المفتوح في ١٩٨٢/٢/١٤م.

٢- معركة الهوية في ١٩٨٢/٤/٣م.

الخاتمة.

المقدمة: حول الجولان، جغرافيته وسكانه قبل عام ١٩٦٧م:

شهد الوطن العربي في عام ١٩٦٧م، متغيرات مهمة تمثلت في شن "إسرائيل" عدواناً عسكرياً على الدول العربية (مصر وسورية والأردن)، وسيطرتها على مساحات واسعة من الأراضي العربية؛ فعلى الجبهة المصرية احتلت شبه جزيرة سيناء، وعلى الجبهة الأردنية احتلت الضفة الغربية، وعلى الجبهة السورية تمكّنت من غزو الجولان واحتلاله.

وقد اتبع الاحتلال "الإسرائيلي" سياسة استعمارية تهويديّة عملت من خلالها على ضم المناطق المحتلّة وفرض واقع جديد في المنطقة، بهدف التوسع بالكيان "الإسرائيلي" المزعوم، لذلك سعى الصهاينة إلى فرض واقع ديمغرافي وسكاني جديد في الجولان السوري المحتل، شمل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لفك ارتباطه بالوطن الأم سورية، تمهيداً إلى ضمّه.

وعليه فإنّ الأوضاع الاجتماعية في الجولان منذ الاحتلال "الإسرائيلي" عام١٩٦٧م حتى صدور قرار الضم "الإسرائيلي" عام ١٩٨٢م، من أهم القضايا التي يمكن دراستها بهدف إلقاء الضوء على بعض القضايا منها:

١- توضيح أثر حرب عام ١٩٦٧م على سكان الجولان.

٢- رصد أوضاع النازحين من سكان الجولان في الوطن الأم سورية.

٣- استجلاء أوضاع سكان الجولان الاجتماعية والثقافية تحت الاحتلال.

٤- رصد التغيرات "القانونية" التي أحدثتها سلطات الاحتلال في الجولان.

٥- إظهار الموقف الوطني لسكان الجولان تجاه إجراءات الاحتلال .

والجولان جزء من الجمهورية العربية السورية، يقع في المنطقة الجنوبية الغربية منها، ممتداً على مساحة إجمالية تقدر بـ/١٨٦٠كم^{٢}/ أي حوالي/١%/ من مساحة البلاد، حيث تفصله عن محيطه معالم طبيعية من جميع جهاته؛ إذ تحده فلسطين من الغرب، ويبلغ طول حدوده معها حوالي /٧٧ كم/، ويشكل نهر الأردن مع بحيرتي طبرية والحولة الحدود الطبيعية في تلك الجهة(١)، ويحدّه الأردن من الجنوب، ويبلغ طول الحدود معه حوالي /١٤كم/، ويكوّن نهر اليرموك تلك الحدود، أما في الشمال الغربي فيحده لبنان، ويبلغ طول الحدود معه حوالي/٢٠ كم/، كما يشرف جبل الشيخ على الجولان، ويشكل حداً طبيعياً له(٢).

وقد اتخذ الجولان صفته الإدارية الكاملة، كمحافظة من محافظات القطر العربي السوري في عام ١٩٦٤م، عندما تم إحداث محافظة القنيطرة التي أصبحت تسميتها مرادفة لتسمية الجولان (٣). وقد قدّرت بعض المصادر عدد سكان الجولان قبل الاحتلال "الإسرائيلي" عام ١٩٦٧م بحوالي/١٥٣/ ألف نسمة (حوالي ٢% من سكان سورية)، وبكثافة سكانية وصلت إلى /٩٤/ نسمة في الكيلو متر المربع(٤).

وعليه، فالجولان يحتلّ موقعاً استراتيجياً مهماً، إذ يشكل جسراً للاتصال بين الأقطار العربية المجاورة لسورية، ويكتسب أهمية جغرافية وتاريخية وإدارية بين المحافظات السورية، وقد دفعت هذه العوامل مجتمعة "إسرائيل" إلى التخطيط لاحتلاله والسيطرة عليه.

١- حرب عام ١٩٦٧م وأثرها على الجولان:

احتلت "إسرائيل" عام ١٩٦٧م الجولان، وسيطرت على مايقارب (١٢٦٠ كم٢) من الأراضي السورية فيه، ومن ضمنها مدينة القنيطرة عاصمة الجولان وقامت بإجراءات استعمارية جائرة بحق سكانه؛ إذ هجّرت ما يقارب/١٣١,٠٠٠/ مواطن سوري من أبنائه، أي بنسبة (٩٣%) من مجموع السكان، ولم يتبقَّ منهم بعد الحرب سوى /٨٠٠٠/ نسمة، ولكي تمنع "إسرائيل" عودة المهجّرين إلى قراهم قام "الجيش الإسرائيلي" بتدمير القرى والمراكز البشرية(٥)؛ إذ لم يتبقَ من أصل /١٣٩/ قرية و /٦١/ مزرعة، إلا /٦/ قرى هي (مجدل شمس ــ مسعده ــ بقعاثا ــ عين قنية ــ الغجر ــ سحيتا) وبلغ مجموع سكان هذه القرى الذين بقوا في بيوتهم /٦٣٩٦/ نسمة(٦).

ومنذ الشهور الأولى للاحتلال هدّمت "إسرائيل" قسماً كبيراً من القرى التي هجّرت سكانها بهدف إخفاء أية علائم تشير إلى وجود سكان في هذه المناطق من قبل، ولجأت إلى ممارسة الضغوط على سكان قرية (سحيتا) لترك قريتهم والانتقال إلى قرية مسعدة، متذرعةً بأن القرية قريبة من خط وقف إطلاق النار، وبعد أن تحقق لها ذلك هدّمت القرية وأقامت موقعاً عسكرياً مكانها، ثمّ أعلنت أنها منطقة عسكرية مغلقة، كما صادرت معظم أراضي قرية الغجر وحوّلت سكانها إلى عمال مأجورين داخل "إسرائيل"(٧).

وحاولت "إسرائيل" فرض "القوانين الإدارية" الخاصة بالسكان العرب داخل "إسرائيل" على سكان الجولان المحتل، لكن سكان الجولان لم يقبلوا بالإجراءات "الإسرائيلية"، وقاموا بإفشالها، من خلال رفضهم للاحتلال، مؤكدين في جميع المناسبات الوطنية أنهم مواطنون عرب سوريون (٨).

وقد قامت سلطات الاحتلال بإدارة قرى الجولان عبر "مجالس محلية" وعينت عليها بعض الأشخاص المتعاونين معها رغماً عن الإرادة الشعبية، فقامت تلك المجالس بفرض ضرائب باهظة على السكان من دون تقديم أية خدمات ضرورية لهم(٩)، كما لجأت سلطات الاحتلال إلى إثارة النزاعات العشائرية بين السكان، إذ حاولت تشجيع بعض الزعماء المحليين وإغرائهم بترأس (المجالس المحلية الجديدة) التي شكلتها، أو المشاركة فيها بعد أن طردت رؤساء المجالس المحلية المنتخبين في قرى الجولان، الذين كانوا في مناصبهم قبل احتلال الجولان (١٠).

وقد عمدت "إسرائيل" بعد احتلالها الجولان إلى خرق القانون الدولي بشكل متعمّد مخالفةً بذلك اتفاقية جنيف الموقعة عام ١٩٤٩م والمتعلقة بحماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب، مما أرغم الغالبية العظمى من سكان الجولان على ترك بيوتهم وقراهم والنزوح إلى داخل سورية (١١).

وتعبيراً عن الرغبة "الإسرائيلية" في إخضاع الجولان، وضمّه قامت بتعيين حاكم عسكري عليه، أصدر أوامر عسكرية عدة، منها: الأمر العسكري رقم/١/ الصادر في١٠/٦/١٩٦٧م، أعلن فيه فرض سيطرة القوات "الإسرائيلية" على الجولان ومنع التجول في جميع مناطقه، ومنع مغادرة المواطنين السوريين لمنازلهم، وحظر التجمعات في الشوارع والأماكن العامة، وقد فرضَ القرار عقوبات شديدة على كل من يخالف تلك التعليمات (١٢).

ومن الواضح أن هذه الأوامر جاءت لتمنع عودة السكان العرب السوريين الذين أجبرتهم "إسرائيل" على ترك مدنهم وقراهم حيث كانت تعتقل من يحاولون العودة إلى بيوتهم وتسجنهم لفترة ثم تبعدهم قسراً إلى داخل سورية .

وقد اقترنت أعمال قوات الاحتلال والأوامر التي أصدرتها بوضع "تشريعات" تمنع عودة السكان إلى قراهم ومدنهم، فبعد قيامها بتدمير ممتلكاتهم بالقوة عدّت أن الممتلكات التي تركها أصحابها أثناء العمليات الحربية أموالاً متروكة وكأن (أصحابها قد تركوها بمحض إرادتهم) وتم وضعها تحت تصرف سلطات الاحتلال التي أصدرت عدداً من الأوامر العسكرية، منها: الأمر العسكري(رقم٣٩) في١٩٦٧/٨/٢٧ الذي قضى بإغلاق القرى المتروكة ومنع أصحابها من العودة إليها تحت طائلة العقوبة بالسجن والغرامة المادية، وألحقت هذا الأمر بالأمر (رقم ٥٧) الذي صدر في١٧ /٩/ ١٩٦٧م والذي منعَ حالات التسلّل التي كان يقوم بها بعض المواطنين إلى بيوتهم وقراهم بعد توقف العمليات الحربية والحؤول دون عودة السكان المدنيين إلى أماكن سكنهم في الجولان [١٣].

إن ما قامت به سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" في هذا المجال يهدف إلى إحداث "تغييرات قانونية" تسهّل الطريق أمامها للسيطرة التامة على الأرض في الجولان المحتل وتغيير المعالم الطبيعية والوضع الديمغرافي بما يخدم المشروع الاستيطاني الصهيوني في الجولان.

وفي السياق ذاته فقد قامت "إسرائيل" بعد احتلالها الجولان في حزيران ١٩٦٧م، بالسيطرة على جميع مصادر المياه الموجودة فيه، بعد أن أصدرت عدداً من الأوامر العسكرية التي تسمح لها بذلك، منها: الأمر العسكري (رقم١٢٠) الصادر في ٢٤ /٣/ ١٩٦٨م الذي حدّد الأعمال والنشاطات التي تؤثر على مصادر المياه من حفر وتحويل واستخراج وضخ ونقل وتصريف، وإنشاء مشاريع المياه، وبناء السدود، وما يتبعها من منشآت وحفر القنوات وبناء الخزانات واستعمال المياه للري أو لأية غاية أخرى، وبموجب هذا الأمر عيّنت مسؤولاً له كافة الصلاحيات المتعلقة بأعمال المياه كافةً، كما نصَّ الأمر رقم (١٢٠) على عدم جواز قيام أي شخص بأي عمل يتعلق بالمياه إلا بموجب ترخيص ووفق شروط محددة من سلطات الاحتلال التي لها الحق بالكشف

عن مصادر المياه واتخاذ الوسائل التي تراها مناسبة لتنفيذ أحكام هذا الأمر بما في ذلك استعمال القوة (١٤).

وقد عملت السلطات "الإسرائيلية" بشكل منظّم على تمرير المخططات الصهيونية التوسعية للسيطرة على الجولان، وعمدت إلى عمليات انتقامية قمعية ضد المواطنين السوريين الذين بقوا متمسّكين بأرضهم، فلجأت إلى حظر النشاط السياسي لهم، وصادرت حرياتهم الأساسية وفرضت القيود بقصد منعهم من القيام بأي نشاط معارض لسياساتها وممارساتها حتى لو كان سلمياً، وفي هذا الإطار أصدرت سلطات الاحتلال الأمر العسكري (رقم ٤٩) في ٦ /٩/١٩٦٧. [illegible]ي يحظّر ما أسمته أعمال التحريض والدعاية العدائية(١٥).

لقد عملت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" على قمع الحريات، من خلال حرمان المواطنين من التعبير عن آراءهم، ومراقبتهم، وفتح الرسائل البريدية، ومصادرة المطبوعات، ومنع الجرائد والكتب، وقامت بحجب المعلومات عن المواطنين السوريين، وممارسة سياسة التعتيم الإعلامي؛ إذ أصدرت الأمر العسكري (رقم٣١) في/١٥/٨/ ١٩٦٧م المتعلق بحظر إدخال الجرائد إلى الجولان وطبعها ونشرها من دون ترخيص وحدد الأمر عقوبة السجن لمدة خمس سنوات مع غرامة مالية لكل من يخالف الأمر (١٦)، وكان من أخطر الإجراءات "الإسرائيلية" تجاه سكان الجولان ما تعلق منها في المجال الإداري، إذ قامت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" في عام ١٩٧٦م بتشكيل مجلس إقليمي لمستوطنات الجولان، وعدّت الجولان امتداداً للمنطقة الشمالية من "إسرائيل" ولم تعدّه منطقةً محتلة، وكان هذا دليلاً على الرغبة "الإسرائيلية" في ضم الجولان، والتوسع على حساب المناطق المجاورة(١٧).

وهكذا فقد سعت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" إلى إحكام سيطرتها على الجولان، وعزل سكانه العرب السوريين عن العالم الخارجي، استناداً إلى حجج واهية، مثل:

"حماية الأمن والنظام العامّين" و"سلامة السكان المحليين"، ولذلك تعدّ ممارسات سلطات الاحتلال في الجولان سياسة قمعية تتعارض مع القوانين الدولية ومبادئ الأمم المتحدة، ألحقَ خلالها الاحتلال "الإسرائيلي" أضراراً كبيرةً بالمواطنين السوريين من خلال الإجراءات التعسفية التي فرضها عليهم لتحطيم معنوياتهم، وضرب انتمائهم القومي العربي، بهدف تحقيق أطماعه القديمة بجعل الجولان خالياً من سكانه العرب، وإزالة أي أثر أو مَعلم يشير إلى وجود الحضارة العربية في هذا الجزء المهم من سورية، وذلك تمهيداً لضمّه إلى الكيان الصهيوني.

٢- أوضاع النازحين من أبناء الجولان في داخل سورية:

أجبرت عمليات التدمير "الإسرائيلية" في الجولان الغالبية العظمى من المواطنين على النزوح إلى سورية، وقدرت بعض المصادر عددهم بحوالي/١٣١/ ألف نسمة(١٨)، يجري تخديمهم في /٧٠/ تجمّعاً(١٩)، وقد توزعت الأسر النازحة من الجولان المحتل في عدد من المحافظات السورية وبنسب متفاوتة، على الشكل الآتي:

جدول يبين توزع الأسر السورية التي نزحت من الجولان وأماكن توضعهم في سورية(٢٠)

رقم	اسم المحافظة	عدد الأسر	النسبة المئوية
١	ريف دمشق	٥٦٠٠	٣٣ %
٢	مدينة دمشق	٦٦٠٠	٣٨%
٣	درعا	٣٩٠٠	٢٣ %
٤	السويداء	٧٤	٠,٤ %
٥	حمص	٣٧٩	٢,٢%
٦	حلب	٤٧	١,١%
٧	القنيطرة (ناحية خان أرنبة)	٤٠٠	٢,٣ %
٨	المجموع	١٧٠٠٠	١٠٠ %

يلاحظ من الجدول السابق أن محافظتي دمشق وريف دمشق قد استوعبتا العدد الأكبر من النازحين من أهل الجولان، ويعود ذلك إلى أسباب عدة، أهمها: أن محافظة دمشق

هي العاصمة، وتشكل مع محافظة ريف دمشق مناطق قريبة من الجولان جغرافياً، كما أن في هاتين المحافظتين يعيش أقارب للنازحين، وتأتي محافظة درعا في المرتبة الثالثة، بسبب قربها الجغرافي من الجولان.

وعلى أثر قدوم النازحين من أبناء الجولان إلى هذه المحافظات، قامت الحكومة السورية بمساعدتهم وتقديم المعونات لهم واستقبالهم، من خلال إقامة المخيمات، أو تقديم مساكن مجانية لهم، كما قام بعضهم باستئجار مساكن خاصة.

ويبين الجدول الآتي الحالة السكنية لأسر النازحين كما كانت عليه في عام ١٩٦٨م(٢١).

رقم	الحالة السكنية	عدد الأسر	النسبة المئوية
١	ملك خاص	١٧٠	%١
٢	إيجار	٧٨٢٠	% ٤٦
٣	مساكن مجانية	٥٦١٠	% ٣٣
٤	مخيمات	٣٠٦٠	% ١٨
٥	حالات أخرى (تم استقبالهم من قبل الأقارب)	٣٤٠	% ٢
٦	المجموع	١٧٠٠٠	% ١٠٠

يشير الجدول السابق إلى أن النسبة الكبرى من النازحين سكنوا في بيوت إيجار وفي مساكن مجانية أقامتها الحكومة السورية لهم، وفي المرتبة الثانية تأتي المخيمات، التي عملت الحكومة السورية على توفيرها بشكل مبدئي قبل انتقال هذه الأسر إلى مساكن جديدة، والنسبة الأقل الأُسَر التي استطاعت امتلاك مساكن بها بعد نزوحها.

ومن ناحية أخرى فقد عملت الحكومة السورية على توفير فرص العمل للنازحين، وتقديم المعونات الغذائية والعينية للعائلات، كما قامت بإحصاء تجمعات النازحين، واستيعاب العاملين منهم في مؤسسات الدولة وشركاتها، واستيعاب أبنائهم في المدارس والمعاهد والجامعات السورية، كما منحتهم تسهيلات خاصة، لمتابعة أوضاعهم

الصحية والاجتماعية والتعليمية، واحدثت مكاتب لإدارة شؤون النازحين، وأولت اهتماماً خاصاً لإدارة شؤون الجزء المتبقي من محافظة القنيطرة (ناحية خان أرنبة وناحية الخشنية) الذي بقي خارج منطقة الاحتلال، فباشرت بإقامة بعض المشاريع في هاتين المنطقتين[٢٢].

٣- أوضاع سكان الجولان تحت الاحتلال:

آ- العمل وأوضاعهم المعيشية:

يعد العمل في الزراعة أهم مصدر لمعيشة السكان السوريين في الجولان، ويأتي العمل داخل الكيان الصهيوني في الدرجة الثانية، لأن طبيعة المجتمع الريفي في الجولان وإمكانياته الاقتصادية المتواضعة لا تسمح بتوفر فرص عمل لجميع السكان، وبشكل خاص للمثقفين وخريجي الجامعات الذين، في معظمهم، لا يعملون في مجال اختصاصاتهم، مما أدى إلى انتشار البطالة بين السكان، ومعظم العاملين داخل الكيان الصهيوني يعملون في قطاع البناء والمصانع والمطاعم ، ويتحملون معاناة شديدة نتيجة بعد أماكن عملهم عن مناطق سكنهم في الجولان[٢٣].

ويعاني قطاع العمل من مشاكل عدة بسبب السياسة "الإسرائيلية" التي أحدثت نوعاً من الخلل البنيوي داخل الطبقة العاملة من سكان الجولان، إذ أنها قامت بفصلها عن سوق العمل في سورية والوطن العربي والعالم، فمنعت العمال السوريين من العمل في السوق السورية وأسواق الدول العربية والعالم من خلال حظر تصدير المنتوجات الزراعية وحرية الحركة للطبقة العاملة، وهذا ما دفع سكان الجولان إلى الاعتماد على الذات وتطوير قطاعاتهم الاقتصادية ولاسيما الزراعة بأنفسهم، ويعتمد قطاع العمل على الأشخاص اللذين تتراوح معدلات أعمارهم بين ١٥- ٦٤ عاماً، يتمحور نشاطهم في مجال الزراعة، وتبلغ نسبة القوة العاملة حوالي/٥٨,٥ %/ من السكان في هذه المرحلة العمرية على الشكل الآتي:

١-المهن العلمية الخاصة : مهندسون وأطباء وصيادلة ومحامون.

٢-الحرف اليدوية : النجّارون- الحدادون- والعاملون في مجال الكهرباء.

٣-الأعمال الحرة : التجار وأصحاب المحلات التجارية والمحاسبة.

٤-العمال أنصاف الحرفيين: يعملون تحت إشراف الحرفيين والورشات الحرفية.

٥-الموظفون في القطاع العام : المدرسون وموظفو المؤسسات الحكومية.

٦-الموظفون في القطاع الخاص: الخياطون- الحلاقون وغيرهم.

٧-المزارعون: أي العاملون في حراثة وزراعة الأرض وجني محصولاتها(٢٤)

وهكذا فمن الواضح أن قطاع العمل هو قطاع حيوي بالنسبة للسكان السوريين في الجولان، ومن الممكن القول: إن المجتمع الجولاني هو مجتمع عمالي محلي يعتمد على المقومات المحلية المتوفرة، لكن في ظل غياب المساعدات الخارجية وقيام "إسرائيل" بعزله من الداخل تحملت فئة المنتجين أعباء اقتصادية إضافية نتيجة وجود أعداد كبيرة من العاطلين عن العمل يتم إعالتهم من قبلهم، فاضطرت بعض الفئات الشابة إلى العمل داخل "إسرائيل"، مدفوعة بالظروف الاقتصادية المعيشية السيئة والحوافز المتوفرة للعمل خارج الجولان متجاهلة المخاطر السياسية التي يمكن أن تنتج عن انخراطهم في سوق العمل "الإسرائيلي".

ب - الأوضاع الصحية:

شهدَ القطاع الصحي في الجولان تردّياً كبيراً في ظل الاحتلال، بسبب الإهمال المقصود من قبل السلطات "الإسرائيلية" له، فقبل الاحتلال كان سكان الجولان يتمتعون بخدمات صحية محلية تغطي احتياجاتهم من خلال وجود مستشفى كبير في مدينة القنيطرة ومستوصف صحي مركزي في قرية مجدل شمس، وإثر حرب عام ١٩٦٧م

دُمِّرَ القطاع الصحي بأكمله، إذ أُحرِق مستشفى القنيطرة المركزي وسرقت معداته ودمّره جنود الاحتلال، وتحول المستوصف المركزي في مجدل شمس إلى مقر للحاكم العسكري "الإسرائيلي"، وتوقفت جميع المؤسسات الصحية عن العمل، وتم استبدالها بمجموعة عيادات تابعة إلى"صندوق المرضى الإسرائيلي"[٢٥]

وبعد الاحتلال بسنوات عدة أقامت السلطات "الإسرائيلية" عيادة طبية في كل قرية من القرى الستة الباقية، تقدم خدمات طبية محدودة خلال خمسة أيام أسبوعياً ولمدة أربع ساعات يومياً فقط، ويتواجد فيها طبيب عام أو اثنين على الأكثر، وهم من الأطباء المتمرنين، ولا تتوافر فيها الأجهزة الطبية المتطورة ولا الخدمات الاسعافية السريعة، فلا يوجد على سبيل المثال سيارة إسعاف للطوارئ، أو طبيب مناوب أو طبيب مختص ولا يستطيع السكان إجراء أي نوع من التحاليل الطبية[٢٦]، وقد استخدمت هذه العيادات كوسيلة ضغط سياسية على السكان، فهي تقدم خدماتها العلاجية للأشخاص المشتركين في نظام الضمان الصحي "الإسرائيلي" فقط، و تفرض رسوم واشتراكات باهظة عليهم[٢٧].

ويعاني السكان من مشقة الذهاب إلى المراكز الطبية البعيدة والمخابر الطبيّة التي تقع خارج الجولان لإجراء التحاليل والفحوصات الطبية، مما يتطلب أوقاتاً إضافية تصل أحياناً إلى أسابيع وحتى أشهر للحصول على النتائج أو تسجيل أدوار للمعاينة والعلاج[٢٨]، وتقتصر الخدمات المقدمة في عيادات القرى على إعطاء وصفات طبية أو رسائل توصية للعلاج في المستشفيات البعيدة، وتقدر الإحصائيات التي أجريت حديثاً أن نسبة الأطباء هي /٢,٧/ بالألف من السكان، وهذه النسبة ضئيلة جداً بالمقارنة مع مثيلتها في المستوطنات "الإسرائيلية" في الجولان والتي تصل إلى /٢٨/ بالألف مما يدل بشكل واضح على سياسة التمييز التي تتبعها السلطات "الإسرائيلية" تجاه السكان السوريين في الجولان، ويوضح أهداف هذه السياسة الرامية إلى تهجيرهم[٢٩].

وفي الوقت ذاته يعاني الخريجون الجدد والطلاب في مجال الطب من عقبات وعراقيل كثيرة تفرضها سلطات الاحتلال، إذ يخضع الخريجون إلى امتحانات قاسية جداً وإجراءات إدارية حازمة جداً لتعديل شهاداتهم، تؤدي إلى حرمانهم من ممارسة العمل، وحتى الذين يجتازون هذه الامتحانات لا يستطيعون متابعة التخصص في الجامعات "الإسرائيلية" لأسباب سياسية[٣٠].

ج- بنية الأسرة:

تتميز البنية الأسريّة لغالبية سكان الجولان بترابطها العائلي، وتتصف الأسرة الجولانية بأنها صغيرة الحجم نسبياً بالمقارنة مع بعض الدول العربية المجاورة وحتى داخل سورية، إذ يبلغ متوسط عدد أفراد الأسر الجولانية /٦/أشخاص للأسرة الواحدة[٣١].

وتشير الدراسات الحديثة إلى أن /٤٠%/ من حالات الزواج تتم بين أفراد العائلة الكبيرة، ويعود السبب في ذلك إلى الظروف الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع الجولاني المعزول عن المجتمعات الكبيرة المحيطة به، لذلك فإن الزيجات محصورة بين سكان القرى العربية، وبطبيعة الحال فإن وجود الاحتلال وانقطاع الصلة مع الوطن الأم سورية يعدّ العامل الأهم في التأثير على أنماط الزواج في المجتمع الجولاني، إذ أن عدد الأشخاص المتزوجين من غير أبناء مجتمعهم المحلي يكاد يكون معدوماً [٣٢] .

وفي السياق ذاته فقد أسهمت الأوضاع السياسية في الحد من الهجرة من الجولان وإليه، وبشكل خاص في الثمانينيات لدرجة أصبحت الهجرة الخارجية معدومة، وتبين الأرقام المنشورة حول سكان الجولان مابين سنوات ١٩٨٣ ــ ١٩٩١م، أن نسبة النمو السكاني بلغت في معدله السنوي ما يقارب /٢,٥%/ وبمعدل هجرة صفر بالمئة،

وهذا بالطبع يدل على انخفاض مستوى الخصوبة ونسبة الوفيات على الرغم من أن متوسط العمر للزواج هو /٢٠/ سنة حسب الاستبيان الذي أجري بهذا الخصوص(٣٣).

ونظراً للقيود المفروضة على حركة السكان العرب السوريين في الجولان المحتل من وإلى سورية الوطن الأم والعالم العربي فإن النمو السكاني يعتمد بشكل أساسي على مستوى الخصوبة ومعدلات الولادات والوفيات، وبالاستناد إلى ذلك أشارت دراسة حديثة اعتمدت على إحصائيات "إسرائيلية" أن عدد سكان الجولان السوريين بلغ عام ١٩٨٢م ما يقارب /١٢,٩٠٠/ نسمة، وخلصت الدراسة في إحدى نتائجها إلى أن الأغلبية الساحقة من النساء في عمر /١٥-٤٩/ هنّ من المتزوجات، وتصل نسبتهنّ إلى /٩٣%/ بينما نسبة المطلقات /٢,٦%/ والأرامل /٢,٩ %/ فقط، وإن معظم النساء المتزوجات يعملن ربات بيوت، والباقيات يعملن في وظائف أخرى متعددة منها ٤٥% وظائف حكومية(٣٤).

وهكذا فإن المعلومات والإحصائيات الواردة تبيّن أن البنية الأساسية للسكان السوريين في الجولان تعتمد اعتماداً كليّاً على مقومات الأسرة، مكوّنةً مجتمعاً أسرياً متوازناً من حيث الذكورة والأنوثة، وقائماً على المعطيات المحلّية، ولا شك في أن الظروف السياسية المتمثلة بالاحتلال تلعب دوراً رئيسياً في انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية للسكان التي من المفترض أن تكون أكبر مما هي عليه.

د-الأوضاع الثقافية والتعليمية:

اعتمدت "إسرائيل" منذ احتلالها الجولان عام ١٩٦٧م سياسة "التفرقة الطائفية والتمييز المذهبي" كجزء من سياستها العامة تجاه السكان العرب، بهدف إذابة الشخصية القومية والوطنية لهم، وتشويه هويتهم الثقافية العربية وانتمائهم القومي والسياسي، فحاولت عبر قطاع التربية والتعليم التأثير على السكان ومحاولة دمجهم في الفعاليات السياسية الصهيونية، إذ ألغت مناهج التعليم السورية وثبّتت المناهج "الإسرائيلية" بدلاً منها،

وفرضت مناهج تدريسية خاصة منها "التراث الدرزي" و"علم الاجتماع للدروز" و"اللغة العربية والعبرية" و"تاريخ الدروز" [٣٥].

وقامت سلطات الاحتلال بتعيين معلمين غير مؤهلين في المدارس معظمهم لم يكملوا دراستهم الثانوية، وفصلت عدداً كبيراً من المعلمين المؤهلين في الوقت ذاته لأسباب سياسية[٣٦]، ووضعت باقي المعلمين أمام خيارين: إما أن يعملوا بعقود يتم تجديدها سنوياً وإما أن يُفصلوا من قطاع التربية بشكل نهائي، وأعطت السلطات "الإسرائيلية" ضمانات وحوافز للمعلمين الذين يقبلون بحمل "الجنسية الإسرائيلية"[٣٧].

وشكلت السلطات "الإسرائيلية" لجنة خاصة سميت "لجنة المعارف والثقافة الدرزية" بهدف تجسيد "هوية درزية طائفية" لفصل السكان السوريين عن انتمائهم القومي العربي، وبدأت تروج من خلال منهاج "التراث الدرزي" إلى فكرة "القومية الدرزية"[٣٨]، ومثال ذلك: أن الثورة السورية الكبرى التي قامت ضد الاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٥ م بقياد المجاهد سلطان باشا الأطرش تدرس على أنها "ثورة درزية" بحجة أن قائدها يتبع للمذهب الدرزي[٣٩].

لقد أدت هذه السياسة العنصرية التي فرضتها سلطات الاحتلال إلى نتائج عكسية، إذ رفضها السكان السوريين، وقاموا بحركات احتجاج شعبية تحولت فيها المدارس إلى ميادين للنضال السياسي بأشكاله كافة، واتخذ السكان على عاتقهم مسؤولية التثقيف الذاتي ونشر الوعي الوطني بين أبنائهم من خلال الاعتماد على الإطار العائلي الذي أدّى فيه الوالدان دوراً أكثر فاعلية في تزويد أبنائهم بثقافة بديلة للثقافة التي تقدمها لهم المدارس الرسمية، واتخذت مبادرات ذاتية وجهود محلية منذ بداية الاحتلال لصياغة برامج ثقافية يستطيع السكان من خلالها الرد على سياسة الاحتلال، وقد تعمقت هذه المبادرات وتوسعت إثر الإضراب المفتوح عام ١٩٨٢م [٤٠].

ومهما يكن فإن قطاع التعليم في الجولان يعاني من مشاكل كثيرة، أهمها: النقص الكبير في المدارس وقاعات التدريس والتجهيزات والوسائل التعليمية، والتجاهل المتعمد لتدريس بعض المواد، كالمواد الفنية والثقافية، والتشويه المقصود للمناهج الرئيسية، والاعتماد على المدارس والقاعات والغرف المستأجرة، وعدم بناء مدارس جديدة، والتناقص المستمر في أعداد الطلاب وانقطاع الكثير منهم عن الدراسة بقصد العمل نتيجة سوء الظروف المعيشية لأسرهم، والمستجدات السياسية التي تفرض انقطاعهم كالاعتقال السياسي، وشكلت عملية توظيف المدرسين وسيلة لمكافئة المدرسين المستعدين للتعاون مع السلطات "الإسرائيلية"، كما أصبحت الكفاءة والمقدرة العلمية أقل أهمية من الاعتبارات السياسية في هذا المجال، وحُرِمَ المعلمون من تأسيس نقابة خاصة تتيح لهم تنظيم شؤونهم، واتخاذ مواقف مشتركة، وبذلك سيطرت سلطات الاحتلال على القطاع التعليمي(٤١).

لقد تأثرت الحركة التعليمية في الجولان منذ بداية الاحتلال سلبياً بشكل كبير، وعلى الرغم من اتجاه بعض الطلبة لمتابعة تحصيلهم العلمي، في ظل ظروفهم القسرية وخياراتهم المحدودة، إلى الجامعات "الإسرائيلية" كخيار وحيد فقد واجهتهم عقبات كثيرة بسبب الشروط التعجيزية للقبول والحواجز النفسية للعيش داخل المجتمع الإسرائيلي والرسوم الباهظة التي تفرض عليهم وضعف المناهج التدريسية في المرحلة الثانوية، مما أدى بالطبع إلى قلة أعداد طلاب التعليم العالي(٤٢).

وبعد قيام سورية بجهود كبيرة من خلال المنظمات الدولية وهيئة الأمم المتحدة وافقت "إسرائيل" في عام ١٩٧٧م على السماح بسفر ١٢ طالب سنوياً إلى سورية لمتابعة تعليمهم العالي في جامعة دمشق(٤٣)، لكن "إسرائيل" ألغت هذا الإجراء عام ١٩٨٢م إثر الإضراب بهدف معاقبة سكان الجولان، وفي تلك الفترة سافر إلى سورية ٦٥ طالباً وبعد أن أتمّوا دراستهم الجامعية، عادوا إلى الجولان، وقد قابلت سورية الإجراء

"الإسرائيلي" بتوقيع اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي لتقديم منح خاصة إلى طلاب الجولان للدراسة في جامعات الإتحاد السوفيتي استفاد منها أكثر من /٢١٥/ طالباً[٤٤].

وفي الإطار ذاته فإن الوضع الثقافي في الجولان يعاني من مشاكل مشابهة لقطاع التربية والتعليم، بسبب النقص الشديد في وسائل نشر الثقافة، وإغلاق المؤسسات الثقافية الفاعلة، وعدم توفر مراكز فنية وثقافية، والافتقار إلى المكتبات العامة، وعدم وجود مرافق ثقافية خاصة، وانعدام الحركة الصحفية، وعدم السماح بوصول أية مواد ثقافية أو صحفية أو نشرات دورية يمكن أن تعبر عن هموم المجتمع المحلي[٤٥].

وهكذا فقد عملت السلطات الإسرائيلية على فرض واقع مأساوي في قطاع التعليم والثقافة في الجولان بهدف تدميره، مستغلةً المؤسسات التعليمية لتكريس سيطرتها عليه، كما مارست سياسة التجهيل عمداً على السكان، ولكن على الرغم من ذلك فإن السكان السوريين استطاعوا تحقيق انجازات ملحوظة بجهود ذاتية أثبتت مقدرتهم على مواجهة الواقع المفروض.

و- الأوضاع الخدمية (مشاكل البناء والتنظيم العمراني):

منذ دخول قوات الاحتلال "الإسرائيلي" الجولان عدّت جميع الأراضي والقرى التي نزح عنها أصحابها أملاك دولة، وبذلك أصبح أكثر من ٩٠% من مساحة الجولان بحكم المصادرة، ولم تكتفِ السلطات "الإسرائيلية" بذلك بل قامت بمصادرة أكثر من ٣٠ % من أراضي القرى الباقية بحجة الضرورات الأمنية والعسكرية" أو بذريعة أن أصحاب هذه الأراضي لا يملكون الوثائق اللازمة لإثبات ملكيتهم لها، كما فرضت قيوداً شديدة على استخدام السكان للأراضي التي بقيت في أيديهم، وذلك من أجل ضمان الاستيلاء على جميع الأراضي التي تحتاجها في تكثيف البنية الديمغرافية

للمستوطنات الصهيونية التي أقامتها في الجولان، وعزل التجمعات السكانية العربية بما يضمن عدم قيام تجمعات سكانية عربية متصلة[٤٦] .

وقد اعتمدت سلطات الاحتلال على الصلاحيات الموكلة إليها بموجب الأمر العسكري رقم /٢/ الصادر في ١٩٦٧/٦/١٨م، بهدف دعم عمليات الاستيطان في الجولان، بكافة الوسائل والسبل، بغرض تغيير الواقع الديمغرافي والعمراني فيه، وفي الوقت ذاته قضى هذا الأمر بضرورة الحصول على رخصة صادرة عن سلطات الاحتلال في حال أراد السكان السوريين القيام بأعمال البناء والعمران في قراهم، كما قامت قوات الاحتلال بتطبيق بنود الأمر العسكري رقم /١٥١/ الصادر في ١٩٦٨/٩/٦م والمتعلق بأعمال البناء، الذي حظر على السكان السوريين القيام بأعمال البناء في القرى المتبقية مهما كان نوعها مثل بناء البيوت السكنية أو الجدران الإستنادية أو الحواجز والسدود الترابية أو حتى السياج (يقصد به تحديد قطعة أرض) لأحد المواطنين من دون الحصول على ترخيص، ونص الأمر ذاته على وجوب هدم أي بناء تم تشييده بشكل يتناقض مع أحكام هذا الأمر[٤٧].

وأتبعت سلطات الاحتلال تلك الأوامر والقرارات بإصدار الأمر العسكري رقم /٢٥٢/ في ١٩٧١/٩/٦ بشأن التنظيم العمراني والبناء بحجة "ضرورة حماية حقوق السكان العرب ومنفعتهم" ونص على إقامة لجنة إقليمية للتنظيم والبناء يعينها قائد قوات الاحتلال في الجولان وتكون مهمتها محصورة بتقديم المشورة له والمساعدة في إعداد المشاريع الهيكلية للقرى والمناطق، وجاء في المادة /٣٤/ من هذا الأمر ما يلي:

"لا يجوز لأحد القيام بأي عمل إنشائي أو الشروع فيه إلا بعد منحه ترخيصاً بذلك من قبل اللجنة الفرعية الخاصة، ولا يسمح له بمخالفة شروط هذا الترخيص"، ومن هذه الأعمال:

١-إنشاء بناية أو هدمها أو إعادة إنشائها كلياً أو جزئياً أو إضافة إلى بناية قائمة أو ترميمها بشكل يخالف شروط الترخيص.

٢-تخطيط الطرق أو تعبيدها وإغلاقها.

٣-القيام بكل ما يغيّر سطح الأرض أو سلامتها من قلع أو حفر أو استخراج أو ردم، باستثناء بعض الأعمال العادية كأعمال الزراعة العادية[٤٨].

لم تكتفِ سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" بمصادرة الأراضي وفرض القيود على أعمال البناء والتوسع العمراني في القرى الباقية تحت الاحتلال، بل قامت بزرع الألغام في محيط القرى المحاذية لخط وقف إطلاق النار مما جعل إمكانية التوسع العمراني فيها أمراً غير ممكن، وخيرَ مثال على ذلك قرية مجدل شمس التي يحاذيها خط وقف إطلاق النار في شرقها على بعد أمتار قليلة من منازل المواطنين، وحتى المساحات المتبقية من الأراضي داخل القرية ومن محيطها فإن القوانين "الإسرائيلية" قد حددت إمكانية البناء فيها بنسب قليلة، إذ لا يسمح بالبناء إلا بنسبة ٥٠% من المساحة داخل القرية و٣٦ % في محيطها[٤٩]، وقد حاولت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" ابتزاز السكان السوريين في هذا المجال من خلال اتباع أسلوب الترغيب والترهيب، إذ أوقفت تصاريح الموافقة على رخص البناء الجديدة مدّعية بأن الأراضي المطلوب البناء فيها هي أملاك دولة وطلبت منهم إثبات ملكية الأرض حسب "القانون الإسرائيلي"، وطالبت أصحابها بوثائق مكتوبة "سندات طابو" تثبت ملكيتهم الخاصة لها، وكثيراً ما قامت بمصادرة تلك الأراضي في حال لم يقدم السكان تلك الوثائق[٥٠]، وعملت على إغراء السكان الذين لا يملكون تلك السندات لكي يوقعوا على وثائق تنص بأن هذه الأراضي هي "ملك للدولة" وأنها مستأجرة من السكان لمدة ٩٠ عاماً أو شرائهم لهذه الأراضي من "إدارة أراضي إسرائيل" بأسعار منخفضة لكن بشرط أن تتضمن عقود الشراء اعتراف ضمني من قبل السكان بملكية الدولة لهذه الأراضي[٥١].

وتضع سلطات الاحتلال عراقيل أخرى، تهدف إلى معاقبة السكان والضغط عليهم؛ فهي تمتنع عن إعطاء رخص جديدة للبناء، وحتى الذين يحصلون على هذه الرخص تشترط عليهم الاعتراف والتوقيع على أن الأراضي المجاورة لهم هي أملاك دولة، وتجبرهم على تقديم مخططات جديدة في حال أرادوا تحسين البناء القائم، وتفرض عليهم ضرائب جديدة إضافية ورسوم لا تتناسب مطلقاً مع التسهيلات التي تدعي أنها تقدمها لهم، كما تفرض عقوبات ومخالفات على أصحاب المحلات والورشات الحرفية بحجة أن محلاتهم وورشاتهم ليست داخل منطقة صناعية خاصة بهم خارج المناطق السكنية، وقد انعكس ذلك على إمكانية تطوير الحرف والصناعات وأدى إلى خنق التطوير الاقتصادي للمجتمع الجولاني، وتسهيل السيطرة عليه سياسياً(٥٢).

إنّ هذه السياسة هي ذاتها التي تتبعها سلطات الاحتلال إزاء المناطق المخصصة لبناء المنشآت العامة مثل المدارس والملاعب الرياضية والحدائق والمراكز الصحية وغيرها، فهي تمنع ترميم وتطوير وتوسيع الأبنية القائمة المخصصة لمثل هذه المنشآت، وتمتنع أيضاً عن إعطاء أراضي بديلة لأصحاب الأماكن المخصصة لبناء منشآت جديدة على الرغم من استعدادهم للتنازل عنها للصالح العام (٥٣).

وتتعمّد سلطات الاحتلال إهمال البنية التحتية في القرى، والقسم الأكبر من الشوارع غير معبد وهي بطبيعتها شوارع ضيقة لا تلبي حاجة التزايد السكاني، وخدمات الصرف الصحي فيها لا تفي بالغرض المطلوب، ولم تعمل المجالس البلدية المعيّنة من قبل سلطات الاحتلال على إقامة نظام مركزي لمياه الصرف الصحي، والمنازل في معظمها، لا تتصل بشبكات الصرف الصحي التي تصب في الأودية القريبة جداً من القرى، وإنما تعتمد على خزانات أرضية يتم إفراغ مياهها في فصل الشتاء، وتقتصر خدمات البلديات على جمع النفايات فقط(٥٤).

لقد اتبعت السلطات "الإسرائيلية" في هذا المجال مبدأ التخطيط العام الطويل الأمد، والذي أرادت من خلاله إجبار السكان على الرضوخ لإرادتها، وجعلهم مضطرين إلى الرجوع إليها حتى في أصغر الأمور شأناً، واستدراجهم للارتباط بالدولة الإسرائيلية وأجهزتها كافة.

ويعتمد معظم السكان على أنفسهم من خلال المشاركة في العمل الجماعي التطوعي لإقامة مشاريع جديدة للبنى التحتية أو تطوير البنى القائمة، مثل إصلاح وترميم وتعبيد الشوارع داخل القرى وخارجها، وإنجاز شبكات محلية للصرف الصحي على حسابهم الخاص، كما حصل في قريتي مجدل شمس وعين قنية في فترة الثمانينيات، ولكن في الواقع أن هذه الفعاليات الجماهيرية الوطنية بقيت عاجزة عن حل تلك المشاكل بمفردها وخاصة في ظل غياب أي دور للمجالس المحلية[٥٥]، ويشير الاستبيان الذي أجرته الجمعية العربية للتطوير في الجولان عام ١٩٩٤م والإحصائيات التي جمعتها إلى أن أقدم منزل سجل من خلال المسح وما زال قائماً قد بني عام ١٩١٠م ، كما أن النسبة المئوية للمنازل التي شيدت في الجولان بين عامي ١٩١٠ ــ ١٩٥٨م وصلت إلى (٣،٩%) من مجموع المنازل الكلي وفي السياق ذاته أشارت الإحصائية إلى انخفاض نسبة العمران منذ احتلال الجولان[٥٦].

ويستدل من ذلك على أن الازدهار الفعلي لقطاع البناء والعمران في الجولان يعود إلى فترة ما قبل الاحتلال، وأن القيود والعراقيل التي فرضتها السلطات "الإسرائيلية" في الجولان بعد احتلالها له والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية السيئة التي نتجت عن ذلك هي السبب في انخفاض نسبة الإعمار والبناء في الجولان، كما يستدل أيضاً من ذلك الاستبيان أن تلك النسبة الكبيرة من المنازل التي شيدت قبل الاحتلال أصبحت قديمة جداً وهي بحاجة للترميم والإصلاح لكن السلطات "الإسرائيلية" تمنع ذلك.

لقدر أرادت "إسرائيل" من تلك السياسة تهويد الأراضي، والتضيق على السكان لإجبارهم على ترك أراضيهم والنزوح عنها، كما أرادت خنق حركة البناء والتوسع العمراني في القرى الباقية التي هي بحاجة ماسة لأبنية ومنازل تتناسب مع التزايد الطبيعي للسكان، وأدت تلك السياسة إلى بروز مشكلة الازدحام السكاني وما يتبعها من ظروف معيشية سيئة ونقص في الخدمات.

٤- التغييرات "القانونية" التي أحدثتها سلطات الاحتلال:

بذلت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" جهوداً كبيرة لفرض مخططاتها في الجولان، وذلك بإحداث تغييرات فيه حاولت إظهارها "بطابع قانوني" تستند لتشريعات عسكرية تتوافق مع متطلبات القانون الدولي بشأن الأراضي المحتلة، ورفضت دوماً قرارات الأمم المتحدة التي عدّت الجولان أرضاً سوريّةً محتلة[٥٧].

وباشرت بإلغاء النظم الإدارية السورية، واستبدلتها بنظم إدارية "إسرائيلية" تخدم مشروعها فيه؛ ففي مجال القضاء: أنشأت "إسرائيل" في شهر حزيران١٩٦٧م محاكم عسكرية مختصّة بالنظر في المخالفات الأمنية والقضايا الجنائية، تابعة مباشرة للحاكم العسكري، وبذلك تم تهميش دور المحاكم المحلية التي كانت تعمل بموجب قوانين الجمهورية العربية السورية، كما أصدرت قوات الاحتلال الأمر العسكري رقم /٦٥/ الذي ينص على عدم جواز التقدم بشكاوى إلى أية محكمة محلية، وعدم جواز المحاكم المحلية النظر في الدعاوي أو إصدار أوامر أو قرارات مهما كان نوعها، وبالتالي شكل هذا القرار بداية إلغاء المحاكم المحلية، واستبدال النظام القضائي السوري "بنظام قضائي" وضعه الاحتلال "الإسرائيلي" بهدف خدمة مصالحه في إكمال السيطرة على الجولان، ومن ناحية أخرى فقد عُدّت قرارات المحاكم العسكرية "الإسرائيلية" نهائية، غير قابلة للاستئناف من قبل المواطنين والأسرى من أبناء الجولان [٥٨].

وفي إطار سياسة التهويد التي اتبعتها "إسرائيل" في الجولان قامت في١٣/٨/١٩٦٧م بإصدار الأمر العسكري رقم (٢٩) فرضت بموجبه على المواطنين السوريين في الجولان حمل بطاقة هوية خاصة صادرة عن سلطات الاحتلال، وحدد الأمر العقوبة بالسجن لمدة سنة أو غرامة مالية كبيرة على كل من يخالف أحكام الأمر، وفي السياق ذاته قامت سلطات الاحتلال بإصدار الأمر العسكري رقم /٢٥/ الذي نص على إلغاء جميع القوانين والمراسيم والمشاريع والأوامر المتعلقة بخدمات البريد والهاتف التي كان يعمل بها وفق القوانين الإدارية السورية، وتولى مسؤول عسكري "إسرائيل" جميع هذه الصلاحيات[٥٩].

وفي مجال آخر فقد قامت سلطات الاحتلال بتدمير منهجي لكافة الممتلكات الخاصة، والعامة، والدوائر الحكومية، والأبنية الرسمية، والمقرات التي كانت تابعة للدولة السورية قبل الاحتلال، وجاءت هذه الخطوة في إطار السياسة "الإسرائيلية" الهادفة إلى طمس معالم الحضارة العربية للجولان، وتدمير البنى التحتية لمنع عودة المواطنين السوريين إلى بيوتهم وأماكن سكنهم وعملهم، وكذلك للإيحاء للرأي العام العالمي بعدم وجود سكان عرب في الجولان، وأنه كان "منطقة خالية من السكان"[٦٠].

٥- المقاومة الوطنية في الجولان ضد الاحتلال "الإسرائيلي مابين ١٩٦٧- ١٩٨٢م:

منذ الأيام الأولى للاحتلال "الإسرائيلي" بدأ المواطنون السوريون في الجولان نضالهم ومقاومتهم له، وتبلور **التيار الوطني المقاوم** للاحتلال من خلال تنظيم وإنشاء **خلايا سرّية**، ركزت معظم جهودها في جميع المعلومات وخاصة العسكرية منها تمهيداً لنقلها إلى القيادة السورية في دمشق عبر خطوط وقف إطلاق النار على الجبهة "الإسرائيلية" ــ السورية[٦١]، ولكن السلطات "الإسرائيلية" اكتشفت بعض هذه الخلايا،

واعتقلت /١٤/ شخصاً من أبناء القرى المحتلة في ١٩٦٩/٥/٢٠م، حكمت عليهم المحاكم العسكرية "الإسرائيلية" أحكاماً بالسجن وصلت مدة بعضها إلى خمس سنوات بتهمة مقاومة الاحتلال(٦٢).

وقد ساهم في مقاومة الاحتلال نشطاء من حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الناصري، بدؤوا بتنظيم خلايا المقاومة التي كانت تقوم بجمع المعلومات عن النشاطات "الإسرائيلية" والمعدات العسكرية والقوات "الإسرائيلية"، وعن الوضع العسكري على الجبهة مع "إسرائيل"(٦٣)، كما تجلّت المقاومة من خلال **الرفض الشعبي الجماعي** لإجراءات الاحتلال وسياسته في الجولان في جميع المجالات؛ إذ امتنع المواطنون عن دفع الضرائب التي فرضتها سلطات الاحتلال، وعبّروا عن مواقفهم إثر وفاة الرئيس المصري **جمال عبد الناصر** في عام ١٩٧٠م؛ إذ خرجوا بالآلاف إلى شوارع القرى منددين بالاحتلال وقاموا بمهاجمة الجنود "الإسرائيليين" وقتل العديد منهم، وقام أهالي قرية مجدل شمس بمظاهرة ضخمة ضد الاحتلال أثارت غضب سلطات الاحتلال التي اعتقلت عدداً كبيراً من المواطنين وقدمتهم للمحاكمة العسكرية، كما قامت باعتقال الزعيم الوطني **كمال كنج أبو صالح**، وحكمت عليه بالسجن مدة /٢٣/ عاماً، أمضى منها ثلاث سنوات بالسجن، ثم أطلق سراحه نتيجة وضعه الصحي المتردّي(٦٤).

وترافق ذلك مع إعلان سلطات الاحتلال في ١٩٧١/٦/٤م عن اكتشاف شبكة جديدة من المقاومين المرتبطين مع سورية، وفرضت إجراءات مشددة في الجولان كان من بينها التعتيم الإعلامي على ما يجري داخل الأرض المحتلة، كما تم اكتشاف باقي مجموعات المقاومة السرية من قبل السلطات "الإسرائيلية" في مطلع عام ١٩٧٣م، فقامت القوات "الإسرائيلية" بحملة اعتقالات جديدة شملت معظم قيادات الحركة الوطنية، واستغلت "إسرائيل" ذلك لتثبيت وجودها من خلال إقامة عدة مؤسسات تابعة

لها كتعيين مجالس محلية تابعة لها في القرى المحتلة، وإقامة محاكم مذهبية، وتحصيل مختلف أنواع الضرائب، كضريبة الدخل والتأمين الوطني وضريبة الأملاك(٦٥).

كما قامت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" في٢٨/١/١٩٧٣م باعتقال /٦٧/ مواطناً من قرى الجولان بعد استشهاد المناضل **عزّت شكيب أبو جبل** على يد كمين لدورية "إسرائيلية" وهو يحاول اجتياز الحدود إلى سورية في منطقة خط وقف إطلاق النار أثناء قيامه بمهمة نضالية لتقديم معلومات ووثائق عن المواقع العسكرية "الإسرائيلية" في الجولان وسيناء إلى القيادة السورية، وقد أصدرت المحاكم العسكرية "الإسرائيلية" بحق المعتقلين أحكاماً شديدة بتهمة التعاون مع سورية، وجمع المعلومات لصالحها، وقد وصلت تلك الأحكام إلى عقوبته بالسجن مدة /٣١٥/ سنة بحق المناضل **شكيب أبو جبل**(٦٦).

وقد ظنّت "إسرائيل" بأن هذه الاعتقالات والإجراءات التي قامت بها قد "أخمدت النضال الوطني لأهالي الجولان"، وبدأت العمل لتنفيذ مخططها بضم الجولان من خلال محاولتها تهويد الأرض والسكان، إلا أن قيام حرب تشرين التحريرية التي شنتها سورية ومصر ضد "إسرائيل" في ٦/١٠/١٩٧٣م، وتحرير القوات السورية لمدينة القنيطرة، رفعت الروح المعنوية لمناضلي الجولان، فتصاعدت حركة النضال الوطني، وبالمقابل صعدت "إسرائيل" من قمعها وإجراءاتها التعسفية، وزادت الاعتقالات في صفوف المواطنين الرافضين لسياسة الاحتلال، وهاجمت القوات "الإسرائيلية" قرية مجدل شمس في أواخر شهر كانون الأول عام ١٩٧٦م على أثر استشهاد المناضل **نزيه أبو زيد** وهو يجتاز حقل الألغام متوجهاً إلى سورية، فاقتحمت منازل المواطنين واعتقلت العشرات منهم بينهم العديد من طلبة المدارس، وفرضت على /٢٦/ شاباً منهم أحكاماً بالسجن وصلت بعضها إلى /٦/ سنوات بتهمة القيام بأعمال معادية "لإسرائيل"(٦٧).

آ- محاولة فرض الجنسية "الإسرائيلية" على سكان الجولان عام ١٩٧٨م:

مع بداية عام ١٩٧٨م قامت السلطات "الإسرائيلية" في الجولان بعرض الجنسية "الإسرائيلية" على السكان السوريين، وعمدت إلى تشجيعهم على الإسراع في الحصول عليها، وبينت لهم "المزايا والحقوق" التي سيحصلون عليها في حال استلامهم "الهوية الإسرائيلية" وقبولهم لها[٦٨]، وبهدف إعطاء السلطات "الإسرائيلية" لهذا الإجراء "صفة قانونية" قامت "لجنة مستوطنات الجولان والجليل وغور الأردن" برفع عريضة بهذا الخصوص إلى الكنيست "الإسرائيلي" جاء فيها: "إن الجولان جزء لا يتجزأ من إسرائيل" وجمعت تلك اللجنة تواقيع (٧٣) عضواً من أعضاء الكنيست من الموافقين على ما جاء في تلك العريضة[٦٩] وإزاء ذلك قامت لجنة الداخلية والأمن في الكنيست بالبحث في مسألة تعديل قانون الجنسية "الإسرائيلي" الذي يتيح للحكومة "الإسرائيلية" منح الجنسية إلى سكان المناطق التي احتلت في عام ١٩٦٧م بما فيها الجولان، وأقرت تلك اللجنة الصيغة النهائية لقرار بهذا الخصوص صدر في ١٩٨٠/٧/٢٢م[٧٠].

وإثر صدور القرار بدأت السلطات "الإسرائيلية" في الجولان بالضغط على السكان السوريين لإجبارهم على قبول الهوية "الإسرائيلية"، كما قامت بسلسلة من الإجراءات القمعية بحق المواطنين، هدفت إلى ترهيبهم، وحملهم على القبول بالجنسية "الإسرائيلية" بعد أن فشلت سياسة الترغيب التي قامت بها في هذا المجال، ولكن على الرغم من الإجراءات "الإسرائيلية" بحق المواطنين السوريين فإن تلك السياسة فشلت فشلاً ذريعاً؛ إذ رفضوا قبول الهويات "الإسرائيلية"، ولم يتجاوز عدد الذين قبلوها (٤٠٠) شخص، كان من بينهم (٣٠٠) يحملون "الجنسية الإسرائيلية" في الأصل، وقد انتقلوا من داخل فلسطين إلى الجولان لأسباب عائلية تتعلق بجمع الشمل مع أقاربهم، ومنهم من كان من المتعاونين مع الاحتلال[٧١].

وقد دفعت السياسة "الإسرائيلية" في هذا المجال المواطنين السوريين في الجولان إلى القيام **بحركة معارضة شعبية مقاومة** إزاء الاحتلال وسياسته القمعية بحقهم، والعمل على إفشال المشروع الرامي إلى تهويد الجولان، فطالبوا بعودته إلى الوطن الأم سورية، وقاموا بمظاهرات كبيرة ضد الاحتلال، وقد تجلت حركة الرفض الشعبي من خلال عقد اجتماع وطني كبير في قرية مجدل شمس بتاريخ ١٩٨١/٣/٢٥م أصدر فيه رجال الدين **الوثيقة الوطنية لأهالي الجولان** التي قضت بتطبيق قرار الحرمان الديني والاجتماعي على حاملي الهوية "الإسرائيلية" والمتعاونين من سكان الجولان مع السلطات "الإسرائيلية" [٧٢].

وقد وجه أهالي الجولان هذه الوثيقة إلى كل الجهات الرسمية والشعبية في العالم، وإلى منظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها ، وإلى الرأي العام العربي والعالمي، وأعلنوا موقفاً رسمياً لهم بشكل واضح إزاء الاحتلال "الإسرائيلي" للجولان وسياسته التهويدية فيه، ومن أهم ما جاء في هذه الوثيقة مايلي:

١-عدّت الوثيقة الجولان جزءاً لا يتجزأ من الجمهورية العربية السورية.

٢-اعتبار الجنسية العربية السورية صفة ملازمة لأهالي الجولان، وأنها لا تزال تنتقل بحكم الوراثة من الآباء إلى الأبناء.

٣-اعتبار الملكيات والأراضي الزراعية ملكية مقدّسة لأبناء المجتمع السوري في الجولان، وكل مواطن يبيع أو يتنازل أو يتخلى عن شبر منها لسلطات الاحتلال يكون قد ارتكب جريمة كبرى وخيانة أخلاقية بحق مجتمعه ووطنه لا يمكن أن تغفر له.

٤-أكدت الوثيقة عدم اعتراف السكان السوريين بأي قرار تصدره "إسرائيل" من أجل ضم الجولان إليها، كما أكدت رفضهم بشكل قاطع لقرارات الحكومة "الإسرائيلية" الهادفة إلى سلب شخصيتهم العربية السورية.

٥-رفضت الوثيقة بشدة قبول "المجالس المحلية والمذهبية" التي أقامتها سلطات الاحتلال، وأكدت على عدم شرعيتها بالمطلق لأنها عُيّنت من قبل الحكم العسكري "الإسرائيلي"، كما أكدت على أن هذه المجالس لا تمثل آراء السكان السوريين بأي حال من الأحوال.

٦ -حكمت الوثيقة على كل شخص من سكان الجولان يستبدل جنسيته السورية بالجنسية "الإسرائيلية" بأنه يسيء إلى الكرامة العامة والشرف الوطني والانتماء القومي وإلى الدين والتقاليد العامة، وعدّته خائناً لبلاده.

٧-قرّر الأهالي في هذه الوثيقة قراراً لا رجعة عنه بأنّ كل من يتجنّس بالجنسية "الإسرائيلية" أو يخرج عن مضمون هذه الوثيقة يكون مجحوداً ومطروداً من دينهم ومن ترابطهم الاجتماعي، ويحرم التعامل معه أو مشاركته أفراحه وأحزانه أو التزاوج معه، إلى أن يقر بذنبه، ويتراجع عن خطيئته ويطلب السماح من مجتمعه، ويستعيد اعتباره وجنسيته الحقيقية(٧٣).

وقد وقع على هذه الوثيقة **ثلاثون زعيماً** من زعماء وممثلي أهالي الجولان، وشكلت حجر الأساس الذي استندت عليه المقاومة الشعبية في رفضها للاحتلال وإجراءاته التعسفية بحق المواطنين السوريين في الجولان، كما أنها قطعت الطريق أمام المتعاونين مع الاحتلال وأدت إلى إفشال الخطة التهويدية "الإسرائيلية" للجولان.

وبالتزامن مع هذه الوثيقة الوطنية وفي السياق ذاته استمر النضال الجماهيري السياسي لسكان الجولان السوريين فأصدروا **بياناً سياسياً** موجهاً إلى الرأي العام فضحوا فيه ممارسات سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" إزاءهم، وبيّنوا الإجراءات

التعسفية الرامية إلى تهويدهم وإجبارهم على الرضوخ إلى المؤامرة الموجهة تجاه جنسيتهم العربية السورية ومحاولة ثنيهم عن موقفهم الحازم تجاه قضيتهم، وتحدث البيان عن تدخلات الحاكم العسكري "الإسرائيلي" في الشؤون الدينية للأهالي من خلال الضغط الشديد على رجال الدين، وأوضح البيان رفضهم للمجالس المحلية والمذهبية التي فرضها الاحتلال، وأكد على أن هذه المجالس لا تمثل وجهة نظر المواطنين إنما تمثل السلطة التي عينتهم، كما أكد البيان رفض السكان للمناهج التعليمية "الإسرائيلية" التي فرضتها سلطات الاحتلال، وأشار البيان إلى سياسة الاحتلال في مجال السيطرة على المياه الجوفية والبحيرات والينابيع التي سرقت سلطات الاحتلال مياهها، وحولتها إلى المستوطنات "الإسرائيلية" في الوقت الذي لم تسمح فيه تلك السلطات بإنجاز مشروع المياه الذي كان السكان قد بدأوا العمل فيه ورصدوا له مبالغ مالية كبيرة، بهدف إرواء بساتينهم ومزروعاتهم، وفضلاً عن ذلك فقد أوضح البيان محاولات القمع التي تعرض لها السكان للقضاء على الروح الوطنية التي يتسمون بها، من خلال الاعتقالات وفرض الإقامة الجبرية على المواطنين ولاسيما المقاومين منهم، وكذلك فصل المدرسين والمعلمين والعمال من أعمالهم للأسباب ذاتها، ورفض البيان بشدة إجراءات سلطات الاحتلال المتعلقة بمحاولة فصل السكان عن تاريخهم وتراثهم القومي العربي، التي تمثلت بفرض مادة "التراث الدرزي" في المنهاج التعليمي، وأكد على أن تراث الجولان جزء من تراث الأمة العربية(٧٤).

لقد شكل الموقف السياسي الوطني لسكان الجولان الذي عبروا عنه بمواقف متعدده من النضال الجماهيري وتُوِّج بإصدار الوثيقة الوطنية والبيان السياسي الذي تلاها عاملاً حاسماً في حركة المقاومة الوطنية لسكان الجولان، وقد ردّت السلطات "الإسرائيلية" بتصعيد موقفها تجاههم، وزيادة إجراءاتها القمعية بحقهم فبدأت حملات منظمة ومستمرة من الاعتقالات السياسية والأمنية عام ١٩٨١م (٧٥).

ب- قرار ضم الجولان في ١٤/١٢/١٩٨١م:

تزامنت حملة الاعتقالات والإجراءات التعسفية "الإسرائيلية" في الجولان مع تصريحات المسؤولين "الإسرائيليين" الرافضة للانسحاب من الجولان، وتنفيذ القرارات الدولية الشرعية بشأن ذلك، فأعلن رئيس الوزراء "الإسرائيلي" **مناحيم بيغن(menachem begin)** (١٩٧٧-١٩٨٣م) في شهر تموز عام ١٩٨١م أنّ: (("إسرائيل" لن تتخلى عن الجولان، ولن تزيل أية مستوطنة أقيمت على أرضه، وأن الحكومة "الإسرائيلية" هي التي تقرر التوقيت المناسب لتطبيق القانون والحكم والإدارة فيه))[٧٦]، وعلى الرغم من اختلاف الأحزاب السياسية "الإسرائيلية" في وجهات نظرها تجاه الجولان وأهميته بالنسبة "لإسرائيل" (إذ أن أحزاباً إسرائيلية عارضت شكلياً في الكنيست ضم الجولان إلى "إسرائيل") فإنها اتفقت على وجوب إبقاء الجولان تحت السيادة الإسرائيلية لدواعي أمنية أو سياسية [٧٧].

وقد تمثّل الإجراء "الإسرائيلي" الأخطر تجاه الجولان في قرار الضم الذي أصدره الكنيست "الإسرائيلي" على شكل قانون في ١٤/١٢/١٩٨١م، ونصّ على تطبيق القانون والقضاء والإدارة "الإسرائيلية" في الجولان[٧٨]، وأهم ماجاء فيه:

١- إن قانون الدولة" الإسرائيلية" وصلاحياتها ستطبق على مرتفعات الجولان.

٢- يُعمل بهذا القانون فور موافقة الكنيست.

٣-يكلّف وزير الداخلية بتنفيذ القانون[٧٩].

وقد رفض السكان السوريون في الجولان قرار الضم "الإسرائيلي"، وطالبوا السلطات "الإسرائيلية" المحتلة بالتراجع عنه، وأعلنوا إضراباً عاماً لمدة ثلاثة أيام احتجاجاً عليه[٨٠]، ومن جهتها اتخذت الحكومة السورية إجراءات فورية لإبطال القرار "الإسرائيلي" وجعله عديم الأثر من الناحية القانونية بهدف إجبار "إسرائيل" على إلغائه؛ إذ سارعت إلى إدانة هذا القرار، وأصدرت بياناً في ١٤/١٢/١٩٨١م عدّت فيه قرار

الضم بمثابة شن حرب على سورية وإلغاء لحالة وقف إطلاق النار، ودعت مجلس الأمن الدولي لمعالجة هذا الموقف الخطير(٨١).

وبناءً على طلب سورية اجتمع **مجلس الأمن الدولي** في ١٧/١٢/١٩٨١م وأصدر القرار الدولي رقم /٤٩٧/ الذي طالب "إسرائيل" بإلغاء قرارها القاضي بضم الجولان بالسرعة القصوى، وعدّ القرار الذي صدر بالإجماع أنّ قرار الضم لاغٍ وباطل، وليس له أي أثر قانوني دولياً، وأنه خرق متعمد **لمعاهدة جنيف** المتعلقة بحماية المدنيين أوقات الحرب، وعدّ القرار أن مضمون الاتفاقية ما يزال ساري المفعول على الأراضي السورية التي احتلتها "إسرائيل" عام١٩٦٧م، لكن "إسرائيل" رفضت تطبيق هذا القرار الدولي، وبدأت بتكثيف إجراءاتها الأمنية والعسكرية تجاه السكان السوريين في الجولان، محاولة إجبارهم على قبول الجنسية "الإسرائيلية" والاعتراف بقرار الضم، وإزاء استمرارها بهذه السياسة اجتمع مجلس الأمن الدولي مرة أخرى في ٢٠/١/١٩٨٢م، واتخذ قراراً آخر طالب فيه الدول الأعضاء بالامتناع عن تقديم أية مساعدة أو عون "لإسرائيل" في جميع المجالات بشكل يحقق ردع "إسرائيل" وإجبارها على تغيير سياستها وإلغاء إجراءاتها تجاه الجولان، لكن الولايات المتحدة الأمريكية لجأت إلى استخدام (حق النقض) فأسقطت القرار ومنعت مجلس الأمن من اتخاذ إجراءاته بحق "إسرائيل" (٨٢).

وهكذا فإن قرار "إسرائيل" بضم الجولان كان من أخطر الإجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" تجاه الجولان، وقد امتد تأثيره على جميع نواحي الحياة فيه، وفي الوقت الذي أكدت فيه الهيئات الدولية وبالأخص مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة مصداقيتها تجاه الالتزام بالأمن والسلام الدوليين فإنهما عجزتا عن إجبار "إسرائيل" على تنفيذ قراراتهما، بل على العكس ازداد إصرار "إسرائيل" على

قرار ضم الجولان العربي السوري، وتطبيق القانون "الإسرائيلي" على أرضه وتحدي الإرادة الدولية بهذا الخصوص.

ج- موقف سكان الجولان من قرار الضم:

١- الإضراب المفتوح في ١٤/٢/ ١٩٨٢م:

منذ صدور القرار "الإسرائيلي" بضم الجولان صعّدت "إسرائيل" في سياستها التعسفية القمعية تجاه المواطنين السوريين، وبدأت حملة إرهاب منظم، استخدمت فيها أسلوب الضغط المادي والنفسي، عليهم في محاولة لإجبارهم على القبول به، فقامت باعتقالات واسعة شملت رجال الدين ووجهاء القرى والمعلمين والعمال والطلاب وزجت بهم في السجون، وفرضت بحقهم أحكاماً قضائية عرفية، لتحطيم إرادتهم وضرب صمودهم وزرع اليأس في نفوسهم بغية دفعهم للاستسلام لمطالبها والقبول بإجراءاتها التهويدية التي تريد فرضها في الجولان(٨٣)

وإزاء هذه السياسة "الإسرائيلية" رفض سكان الجولان مجدداً الإجراءات الإدارية "الإسرائيلية"، ولاسيما الهوية "الإسرائيلية" وقرار الضم، وطالبوا بإلغاء هذه الإجراءات والعودة عنها، لكن السلطات "الإسرائيلية" ردت على ذلك باعتقال مجموعة من الزعماء الوطنيين(٨٤)، وتكثيف وجودها العسكري في الجولان، وبدورهم صعّد المواطنون السوريون حركات الاحتجاج التي تحولت إلى حركة وطنية مقاومة، بلغت أوج قوتها بإعلان **الإضراب العام المفتوح**، ابتداءً من١٤/٢/ ١٩٨٢م(٨٥)، تصاعد خلاله النضال الوطني وتجلى في مظاهر عدة، أهمها: ازدياد تماسك المواطنين وتآلفهم، وتعميق وعيهم الوطني وعزل العملاء وعودة بعضهم إلى صفوف الحركة الوطنية (٨٦)

وقد تجلت مطالب السكان المضربين بما يلي :

١-إلغاء تطبيق القانون "الإسرائيلي" في الجولان.

٢-ضمان عدم تجنيد أبنائهم في الجيش "الإسرائيلي".

٣-إطلاق سراح الزعماء المعتقلين في "إسرائيل" .

٤-منح موافقات لبعض الطلاب السوريين لمتابعة دراستهم في جامعة دمشق.

٥-استئناف اللقاءات الاجتماعية مع الأهل والأقارب في سورية.(٨٧)

لكن سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" ردت على مطالب السكان باستقدام مزيدٍ من القوات العسكرية التي فرضت حصاراً مشدداً ودموياً على القرى المضربة في ١٩٨٢/٢/٢٥م(٨٨)، كما فرضت عقوبات مالية كبيرة، وعقوبات بالاعتقال والسجن، والإقامة الجبرية على كل من يخرق الحصار، كما أنها منعت دخول المساعدات الإنسانية والمواد التموينية من أي جهة كانت إلى القرى المحاصرة (٨٩).

وعلى الرغم من المعاناة الإنسانية التي سببها الحصار "الإسرائيلي" للقرى المحتلة والتي تجلّت في نقص المواد الغذائية والتموينية، وانقطاع مياه الشرب، وتردي الأوضاع الإنسانية الاجتماعية والصحية مثل (تفشي الأمراض ونقص الأدوية وسوء التغذية)(٩٠)؛ فإن السكان صمدوا ودافعو عن موقفهم وتمسكوا بشكل أكبر بهويتهم العربية السورية، واستطاعوا بصمودهم إفشال المخطط الصهيوني التهويدي في الجولان، وكان من عوامل نجاح الإضراب صمود الحركة الوطنية في الجولان وقيام الحكومة السورية بتقديم الدعم المادي والمعنوي وإثارة قضية الجولان المحتل في المحافل الدوليةً(٩١).

استمر الإضراب لأكثر من خمسة أشهر، اتبع خلاله المسؤولون "الإسرائيليون" سياسة مزدوجة تجاه السكان؛ ففي الوقت الذي أصبحت فيه العقوبات والإجراءات الأمنية أكثر شدة وقمعاً وشمولية، قدمت "إسرائيل" إغراءات مادية ومعنوية لهم بهدف تغيير موقفهم(٩٢).

لقد شملت سياسة الابتزاز "الإسرائيلية" تجاه سكان الجولان في أثناء الإضراب جميع مجالات الحياة، من تعليم وصحة وبناء وزراعة وغيرها، حتى أن عواطف الناس ومشاعرهم تجاه أقربائهم في سورية استغلت لابتزازهم في مواقف سياسية، تؤيّد الاحتلال؛ كأن يتم استغلال شوق السكان لزيارة وطنهم سورية ورؤية أقربائهم وجمع شمل عائلاتهم وإرسال أبنائهم للتعلم في الجامعات السورية بهدف كسر مقاومتهم وصمودهم(٩٣).

ومن أجل تنفيذ سياستها شكلت السلطات "الإسرائيلية" مكتباً أمنياً يديره طاقم خاص من رجال الأمن للإشراف على كل جوانب الحياة اليومية للسكان، بما يتناسب مع الإرادة السياسية لسلطات الاحتلال "الإسرائيلي" الهادفة إلى ضم الجولان وتهويده(٩٤)، وقد عمل هذا المكتب على إتباع سياسة تفتيت الوحدة الوطنية، وضرب الحركة الوطنية من الداخل، كما حاول استغلال الخلافات بين السكان مهما كان نوعها وصغر حجمها، لكن هذه السياسة في الواقع أدت إلى نتائج عكسية، ترسخت في وحدة سكان الجولان السوريين الوطنية، وتبلورَ شعورهم القومي بالانتماء للوطن الأم سورية، وازداد تمسكهم بعروبتهم(٩٥).

٢- معركة الهوية في ١٩٨٢/٤/٣م:

لم تنجح السياسة "الإسرائيلية" في كسر الإرادة الوطنية لسكان الجولان، فتواصل الإضراب المفتوح مما دفع سلطات الاحتلال إلى الإعلان رسمياً أن الجولان منطقة عسكرية مغلقة ابتداءً من تاريخ ١٩٨٢/٤/١م، وباشرت بمصادرة بطاقات الهوية القديمة من السكان وتوزيع "بطاقات الهوية الإسرائيلية الجديدة" التي تحمل عبارة "الجنسية الإسرائيلية"، واستخدمت في سبيل تحقيق ذلك كافة أساليب القوة والقمع، من

إطلاق للنار واعتقالات عشوائية، ومنع التجول وفرض الإقامة الجبرية[٩٦]، ورفض جميع الطلبات المقدمة من قبل المنظمات الدولية الإنسانية للدخول إلى الجولان، وفرض الهويات "الإسرائيلية" بالقوة[٩٧] على السكان، فقامت بالانتشار في الشوارع والأزقة وعلى أسطحة المنازل وبدأت بتنفيذ خطتها الجديدة المتعلقة بهذا الشأن في /١٩٨٢/٤/٣م، إذ داهمت بيوت المواطنين وأجبرت سكانها على استلام الهوية "الإسرائيلية" بالقوة [٩٨].

وكان رد السكان على هذا الإجراء الرفض والمقاومة، فبعضهم رفض استلام الهويات الجديدة، وقام بعضهم الآخر برميها في الشوارع لتداس بالأقدام، بينما بادر عدد منهم إلى جمعها في مكان واحد وتمزيقها أوحرقها، وجمع بعضهم عدداً كبيراً من الهويات في صناديق أرسلوها إلى مبنى الكنيست "الإسرائيلي"، ورفضَ قسم كبير من السكان لمس هذه الهويات معتبراً أنها تلطخ أيديهم وتسيء إلى كرامتهم[٩٩]

لقد اتسمت هذه الفترة بالعنف الذي مارسه جنود الاحتلال "الإسرائيلي" إزاء السكان، وبالاشتباكات بين السكان المدافعين عن هويتهم وبين القوات المحتلة؛ رفع خلالها المتظاهرون شعارات تندد بالاحتلال وتطالب برحيله[١٠٠]، ولم تخلُ هذه الإضرابات والمظاهرات الوطنية من أعمال العنف التي مارستها سلطات الاحتلال ضد السكان، فاستمرت المواجهات النضالية في الجولان ولم تهدأ الصدامات مع تلك السلطات، وتميز عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧م بشدتها وشموليتها إزاء الخطوات الاستفزازية "الإسرائيلية" تجاه السكان[١٠١]

وأمام صمود السكان ومقاومتهم العنيفة، وما رافق ذلك من ضغوط دولية على "إسرائيل"، اضطرت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" إلى رفع الحصار في ١٩٨٢/٤/١٦م عن القرى المحاصرة بعد أن دام /٥٢/ يوماً، ولكن الإضراب استمرّ، رغم رفع الحصار، وبقي حتى ١٩٨٢/٧/٢١م، إذ أعلنت القيادات الوطنية باسم سكان

الجولان تعليق الإضراب المفتوح الذي استمر لأكثر من خمسة أشهر، ولم تستطيع السلطات "الإسرائيلية" فرض الجنسية على السكان، وتمّت تسوية هذا الأمر باتفاق السكان مع سلطات الاحتلال على أن يحمل سكان الجولان بطاقة تعريف تحمل التفاصيل الشخصية، ولكن لا يذكر فيها بند "الجنسية الإسرائيلية"، وكتب مكانه "الجنسية غير محددة"، كما أصر السكان على تلبية مطالبهم بالحصول على موافقات للطلاب الراغبين بمتابعة دراستهم في سورية، ورفع اليد "الإسرائيلية" عن مصادر المياه والتوقف عن مصادرة الأراضي(١٠٢).

الخاتمة:

شكّلت حركة النضال التحرري في الجولان، بأهميتها وبعدها الوطني والقومي، مسألة تقرير مصير حول التمسك بالأرض وعدم النزوح عنها، وكان الصمود، وعدم الخوف، وعدم الرضوخ للإرهاب "الإسرائيلي"، حجر الأساس في مقاومة "النظرية الصهيونية"، التي تقوم على الاستيلاء على الأرض العربية، وإفراغها من سكانها العرب، وأكدت تجربة الصمود في الجولان على إمكانية إفشال النظرية التي تنادي بشعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".

كما كان التلاحم بين القوى السياسية، واندماجها مع جميع القوى الفاعلة اجتماعياً ودينياً في قرى الجولان درساً لجميع قوى التحرر العربي ولاسيما في فلسطين المحتلة، فعلى الرغم من افتقار هذه القوى للمقومات المادية والعسكرية، إلا أنها نجحت في اعتماد سياسة المقاطعة، والرفض، وتحمل الآلام، وامتلاك إرادة النصر، لتحقيق الأهداف المقررة؛ إذ استطاع المواطنون في الجولان إرباك "إسرائيل"، وإرغامها على التراجع عن إجراءاتها بحقهم، وبقي قرارهم ينبع من صميم موقفهم المقاوم.

هوامش البحث

(١) يقع نهر الأردن وحوض الحولة وبحيرة طبرية إلى الغرب من الجولان، وهذه المناطق الثلاث التي تفصل الجولان عن فلسطين، هي إحدى مكونات المنخفض الانهدامي الكبير الذي يبلغ عمقه حوالي ٤٠٠ متر شرق بحيرة الحولة، و٥٠٠ متر شرقي بحيرة طبرية، وهذا ماأكسب الجولان ميزةه مهمة في إشرافه على الأراضي الفلسطينية، انظر: أديب باغ، **الجولان(دراسة في الجغرافية الإقليمية)**، ترجمة مجموعة أساتذة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٣، ص١٤.

(٢) صفوح خير، **إقليم الجولان(دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي)**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦م، ص١١-١٣.

(٣) منذ صدور المرسوم التشريعي رقم (١٣٣/٥١) عام ١٩٦٤م أصبحت تسمية **الجولان** مرادفة لمحافظة **القنيطرة** انظر: عصام أباظة وهشام شيشكلي، **الجولان تاريخيا وأطماع العدو بشرياً وإدارياً وجغرافياً واقتصادياً**، دمشق، ١٩٧٥م، ص١٠٥.

(٤) رزق الياس، **مسيرة تحرير الجولان ١٩٦٧-٢٠٠٧م**، دار البعث، دمشق، ط١، ٢٠٠٧، ص٤١

(٥) سلمان فخر الدين، استعراض تاريخي وسياسي، من مجموعة محاضرات المؤتمر الأول للجمعية العربية للتطوير في مجدل شمس، **الجولان**، جمع وتنسيق مركز بيسان للبحوث والإنماء، القدس، شباط ١٩٩٣م، ص١٦.

(٦) حسن أبو لبده وآخرون، **السكان السوريون في مرتفعات الجولان المحتلة**، دراسة في الجغرافية البشرية، ترجمة مجد الصفدي، الجمعية العربية للتطوير، مجدل شمس، الجولان، أيلول ١٩٩٤م، ص ٦.

(٧) فخر الدين، المرجع السابق، ص١٧.

(٨) فخر الدين، المرجع السابق، ص ١٨.

(٩) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص٢٠.

(١٠) تيسير مرعي وأسامة حلبي، الحياة تحت الاحتلال، مرتفعات الجولان، مجلة دراسات فلسطينية، العدد (١٣)، ١٩٩٣م، ص ٣٣

(١١) وقعت اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ بهدف حماية المدنيين وقت الحرب، وبموجب المادة ٤٩ منها يحظر إجبار الأشخاص أو الجماعات على النزوح من الأراضي المحتلة أو نفيهم إلى أراضي أية دولة أخرى محتلة أو غير متمثلة، كما تنص المادة ٥٣ من الاتفاقية ذاتها على منع الدولة المحتلة من تدمير أية ممتلكات خاصة (منقولة أو غير منقولة) للجماعات والأفراد أو للدولة التي تم احتلال أراضيها، انظر: إبراهيم درّاجي، **الجولان والقانون الدولي**، وقائع الندوة الدولية (تاريخ الجولان وآثاره)، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،٢٠٠٩م، ص ٢٧٣

(١٢) نزار أيوب وسلمان فخر الدين، **الجولان المحتل بين الأعوام ١٩٦٧-١٩٧١م** (الاحتلال وتوطيد السلطة) إصدار: الجولان لتنمية القرى العربية، الجولان، آذار، ٢٠٠١م، ملحق رقم/٦/، ص١١٢- ١١٣.

(١٣) المرجع السابق ص ٥٦ ــ ٥٧ .

(١٤) المرجع السابق، ص ٦٦ ــ ٦٧ .

(١٥) المرجع السابق، ص ٧٨ .

(١٦) نزار أيوب وسلمان فخر الين، مرجع سابق، ص ٧٩ ــ ٨٠

(١٧) حبيب قهوجي، **إستراتيجية الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية والحزام المحيط بها**، ص٦٤-٦٥

(١٨) حامد الحلبي، **الجولان المحتل، لمحة تاريخية**، إصدار الجمعية العربية للتطوير، الجولان، ١٩٩٦م، ص ١٠-١١

(١٩) مذكرات شكيب أبو جبل،(**أسير عربي سابق في سجون الاحتلال الصهيوني**)، دار قصي، ط١، دمشق ٢٠٠٤م، ص١٨٦

(٢٠) عبد المنعم الحسكير، **الجولان مفتاح السلام في الشرق الأوسط**، مركز بيسان للنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص١٩١.

(٢١) المرجع السابق، ص١٩١.

(٢٢) المرجع السابق، ص٢٢٢- ٢٢٣.

(٢٣) أبو لبده وآخرون، مرجع سابق، ص ١٤ ـ ١٥

(٢٤) المرجع السابق، ص ٥٢- ٥٤

(١٥) يوسف أبو صالح، **الأوضاع والخدمات الصحية في مرتفعات الجولان المحتل**، من مجموعة محاضرات المؤتمر الأول للجمعية العربية للتطوير، مرجع سابق، ص ٦٨ ـ ٦٩

(٢٥) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ١٦

(٢٦) مذكرات شكيب أبو جبل، المصدر السابق، ص٣٠٢

(٢٧) يضطر معظم السكان السوريين في الجولان إلى الذهاب إلى أماكن بعيدة للعلاج، إذ أن أقرب مركز طبي يقع على بعد ٣٥كم، وأقرب مشفى يبعد حوالي ٧٠ كم، ويفضل العديد من السكان الذهاب إلى مشافي الناصرة التي تبعد حوالي ١٢٥ كم نظراً للخدمات الطبية الجيدة منها، لكن الأكثرية تفضل الذهاب إلى المشافي الفلسطينية في القدس وغيرها من المناطق الفلسطينية حتى ولو كانت

بعيدة جداً عن أماكن سكنهم وبيوتهم في الجولان. انظر: يوسف أبو صالح، المرجع السابق، ص ٧٠، وأيضاً: أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص١٦

(٢٨) أبو صالح، المرجع السابق، ص ٧٠ _ ٧١

(٢٩) تحاول إسرائيل وبشكل دائم فرض هذه العراقيل والعقبات أمام الطلاب السوريين والأطباء في الجولان بهدف السيطرة على سوق العمل، وكذلك لاستخدام العلاج الصحي كشكل من أشكال الضغط السياسي ضد سكان الجولان، ففي عام ١٩٨٢م منعت السلطات الإسرائيلية المرضى الذين رفضوا استلام الجنسية الإسرائيلية بالتوجه إلى المستشفيات، كما تعرض الأطباء المحليون الذين قاموا بمعالجة الجرحى أثناء المظاهرات إلى الاعتقال والسجن، انظر: أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ١٧

(٣٠) أخذت هذه الأرقام من دراسة حديثة اعتمدت على استبيان للرأي اجري بأشراف الجمعية العربية للتطوير عام ١٩٩٤م، من خلال تشكيل فريق للبحث والاستبيان في قرى الجولان الباقية تحت الاحتلال، وقد أجرى الفريق مجموعة مقابلات مع أشخاص يمثلون فئات المجتمع كافة، ويعطي هذا الاستبيان فكرة واضحة عن الوضع الديمغرافي للسكان ويحتوي معلومات حول وضع كل فرد من أفراد الأسرة من حيث العمر وتاريخ الولادة والجنس والعلاقة مع رب الأسرة والوضع العائلي ومستوى التعليم والقراءة والكتابة والعمل والسكن وغيره، ويدرس الاستبيان الوضع الصحي ومعدل الولادات والوفيات وواقع الأسرة والطفل وغير ذلك من الأمور التي تهم المجتمع. انظر:مخطط الاستبيان في: أبو لبدة وآخرون، مرجع سابق، ص٣٠- ٤١

(٣١) على الرغم من أن جميع الزيجات في المجتمع الجولاني تتم بين أفراد الصلة الواحدة، فإنه لا توجد ميول لأبناء الجولان للتزاوج مع أبناء الطائفة ذاتها

الموجودة في داخل إسرائيل، ويعود ذلك بالطبع لأسباب سياسية وهناك حالات قليلة لأفراد تزوجوا من لبنان وسورية ومناطق أخرى، ويعود السبب في قلتها أيضاً للعامل السياسي ذاته المتمثل بوجود الاحتلال وصعوبة اجتياز خط وقف إطلاق النار لاسيما بين سورية وإسرائيل. انظر: أبو لبدة وآخرون، المرجع السابق، ص ٤٢ ـ ٤٣

(٣٢) المرجع السابق، ص ٦٨ـ ٧١

(٣٣) المرجع السابق، ص ٦١

(٣٤) **الجولان تاريخياً وجغرافياً (أطماع إسرائيل في الجولان)**، موقع إنترنت: (جولان تايمز)، محرر الموقع، ٢٠٠٥/٩/٢٤م، ص١، تاريخ العودة إلى الموقع ٢٠٠٩/٨/١٣م، الساعة /١١/ مساءً.

(٣٥) حمود مرعي، **دراسة للأوضاع الثقافية والتعليمية في الجولان**، من مجموعة محاضرات المؤتمر الأول للجمعية العربية للتطوير، مرجع سابق، ص ٤٥ ـ ٤٧

(٣٦) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ٢١ ـ٢٢

(٣٧) إبراهيم عبد الكريم، الممارسات الإسرائيلية ونضال العرب في المنطقة المحتلة من الجولان، مجلة الأرض، العدد/١٢/، كانون الأول ٢٠٠٦م، ص٦٢

(٣٨) مرعي، المرجع السابق، ص ٤٧ ـ ٤٨

(٣٩) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ٢١

(٤٠) مرعي، المرجع السابق، ٥٨ ـ ٥٩

(٤١) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ١٤.

(٤٢) مذكرات شكيب أبو جبل، مصدر سابق، ص١٨٤

(٤٣) مرعي، المرجع السابق، ص ٥٨ ـــ ٥٩.

(٤٤) المرجع السابق، ص٦٦ ـــ ٦٧.

(٤٥) أيوب، وفخر الدين، مرجع سابق ، ص ٨٤

(٤٦) المرجع السابق، ص ٨٤

(٤٧) المرجع السابق، ص ١٠٠

(٤٨) أحمد خاطر، تقرير حول البناء ومشاكله في قرى الجولان المحتل، من مجموعة محاضرات المؤتمر الأول للجمعية العربية للتطوير، مرجع سابق، ص ٣٦

(٤٩) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ١٨

(٥٠) منذ بداية عام ١٩٩٠م قدم السكان مئات الطلبات للحصول على رخص للبناء لكنها رُفضت بسبب امتناع أصحاب هذه الأراضي عن التوقيع على عقود الاستئجار أو الشراء، وتم اعتقال معظم الذين بنوا منازل في هذه المناطق ومحاكمتهم وتغريمهم بمبالغ مالية باهظة، وصدرت بحق بعضهم أوامر لهدم منازلهم ولكن على الرغم من الضائقة السكنية القائمة والحاجة الماسّة للبناء فإن الوعي الوطني لسكان الجولان وإدراكهم لخطورة التوقيع على تلك العقود جعلهم يجمدون مشاريع البناء. انظر: خاطر، مرجع سابق، ص ٣٨

(٥١) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ١٩

(٥٢) خاطر، المرجع السابق، ص ٣٩

(٥٣) أبو لبده وآخرون، مرجع سابق، ص ١٩

(٥٤) خاطر، المرجع السابق، سابق، ص٤٢

(٥٥) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ٤٤

(٥٦) أيوب وفخر الدين، مرجع سابق، ص٤٣.

(٥٧) المرجع السابق، ص٧١-٧٢.
(٥٨) المرجع السابق، ص٧٣- ٧٤.
(٥٩) المرجع السابق، ص٨٨.
(٦٠) فخر الدين، مرجع سابق، ص ١٩
(٦١) خزاعي ملّي، تقرير عن (**انتفاضة الجولان المحتل والدروس المستفادة**)، أرشيف الوكالة العربية السورية للأنباء(سانا)، ١٩٨٥/٢/١٠م، ص٥
(٦٢) كان العديد من المناضلين يعبرون خط وقف إطلاق النار متوجهين إلى الوطن الأم سورية لتقديم المعلومات عن القوات "الإسرائيلية"، انظر: مذكرات شكيب أبو جبل، مصدر سابق، ص٥٦
(٦٣) مأمون كيوان وعبده الأسدي، **قضية الجولان (هضبة الإشكاليات وفجوات الحلول المحتملة)**، دار النمير، دمشق، ط١، ١٩٩٦م، ص١٤٠ ـ ١٤١
(٦٤) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ٨- ٩
(٦٥) إحسان قضماني، **الانتفاضة المتجددة في الجولان المحتل**، مجلة شؤون عربية، العدد /٥٢/ كانون الأول ١٩٨٧م، ص ١٤٠
(٦٦) ملّي، المصدر السابق، ص ٦
(٦٧) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص٩
(٦٨) الحسيكر، مرجع سابق، ص٢١٥
(٦٩) تيسير أبو حمدان، **الجولان بين الحق والباطل**، صحيفة الرأي، عمان، ١٩٩٣/١١/٥، ص١
(٧٠) بالرغم من قبول هذا العدد الضئيل استلام الهويات الإسرائيلية تحت التهديد والضغط فقد أعاد أكثر من (٢٥٠) شخصاً منهم تلك الهويات إلى السلطات

الإسرائيلية تحت تأثير الضغط الشعبي المقاوم والمعارض لتلك الخطوة، وهذا ما دفع وزارة الداخلية الإسرائيلية إلى فتح مكاتب خاصة في الجولان لاستعادة الهويات في ١٩٨١/٩/٢٣م ، كما قدمت طلبات أخرى عن طريق محاميين لإعادة تلك الهويات ومنهم أشخاص عرفوا بتأييدهم للاحتلال. انظر: كيوان والأسدي، مرجع سابق، ص ١٤٢

(٧١) فخر الدين، المرجع السابق، ص٢٠

(٧٢) الوثيقة الوطنية للمواطنين السوريين في المرتفعات السورية المحتلة، انظر نصّ الوثيقة في: مذكرات شكيب أبو جبل، مصدر سابق، ملحق رقم/٥/.

(٧٣) كيوان والأسدي، مرجع سابق، ص ١٤٥.

(٧٤) تميز عام ١٩٨١م بحملات واسعة من الاعتقالات قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي تجاه سكان الجولان السوريين، ففي ١٩٨١/٦/١م اعتقلت قوات الاحتلال خمسة من القادة الوطنيين ومددت فترات اعتقالهم مرة أخرى في ١٩٨١/٨/٣١، وفي الفترة ذاتها أقدمت السلطات الإسرائيلية على قطع مياه الشرب عن قرى الجولان محاولة الضغط على السكان لثنيهم عن موقفهم لكنهم ردوا بمظاهر كبيرة في ١٩٨١/٣/٩م اضطرت على أثرها السلطات الإسرائيلية إلى إطلاق سراح القادة الخمسة المعتقلين، كما قامت تلك السلطات في ١٩٨١/١١/١٩ بتقديم (٥٠) تلميذاً من جميع قرى الجولان إلى محكمة عسكرية بتهمة التحريض والدعوة إلى إضراب عام في ثانوية قرية مسعدة وأصدرت بحقهم أحكاماً عرفية بالسجن، كما قام جنود الاحتلال بضرب بعض الطلاب واعتقالهم في ١٩٨١/١١/٢٦م بتهمة إهانة المعلم الإسرائيلي لمادة "الصهيونية" انظر: قضماني، مرجع سابق، ص ١٤٢- ١٤٣

(٧٥) الحسكير، مرجع سابق، ص ٢١٤ ــ٢١٥

(٧٦) تمثلت الاختلافات بشأن ذلك باجتهادات على شكل مشاريع طرحتها الأحزاب الإسرائيلية، ففي حين تحدث حزب العمل عن حدود يمكن الدفاع عنها أكد أن إسرائيل لن تعود إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧م، وفي الوقت ذاته اقترح حزب المابام أن تمر الحدود مع سورية فوق هضبة الجولان بشكل يوفر الأمن والسلامة لمستعمرات الجليل الأعلى وغور الأردن وما بقي من الهضبة تصبح منطقة معزولة من السلاح، وأما الوزير عن حزب العمل (إيغال آلون) فقد طالب آنذاك في مشروعه بأن تحتفظ إسرائيل في الجولان لمنع سورية من إمكانية التعرض لمصادر المياه ولمنع حدوث هجوم سوري مفاجئ على الجليل، واقترح خطاً للحدود يوازي خط إطلاق النار تحفظ فيه إسرائيل بالقسم الأكبر من الجولان، انظر: غازي الموسى؛ **الجولان بين الحرب والسلام**، دار الجمهورية للطباعة، دمشق، ط١٩٩٦،١م، ص١٩٩.

(٧٧) نجح في إصدار القانون تكتل من الأحزاب الإسرائيلية في الكنيست يدعى لوبي الجولان استطاع الحصول على (٦٣) صوتاً من حزبي الليكود والمغدال، و (٨) أصوات من حزب المعراخ، ويذكر أن لوبي الجولان تشكل في مطلع عام ١٩٨٠م وكان قد ضم حوالي (٧٥) عضواً من أعضاء الكنيست، وسمّي (لوبي الكنيست من أجل ضم هضبة الجولان، وهذا اللوبي يختلف من ناحية تركيبته وتسميته عن لوبي الجولان الحالي الذي يهدف إلى ضمان السيطرة الإسرائيلية على الجولان وعدم الانسحاب منها وتفكيك أية مستوطنة منها، انظر: كيوان والأسدي، المرجع السابق، ص ١٣٧ ــ ١٣٨

(٧٨) عبد الحفيظ محارب، **ضم الجولان تحت ظلال سياسة الردع الإسرائيلية**، مجلة الفكر الاستراتيجي، العدد(٤)، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٢م، ص٢٦٥

(٧٩) أبو لبده وآخرون، مرجع سابق، ص٩.

(٨٠) الموسى، مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٨١) المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٨٢) الحسكير، المرجع السابق، ص ٢١٨

(٨٣) الزعماء هم (الشيخ كمال كنج والشيخ محمود الصفدي والشيخ سليمان كنج وأحمد القضماني وهايل حسين أبو جبل وكنج كنج)، وقد تم اعتقالهم على يد قوة عسكرية "إسرائيلية" بقيادة آرييل شارون في ١٢/ ٢/١٩٨٢م، بصفتهم زعماء للإضراب، والجدير بالذكر أن الشيخ كمال كنج أبو صالح توفي في ١٥/٩/١٩٨٣م. انظر: كيوان والأسدي، مرجع سابق، ص ١٤٧

(٨٤) الجولان، الهضبة السورية بين إسرائيل وسورية، مقال إنترنت، منتديات رتوش:www. Rtoosh.com، ١٧/٥/ ٢٠٠٧م، ص ٩، تاريخ العودة إلى الموقع ١٠/١٢/٢٠٠٩م، الساعة /٨/ مساءً.

(٨٥) أبو لبده وآخرون، مرجع سابق، ص٩

(٨٦) كيوان والأسدي، المرجع السابق، ص ١٤٧ــ ١٤٨.

(٨٧) قدرت بعض المصادر المحلية عدد الجنود من القوات العسكرية الإسرائيلية التي أحضرت عشية الحصار إلى الجولان بعدد يفوق عدد سكان الجولان المضربين والمحاصرين، ووصل عددهم حسب مصادر أخرى إلى (١٤) ألف جندي إسرائيلي، انظر: فخر الدين، مرجع سابق، ص ٢١.

(٨٨) كيوان والأسدي، المرجع السابق، ص١٤٧.

(٨٩) مذكرات شكيب أبو جبل، مصدر سابق، ص١٥٥-١٥٦

(٩٠) دعمت سورية حركة الإضراب في الجولان ووقفت إلى جانب المواطنين المضربين في جميع النواحي، وتجلى الدعم المادي من خلال إرسال المساعدات

الإنسانية إلى القرى المحاصرة، لكن هذه المساعدات لن تستطيع الوصول بسبب منع القوات الإسرائيلية لها من الدخول كما قامت محافظة القنيطرة بتمديد خط لمياه الشرب إلى القرى المضربة من مسافات بعيدة إلى نقطة المراقبة التابعة لقوات الأمم المتحدة بالقرب من قرية مجدل شمس المحتلة بعد أن علمت السلطات السورية بأن السكان فيها يشربون المياه الملوثة بعلم (السلطات الإسرائيلية) التي سمحت بتفشي مرض الحصبة بين سكان قريتي مسعدة وبقعاثا، وفضلاً عن ذلك فقد تجمع أكثر من عشرة آلاف مواطن سوري من أبناء محافظة القنيطرة عند نقطة الحدود الفاصلة في نقطة مراقبة الأمم المتحدة قرب قرية مجدل شمس في ١٩٨٢/٤/٢٤م للتضامن مع الحركة الوطنية للسكان المضربين، وبالمقابل تجمع ما يقارب خمسة آلاف مواطن سوري بين القرى المحتلة على الجانب الآخر من الحدود يلوحون بالأعلام السوداء ويعلنون عبر مكبرات الصوت رفضهم (الهوية الإسرائيلية) وضم الجولان وتمسكهم بالهوية العربية السورية. انظر: الحسكير، مرجع سابق، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠

(٩١) في الوقت الذي كانت فيه السلطات الإسرائيلية تمارس أبشع أساليب القهر تجاه سكان الجولان بطردهم من أعمالهم ومحاربتهم في لقمة معيشتهم وقمعها لهم في شتى المجالات، كانت تقوم بابتزازهم عن طريق تقديم الخدمات والمساعدات إلى المتعاونين معها، إذ كان مكتب العمل الإسرائيلي في الجولان يقدم خدماته ومساعداته إلى كل من يتوجه إليه حاملاً الهوية "الإسرائيلية"، انظر:الحسكير، المرجع السابق، ص٢٢١

(٩٢) أبو لبده وآخرون، المرجع السلبق، ص ١٠

(٩٣) تم تشكيل هذا المكتب الأمني الإسرائيلي في الجولان بتوصية من مفتش المعارف الإسرائيلي بعد دراسة شاملة أجراها عن سكان الجولان، ويجمع هذا المكتب الإدارات الإسرائيلية المختلفة في الجولان كافة تحت أسم (مكتب منسق أعمال رئيس الوزراء)، ويرأسه ضابط أمن إسرائيل، وهو مسؤول عن إدارة كل شؤون الجولان، وعنده تنتهي كل المسائل الحياتية للسكان بما فيها القضايا الإنسانية، انظر: فخر الدين، مرجع سابق، ص٢٢

(٩٤) أبو لبده وآخرون، المرجع السابق، ص ١٠

(٩٥) تجاوز عدد المعتقلين في هذه الحملة "الإسرائيلية" أكثر من /١٥٠/ شخصاً، وعدد الجرحى أكثر من /٣٠/ شخصاً، انظر: أبو لبده وآخرون، مرجع سابق، ص٩

(٩٦) مذكرات شكيب أبو جبل، مصدر سابق، ص١٥٧

(٩٧) ملي، مصدر سابق ص٩

(٩٨) جهزت السلطات الإسرائيلية الهويات الجديدة بشكل مسبق باستخدام الصور القديمة للسكان الموجودة على بطاقات التعريف الخاصة التي يحملها السكان منذ احتلال الجولان عام ١٩٦٧ وعلى الهويات السورية المصادرة منهم. انظر: أضواء من نضالات العرب السوريين في الجولان المحتل، الذكرى السنوية الثالثة لإضراب الجولان، ١٤ شباط ١٩٨٥م، من أرشيف الوكالة العربية السورية للأبناء (سانا)، دمشق، د.ن،ص٨

(٩٩) المصدر السابق ص١٠

(١٠٠) قضماني، مرجع سابق ص ١٤٧

(١٠١) مرعي وحلبي، مرجع سابق، ص ٣٦ ــ ٣٧

المحاولاتُ العربية لإصلاح نظام عمل جامعة الدول العربية منذ النشأة عام ١٩٤٥ وحتى القمَّة الثلاثية عام ١٩٩٤

إعداد طالب الدكتوراه
وفيق صالح ناصر

إشراف الأستاذة الدكتورة
نجاح محمد

قسم التاريخ
كلية الآداب
جامعة دمشق

كان لا بدّ من أن ينطلق تشكلُ منظمة جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥، مثلها مثل تشكل أية منظمة قومية، من النهوض القومي في إطار وجودين أساسيين اثنين: الأول وجود المكونات القومية للأمة العربية ولحركتها القومية، والثاني وجود الظروف التاريخية المساعدة على تطور هذه الحركة باتجاه هذا التشكل، فما هي هذه المكونات وما هي هذه الظروف؟ نتعرف على أبرز معطياتهما، لأهميتهما الوجودية بالنسبة لجامعة الدول العربية.

أولاً ــ النهوض القومي العربي والمكونات القومية لتشكّل جامعة الدول العربية:

نستطيع من خلال فهمنا لقوانين الحركة التاريخية في خاصّها وعامّها أن نؤكّد بأن لكل تجمع بشري، بدءاً من مرحلة التجمع البدائي، ومروراً بمرحلة العشيرة فالقبيلة فالشعب وانتهاءً بمرحلة الأمة، واقِعَهُ الخاص، وبالتالي: فإن لكل قومية تاريخها ومضمونها الخاص بها، وأي تعميم في هذا المجال هو خطأ علمي بَيِّنٌ مرفوض، سواءً أكان من المدرسة الستالينية. أو الألمانية. أو الفرنسية. أو غيرها. ففي اختلاف واقع الأمم وتاريخها يكمن تفسير وجود الخصوصية القومية عموماً، ومنها الخصوصية القومية العربية التي ارتبطت، وما زالت ترتبط بالطبع، بمكوِّن القومية العربية ومكوِّن حركتها، واللذين شكلا معاً المكونات القومية لجامعة الدول العربية.

١ ــ مكوِّن القومية العربية:

صحيح أنّ القومية العربية هي رابطة انتماء يعبّرُ عنها بمسمى "العروبة"، وشعور بهذه الرابطة وهذا الانتماء ووعي لهما، ولكنها أولاً وقبل كلّ شيء هي واقع بشري اجتماعي مادي ــ روحي موحد، بدأت وحدة العرب فيه، كأي واقع قومي وفي تشكله البدئي فقط، بوحدة عرقية وصفية وطبائعية، كانت نتيجة طبيعية لرجوعهم إلى أصل جغرافي بيئي بشري واحد هو التجمع البشري العربي الأول في "بلاد العرب" منذ آلاف السنين، والذي جمعته بدايةً وحدة الجنس التي هي بدايةٌ عامة تخصُّ الأمم وليس الأمة العربية فقط. وهذا ما يشيرُ إليه اصطلاح "Nation" الذي يتضمن في أصله اللاتيني: معنى وحدة السلالة والجنس(١).

لقد شهد الواقع القومي العربي تطوراً، كأي واقع قومي آخر، من شكل التجمع البشري البدئي هذا الذي جمعته وحدة الأرض الجنس واللغة، إلى شكل العشيرة التي جمعتها هذه العناصر نفسها بالإضافة إلى وحدة الأعراف والتقاليد، ثمّ إلى شكل أكثر تطوراً

هو القبيلة المؤلفة من وحدة عشيرتين أو أكثر، والتي جمع بين أفرادها ما جمع بين أفراد العشيرة نفسه. وتطور بعد ذلك، وبعد أن غابت وحدة انتماء الجنس الواحد لصالح الانتماء الثقافي الحضاري إلى شكل الشعب أي: إلى "اجتماعية إتحدت بواسطة الأرض واللغة والتكوين النفسي" (٢)، ثمّ وأخيراً إلى شكل الأمة العربية التي وحّدَ بينها أيضاً الاقتصاد المشترك، طبعاً في مضمونه القائم على التكامل ووحدة المصالح العامة. ومع الثورة العربية الإسلامية، كان توحُّد العرب في مشرقهم ومغربهم في دولة مركزية واحدة انتهت، بفعل عوامل داخلية وخارجية كثيرة لا مجال لذكرها هنا، إلى واقع التفكك والتجزئة، ولتتوزع الأمة العربية من جديد في بلدان ودول متعددة، ولتتكون الحركة القومية العربية من رَحِمِ هذا التفكك والتوزع.

هنا نجد من الضروري التأكيد على أن مرحلة الانتكاس هذه قد أتت بعد مرحلة رسوخ الجذور التاريخية للقومية العربية: كواقع اجتماعي عربي مادي ـ روحي واحد وكرابطة وشعور. وهذا ما يفسر عدم ذوبان الوجود العربي في الوجود الأجنبي المحتل أولاً، وسرعة استجابتهم للحركة القومية العربية النهضوية الحديثة. كما أنه مما يفسر مضمون هذه الحركة الذي قام، بالدرجة الأولى، على أساس وجود الأمة العربية وبهدف إيقاظها وبعث تاريخها المجيد، بعث قوتها وازدهارها، وبعث رسالتها الإنسانية الحضارية، وبعث وحدتها السياسية في دولة قومية عربية حضارية واحدة، استكمالاً لوحدتها الاجتماعية والثقافية التي صمدت أمام كل التحديات والمحن ماضياً، بفعل سماتها المكونة لخصوصيتها.

٢ ـ مكوِّن خصوصية القومية العربية:

تتجلى خصوصية القومية العربية في ثلاث سمات هامة مترابطة: الأولى متمثلة في عراقتها التاريخية، كأقدم وجود بشري قومي. مما يفسر تفرد الأمة العربية بكونها جامعة لكلّ عوامل وعناصر وجود الأمم: وحدة اللغة والتاريخ والواقع والمصالح

والآمال إلخ... والثانية: متمثلة بمضمونها الإنساني الحضاري الذي يجعل اللغة العربية بكلّ أبعادها المجتمعية القاسم المشترك الموحِّد الأساس للأمة العربية، بمختلف أصولها وأديانها ومذاهبها، بعيداً عن أية عنصرية أو أي تعصب. ولتوضيح هذا الأمر علينا أن نعرف أنه رغم كل الصراعات الدموية والحروب القاسية التي قامت بين العرب و"إسرائيل" فإن العرب عموماً يرفضون أن ينظروا إلى الصراع؛ وكأنه مع اليهودية كدين أو مع اليهود كشعب، بل يصرّون على أنه مع الصهيونية كحركة سياسية. أما السمة الثالثة اليوم فهي: أنّ الأمة العربية هي أمة كبيرة، ولقد وصل عدد سكانها اليوم إلى أكثر من "٣٠٠" مليون نسمة، ومتواجدة على رقعة واحدة متصلة من الأرض، وتمتلك من الموارد والطاقات والثروات، وبخاصة النفطية، ما يمكن أن يحقق لها الاكتفاء الذاتي والقدرة على تكوين قوتها الذاتية على كل صعيد، من جهة، واستعادة دورها العالمي الإعماري الحضاري، من جهة أخرى. وكلّ ما تقدم قد انعكس في المضمون التحرري الإنساني الحضاري للحركة القومية العربية، فما هي هذه الحركة.؟

٣ ــ مكوِّن الحركة القومية العربية واليقظة:

يؤكد تاريخ ظهور القومية العربية أنها "واحدة من أقدم قوميات هذا العصر، فقد بدأ انبعاثها الجديد في العصر الحديث مع أواسط القرن التاسع عشر ليصل إلى ذروته في أواسط القرن العشرين" [٣]، وذلك من خلال اليقظة العربية وتصاعد الفعل المؤثر لحركتها القومية التي هي كأية حركة قومية؛ فكرة ومبدأ وهدف وفعل نضالي، رفضت هذه الحركة واقع العرب المجزأ الضعيف والخاضع للاحتلال الأجنبي والتخلف، ورفضت سياسة التتريك، وتوجهت كفكرة ومبدأ إلى الإيمان بالوحدة العربية كواقع مجتمعي للأمة العربية ينقصه استكمال توحُّده السياسي في دولة عربية واحدة. وتوجهت كهدف، وكفعل إلى النضال من أجل بناء هذه الدولة. وآمنت الأطراف الواعية في الحركة القومية العربية بوحدة وأهمية الفعل النضالي المنظم على صعيد

كل من المسار التحريري والتنموي والقومي، وليكون النهوض القومي العربي ولو النسبي، والذي دعمه، إلى حين، ظهور الظروف التاريخية المناسبة كما سنرى.

ثانياً ـ النهوض القومي العربي، وتشكل الظروف التاريخية المناسبة لتشكل الجامعة:

عاش الوطن العربي كثيراً من مظاهر النهوض القومي، وبخاصة السياسي والثقافي، في تاريخه الحديث والمعاصر الممتد حتى تشكل جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥، والذي مرّ في ثلاث مراحل رئيسة: الأولى الممتدة حتى قيام الثورة العربية عام ١٩١٦، والثانية الممتدة بعدها وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، والثالثة قبيل الحرب العالمية الثانية حتى نهايتها وتوفر الظروف التاريخية المناسبة لتشكل الجامعة العربية، ولنا وقفة موجزة عند كلّ منها.

١ ـ الحركة القومية العربية وأهم مظاهرها في المرحلة الأولى الممتدة حتى الثورة العربية ١٩١٦:

تمثلت مظاهر النهوض القومي في هذه المرحلة بالنضال ضد معطيات القمع والتفرقة والسائس التي بدأتها القوى الأوروبية العظمى، ممثلة بالقوى الاستعمارية، منذ ما قبل الثورة العربية ١٩١٦، بتوزيع سيطرتها الاستعمارية على جميع مناطق الوطن العربي التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية.

ولجأت هذه القوى في كثير من الأحيان إلى الاحتلال العسكري المباشر للحفاظ على امتيازاتها ومصالحها، كما في جميع هذه المناطق باستثناء منطقة العراق وبلاد الشام حيث اقتصرت على السيطرة الاقتصادية غير المباشرة، وحيث كانت اليد الطولى للطرف البريطاني في العراق، مقابل اليد الطولى للطرف الفرنسي في بلاد الشام، وبخاصة في لبنان. ثمّ كان تواطؤ هاتين القوتين، البريطانية والفرنسية، لدخول الطرف الثالث، الحركة الصهيونية إلى منطقة الجنوب السوري- الفلسطيني، ودعمهما

لنشاطه الاستيطاني المتنامي فيما بين أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتسهيلات لهجرة اليهود إليها.

وقد أسفر الوعي القومي لهذه الوقائع مع بدايات القرن العشرين عن البحث عن إصلاح الأوضاع العربية، والذي تَوزَّع في أربعة اتجاهات:

الأول: الاتجاه الداعي إلى الحكم اللامركزي والإصلاح في إطار الدولة العثمانية بحيث "تحصل الولايات العربية على شيء من الاستقلال الذي من شأنه أن ينمي الشخصية العربية، ويحافظ على اللغة القومية" (٤).

الثاني: الاتجاه المنادي "بإنشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتي، وترتبط بالمملكة العثمانية"، ويمثّل هذا الاتجاه جمعيتا القحطانية والعهد السريتان"(٥).

الثالث: الاتجاه الداعي للخلافة العربية ويمثل هذا الاتجاه عبد الرحمن الكواكبي (٦).

الرابع: الاتجاه الداعي إلى "الثورة على الأتراك والانفصال التام عن الدولة العثمانية وإنشاء دولة عربية مستقلة تضم الولايات العربية العثمانية ويمثل هذا الاتجاه الجمعية العربية الفتاة" (٧). وبناءً عليه ظهرت بعض مشاريع الوحدة العربية، مثل "مشروع توحيد الولايات العربية في الدولة العثمانية "تحت زعامة الأمير عبد القادر الجزائري(٨)، ومشروع نجيب عازوري "بتوحيد أقطار آسيا العربية" (٩) إلخ... ثم كانت الثورة العربية ١٩١٦ انتصاراً لهذا الاتجاه.

٢ ـ الحركة العربية وأهم مظاهرها في المرحلة الثانية: (فترة ما بين الحربين) الممتدة منذ الثورة ١٩١٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية:

إنَ انتصار اتجاه الثورة العربية كان نتيجة لأسباب كثيرة، متعلقة أولاً بتصاعد الوعي القومي العربي المذكور، وبنمو حركته المتطلعة إلى إصلاح أوضاع الأمة، ومتعلقة ثانياً برفض السيطرة الاستعمارية.

لقد كان السبب الأساس في قيام الثورة العربية ظروف الحرب العالمية الأولى ١٩١٤، ووقوف تركيا مع الطرف الألماني ودون تقديم الحماية اللازمة للعرب ضدّ الوجود البريطاني والفرنسي الذي كان قد تعزز في بلدانهم.

ولقد جمعت المصلحة المؤقتة بين قيادة هذه الحركة التي كانت تبحث عن الدعم والأسلحة لتقوم بثورتها، وبين القيادة البريطانية والفرنسية التي كانت تبحث عن السبيل إلى استقطاب العرب إلى جانب الحلفاء. والنتيجة كانت قيام هذه القيادة بتقديم الدعم ولو الجزئي جداً والمؤقت للثورة العربية بقيادة الشريف حسين. ولكن، وخوفاً من تطور الثورة إلى مالا تحمد عقباه من تشكلٍ لدولة عربية قوية، فقد ترافق هذا الدعم بالتآمر السري ضدّ هذه الدولة حتى قبل أن تعلن الثورة في حزيران ١٩١٦، وذلك من خلال اتفاقية (سايكس بيكو Sykes – Picot).

أتت اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ هادفةً بالدرجة الأولى إلى إكساب توزع مناطق النفوذ السابق المذكور في العراق وبلاد الشام الطابع الرسمي الذي يلزم طرفيه الأساسين، البريطاني أولاً والفرنسي ثانياً، بتنفيذ مضامينه وأهدافه معاً، والتي منها تجزئة بلاد الشام وإضعافها والتحكم فيها بما يضمن تحقيق ما اتفقا عليه حول إقامة وحماية دولة الكيان الصهيوني في فلسطين، كحاجز أمام وحدة وقوة سورية خصوصاً ووحدة الوطن العربي بشقيه الآسيوي الشرقي والأفريقي الغربي عموماً، وكسبيل إلى استنزاف الطاقات العربية في حروب مدمرة، بعيداً عن حشدها في تحقيق المشروع القومي العربي النهضوي، الذي من شأنه تكوين القوة العربية الذاتية الرادعة على كلّ صعيد سياسي عسكري واقتصادي واجتماعي وثقافي والذي من شأنه بالتالي ضمان وجود الأمن القومي العربي، أرضاً وبشراً وهوية ومصالح بضمان المقدرة على التصدي لكلّ التحديات الداخلية والخارجية التي تهدده (١٠).

وكان من أهم تداعيات هذه الاتفاقية تجزئة بلاد الشام بحدود ودول مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠، وبعدها بحدود ودول الخرائط المفروضة من سلطات الاحتلال الفرنسي والبريطاني لتنته إلى الدول الحالية، دول سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين المحتلة. وهكذا كان طموح العرب كبيراً في حصول الدولة العربية على كيانها المستقل بعد الحرب العالمية الأولى، لكن ذلك لم يتم فلم يحصلوا على الاستقلال، أو الوحدة. بل على العكس تم تكرّيس التجزئة على الوطن العربي، مع اقتران هذه التجزئة بتعدد قوى الاستعمار، وتنوع أساليبه في السيطرة، مما أدى إلى تحويل النضال القومي العربي إلى نضال قطري. وحين حصلت بعض الدول على الاستقلال عن الأجنبي، بذل هذا الأجنبي قصارى جهده ليُحمّل "الاستقلال معنىً عكسياً، بحيث لا يكون استقلالاً حقيقياً عن الأجنبي، بل استقلالاً عن الأخوة" (١١).

وكان أن عارضت القوى الغربية محاولات الوحدة المختلفة. وإذا كانت اتفاقية " سايكس بيكو قد أحبطت توحيد " المملكة العربية "بزعامة الشريف حسين، فإنّ تصارع النفوذين البريطاني والفرنسي، إضافة إلى الصراع الهاشمي- السعودي، قد أدى إلى منع توحيد الهلال الخصيب تحت حكم عربي مستقل، وإنّ الالتزام بتنفيذ وعد بلفور في فلسطين والدولة المورانية في لبنان قد أسهم في معارضة بريطانيا وفرنسا لوحدة دول سورية الطبيعية إلخ...

غير أن توحيد الوطن العربي في كيان قومي سياسي ظل مطلباً جماهيرياً متصاعداً بقوة، ويرنو إليه أبناء الأمة العربية في مواجهة تحديات خارجية وداخلية متنوعة، واستجابة لدواعٍ ومقومات طبيعية وإنسانية وتاريخية عديدة لديهم. ومع بدايات الثلاثينات بدأت الاتجاهات الوحدوية يقوى مكانها في الحركات السياسية العربية. وانتهز القوميون العرب في آسيا اجتماعهم في القدس أثناء المؤتمر الإسلامي الذي عقد في كانون الأول / ديسمبر ١٩٣٠ لبحث القضية العربية بحثاً عاماً. و"صاغوا

ميثاقاً عربياً أكد على وحدة الوطن العربي وعلى ضرورة توحيد الجهود في كل قطر عربي نحو الاستقلال والوحدة العربية" [١٢].

وكالعادة فإنّ بريطانيا، التي كانت ماتزال القوة العظمى في العالم في ذلك الوقت، استمرت في معارضتها لقيام أي شكل من أشكال الوحدة العربية. وليس أدل على ذلك من المذكرة السرية التي أعدتها وزارة الخارجية البريطانية بعنوان: "موقف حكومة صاحب الجلالة من قضية الوحدة العربية وهي مؤرخة في ٣ / ٦ / ١٩٣٣" (١٣). والموقف بالطبع هو التخوف منها والعداء التآمري ضدها. ولكن، وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية بدأت بريطانيا في تغيير موقفها المعادي كلّياً للوحدة العربية، فلماذا؟

٣ ــ الحركة العربية قبيل الحرب العالمية الثانية: الظروف التاريخية المناسبة لتشكل الجامعة العربية:

تعلقت هذه الظروف المناسبة بالطبع بأمرين اثنين: أولهما تصاعد المدّ القومي العربي الشعبي، وثانيهما اندلاع الحرب العالمية الثانية وانعكاس الصراع الدولي، بين دول المحور بزعامة ألمانيا ودول التحالف بزعامة بريطانيا، على مساعي كلّ منهما من أجل استقطاب المنطقة الإستراتيجية الهامة في هذا الصراع الدولي، أي منطقة الوطن العربي. وكلّ منهما وهي تبحث عن مفتاح استقطاب جماهيره إلى جانبها، كان لابدّ وأن تكتشف وجوده في مدها القومي المتصاعد.

فقد تشكلت القناعة لدى إنكلترا، منذ نجاح نظام محمد علي وأبنائه في استغلال المشاعر القومية العربية الراسخة بقوة في الوجدان العربي، من أجل إقامة دولتهم القومية العصرية في مصر ومحيطها العربي، ومنذ صراعها مع هذه الدولة، وقيادتها للتآمر الدولي ضدها، فقد تشكلت القناعة لديها بأهمية هذه المشاعر في استقطاب العالم العربي. وزادت هذه القناعة رسوخاً أثناء الثورة العربية الكبرى، وبعد بروز القضية

الفلسطينية، ومن رصدها للتوجهات العروبية المتوهجة لدى حركة اليقظة والتحرر العربية في مشرق الوطن العربي ومغربه وفي كلّ تواجد للعرب في أي مكان، فقد جاء مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن عام ١٩٣٩ والكتاب الأبيض الذي صدر عنه أول تحول نسبي في السياسة البريطانية تجاه العرب.

وكشفت دول المحور بزعامة ألمانيا، كما دول الحلفاء بزعامة بريطانيا، بأنّ مفتاح اكتساب التأييد العربي هو في تأييد مطالب العرب الرئيسة آنذاك: الاستقلال وتحرير فلسطين والوحدة العربية. وهذا ما يفسر قيام هذه الدول أثناء الحرب المذكورة بتركيز دعايتها في العالم العربي ضدّ بريطانيا على معاداتها وحليفتها فرنسا للوحدة العربية ولنضال العرب من أجل الاستقلال وضدّ خلق الكيان الصهيوني في فلسطين، مقابل دعمها لهذه الوحدة ولهذا النضال، ومنها "تصريح الحكومة الألمانية وحليفتها الحكومة الإيطالية بهذا الشأن في تشرين الأول ١٩٤٠" (١٤). ولقد استغلت ألمانيا بهذا الشأن الغضب الشعبي العربي من احتلالهما، أي بريطانيا وفرنسا، للبدان العربية، ومن دعمهما لتشكيل هذا الكيان، ومن ممارستهما بشكل خاص للتجزئة والتفرقة والقمع الوحشي للثورات العربية ضدهما، وآخرها آنذاك ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق في عام ١٩٤١.

في إطار هذه الظروف برزت كلّ الأسباب التي دفعت إنكلترا، وحماية لمصالحها الهامة في المشرق العربي أو فيما كانت تدعوه بـ"الشرق الأوسط" (١٥)، إلى إنشاء "وزارة الدولة لشؤون الشرق الأوسط"، وإلى القيام، ممثلة بوزير خارجيتها أنطوني إيدن، ورداً على المطالبات العربية الملحة لتوحيد الدول العربية وتحت تأثير التيار القومي الجارف، بالتصريح في أيار/مايو ١٩٤١ حول وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية والسياسية بين العرب، وحول تعاطف بريطانيا مع أمانيهم الوحدوية والتحررية وبأنّها لا تعارض الاتحاد العربي "وسوف تبذل تأييدها التام لأية خطة تلقى موافقة تامة" (١٦). ولكنه عاد وقال في تقرير سري لحكومته إن الاتحاد العربي غير

قابل للتحقيق من الناحية السياسية بسبب الخصومة السعودية ـ الهاشمية ورغبة العراق في تولي زعامة العرب. لذا لم ير ضرراً من أن تعلن الحكومة البريطانية دعمها لأماني العرب في الوحدة باعتبارها أمراً متعذر التحقيق [١٧]. مع ذلك اضطرت بريطانيا إلى الدعم الفعلي لقيام الاتحاد العربي بتأثير الأسباب الآتية:

أ ـ قطع الطريق على ألمانيا في دعايتها المذكورة لاستقطاب العالم العربي .

ب ـ ضرورة السباحة مع تيار القومية العربية الجارف من أجل كسب الرضا العربي الذي كانت بأشد الحاجة إليه أثناء الحرب .

ج ـ قطع الطريق على الجماهير العربية نفسها في استمرار حركتها القومية الفعلية من أجل الوحدة، والتي قد تنتهي بوحدة عربية شعبية حقيقية فاعلة خارج إطار السيطرة الاستعمارية، وإلهائها بالتالي بتوحد عربي شكلي في منظمة تضم الحكومات العربية تكون داخل إطار هذه السيطرة، ويكون من شأنها تسهيل التعامل مع كلّ القضايا العربية، من خلال ربطها بها تحديداً، أي بإنكلترا، من خلال دائرة واحدة عربية اتحادية، وعلى مبدأ: "وحّد واحكم، لا فرّق واحكم، لأنّ السياسة الأخيرة تحتاج إلى جهود مستمرة ونفقات كبيرة"[١٨]، طبعاً بشرط ضمان التحكم بعناصر التوحيد التي هي هنا الحكومات العربية في ذلك الحين.

د ـ التطلع إلى صرف نظر العرب، من خلال اكتفائهم بمنظمة تجمع حكوماتهم ككلّ، عن مساعيهم الوحدوية الإقليمية الهامة والخطرة بالنسبة للمصالح الاستعمارية، والممثلة باسترجاع الوحدة السورية أولاً، وبوحدة الهلال الخصيب ثانياً، وبوحدة شبه جزيرة العرب ثالثاً، وبوحدة وادي النيل رابعاً، وبوحدة بلدان المغرب العربي خامساً، والتي تمحورت جميعها حول ضرورة ضمان أمن بلدان هذه الأقاليم. وهكذا، وبتشجيع من إنكلترا، بدأت مساعي بعض الدول العربية لتشكيل هذه المنظمة، فكانت جامعة الدول العربية.

ثالثاً ــ وقائع تشكل جامعة الدول العربية :٩٤٥.

١ ــ من مبادرة العراق إلى زعامة مصر واللجنة التحضيرية:

بعد تصريح إيدن المذكور أخذت الحكومة المصرية بالتجاوب مع المدّ القومي العربي، فكان أن استضافت في أواخر عام ١٩٤٢ مؤتمرين هامين جسدا الوحدة العربية الثقافية وتطلعا إلى ترسيخها. أولهما كان تربوياً واستهدف دراسة وسائل التعاون الثقافي وتوحيد التعليم في البلاد العربية، وثانيهما كان طبياً وعلى أنّه المؤتمر الطبي العربي الخامس. وقد خطب رئيس الوزارة المصرية مصطفى النحاس حول تأكيد "الوشائج" التي تجمع المؤتمرين، وحول تأكيد الصلات العربية بين مصر وبين البلدان العربية (١٩). وكان هذا بمثابة التمهيد لأخذ مصر لزمام المبادرة في حركة تشكيل الاتحاد العربي، وتوطئة بالتالي لزعامته.

ظهرت عدة مشاريع لتوحيد البلدان العربية جزئياً أو كلياً، مثل مشروع الوحدة السورية أي وحدة أقطار سورية والأردن ولبنان وفلسطين، ومشروع وحدة الهلال الخصيب أي وحدة هذه الأقطار السورية مع العراق، ومشروع الاتحاد العربي الشامل. ويمكن رؤية هذه المشاريع جميعها في المذكرة التي قدمها رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، في ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩٤٣، إلى وزير الدولة البريطاني المقيم في مصر المستر كيزي Kasey والتي عرفت باسم الكتاب الأزرق ويمكن تلخيصها بالنقاط الآتية"(٢٠):

أ ــ توحيد سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين في دولة واحدة .

ب ــ إنشاء جامعة عربية تضم العراق وسورية وأي دولة عربية أخرى إذا شاءت ذلك.

ج ـ إنشاء مجلس دائم للجامعة يتولى شؤون الدفاع والخارجية والجمارك وحماية حقوق الأقليات.

د ـ إقامة إدارة ذاتية لليهود في المناطق التي يشكلون فيها أكثرية سكانية في فلسطين .

هـ ـ منح الموارنة في جبل لبنان وضعاً مماثلاً للوضع الذي كانوا يتمتعون به أواخر العهد العثماني.

ولقد اعتبر نوري السعيد أنّ التصريح الثاني من إيدن في شباط/ فبراير ١٩٤٣، والذي أكّد فيه مجدداً "أن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية"، أنه جاء مكافأة له لقضائه على ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق. واعتبرته الحكومات العربية وبخاصة المشرقية تذكيراً بضرورة تشكيل الاتحاد العربي الذي يضم الجميع وليس البعض كما هي الحال مع المشروعين الآخرين الهاشميين والمرفوضين من المملكة العربية السعودية.

وتجاوباً مع فكرة هذا الاتحاد بادر السعيد ببعث رسائل إلى النحاس وإلى السعودية وسورية والأردن يقترح فيها عقد مؤتمر عربي للتباحث بشأنه. تجاوب النحاس لكنه استلم مباشرة، وبدعم بريطاني بدون شك لأنه كان على عكس نوري السعيد مقبولاً من السعوديين زمام المبادرة بهذا الشأن. وكان أن بعث رسائل الدعوة إلى الحكومات العربية لعقد مشاورات حول الوحدة العربية وكيفية تحقيقها. وكان أول من تجاوب العراق ثم الأردن وسورية والسعودية ولبنان"(٢١).

انتهت المشاورات العربية مع بدء عام ١٩٤٤، وكان الرأي العام العربي بأحزابه وصحفه ومنظماته يضغط باتجاه ضرورة قيام وحدة عربية حقيقية، لضمان الأمن القومي العربي في مواجهة قوى الاحتلال الاستعماري وبخاصة ما تعلق منه بالاستيطان الصهيوني في فلسطين (٢٢). وفي هذا المناخ العربي والدولي وجه النحاس

دعوة في ١٢ تموز / يوليو ١٩٤٤ إلى الحكومات العربية التي شاركت في المشاورات التمهيدية لإرسال مندوبيها للاشتراك في اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام وعلى أن تتولى صياغة المشروعات لتحقيق الوحدة العربية. وكان أن اجتمعت هذه اللجنة في ٢٥ أيلول / سبتمبر ١٩٤٤ في الإسكندرية بحضور مندوبين عن مصر وسورية ولبنان والعراق وشرق الأردن والسعودية واليمن وفلسطين. وعقدت ثماني جلسات استبعد المجتمعون فيها منذ البدء فكرة الحكومة المركزية والمشاريع المطروحة سابقاً.

وانحصر النقاش في تكوين مجلس اتحاد له سلطة تنفيذية، أو مجلس اتحاد لا تنفذ قراراته إلا الدول التي توافق عليها. وهنا تدخل مصطفى النحاس فأكد أن فكرة اتحاد عربي له سلطة تنفيذية وقراراته ملزمة أمر يستبعده الجميع للأسباب نفسها التي أدت إلى استبعاد فكرة الحكومة المركزية، وأنه لا يبقى بعد ذلك إلا الرأي القائل بتكوين اتحاد لا تكون قراراته ملزمة إلا لمن يقبل بها. وقدم بعد ذلك اقتراحاً مكتوباً اعتمده المؤتمرون في بيان لجنتهم التحضيرية وليكون بروتوكول الإسكندرية.

٢ ــ بروتوكول الإسكندرية:

تضمن بروتوكول الإسكندرية النقاط الأساس الآتية:

أ ــ تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها، ويكون لهذه لجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية، تُمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدم المساواة، وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من اتفاقات.

ب ــ تكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها.

ج ــ لا يجوز اللجوء إلى استعمال القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة كما لا يجوز اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية.

د ــ الاعتراف بسيادة الدول المنضمة إلى الجامعة واستقلالها بحدودها القائمة.

وقَّع رؤساء الوفود على بروتوكول الإسكندرية هذا في ٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٤ باستثناء السعودية واليمن اللتين تحفظتا عليه، ثم عادت السعودية ووقعته في ٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٥، ووقعته اليمن في ٥ شباط/ فبراير١٩٤٥. ثمّ بدأت بعد اكتمال التواقيع اجتماعات اللجنة السياسية المشكلة من الدول الموقِّعة لصياغة ميثاق جامعة الدول العربية.

٣ ــ ميثاق جامعة الدول العربية:

اجتمعت اللجنة السياسية، الممثلة للدول العربية التي وافقت على بروتوكول الإسكندرية، في القاهرة في مارس/آذار ١٩٤٥ من أجل صياغة مشروع ميثاق للجامعة منسجم مع نصّ هذا البروتوكول. وبعد ست عشرة جلسة تمت الموافقة على صيغته النهائية كميثاق لجامعة الدول العربية، ولقد أكد في ديباجته على أن نشأة الجامعة قد أتت استجابة لضغوط الرأي العام العربي في جميع الأقطار العربية واعتبرت خطوة على طريق تحقيق الوحدة العربية الشاملة يجب أن تتبعها خطوات أخرى.

وجاء فيها أيضاً أن الجامعة قد قامت: "تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية، وحرصاً على توطيد هذه الروابط وتدعيمها على أساس احترام استقلال الدول وسيادتها، وتوجيهاً إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها..."(٢٣).

تألفت إدارة الجامعة من الأمانة العامة، ومن مجلس الجامعة المؤلف من مندوبي الدول الأعضاء، ويترأسه الأمين العام للجامعة. ورأت اللجنة السياسية أن يكون مركز الجامعة في القاهرة، ووافقت على تعيين عبد الرحمن عزام أول أمين عام لها. وتمّ التوقيع رسمياً على ميثاق الجامعة في ٢٢ آذار ١٩٤٥م في القاهرة، وأودع لدى الأمانة العامة للجامعة فيها وأصبح نافذ المفعول منذ ١١ أيار/مايو ١٩٤٥.

ومن المفيد التذكير هنا بأنّ الجامعة بدأت بعدة دول فقط هي الموقعة على الميثاق، أي مصر وسورية والعراق والسعودية ولبنان واليمن والأردن، وهي الآن تضم ٢٣ دولة عربية هي بالإضافة إلى هذه الدول: المغرب والجزائر وموريتانية وتونس وليبيا والسودان والكويت والبحرين وعمان وقطر وجيبوتي والصومال وإريتريا وجزر القمر.

وتبين الدراسة المقارنة أنّ الميثاق رغم تشابهه مع بروتوكول الإسكندرية، إلا أنّه جاء أقل إصراراً منه على بعض النقاط التي تهم المصلحة العامة للجامعة، من حيث دورها القومي الفاعل في تدعيم الروابط الأخوية وتوحيد الأهداف والمواقف العربية بما يضمن مصالح الأمة، مما جعل المعنيين بالشأن العربي والغيورين على المصلحة العربية؛ يسعون منذ اللحظات التي تلت التوقيع إلى إجراء تعديلات على نظام عمل الجامعة لجعلها ترتقي إلى مستوى الطوحات التي كانت تراود الشعوب العربية، ومن هنا ننطلق لنبيِّن أنه بنتيجة الدراسات المقارنة بين بروتوكول الاسكندرية وميثاق الجامعة ظهر واضحاً أن البروتوكول على الرغم من تواضعه أمام الطموحات كان أفضل لجهة دعم العمل العربي المشترك من الميثاق، مما دفع العرب إلى السعي لإدخال تعديلات على الميثاق. فما هي المشاريع التي أعدّت بهدف تطوير ميثاق الجامعة وإصلاح آليات عملها.

رابعاً ـ المشاريع الهادفة إلى إدخال تعديلات على نظام عمل الجامعة العربية:

١ ـ محاولة سد النقص عن طريق توقيع معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي:

تعرّض الميثاق في مادته الثانية إلى التعاون الاقتصادي والاجتماعي بين الدول الأعضاء، كما تعرّض في المادة السادسة إلى قضايا تهم الدفاع العربي المشترك، لكنه لم ينشئ هيئات تذكر بشأن التعاون الاقتصادي والدفاع المشترك، وبدلاً من الالتجاء إلى تعديل ميثاق الجامعة لبعث هذه الهيئات، اختارت الدول الأعضاء إبرام معاهدة مستقلة في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٥٠، أُطلق عليها "معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية". وهي بمنزلة تتمة لميثاق الجامعة، وأول تعديل غير مدوّن لنصوصه، وتمّ بموجبها إحداث مجلس الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي. وقد نصّت المعاهدة على أن مجلس الدفاع المشترك يتألّف من وزراء الشؤون الخارجية ووزراء الدفاع للدول الأعضاء، ويختص بالعمل على صيانة استقلال الدول الأعضاء وأمنها والدفاع عن حرمة ترابها.

أما المجلس الاقتصادي فكان يتألف في أول الأمر من وزراء الاقتصاد العرب، ثم استقلّ هذا المجلس عن اتفاقية الدفاع المشترك، بموجب توصية اتخذها في دورته الخامسة، طالب فيها الدول الأعضاء ألا تعتبره في المستقبل كهيئة من هيئات اتفاقية الدفاع المشترك، وصادق مجلس الجامعة في ٢٦ مارس ١٩٥٩ على هذه التوصية، وصار بذلك من الممكن لدول عربية غير منضمّة إلى معاهدة الدفاع المشترك أن تنضم إلى المجلس الاقتصادي دون الانضمام إلى الهيئات العسكرية المنبثقة عن الاتفاقية.

وبقراره رقم ٣٥٥٢ بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٧٧ وافق مجلس الجامعة على تعديل المادة٨ الثامنة من اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي، وبموجب هذا التعديل اتسع اختصاص المجلس الاقتصادي ليشمل المجال الاجتماعي، فأصبح بذلك مجلساً اقتصادياً واجتماعياً وأصبح يضمّ الوزراء المختصين بالميدانين الاقتصادي والاجتماعي في الدول الأعضاء، وكذلك وزراء الخارجية أو من ينوب عنهم. وقد أُسندت إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي مهمة تحقيق أغراض الجامعة الاقتصادية والاجتماعية، وما يتصل بها، مما أقرّه ميثاق الجامعة، أو نصّت عليه معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي. وبموجب تعديل "المادة الثامنة" أُسندت للمجلس مهمة النظر في جدوى إنشاء أو إدماج أو إلغاء أي منظمة عربية متخصصة، كما كُلّف بالسهر على حسن قيام المنظمات العربية المتخصصة بمهامها، ومعنى هذا أن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي جاءت لتطور وتعدل وتكمل ميثاق الجامعة، وفي إطار نصوصه وأهدافه ومراميه.

٢ ــ الحاجة العربية تفرض إدخال التعديلات على عمل الجامعة بصفة غير مباشرة، ودون أن تضاف إلى نصوص الميثاق كان منها:

على الرغم من تعدد مشروعات تعديل الميثاق في السابق، إلا أن ما لحق بالميثاق من تعديل رسمي لا يعدو أن يكون تعديلاً شكلياً، تمثل في تعديلين رسميين فرضتهما الحاجة آنذاك: أولهما ــ التعديل الذي أدخل على الميثاق عام ١٩٥٨، وتمّ بمقتضاه تقديم موعد الدورة الثانية التي يعقدها مجلس الجامعة من أكتوبر إلى سبتمبر "المادة ١١". وثانيهما ــ قبول فلسطين عضواً كامل العضوية في الجامعة. ويمثل ذلك تعديلاً لنص الملحق الخاص بفلسطين، ويعتبر هذا الملحق بمقتضى "المادة ٢٠" جزءاً لا يتجزأ من الميثاق، ويخضع بذلك لنظام التعديل الوارد في "المادة ١٩" منه. فهنا أيضاً

صدر قرار مجلس الجامعة في ٩ سبتمبر ١٩٧٦ بقبول فلسطين عضواً كامل العضوية في الجامعة، ونفذ هذا القرار في حينه، ولم تجر المصادقة عليه لاحقاً"(٢٤).

أما من الناحية الموضوعية فيمكن القول أن ميثاق الجامعة قد تم إثراؤه، إن لم نقل تعديله بصفة غير مباشرة، وتجسدت تلك التعديلات في مرحلة لاحقة مباشرة على إنشاء الجامعة في ثلاثة ميادين من أهم ميادين العمل العربي المشترك وهي: الشؤون السياسية، والدفاع المشترك، والتعاون الاقتصادي، وأدى ذلك إلى إنشاء لجنة الشؤون السياسية، ثم مجلس الدفاع المشترك، والمجلس الاقتصادي كهيئات جديدة إلى جانب لجان وأجهزة الميثاق، وكان ذلك نتيجة لإنشاء لجنة الشؤون السياسية عام ١٩٤٦، ولإقرار "معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية" عام ١٩٥٠.

ويشير ذلك، بداية، إلى ملاحظة مهمّة، تتمثل في أن الميثاق الحالي، على رغم كل التحفظات الواردة عليه، لم يقف حائلاً دون إنشاء لجنة أو إقرار معاهدة، فقد نشأت ظاهرة "مؤتمرات القمة العربية"، من دون نص في الميثاق، وصارت بالتالي جزءاً من بنيان الجامعة، تتربّع على قمّة أجهزتها ومؤسساتها، قبل أن يجري قوننة هذا الوضع بإقرار "الملحق الخاص بالانعقاد الدوري لمجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة" في قمة عمّان ٢٠٠١. كما جرى تشكيل المجالس الوزارية، وإنشاء العديد من المنظمات العربية المتخصّصة، فهذه كلها أنماط من التعديلات التي لم تضاف إلى نص الميثاق، ونذكر منها.

أ ـ إنشاء هيئة مؤتمر القمة بالرغم من عدم زكرها في الميثاق:

لم يتعرّض ميثاق الجامعة إلى مؤتمر القمة كهيئة من هيئاته، ومع ذلك اجتمع الملوك والرؤساء والأمراء العرب لأول مرة في القاهرة عام ١٩٦٤ على مستوى القمة. واتخذت مؤتمرات القمة بعد ذلك العديد من القرارات، وهذه القرارات تتصف بطبعها

الإلزامي بالنسبة إلى كل الهيئات والمؤسسات التي تساهم في العمل العربي المشترك. وبهذه الصورة يمكن اعتبار مؤتمر القمة هيئة جديدة أُدرجت في إطار هيئات الجامعة، وأغنت هيكليتها، دون أن يتم إدخال هذا تعديل على ميثاق الجامعة.

ب ــ إنشاء لجنة للشؤون السياسية بالرغم من عدم ذكرها في الميثاق.

أنشأ ميثاق الجامعة في مادتيه "٢ و ٤" عدداً من اللجان الخاصة تعنى بقطاعات معينة، ولكنّه لم يتعرّض قط إلى لجنة باسم لجنة الشؤون السياسية، حيث تنصّ "المادة ٢" على ما يأتي: "الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها".

على الرغم من هذا ومنذ دخول الميثاق حيّز التنفيذ أُنشئت لجنة سياسية من وزراء خارجية الدول الأعضاء، تجتمع كلّما دعت الضرورة إلى ذلك. وقد أقرّها النظام الداخلي لمجلس الجامعة في دورته المنعقدة في نيسان/ أبريل ١٩٤٦ "المادة ١٨"، واجتمعت اللجنة لأول مرة في أبريل ١٩٤٦.

٣ ــ الحاجة إلى قوننة التصويت بالإجماع لعدم وضوح بنود الميثاق فيما يخصه:

منذ الحظات الأولى لعمل الجامعة ظهرت الحاجة لأسس أدق في مجال التصويت حيث إن ممارسة الدول العربية لحق التصويت، أوضحت عملياً أن هذا المجال كان مفتوحاً بشكل واسع، ومتنوع وقد تم التصويت في الكثير من الحالات حسب مقتضى الحال بشكل يتوافق حيناً، ويخرق ويتناقض طوراً مع نصوص الميثاق ومن تلك الحالات:

أ ـ خرق قاعدة الاجماع المطلوبة للموافقة على انـضمام الأعـضاء الجـدد إلـى الجامعة: تنص "المادة الأولى" من الميثاق على أن: "لكل دولة عربيـة مـستقلة الحق في أن تنضم إلى الجامعة، فإذا رغبت في الانضمام، قدّمت طلباً للإنضمام يودع لدى الأمانة العامة، ويعرض على مجلس الجامعة في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب"، أي أن الميثاق جعل "حق الانضمام مكفولاً"، وتوضح هذه الصياغة أن عدم وضوح الكثير من بنود الميثاق، ترك الباب مفتوحـاً للاجتهـاد، وهـذا ماجعل مجلس الجامعة يقرر قبول عضوية دولة الكويـت عـام ١٩٦١، بـدون موافقة العراق، مستنداً في ذلك إلى تفسير جديد للمادة الأولى من الميثاق، مؤداه أن الإجماع المطلوب لقبول عضو جديد، ليس هو إجماع الدول الأعـضاء فـي المجلس، وإنما هو إجماع "الدول الحاضرة في الجلسة والمشاركة في التصويت"، مما أدى إلى نشوء تقليد جديد غيرت بمقتضاه "قاعدة الإجماع" بخصوص قبـول عضو جديد، وتحولت تدريجياً إلى "قاعدة الأغلبية"، وتأكّد هذا الاتجـاه بمناسـبة قبول سلطنة عمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وجمهورية جـزر القمـر الاتحادية الإسلامية لاحقاً.

بً ـ خرق قاعدة الإجماع في حالة تعيين الأمناء العامين المـساعدين والمـوظفين الرئيسيين في الجامعة، واعتماد الأغلبية العادية بدلاً منها:

حيث لم تتضمن "المادة الثانية عشرة "من الميثاق أي قاعدة للتصويت بشأن تعيينـهم، وجاء نصها "يعيِّن مجلس الجامعة بأكثرية ثلثي دول الجامعة الأمين العام، ويعيِّن الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المـساعدين والمـوظفين الرئيـسين فـي الجامعة"، وهنا كان الترجيح باتجاه اعتماد قاعدة "الأغلبية العادية" وليست القاعدة العامة للتصويت أي الإجماع.

ج ـ خرق قاعدة الإجماع واعتماد الأغلبية بدلاً منها في مؤتمر القمة العربي ببغداد ١٩٧٨:

من المعروف أن هذا المؤتمر قد اتخذ مجموعة من القرارات تجاه مصر، لا سابقة لها على المستوى العربي. فمن الناحية النظرية البحتة كان المؤتمر أمام حال "دولة لا تقوم بواجبات الميثاق" وهي حال توجب الفصل وهذا ماسعت إليه سورية ودول جبهة الصمود والتصدي، ومع ذلك فإن المؤتمر قد "ابتكر" مفهوماً جديداً وطبقه وهو "تجميد عضوية مصر" واتخذ قراره هذا بالأغلبية وليس بالإجماع، ومرد ذلك محاولة بعض الدول العربية الوقوف إلى جانب مصر لتذويب الإجماع العربي.

د ـ اعتماد إجماع الدول الحاضرة في مؤتمر القمة العربي بعمان عام ١٩٨٠بدلاً من إجماع الدول الأعضاء:

يعد هذا المؤتمر من أهم مؤتمرات القمة بما صدر عنه من مقررات ووثائق، وبخاصة في المجال الاقتصادي، حتى سمي بالقمّة الاقتصادية. وقد قاطعت الاجتماع خمس دول عربية، ومع ذلك فقد اتخذ المؤتمر قرارات نافذة وملزمة للجميع، وقد استندت شرعية ذلك الاجتماع، وما صدر عنه من وثائق ومقرّرات، إلى توافر النصاب القانوني للاجتماع، وإلى صدور القرارات بإجماع الدول الحاضرة والمشاركة في التصويت.

هـ ـ اعتماد مبدأ الأغلبية بدلاً من الإجماع الحكمي في مؤتمر القمة العربي بالقاهرة عام ١٩٩٠ لأن مؤتمر القمة هنا كان يعالج حالة: "اعتداء وقع من دولة عربية عضو على دولة عربية عضو في الجامعة"، ويتطلّب "الإجماع حكماً" طبقاً لنص "المادة السادسة"، ولكن نظراً إلى أن المؤتمر لم يتخذ أي "تدابير" تجاه العراق، فقد كان من المنطقي أن يجري إعمال القاعدة العامة للتصويت الواردة في "المادة السابعة"، وأن يصدر القرار بالأغلبية حيث يصبح ملزماً، فقط لمن قبل به.

٤ ـ الحاجة إلى تطوير نظام التصويت بالأغلبية الوارد في نصوص النظام الداخلي للجامعة، والتمييز بين أغلبية الأعضاء وأغلبية الحاضرين:

إن النظام الداخلي لمجلس الجامعة تضمن اعتماد مبدأ الأغلبية العادية بدلاً من الإجماع في عدة حالات أخرى نذكر منها:

أ ـ ما تضمنته (المادة السادسة البند الثاني) التي حاولت توسيع مجالات تطبيق مبدأ الأغلبية العادية، بل واعتباره بمنزلة القاعدة العامة للتصويت حيث تنص، "يكون انعقاد المجلس صحيحاً إذا حضره مندوبو أغلبية الدول الأعضاء، ويتخذ قراراته بموافقة أغلبية الدول الأعضاء، ما لم يرد نص على خلاف ذلك في الميثاق وفي هذا النظام". نلاحظ هنا أن النص بأغلبية الدول الأعضاء.

ب ـ حول جواز نشر نصوص قرارات المجلس أو لجانه. تنص (المادة الثانية عشرة البند السابع): "لا يجوز إعلان أو نشر نصوص القرارات التي يتخذها المجلس أو لجانه إلا بموافقة أغلبية الدول الأعضاء". أيضاً منطوق النص هنا يشير إلى أغلبية الدول الأعضاء.

ج ـ حول كيفية وقف الجلسة أو تأجيلها أو تأجيل المناقشة أو إقفال باب المناقشة، نصّت (المادة الرابعة البند الأول): "لكل عضو أن يقترح أثناء مناقشة أي موضوع وقف الجلسة أو تأجيلها أو تأجيل المناقشة في الموضوع المطروح للبحث أو إقفال باب المناقشة، ولا تجوز مناقشة هذه الاقتراحات بل يطرحها الرئيس للتصويت بأغلبية الأعضاء الحاضرين إذ أثنى عليها عضو آخر". أما في هذه الحالة يشير النص إلى أغلبية الأعضاء الحاضرين.

د ـ حول جواز إعادة النظر في اقتراح سبق البت فيه، حيث تنصّ (المادة الرابعة عشرة البند الرابع) على ما يأتي: "لاتجوز إعادة النظر في اقتراح سبق البت فيه في الدورة نفسها ما لم يقرر المجلس خلاف ذلك بموافقة أغلبية الدول أعضاء". أيضاً منطوق النص هنا يشير إلى أغلبية الدول الأعضاء.

هـ ـ حول كيفية التصويت لتعديل النظم، نصّت (المادة العشرون البند الثالث) "باستثناء المواد المستندة إلى أحكام الميثاق، ومع مراعاة الإجراءات المشار إليها في الفقرتين السابقتين، يتمّ تعديل النظم بقرار يتخذه المجلس بموافقة أغلبية الدول الأعضاء". أيضاً منطوق النص هنا يشير إلى موافقة أغلبية الدول الأعضاء.

عمدت "لجنة تعديل ميثاق الجامعة" إلى دراسة أكثر من أربعة آلاف قرار صدرت عن مجلس الجامعة منذ عام ١٩٤٥ حتى العام ١٩٨١، فوجدت أن أكثر من ٨٠ % منها اتخذت بالإجماع، وأن تحفظّات بعض الدول كانت في معظمها على قرارات مالية وإدارية. ومع ذلك فإن القرارات التي اتخذت بالإجماع لم ينفذ معظمها...لماذا ؟ تتفق كل الدراسات هنا على سبب وحيد لعرقلة التكامل والوحدة وهو: غياب الإرادة السياسية، وغياب الاختيار الحر.

و ـ عقدة السيادة القطرية تقف خلف قاعدة الإجماع. إن حرص الدول العربية على قاعدة الإجماع يأتي تعبيراً عن السيادة، وهو ما يفتح الباب لمناقشة "سيادة" هذه الدول. حيث الأغلبية الساحقة منها تقبل أن تنتقص سيادتها لحساب القوى الخارجية. في حين أن القوى الخارجية صاحبة المصلحة في استمرار هيمنتها واستمرار التجزئة، تضغط لمنع زيادة صلاحيات المؤسسة القومية العربية، على الرغم من أن زيادة صلاحيات الجامعة على حساب السيادة القطرية، من شأنها أن تدعم الأطراف الأضعف والأكثر خضوعاً للضغوط الخارجية، وتساعد هذه

الأقطار على اتخاذ مواقف أكثر جرأة، معتمدة على قوة الجماعة ومواقف الأعضاء الأكثر قدرة على الحركة المستقلة.

٥ ـ المحاولات العربية لتطوير أجهزة الجامعة وميثاقها من خلال مؤتمرات القمة، والتناقض بين أنصار التوجه القومي، وأنصار التوجه القطري:

إن السعي إلى تطوير الجامعة بدأ منذ تأسيسها وقد مثل هذا السعي طريقاً وسطاً بين أنصار التوجه القومي، وأنصار التوجه القطري، أي أنه عبّر عن الحقيقتين القومية، والقطرية في آن واحد، فالأولى كانت الدافع إلى إيجاد إطار تنظيمي يعبّر عنها، ويفضي إلى تكثيف التفاعلات التعاونية بين الدول العربية، والثانية فرضت قيوداً على هذا الإطار كي لا يتجاوزها، أي الحقيقة القطرية، وتجلّى هذا في احترام ميثاق الجامعة لسيادة الدول الأعضاء، وهكذا أوجد الميثاق آليتين محتملتين لتطوير الجامعة"[٢٥]: الأولى: تتمثل في تعديل الميثاق ذاته، وذلك بإشارة "المادة التاسعة عشرة" منه إلى جواز تعديله بأغلبية الثلثين، لجعل الروابط بين الدول الأعضاء في الجامعة أمتن وأوثق، ولإنشاء محكمة عدل عربية. والثانية: تنصرف لإقامة روابط أوثق من تلك التي أوجدها ميثاق الجامعة بين دولتين أو أكثر من دولها، وذلك بموجب نص "المادة التاسعة" من الميثاق.

وقد لعبت مؤتمرات القمة العربية، دوراً مهماً في تطوير ميثاق الجامعة، بدءاً من مؤتمر القمة العربية الأول في القاهرة عام ١٩٦٤ الذي اتخذ قراراً بدورية انعقاد مؤتمرات القمة العربية سنوياً، وإن كان قد تعيّن على هذا القرار أن ينتظر ستة وثلاثين عاماً حتى يقر هذا المبدأ في ملحق مكمل للميثاق في مؤتمر قمة القاهرة عام ٢٠٠٠، وبين هاتين السنتين ــ أكثر من ثلث قرن ــ جرت محاولات عدة للتطوير من خلال القمم العربية يمكن تقسيمها على أربعة محاور رئيسة"[٢٦]:

أ ـ المحاولات العربية لتعديل ميثاق الجامعة نفسه.

إن المسألة الوحيدة التي تأتي في محل الإجماع في تفسير أزمة جامعة الدول العربية والعمل العربي المشترك هي غياب الإرادة السياسية، فلماذا تغيب الإرادة السياسية.؟

للإجابة على هذا السؤال ينبغي التأكيد أنه ليست هناك قضية تجسّد مأزق الإرادة السياسية العربية مثل قضية تعديل ميثاق الجامعة، بسبب مايوصف به من قصور"[٢٧]، وهو ذات الميثاق المعمول به في عام ١٩٤٥، أي منذ حوالي ستة عقود ونيّف، في ظلّ ظروف مختلفة عن الظروف الرّاهنة التي يعيشها النظام العربي. خصوصاً وأن مناقشات تعديل الميثاق منصبَّة على النصوص التي "غابت" في الأصل عن الميثاق الحالي، وفي مقدّمتها "هدف الوحدة العربية"، وعلى النصوص التي قيل أنها لم تعد تتّفق والتغييرات المتعلقة بالإطار التنظيمي للنظام العربي.

إن حماس الدول الأعضاء في الجامعة للتعديل كان يثور لفترة ثم يفتر لفترات. وتفسير ذلك يكمن في خشية بعض الدول الأعضاء في أن يفتح التعديل باباً لتحويل الجامعة لمنظمة أكثر فعالية، من جهة إلزامية القرارات، وفرض العقوبات، وتسوية المنازعات. وهذا هو بالفعل ماعمل على تحقيقه مشروع تعديل ميثاق الجامعة، الذي أعدّته لجنة من الخبراء العرب تحت إشراف الأمانة العامة، وجرى إعداد صياغة نهائية للمشروع تحت إشراف وزراء الخارجية العرب، ورفع المشروع مرّات عديدة إلى مؤتمر القمة العربية، الذي كان قد أوصى أصلاً بضرورة إعداد مشروع جديد"[٢٨].

لم تقصّر الدول العربية في طرح المبادرات لتطوير ميثاق الجامعة، وإذا كانت الحقيقة الأولى تقول أن تلك المبادرات ظلّت حبيسة أدراج الأمانة العامة للجامعة، فإن الحقيقة الثانية تؤكد أن تلك المبادرات كانت تعبيراً واضحاً عن توجهاتها السياسية وهو الوجه

الآخر للتعبير عن الحقيقتين القومية والقطرية، نذكر بعض تلك المبادرات حسب تسلسلها الزمني:

1ً ـ المشروعين السوريين:

طرحت سورية مشروعين أساسيين لتعديل الميثاق، أحدهما، في عام ١٩٤٨ باقتراح عدم توقيع أي دولة عربية لأي اتفاقية ترتب التزامات ذات طبيعة اقتصادية، أوسياسية، أو عسكرية، إلا بعد تصديق مجلس الجامعة على عدم تعارضها مع مصالح الجامعة، أو أحد أعضائها. والثاني، بعد ذلك بثلاث سنوات، يعرض فكرة إقامة كيان اتحادي يراعى فيه اختلاف الوزن الديموغرافي للدول الأعضاء من خلال ما يعرف بالصوت الموزون أو المرجح.

2ً ـ المشروع المغربي:

بادرت المغرب فور انضمامها إلى الجامعة عام ١٩٥٨ لطرح مشروعاً يناقض المشروع السوري، يدعو لالتزام الواقعية في إصلاح الجامعة وعدم اعتماد النصوص فوق القومية.

3ً ـ المشروع الجزائري:

بادرت الجزائر في الفترة نفسها تقريباً إلى طرح مشروع إنشاء لجنة للوساطة والتوفيق والتحكيم لتطوير الأداء القانوني للجامعة.

4ً ـ المشروع العراقي:

أما العراق فقد بادر في مطلع الستينيات لطرح مشروع يقضي برفع مستوى التمثيل في اجتماعات مجلس الجامعة إلى مستوى وزراء الخارجية.

هـ ـ مشروع الأمانة العامة:

الأمانة العامة من جهتها تقدمت بمشروع في العام ١٩٨٢، لتطوير الميثاق والذي نال عقداً كاملاً من الزمن للدراسة والتدقيق ولم يؤدي إلى نتيجة تذكر لأن عرضه تزامن مع عودة مصر إلى عضوية الجامعة فاعترضت عليه.

5ً ـ المشروع المصري:

المشروع المصر عام ١٩٩٠ المضاد لمشروع الأمانة لعام ١٩٨٢. الذي طرحت فيه مصر أن يجري الاعتماد على إضافة الملاحق، بدلاً من تعديل الميثاق. وفي وقت لاحق من العام نفسه أقدمت مصر على تفصيل مشروعها، وبيّنت على وجه التحديد الموضوعات التي تحتاج إلى ملاحق خاصة بها، من مؤتمرات القمة، وتسوية النزاعات، والتصويت، ومجلس الشورى القومي والتجمعّات الإقليمية.

6ً ـ مشاريع الأمانة العامة لتحسين أداء الجامعة:

أما الأمانة العامة للجامعة فقد تبنت مشروع عام ١٩٥٤، الذي يتضمن اقتراح إنشاء جمعية شعبية، وإعمال قاعدة الأغلبية بالتصويت. ومشروع آخر عام ١٩٥٦، طالبت فيه بتقنين وضع اللجنة السياسية، وانعقادها بصفة دورية "ربع سنوية" وكلّما دعت الحاجة على شكل مجلس لوزراء الخارجية. والمشروعان اللذان تقدّمت بهما في غضون السنوات الخمس التالية واللذان استهدفا تحسين أداء الجامعة في مجال الضمان الجماعي سواء عبر الوسائل القانونية (إلزامية التحكيم وإحياء فكرة محكمة العدل العربية) أو عبر الوسائل العسكرية (إقامة إدارة الشؤون العسكرية، وتحويل اللجنة العسكرية الدائمة لهيئة تخطيط مشترك...). ومشروع قرار قدم لمؤتمر القمة العربي السابع في الرباط عام ١٩٧٤، والتي وافقت على تعديل الميثاق، وأُلفت لجنة رباعية من وزراء خارجية سورية والكويت ومصر والمغرب، لمتابعة البحوث والدراسات الخاصة بالموضوع، وإعداد تقرير عن أعمال الجامعة، وخطّة تطويرها، وعرض الموضوع على مؤتمر القمة الثامن، وهو ما لم يحدث حيث ركّز مؤتمر القمة المذكور والذي عقد بالقاهرة عام ١٩٧٦، على الحرب الأهلية اللبنانية.

عادت الإشارة إلى التعديل في مؤتمر القمة العاشر الذي انعقد في تونس في عام ١٩٧٩ في أعقاب القطيعة المصرية ــ العربية، والذي قرّر "الإسراع بتعديل ميثاق

الجامعة العربية في اتجاه تقوية العمل العربي المشترك، والعمل على إعادة بناء أجهزتها على أسس جديدة تكفل الفعالية والقدرة على التحرك، بما يخدم تنمية القدرة العربية الذاتية، ويؤدي إلى تحقيق الوحدة العربية" وهو مايعني أن قرار قمة الرباط في عام ١٩٧٤ لم ينفّذ، وغاب الحديث تماماً عن اللجنة الرباعية. وفي عام ١٩٨٢ قرّر مؤتمر القمة الثاني عشر، الذي عقد في فاس، تشكيل لجنة سداسية من وزراء خارجية كل من تونس والجزائر والسعودية وسورية والعراق والمغرب، لدراسة مشروع تعديل الميثاق والأنظمة المتصلة به، وإيجاد الصيّغ التوفيقية الملائمة للأحكام التي تتطلب ذلك، على أن ترفع مشاريع تعديل الميثاق والأنظمة المشار إليها، إلى مؤتمر القمة الثالث عشر العادي، الذي كان مقرّراً عقده في السعودية. ومن المؤسف أن هذا المؤتمر لم ينعقد إلا في آذار/ مارس ٢٠٠١ في عمّان، لأن كافة المؤتمرات التي عقدت بعد عام ١٩٨٢ في ١٩٨٥ و١٩٨٧ و١٩٨٨ و١٩٨٩ و١٩٩٠ (مرتين) و١٩٩٦ و٢٠٠٠ ، كلها كانت استثنائية.

استعرض مؤتمر القمة العربية في الدار البيضاء عام ١٩٨٩ مشروع تعديل الميثاق وقرر: إعادة النظر فيه "حتى يأتي التعديل مستشرفاً آفاقاً جديدة، ومرسّخاً شمولية دور الجامعة في العمل العربي المشترك ودفع مسيرته".

وكان مؤتمر القمة في عام ١٩٩٠ هو آخر قمة أشارت إلى قضية تعديل الميثاق بطلبها من وزراء الخارجية العرب "إتمام الإجراءات المتعلقة بتعديل ميثاق الجامعة، ورفع توصياتهم إلى مؤتمر القمة القادم في القاهرة". وقد عقد المؤتمر في القاهرة بالفعل، ولكن في ١٢ آب/ أغسطس ١٩٩٠ مبكراً عن موعده، لمواجهة تداعيات غزو العراق للكويت، وانتهت بذلك الإشارات الصريحة من قبل مؤتمرات القمّة العربية إلى تعديل الميثاق" [٢٩].

ب ــ المحاولات العربية لإنشاء مؤسسات جديدة:

كانت هناك محاولات عربية لإنشاء مؤسسات جديدة، سواءً نص عليها الميثاق أم لم ينص، وسواء كانت جزئية أم كلية. وفي هذا الصدد يمكننا رصد محاولات القمة لإنشاء محكمة عدل عربية، وآلية لتسوية المنازعات بين الدول العربية والوقاية منها وغيرها الكثير من المحاولات...

ج ــ المحاولات العربية لتطوير الأمانة العامة للجامعة:

لقد ارتبط تطوير الأمانة العامة عبر مؤتمرات القمة بتعديل الميثاق، فقد سبقت الإشارة إلى أن قمة الرباط في عام ١٩٧٤ كلّفت اللجنة الرباعية التي شكلتها بإعداد تقرير عن تطوير الجامعة، يعرض على مؤتمر القمة العربي الثامن ــ وهو ما لم يحدث ــ كما أن قمة تونس في عام ١٩٧٩ قد طالبت بالعمل على إعادة بناء أجهزة الجامعة على أسس جديدة تكفل الفعالية والقدرة على التحرك. ثم أشارت قمّة الدار البيضاء في عام ١٩٨٩ في بيانها الختامي إلى "ضرورة تطوير التنظيم الإداري والهيكلي للجامعة"، دون أن تتحدث عن تكليفات محددة بهذا الخصوص، ولم تحدث بعد ذلك أي إشارة إلى التطوير الإداري والهيكلي للجامعة إلا في قمة عمان عام ٢٠٠١، على نحو ما سيجيء لاحقاً" (٣٠).

د ــ المحاولات العربية لتطوير المنظمات العربية المتخصصة القائمة:

لقد أُثير موضوع تطوير المنظمات العربية المتخصصة مرّة واحدة في قمة عمان ١٩٨٧، في ضوء امتناع عدد من الدول العربية عن سداد أنصبتها في ميزانيات هذه المنظمات، وانسحاب عدد آخر من عضويتها"(٣١). فقرّرت قمّة عمّان في هذا الصدد المبادرة إلى تسديد المساهمات المالية في موازنات المنظمات والمجالس الوزارية العربية المتخصصة لسنة ١٩٨٧، وأن تسدّد كامل الحصص والموازنات المذكورة

خلال الربع الأول من كل سنة، وإيقاف الانسحاب من المنظمات، في انتظار نتائج اللجنة الوزارية الثمانية المشكلة حسب قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي في ٣١ /١٠ /١٩٨٦. ودعوة مجلس الجامعة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي إلى البت بالسّرعة اللازمة في التقرير النهائي لهذه اللجنة، باعتبارها مكلفة بدراسة أوضاع المنظمات والمجالس الوزارية العربية المتخصصة، وتقييم أدائها، ووضع التصور النهائي للتنظيم الهيكلي لهذه المنظمات والمجالس، والمهام المنوطة بها، واتخاذ القرارات المناسبة، وتنفيذاً للقرار السابق أصدر المجلس الاقتصادي والاجتماعي قراراً في عام ١٩٨٨، كان توجهه العام هو تقليص عدد المنظمات القائمة، وعدم إنشاء منظمات جديدة.

هـ - المحاولات العربية لاستحداث منظمات عربية متخصصة جديدة:

ترك ميثاق الجامعة للأمين العام الحرية في استحداث ما يراه مناسباً منها لتدعيم العمل العربي المشترك. كونه لم يذكر: "أي الميثاق" أية مؤسسات أخرى للجامعة بخلاف الأمانة العامة، وبعد انقضاء ستة عقود على تأسيس الجامعة أصبح هناك مايزيد على عشرين منظمة متخصّصة، كان الغرض منها تلافي العيوب الأساس في أداء الجامعة: الطابع السياسي لنشاط الجامعة، والخصومات السياسية العربية.

فلاشكّ في أن المنظمات العربية المتخصّصة قد أثّرت هي الأخرى في الإطار القانوني للجامعة. فقد اعترفت المواثيق المنشئة لهذه المنظمات، بصورة أو بأخرى، بمبدأ الترابط في الجامعة. وجاء تعديل (المادة الثامنة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي) ليضبط مدى هذا الترابط، ويحدد مقتضياته. ويمكن القول بصفة عامة إن إقامة المنظمات العربية المتخصّصة تشكّل عنصراً جديداً ومهماً أدخل على ميثاق الجامعة، من دون تعديل مكتوب، فأثّر في بناء هيكليتها الداخلية، وفي كيفية قيامها بنشاطها"[٣٢].

و ـ المحاولات العربية لإقامة المجالس الوزارية العربية المتخصصة:

تم إنشاء العديد من المجالس الوزارية العربية المتخصّصة، وهي الأخرى لا تتمتع بكيان دستوري ولم يشر إليها الميثاق، لكنها قامت وتعمل في إطار الجامعة على تحقيق التعاون والتكامل بين الدول العربية، ولكل من هذه المجالس أمانة فنية تعمل داخل الأمانة العامة للجامعة. وظاهرة المجالس الوزارية المتخصصة تثري هيكلية الجامعة، وتُدْخل على أسس وقواعد العمل العربي المشترك معطيات جديدة، تسمح بالقول إن الجامعة تخضع في الواقع إلى ميثاقين: ميثاق ١٩٤٥ الرسمي، وميثاق فعلي وليد مقتضيات العمل العربي المشترك. ومهما يكن من أمر فإن ميثاق ١٩٤٥ لا يحدد وحده نشاطات جامعة الدول العربية ولايقيد عملها.

ز ـ المحاولات العربية لتطوير نظام التسوية السلمية للمنازعات بين الأطراف العربية.

لقد كان نص "المادة الخامسة" من ميثاق الجامعة واضح وصريح لجهة تسوية المنازعات العربية بالطرق السلمية حيث نصت: "لايجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة. فإذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها، ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذاً وملزماً. وفي هذه الحالة لايكون للدول التي وقع بينها الخلاف، الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته"[٣٣]. ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أي دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما. وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء".

نصٌ آخر حول تسوية المنازعات بالطرق السلمية ورد في "المادة الأولى" من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة والتي أتت كإضافة إلى الميثاق

كون المعاهدة وقعت عام ١٩٥٠ كما أسلفنا، تنص المادة المذكورة على: "تؤكد الدول المتعاقدة حرصاً منها على دوام الأمن والسلام واستقرارهما عزمها على فض جميع منازعاتها بالطرق السلمية، سواء في علاقاتها المتبادلة فيما بينها أو علاقاتها مع الدول الأخرى". ويُضاف إلى ما سبق أن نظام الجامعة بشأن التسوية السلمية للمنازعات يكتمل بما جاء في ميثاق الأمم المتحدة، التي تتمتع بعضويتها في الوقت ذاته جميع الدول العربية الأعضاء في الجامعة. ويتضّح ذلك فيما تضمنه ميثاق الأمم المتحدة في (المواد ٣٣ و٥٢) من تأكيد دور الوكالات والتنظيمات الإقليمية في مجال التسوية السلمية للمنازعات بين أطرافها.

ح ـ واقع محدودية الدور القانوني في نظام تسوية المنازعات العربية الوارد في الميثاق، ومحاولة تطويره:

إن الدراسة القانونية الواقعية لنظام التسوية السلمية للمنازعات العربية كما يتضمنه الميثاق الحالي، تنتهي إلى القول بأن دور الجامعة في مجال التسوية السلمية للمنازعات هو دور "محدود من الناحية القانونية"، و "غير فعال من الناحية الواقعية"، وذلك لعدة اعتبارات :

- أولهما: إن الميثاق حصر اختصاص مجلس الجامعة كسلطة تحكيم في أضيق الحدود. فلم يخصه بالنظر بالمنازعات المتعلقة باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها، وهذا ما جعل اختصاصه متوقفاً عند حد المنازعات ذات الصبغة القانونية، كما لا يعتبر اختصاص المجلس فاعلاً في مثل هذا النوع من المنازعات إلا إذا وافق عليه جميع أطراف النزاع.
- ثانيهما: أن ميثاق الجامعة لم يشر فيما يتعلق بالوسائل السلمية لتسوية المنازعات، إلا إلى وسيلتين فقط هما الوساطة والتحكيم.

ـ وثالثها: إن ما ينطبق على التحكيم ينطبق على الوساطة، فليس واضحاً إذا كانت وساطة المجلس في أي نزاع، يخشى منه وقوع حرب بين دولتين من دول الجامعة، هي وساطة ملزمة يتعين على المجلس مباشرتها برضى الأطراف المعنية أو من دونه.

إن وجود العديد من القيود، ونقاط الضعف، والفقر في النصوص القانونية في منظومة التسوية السلمية للمنازعات في ميثاق الجامعة، أدى إلى ضعف دورها في الحالات الفعلية التي اعترضتها. ففي الخلاف الذي نشب بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان في عام ١٩٥٨ لم يجتمع مجلس الجامعة إلا بعد عشرة أيام من وصول شكوى الأمين العام للجامعة في ٢١ / ٥ / ١٩٥٨، بينما اجتمع مجلس الأمن بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من إبلاغه بالأزمة. وفي حالة الحرب الأهلية اللبنانية، التي بدأت في عام ١٩٧٥ لم تستطع دبلوماسية الجامعة على مستوى القمة أن تتصدى لمعالجتها إلا بعد مرور ثمانية عشر شهراً من نشوبها" (٣٤).

كما اتّسم دور الجامعة باللامبالاة والسلبية إزاء بعض المنازعات العربية التي عرضت على الجامعة، كحالة المذكرة المقدمة من السودان إلى الأمانة العامة للجامعة بشأن الأزمة التي نشبت بينه وبين مصر في عام ١٩٥٨، إذ لم تجد الأمانة العامة من المناسب دعوة المجلس إلى الانعقاد، ولم تتحرك أي دولة من الدول الأعضاء لدعوته. كما اتسم دور الجامعة بالرفض في حالات أخرى مثل حالة رفض لبنان قرار مجلس الجامعة الصادر في ٦/٤ /١٩٥٨، والخاص بتشكيل لجنة وساطة عربية لحلّ الأزمة، ورفض المغرب وساطة الجامعة في نزاعها مع الجزائر في عام ١٩٦٣، وتفضيل الطرفين اللجوء إلى مجلس وزراء منظمة الوحدة الأفريقية.

أما الدور الإيجابي فلا بد من ذكر بعض الحالات التي حققت فيها الجامعة نجاحاً في فض المنازعات، مثل النزاع العراقي ـ الكويتي عام ١٩٦١ الذي يُشار إليه في

معرض التدليل على الدور الإيجابي للجامعة العربية في مجال تسوية المنازعات سلمياً. والذي استحدثت فيه الجامعة أسلوب الفصل أو العزل بين القوات المتنازعة من خلال إرسال قوات أمن عربية مشتركة تعمل تحت راية الجامعة، للفصل بين العراق والكويت، وفي الحرب الأهلية اللبنانية أرسلت ماعرف بـ (قوات الردع العربية) منذ عام ١٩٧٦. وكذلك في الحرب الأهلية في اليمن عام ١٩٦٢. وفي النزاع بين اليمنين ١٩٧١، وأزمة عام ١٩٧٠ بين المقاومة الفلسطينية، والسلطة في الأردن"[٣٥].

نستنتج مما سبق أن تطور الجامعة لم يخضع لنصوص الميثاق بل تم إدخال تعديلات شفهية أملتها حاجة الأطراف العربية واستمر الأمر على هذا النحو حتى ٢٦ / ٢ / ٢٠٠٠، حين تم إدخال تعديل مهم على الميثاق تضمن إنشاء آلية تسمى "آلية جامعة الدول العربية للوقاية من النزاعات وإدارتها وتسويتها"، تعمل تحت إشراف مجلس الجامعة، وفى إطار مباشرته لمهام التسوية السلمية للمنازعات ووفقاً لتوجيهاته.

خامساً - الجامعة ومشروع تعديل الميثاق بين عامي (١٩٧٩-١٩٩٠)

١ ـ ظروف إعداد مشروع التعديل:

في ظلّ "المناخ الثوري" المعادي لاتفاقيات كامب ديفيد و "معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية"، سنحت الفرصة للعرب لإعادة تقييم ميثاق الجامعة بهدف تعديله وتلافي أوجه النقص فيه، وساهم في ذلك قرار نقل مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس، فعاد المشروع المتكامل لتعديل الميثاق والذي كان مطروحاً بالاستناد إلى نص المادة التاسعة عشر من نص الميثاق:"يجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق".

فأصدر مجلس الجامعة قراره رقم ٣٨٤٣ بتاريخ ٢٨ حزيران/ يونيو ١٩٧٩، بشأن تعزيز العمل العربي المشترك، وتطوير أجهزة الجامعة وتعديل الميثاق جاء فيه: "إن

أعضاء جامعة الدول العربية اتفقوا على تعديل ميثاق جامعة الدول الغربية وفق أحكام المادة ١٩ من ميثاقها، وذلك تعزيزاً للعمل العربي المشترك، وتطويراً لأجهزة الجامعة وأساليب عملها، يقرّر المجلس الطلب إلى الدول الأعضاء لكي توافي الأمانة العامة، خلال شهرين من تاريخ هذا القرار، بمقترحاتها حول هذا الموضوع، بما في ذلك آراؤها ومقترحاتها حول تعديل الميثاق والنظم الداخلية، على أن يقدّم الأمين العام للمجلس، في دور انعقاده العادي في آذار/ مارس ١٩٨٠، دراسة شاملة حول هذا الموضوع.

وفي ٢٢ تشرين الثاني / اكتوبر ١٩٧٩ أصدر موتمر القمة العاشر بتونس قراراً متضمناً: "الإسراع بتعديل ميثاق الجامعة، باتجاه تقوية العمل العربي المشترك، والعمل على إعادة بناء أجهزة الجامعة على أسس جديدة تكفل الفعالية والقدرة على التحرّك، بما يخدم تنمية القدرة العربية الذاتية، ويؤول إلى تحقيق الوحدة العربية"[٣٦].

ثم اتّخذت الدعوة لتعديل الميثاق شكلاً مؤسساتياً اعتباراً من عام ١٩٨٠ عندما أصدر مجلس الجامعة القرار رقم ٣٩٣١ بتاريخ ٢٦ /٣ /١٩٨٠ بتشكيل "اللجنة العامة" التي "تضم ممثلين عن جميع الدول الأعضاء من ذوي الاختصاص لدراسة مشاريع تعديل الميثاق والنظام الأساس لمحكمة العدل العربية، والأنظمة الداخلية.

كذلك فإن الأمانة العامة شكّلت فريقاً من كبار الخبراء العرب تولّى دراسة كل التصورات والتعديلات التي كانت تتقدم بها بعض الدول العربية، لإعداد صيغ توفيقية لها، وتسهيل عمل "اللجنة العامة". وقد عقدت هذه اللجنة العامة ٣٥ جلسة طوال عام ١٩٨٢، اعتمدت بعدها نص "مشروع تعديل الميثاق"، وتركت أمر البت ببعض البنود لمؤتمر القمة وهذه البنود هي: (مطلع ديباجة تعديل الميثاق، انتخاب الأمين العام للجامعة، تسوية النزاعات في إطار الجامعة، موعد الدورة العادية الثانية لمجلس وزراء الخارجية، تسمية المجلس المهتم بالعمل الاقتصادي والاجتماعي، لجنة تسوية

النزاعات، الانسحاب من الجامعة، استعمال الإجماع في التصويت، نفاذ تعديل ميثاق الجامعة).

٢ ـ تشكيل لجنة سداسية لإيجاد صيغة توافقية لمشروع التعديل:

في ٩ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢، أصدر مؤتمر القمة الثاني عشر بمدينة فاس المغربية، بعد عرض مشروع تعديل الميثاق عليه قراراً "بأن تتولى لجنة مؤلفة من وزراء خارجية ست دول أعضاء هي: تونس، والجزائر، والسعودية، وسورية، والعراق، والمغرب، إيجاد الصيغ التوفيقية لأحكام التعديل التي تتطلّب ذلك"[٣٧].

ومن الجدير بالذكر أن السبب الحقيقي لتشكيل اللجنة يعود إلى التحفظ الذي أبداه الوفد السوري حول إمكانية اعتماد قاعدة الأغلبية في التصويت، حيث أشار، صراحةً، إلى أن وضع تلك القاعدة يستهدف في حقيقة الأمر إلغاء قرار قمة بغداد بشأن "تجميد عضوية مصر في جامعة الدول العربية"، والالتفاف عليه بهدف إعادة مصر إلى الجامعة... من دون قاعدة الإجماع. ولاشكّ في أن ذلك الموقف السوري كان يعي جيداً أن مؤتمر قمة بغداد عام ١٩٧٨، كان يعبّر عن "لحظة استثنائية" على الساحة العربية الرسمية، وأن القرارات التي اتخذها كانت تتجاوز بكثير حقيقة المواقف والعلاقات العربية. فضلاً عن أن تلك القرارات لم تصدر أصلاً بالإجماع. ولايفوتنا أن الصياغة الأصلية لهذا القرار الذي ينصّ على "تجميد عضوية مصر في الجامعة" لم يستند إلى أي نص قانوني في الميثاق، حيث النص الصريح للمادة الثامنة عشرة يقول بالفصل، ولايوجد في الميثاق مايسمى تجميد العضوية.

فقد تضمّن الميثاق أحكاماً بخصوص حالتي "الانسحاب" و "الفصل" فقط، حيث تنصّ "المادة الثامنة عشرة على ما يأتي: "إذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة. ولمجلس الجامعة أن يعتبر أي

دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول عدا الدولة المشار إليها".

ومعنى ذلك أن الميثاق لا يتضمّن أصلاً، أي نص بشأن "حال تجميد عضوية دولة معينة"، وبالتالي فإن القرار الذي اتخذته قمة بغداد يخرج من نطاق أحكام الميثاق والقانون، ويدخل في باب السياسة. كان الهدف منه إيجاد صيغة أقل من الفصل، فمن حيث التطبيق، كان القرار الأصلي الذي قدم إلى مؤتمر قمة بغداد، مستنداً إلى نص (المادة ١٨) صراحة، حيث يربط السبب بالنتيجة، ويقرر بالتالي ما يأتي: "تفصل مصر من عضوية جامعة الدول العربية، إلى حين إلغاء اتفاقيات كامب ديفيد"، وبالتالي إلغاء المعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية التي ترتبت عليها والتي وقعت في ٢٦/ ٣/ ١٩٧٩. وتم تكليف وزراء الخارجية بتنفيذ هذا القرار إذا وقعت مصر على تلك المعاهدة.

وتكشف محاضر مباحثات قمة بغداد عام ١٩٧٨، أن هذا القرار الأصلي الخاص بفصل مصر من الجامعة خضع لمداولات وتغييرات مثيرة. فقد طالب أحد الملوك العرب بتعديل ذلك النص الواضح المحدد، الذي يربط السبب الواضح بالنتيجة الواضحة، بنص آخر يعدل بموجبه السبب والنتيجة معاً. فبدلاً من "فصل مصر" طالب بأن يعدل النص ليصبح "تجميد عضوية مصر"، لأن كلمة "الفصل" ثقيلة الوقع في إطار النظام العربي، وإنها قد تشكل صدمة "لأهلنا" في مصر.

وبدلاً من عبارة "إلى حين إلغاء اتفاقيات كامب ديفيد والمعاهدة التي ترتبت عليها"، طالب بنص آخر أكثر عمومية ينص على "استمرار تجميد عضوية مصر في الجامعة إلى حين تغير الظروف السياسية التي اقتضت ذلك" وتم بالفعل إقرار هذه الصياغة، بموافقة إجماعية من "القادة العرب" الذين شاركوا في القمة، ولذلك عادت مصر إلى الجامعة لاحقاً ومعها اتفاقيات كامب ديفيد، ومعاهدة "السلام".

عقدت "اللجنة الوزارية السداسية" عدة اجتماعات، خلال عامي ١٩٨٣ و١٩٨٤، لمتابعة درس الموضوع، والتقدم باقتراحات عملية في شأن المسائل التي لم يحصل حولها اتفاق. وقد توصّلت اللجنة إلى الاتفاق حول معظم المسائل، كتسوية النزاعات العربية، وتنظيم الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، وعلاقة الجامعة بالمنظمات العربية المتخصّصة. وتركت مسألتين لينظر فيهما مجلس وزراء الخارجية التمهيدي لمؤتمر القمة الثالث عشر هما:

ـ الأولى: تحديد مجالات الولاية الإلزامية لمحكمة العدل العربية.

ـ والثانية: مجالات تطبيق قاعدة الإجماع عند التصويت.

وفي ٢٦ أيار / مايو ١٩٨٩، قرر مؤتمر القمة العربي غير العادي بالدار البيضاء: "إعادة النظر في مشروع تعديل الميثاق وملحقاته حتى يأتي هذا التعديل مستشرفاً آفاقاً جديدة، ومرسخاً شمولية دور الجامعة في العمل العربي المشترك ودفع مسيرته"(٣٨). كما قرّر إضافة مصر إلى عضوية اللجنة السداسية، لتصبح سباعية، بعد إقرار عودتها إلى الجامعة بنفس القمة.

ومن الجدير بالذكر أن المشروع لم يعرض أصلاً على ذلك المؤتمر، ولا على أي لجنة من لجانه، ولكن إصرار "الأمانة العامة" على إثارة الانتباه حول مشروع تعديل الميثاق، من خلال القيام بلوبي ناشط، كان وراء هذه الإضافة، وإدخال "المشروع" في حيز اهتمام المؤتمر. وتعود محاولة الأمانة العامة تمرير مشروع تعديل الميثاق إلى ثلاثة اعتبارات أساسية:

ـ أولها : الاستفادة من المناخ الإيجابي الذي ساد المؤتمر، نسبياً بالمقارنة مع السنوات السابقة.

ـ ثانيها: تبلور "ظاهرة التجمعات الإقليمية العربية"، في مشرق الوطن العربي وفي مغربه. وفي تلك الفترة بالذات، حيث ظهر "مجلس التعاون العربي" و "اتحاد دول المغرب العربي" و"مجلس التعاون لدول الخليج العربية"، وقد فُتِح الباب فعلياً لإمكانية بحث العلاقة بين الجامعة وهذه التجمعات الإقليمية، ومحاولة وضع نصوص بشأنها في مشروع تعديل الميثاق. والأهم أنه حرّك مخاوف الأمانة العامة أن تفلت الأمور من زمامها العربي المؤسسي العام لمصلحة العربي الفرعي.

ـ ثالثها: محاولة استباق عودة مصر إلى لعب دورها الطبيعي في الجامعة، بميثاق جديد لا ينصّ على أن القاهرة هي مقرّ الجامعة الدائم، مما يخلق مساواة في السباق بين الطامحين إلى استضافة الجامعة بشكل دائم، بعد أن صار الطلب المصري بعودة الجامعة إلى القاهرة على الأبواب.

٣ ـ مقترح تبديل تعديل الميثاق بإضافة ملاحق:

إن عودة مصر إلى الجامعة، في مؤتمر قمة الدار البيضاء نفسه عام ١٩٨٩، شكّل ضربة مباشرة لمشروع تعديل الميثاق. ففي ١١ /١ /١٩٩٠، تقدّمت مصر رسمياً بجملة من المقترحات حول منهجية تعديل ميثاق الجامعة وأحكامه، تدور حول الإبقاء على الميثاق الحالي بنصوصه نفسها، وإضافة "ملاحق" بالتعديلات المطلوبة، مثل تقنين مؤتمرات الجامعة، ومحكمة العدل العربية، والعلاقة بين الجامعة والتجمعات الإقليمية العربية. وكان رأي مصر أن "المطلوب هو تطوير ميثاق جامعة الدول العربية، وليس تعديله أو صياغة ميثاق جديد، وذلك بعدم إدخال أي تعديلات على الميثاق الحالي، على أن تضاف إليه ملاحق تستوعب التطورات والتغيرات التي طرأت على العمل العربي المشترك، وتكون هذه الملاحق قادرة في الوقت نفسه على

استيعاب أي تغيرات أو تطورات تطرأ مستقبلاً على النظامين العربي والدولي". وتقدّمت مصر بملحق خاص للميثاق يتضمن محورين:

ـ الأول حول: التعاون الإقليمي العربي في المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، ويتضمّن ٢٤ مادة.

ـ الثاني حول: النظام الأساس لمحكمة العدل العربية. والحقيقة إن هذه الضربة المصرية المباشرة لمشروع تعديل الميثاق، والانتقال من مبدأ التعديل إلى مبدأ الملاحق، كانت تعود إلى عاملين أساسيين: العامل الأول: ذو طابع ظرفي وتكتيكي، كان يتصل بقضية مقرّ الجامعة، على اعتبار أن عودة مصر إلى الجامعة عبر مؤتمر الدار البيضاء"(٣٩)، لم تشر لامن قريب ولا من بعيد إلى مسألة المقرّ، وإلى مسألة عودة الأمانة العامة إلى القاهرة تحديداً، كذلك فإن تونس كانت قد طالبت "اللجنة السداسية" صراحة بالنص في صلب مشروع تعديل الميثاق على "اعتبار تونس مقرّاً دائماً للجامعة"، ما دامت سنوات عديدة مرّت، ومصر تعلن كل يوم أنها ملتزمة بمعاهدتها مع إسرائيل، وليس في الأفق ما يشير إلى إمكانية تغيير ذلك.

وقد لجأت اللجنة، كحل وسط، إلى إضافة بند: "تحديد مكان المقر الدائم للجامعة" إلى اختصاصات مؤتمر القمة، ضمن مشروع التعديل الذي كان معروضاً على مؤتمر الدار البيضاء. وبالتالي فإن اتجاه مصر إلى الحفاظ على الميثاق الحالي بنصوصه نفسها، والاقتصار على إضافة ملاحق عند الاقتضاء، كان يهدف إلى إغلاق الباب أمام أي احتمالات لمناقشة مسألة مقرّ الجامعة، المنصوص عليها صراحة في المادة العاشرة من الميثاق "تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية".. وكان مفهوماً من وجهة النظر المصرية أن أحداً لن يجازف باقتراح إضافة ملحق مستقل بتغيير هذه المادة، بينما في حال مناقشتها في إطار مشروع التعديل الشامل للميثاق يصبح الحرج

أقلّ حدة لأنها تناقش ضمن صلاحيات القمة التي تشتمل على: "تحديد المقر الدائم للجامعة"، فكان بقاء الميثاق وإضافة ملاحق، يكفل لمصر معالجة قضية المقر بشكل حاسم لمصلحتها، وبالفعل فقد حسم بقرار مجلس الجامعة في آذار/ مارس عام ١٩٩٠، بعودة الأمانة العامة إلى المقرّ الدائم بالقاهرة.

إذا كانت عودة الأمانة العامة إلى القاهرة، قد عالجت العامل الظرفي التكتيكي في مخاوف مصر، إلا أنها لم تعالج العامل الثاني الذي هو ذو طابع استراتيجي ـ إيديولوجي، متعلق بالنصوص الخاصة بالأهداف والمبادئ، بخاصة وأنها ـ أي النصوص ـ قد وضعت في ظل "المناخ الثوري" الذي ساد المنطقة العربية في أعقاب المعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية، والذي أعاد إلى الأذهان صياغات الستينيات لقضايا الوحدة، والحرية، وبصورة أكثر تشدداً في بعض الحالات. وتكفي هنا الإشارة إلى ثلاثة من تلك الأهداف والمبادئ التي اعترضت مصر عليها:

ـ الأول: يتصل بقضية فلسطين، ومكافحة الصهيونية بصفة خاصّة، وبمكافحة الاستعمار الغربي بكل أشكاله، في حين ترتبط مصر مع إسرائيل بمعاهدة "سلام"، ومع الغرب بعلاقات "استراتيجية".

ـ الثاني: يتصل بقضية الوحدة العربية، لقد هدفت مصر إلى تلافي الجدل حول جعل الميثاق "أكثر قومية"، حسب ما جاء في مشروع التعديل وأهدافه، والتي بنظرها لم تعد متلائمة مع القيم السياسية التي ترسخت في النظام العربي منذ أواخر الثمانينات، ومع التوجهات الدولية السائدة والمؤثرة على الصعيد العربي، وهو ما يمكنها من إنهاء الإشكالية التي ظهرت بين الأهداف "القومية" من جهة، والنصوص "القطرية" من جهة أخرى. مما يعني اعتماد الميثاق الحالي كسقف قومي للتعاون العربي"(٤٠).

الثالث: النص على التزام الدول الأعضاء بعدم انتهاج أي سياسة تضر بالمصلحة العربية المشتركة، وتتعارض مع أهداف الجامعة ومبادئها، وهذا النص مرتبط بالأساسن الأول والثاني.

وتجدر الإشارة أن بعض الدول العربية لم توافق، على هذه المنهجية التي اقترحتها مصر، فقد تقدّمت قطر بمذكرة إلى الأمانة العامة للجامعة في ١٢ /٥ /١٩٩٠، أشارت فيها أن هذه المنهجية المقترحة من مصر كانت خليقة بالاتباع منذ البدء، أما وأن الدول الأعضاء كلها قد عملت لمدة عقد كامل وفق المنهجية الأخرى من أجل إعداد مشروع تعديل الميثاق، وقد أصبح جاهزاً لإقراره، فإنه من غير المنطقي أن يطرح منهج آخر للعمل به الآن.

لكن شيئاً ما حصل من وراء الكواليس لتفاجأ بعد ذلك الأمانة العامة للجامعة بمذكرات متوالية من الدول الأعضاء تفيد أنها كانت ترى في السابق أن من المناسب تعديل الميثاق الحالي، بما يؤدي عملياً إلى صياغة ميثاق جديد كلّية، ولكنها الآن تعود عن موافقتها على أسلوب التعديل، وترى الأخذ باقتراح مصر المبني على مبدأ إضافة ملاحق للميثاق الحالي.

وبدلاً من أن يحسم مشروع تعديل الميثاق، بعد أن استغرقت مرحلة الدراسة لمختلف الآراء والمقترحات الوقت اللازم لها على مدى عقد كامل وجد المشروع نفسه أمام طريق مسدود من جديد، لأن البحث لم يعد يدور حول حسم ما تبقى من نقاط عالقة، مثل نظام التصويت وولاية محكمة العدل العربية، وإنما حول سؤالين: هل يعتمد مبدأ التعديل، أم مبدأ الملاحق.؟

لحل هذه المشكلة، قامت الأمانة العامة للجامعة بوضع مشروعين للتعديل في عام ١٩٩٠:

ـ الأول: مبني على المنهجية القديمة المتبعة من عام ١٩٨٢. وقد أشير فيه إلى أن المقرّ الدائم هو القاهرة، مع النص على مركز آخر للجامعة في تونس.

ـ الثاني: مبني على المنهجية المصرية بإضافة ملاحق إلى ميثاق عام ١٩٤٥، ولكن مستوى التمثيل في اجتماعات اللجنة المكلّفة دراسة مشروع التعديل، والتأجيل المتكرر لتلك الاجتماعات، وعدم الحصول على ردود من أكثرية الدول العربية حول المشروع المعروض أمام اللجنة، أظهر أن موضوع تعديل الميثاق ـ أياً كان المنهج الذي سيتخذه ـ دخل مرة أخرى في عالم النسيان، لسبب أكثر جدية هذه المرّة، وهو أن النظام العربي الذي أُسّست عليه الجامعة دخل مفترقاً جديداً، ليخرج منه مهشماً، وضعيفاً، وهو تداعيات "غزو العراق للكويت".

٤ ـ النقاط الرئيسة في مشروع تعديل الميثاق الجديد:

إن ملامح مشروع تعديل الميثاق، الذي كان جاهزاً للعرض على مؤتمر القمة لإقراره، حسب منهجية اللجنة العامة لممثلي الدول الأعضاء، التي كانت قد انتهت عملياً إلى صياغة ميثاق جديد بكل معنى الكلمة وعطلته مصر وكان من الممكن أن يرتقي بالعمل العربي خطوات هامة وقد تضمن النقاط التالية:"[٤١].

أ ـ الأهداف والمبادئ.

إن ديباجة هذا المشروع تتمثل في مجموعة من الأهداف القومية، وهذه الديباجة تمثل المرجع الفكري لكل جوانب العمل العربي المشترك، والسند الذي يمكن، على أساسه، أن تجد جميع فصول المشروع ومواده حقيقة مقاصدها وجوهر معانيها.

كذلك فإن الأهداف والمبادئ تتضمن كل ما ينادي به أصحاب الفكر القومي العربي، بحيث يبدو كأن الصياغة تجري في ظلّ المناخ السياسي السائد في الخمسينيات، والستينيات فترة ازدهار القومية العربية. وفضلاً عن ذلك، يبدو أن هذه الأهداف

والمبادئ تنطلق من تطوير ظاهرة الدولة ذاتها بهدف الوصول إلى الدولة العربية الواحدة، لامن ظاهرة العلاقات الدولية العربية التي تجري بين "دول مستقلة ذات سيادة"، في إطار منظمة إقليمية.

ب ـ معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي.

لا يتناقض هذا المشروع مع معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي ولايلغيها، بل إن الأمر هو نقيض ذلك، فمشروع التعديل يثبت المعاهدة في صلبه ويعزّز مكانتها.

ج ـ تسوية النزاعات العربية.

احتلت تسوية النزاعات العربية في مشروع تعديل الميثاق مكانة متميزة، بالنظر إلى أهميتها، خاصةً في ضوء الظروف العربية، فالتأكيد على تسوية أي نزاع ينشأ بين الدول العربية بالطرق السلمية داخل الجامعة أولاً، وبيان الإجراءات التي يجب اتباعها تحقيقاً لهذا المبدأ، من شأنه أن يقي الدول العربية نزاعات ما كانت لتبلغ الحدّة التي عرفتها في بعض الظروف لو كانت طرق حلّها وتسويتها مقننة وواضحة ومعلومة لدى الجميع.

د ـ الجانب التنموي.

وحرص مشروع التعديل على إعطاء الجانب التنموي المكانة المناسبة لتجسيد التعاون والتكامل بين جميع الدول الأعضاء. ويبرز هذا التوجه في الصلاحيات التي أسندها المشروع إلى مجلس الشؤون الاقتصادية والاجتماعية.

هـ ـ قواعد التصويت.

خصص الخبراء مُعِدّي مشروع تعديل الميثاق فصلاً خاصاً يجمع قواعد التصويت بالنسبة إلى جميع المسائل المعروضة على مختلف مجالس الجامعة. غير أنه لا وجود في هذا الفصل لأي قاعدة تُلزم الدول الأعضاء بقرار يتم اتخاذه بأغلبية الثلثين في كل

المجالات. فالأمانة العامة لم تتسلم، في هذا المعنى، أي اقتراح رسمي، وتمّ النصّ تبعاً لذلك، على أن القرار الذي يتخذ بما دون الإجماع لا يكون ملزماً إلا للدول التي لم تعترض عليه صراحة عند اتخاذه.

و ــ مجالس الجامعة.

أوضح مشروع تعديل الميثاق مختلف مجالس الجامعة وعدّد صلاحيتها، وفي طليعتها مؤتمر القمة "المجلس الأعلى"، ومحدثاً بعض المجالس الجديدة. وقد تمّ في هذا الاتجاه النص على مجلس شورى قومي حتى يتعزّز عمل الجامعة ببعد جديد هو بعد التمثيل الشعبي"[٤٢]. كما أنشأ هذا المشروع مجلساً للشؤون العسكرية وأسند إليه العديد من الصلاحيات منها صلاحية تشكيل قوات أمن عربية بقرار مشترك مع مجلس الشؤون الخارجية. وتكون مهمة هذه القوات فرض الالتزام بوقف إطلاق النار، إذا حصل نزاع مسلح بين بعض الدول الأعضاء، لإنهاء الاقتتال والفصل بين القوات المتحاربة. كما أعاد المشروع التأكيد على وضع مجلس الدفاع المشترك المنصوص عليه في المادة السادسة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي، موضحاً اختصاصاته، ومبيناً بدقة تميّز صلاحيات مجلس الشؤون العسكرية، عن مجلس الدفاع المشترك. وفي ضوء البناء التنظيمي الجديد كان يفترض أن تتكوّن الجامعة من المجالس والأجهزة الآتية :

١ً ــ المجالس الرئيسة: مؤتمر القمة، مجلس رؤساء الحكومات للعمل الاقتصادي والاجتماعي، مجلس وزراء الخارجية، مجلس الشؤون العسكرية، مجلس الشورى القومي.

2ً ــ المجالس الوزارية المتخصصة: مجلس وزراء الاقتصاد والمال، مجلس وزراء الداخلية، مجلس وزراء الصحة، مجلس وزراء الشباب والرياضة، مجلس وزراء العدل، مجلس وزراء الإسكان، مجلس وزراء الإعلام.

3ً ــ مجلس المندوبين الدائمين .

4ً ــ الأجهزة الرئيسة وتشمل: الأمانة العامة، محكمة العدل العربية، الهيئة العليا للرقابة العامة، المحكمة الإدارية.

واعتبر مشروع تعديل الميثاق التجمعات الإقليمية العربية، التي تقوم بين دولتين أو أكثر من الدول الأعضاء، خطوة على طريق تحقيق أهداف الجامعة، وأعطى الأمين العام صلاحيات جديدة كحق دعوة بعض المجالس للانعقاد، وحدّد مشروع التعديل الحالات التي يستعمل فيها الأمين العام هذا الحق.

ونصّ مشروع التعديل على إنشاء محكمة عدل عربية تمثّل الجهاز القضائي الرئيس في الجامعة. ولا جدال في أن إنشاء محكمة العدل العربية يمثّل تحقيقاً لأمل واضعي الميثاق سنة ١٩٤٥، وتتويجاً لمحاولات عديدة سابقة لم يُكتب لها التنفيذ. كما أن هذا المشروع "المحكمة" يمكن أن يمثل الإطار القضائي الأفضل لحلّ النزاعات العربية، لأنه أولاً إطار عربي، وثانياً لأن جميع الدول العربية الأعضاء ملزمة، "كما ينصّ المشروع"، بتنفيذ أحكام المحكمة في أي قضية تكون طرفاً فيها.

لقد احتفظ المشروع الحالي بالنواقص نفسها في الصلاحيات المؤسسية للجامعة التي حملها ميثاق الأربعينيات. على الرغم من وجود المزيد من الوضوح في الأهداف. أي أن المشروع من حيث الجوهر يقوم على قاعدة السيادة الوطنية التي تتجسّد في اتخاذ الإجماع شرطاً لالتزام الدول بقرارات الجامعة. وبالتالي بقيت الأساليب والإجراءات على حالها: مصدرها الدول بكل ما يعنيه ذلك من حقوق السيادة والحقوق الإجرائية، من الاعتراض، إلى الموافقة، إلى التحفظات، إلى التصديق، إلى التنفيذ.

من كل ماسبق يمكننا الوصول إلى نتيجة مفادها أن الحركة الوحدوية في مرحلة المشروع كانت أضعف من أن تستطيع جعل العمل العربي المشترك، داخل الجامعة وخارجها، أكثر فعالية، وهذا يدل على أن الحكومات العربية ليست متفقة على هذه

الأهداف القومية، ولا على أي شيء آخر، وأن "الاتفاق" على الأهداف القومية مقولة تقليدية لا تصمد أمام الامتحان عند بعض العرب.

سادساً ــ العودة إلى المحافظة على الجامعة بشكلها الحالي في ظل المتغيرات الدولية في القمة الثلاثية بالقاهرة عام ١٩٩٤.

إذا كانت أزمة الخليج الثانية قد أدت إلى طي جهد عقد كامل من العمل العربي لتطوير الجامعة، وشلت العمل العربي، فقد شهدت متغيرات جديدة فرضت على بعض الدول العربية إعادة تقدير مواقفها ومصالحها، وهددت كيان الجامعة بشكل خطير كان من أبرزها أربعة متغيرات: الأول: انهيار الاتحاد السوفييتي والانتقال إلى سياسة القطب الواحد مع ماتتضمنه الوحشية الرأسمالية من معاني. الثاني: "ظاهرة الهرولة" باتجاه "التطبيع" مع إسرائيل. والثالث: قضية الاحتكار النووي الإسرائيلي، وحظر انتشار الأسلحة النووية. والرابع: مشروع "نظام الشرق الأوسط الكبير" الذي بدأ يسعى إلى تهميش دول القلب في النظام العربي (مصر وسورية والسعودية)، وفرض هيمنة إسرائيل وإدخالها على نسيج المنطقة.

للرد على تلك المتغيرات انعقدت "القمة الثلاثية" في الإسكندرية يوم ١٩٩٤/١٢/٢٨. بين السعودية ومصر وسورية، في "قصر أنطونيادس"، وهو القصر نفسه الذي شهد قبل ستة عقود التوقيع على "بروتوكول الإسكندرية"، وهو بمنزلة الأساس القانوني لانشاء جامعة الدول العربية، وقد جاء انعقادها ليعبر عن "قمة التنبه" العربي لأخطار المتغيرات المتدافعة على الساحة العربية. وللتشديد على الدور الذي تنهض به جامعة الدول العربية ومؤسساتها لتبقى المنظمة العربية الأم التي تصب فيها كل روافد العمل العربي، وإذا لم تحل هذه اللقاءات أو القمم أزمة معينة ــ كحد أدنى ــ فقد تفلح في إعطاء "جرعة تنبيه". خصوصاً مثل هذه الدول المشاركة في "القمة الثلاثية"، التي

كانت قاعدة تاريخية لمعارك قومية مشرفة بدءا من محاربة حلف بغداد، وصولا إلى انتصار عام ١٩٧٣.

حوّلت القمة الثلاثية وقف التدهور، واستطاعت الإمساك بقضايا مهمة، مثل إحياء جامعة الدول العربية، والتشديد على الإطار العربي للتعاون الاقتصادي كبديل "أصلي"، و"أصيل" عن مشروع "الشرق الأوسط" الإسرائيلي.

حيث جاء في البيان الختامي للقمة: "..إن الدول الثلاث جزء من الوطن العربي الكبير، تضطلع بدور أساسي مؤثر في الحفاظ على مصالحه الحيوية، وتتفاعل بما يجري حولها في الساحة العربية، ولذا فقد اتفقت رؤية القادة الثلاثة على تعزيز الدور الذي تنهض به جامعة الدول العربية ومؤسساتها لتبقى المنظمة العربية الأم التي تصب فيها كل روافد العمل العربي... ولما كان التعاون بين الدول الثلاث يشكل ركيزة أساسية للعمل العربي المشترك، فقد عقد القادة المجتمعون العزم على مضاعفة جهود دولهم في إطار تنفيذ وتطوير الاتفاقات العربية القائمة، وعلى تعزيز مسيرة العمل الاقتصادي العربي المشترك، وإعطاء الفعاليات الاقتصادية دورها الرائد في خدمة هذه الأهداف"(٤٣).

كانت ردة الفعل الإسرائيلي على القمة أن عمدت القيادات الإسرائيلية إلى مهاجمة القمة ونتائجها، من قبل رئيس وزراء إسرائيل "إسحاق رابين"، ويمكن الإشارة هنا إلى مقال صحافي في صحيفة "عل همشمار" للصحفي المعروف "بنحاس عنبري"، للدلالة على رد الفعل الإسرائيلي، عنوان المقال "محور الدار البيضاء، في مواجهة محور الجامعة العربية".

ويذهب المقال إلى أن "القمة الثلاثية" تعد نتاجاً لتطوّرات سياسية، حيث عرفت المنطقة على الدوام تكتلات بين دول معينة ضد دول أخرى. ولكن لأول مرّة في تاريخها تتكوّن كتلة من عدة دول تشارك فيها إسرائيل "محور الدار البيضاء" في مواجهة محور

مضاد تصفه بأنه "محور الجامعة العربية" بزعامة سورية ومصر والسعودية، ويقصد الكاتب بمحور الدار البيضاء الدول التي شاركت بالمؤتمر الاقتصادي بالمغرب، وهي إسرائيل، والأردن، ودول شمال أفريقيا، ودول الخليج. ويضيف المقال، إن عمان عاصمة الأردن هي مركز "محور الدار البيضاء"، بينما يسعى "محور الجامعة العربية" التصدي لهذا المحور، عن طريق تنشيط جامعة الدول العربية، وإضفاء الصبغة الاقتصادية على نشاطها من أجل الحفاظ على القاهرة مركزاً للمنطقة العربية. حيث أن نتائج الدار البيضاء قد فُهمت في القاهرة، على أنها سعي لتجنيد رؤوس أموال الخليج لصالح تحويل عمان إلى مركز اقتصادي ـ مالي في المنطقة من ناحية، وعودة الجيش الأردني إلى القيام بالدور الذي يرغب القيام به قادة جيوش مصر وسورية، وهو تدريب بعض جيوش الخليج، كما كان يحدث قبل أزمة الخليج.

ويضيف الكاتب أنه "حينما تقوم مصر ـ التي تربطها علاقات سلام كامل مع إسرائيل ـ بقيادة هذه المسيرة، فإن لهذا الأمر دلالات بالغة الأهمية. ويعدّ هذا الأمر دليلاً واضحاً على أن تلك الاتفاقيات التي وقعناها مع مصر، والأردن، ومنظمة التحرير الفلسطينية ـ اتفاق كامب ديفيد مع مصر، وأوسلو مع الفلسطينيين، ووادي عربة مع الأردن ـ لاتكفل الاستقرار في المنطقة، ولاسلامة دولة إسرائيل ومواطنيها... فهذه هي دلالات قمة الإسكندرية ويجب ألا نتجاهلها"(٤٤).

سابعاً ـ الخاتمة:

يبدو جلّياً أن المشكلة العربية الأساس لا تتمثّل في غياب مشروعات التطوير، بل ربما كان العكس هو الصحيح. بمعنى أن كثرة تلك المشروعات هي عامل أساس من عوامل تناقضها، وإرباك مسيرة العمل العربي المشترك. التناقض المقصود هنا ليس فقط تناقضاً بين مشروع يتوخى الوحدة ومشروع يتوخى التنسيق، أو بين مشروعين يتنازعان المصالح بتحريك فكرة المقر، لكن المقصود هو تسرب التناقض إلى

المشروع الواحد، من فقرة إلى أخرى باختلاف واضعيه وتنوع مشاربهم. وتلك النقطة تدلّ على أثر الإرادة السياسية للدول الأعضاء في إفشال أداء الجامعة أو تعويقه. إن الكثير من الأقطار العربية لا تزال تقف ضدّ فكرة وضع ميثاق جديد للجامعة أو إدخال تعديلات جذرية على الميثاق الحالي"(٤٥)، وذلك لاعتبارات كثيرة نذكر منها:

١ ـ إن خبرة الممارسة تكشف عن مجموعة من العوامل التي وقفت ضد تعديل ميثاق الجامعة، والتي تطبع العلاقات السياسية العربية، ومن أهم تلك العوامل، الحساسية المفرطة تجاه كل ما يُشتمُّ منه التعدي على مفهوم السيادة لهذه الدول، وثقافة الحذر تجاه العربي الآخر، واستمرار النظرة المطلقة للسيادة بحيث يبدو التنازل لمصلحة هيئة فوق الدول العربية في مجال اقتصادي، أو وظيفي وكأنه خسارة في المجال السياسي، والتخوّف من آثار ذلك على استقرار نظم الحكم في تلك الدول داخلياً.

٢ ـ إن وضع ميثاق جديد للجامعة يعني في الوقت نفسه فتح نقاش صريح مع الفكرة القومية، ومواجهات متعدّدة بين الدول الأعضاء، بفضل اجتهاداتها حول مفهومها للقومية، والوحدة العربية، في ظلّ ترسيخ "منطق الدولة القطرية"، وقد يكون من الأفضل لبعض هذه الدول، وبخاصة تلك التي تريد تفادي المواجهة في النواحي الفكرية والأيديولوجية، أن يستمر العمل بالميثاق الحالي. ولكننا نتفاءل بالتوجه الواضح والدائم إلى الإصلاح في مؤتمرات القمة العربية ونتفائل بالزخم الشعبي الذي يقف خلف هذا التوجه.

فصحيح أن جامعة الدول العربية بمعزل عن كلّ ما ذكرنا من أحداث، لم تستطع الدفاع عن الحقوق والمصالح العربية، وساعيةً إلى الحفاظ على العلاقات العربية البينية الودية بالقدر المطلوب، والتي هي أساس وجودها وهدفه في آن واحد. وصحيح أنها لم تستطع أن تقدم ما كان منتظراً منها عموماً، إلا أنها استطاعت أن تسجل العديد من النجاحات الأخرى في مجال التصدي لمخططات التقسيم والتجزئة، كتصديها

لمخطط بريطانيا وإيطاليا لتجزئة ليبيا وتقسيمها إلى ثلاث مناطق، ومساهمتها في دعم الثورة في جنوب اليمن ١٩٥٧ ضد الاستعمار البريطاني. أيضاً نسجل للجامعة نجاحها في حل الأزمة بين العراق والكويت ١٩٦١ وإرسالها قوات عسكرية للكويت إبان تهديد العراق لها، والذي يُشار إليه في معرض التدليل على الدور الإيجابي للجامعة العربية في مجال تسوية المنازعات سلمياً، والذي استحدثت فيه الجامعة أسلوب الفصل أو العزل بين القوات المتنازعة من خلال إرسال قوات أمن عربية مشتركة تعمل تحت راية الجامعة، للفصل بين البلدين العربيين. كما حققت الجامعة نجاحاً في وقف الحرب الأهلية اللبنانية عندما أرسلت ماعرف بـ (قوات الردع العربية) منذ عام ١٩٧٦، بمشاركة عدة دول عربية ثم اقتصرت على القوات السورية التي استطاعت أخيراً وقف الحرب الأهلية وتوقيع اتفاق الطائف. وكذلك في الحرب الأهلية في اليمن عام ١٩٦٢. وفي النزاع بين اليمنين عام ١٩٧١، وأزمة عام ١٩٧٠ بين المقاومة الفلسطينية، والسلطة في الأردن"(٤٥). أما ما يمكن أن نعتبره إنجازاً مهماً للجامعة فهو نجاحها في وضع القضية الفلسطينية في إطارها القومي، والحفاظ على وجود الكيان الفلسطيني. كما نسجل لها نجاحها في بلورة عمل عربي جماعي تمثل باعتبار التعامل مع "إسرائيل"، قضية عربية لا يحق لأية دولة عربية منفردة أن تتصرف بها دون الرجوع إلى الجامعة العربية.

ومن هنا نقول إذا كان إنشاء الجامعة العربية جاء من أجل تحقيق الوحدة العربية المطلوبة جماهيرياً، واستيعاب الضرورة الملحة للأمن القومي العربي من أجل التصدي لأبرز التحديات والأخطار المهددة له، وبخاصة الخطر الصهيوني. فإنها ومن اللحظات الأولى لتشكلها احتوت بذور التناقض العربي داخلها فبرز فيها منطقان:

- أولهما: المنطق الدافع نحو وضع وتنفيذ إستراتيجية العمل العربي المشترك وإنجاز الوحدة العربية السياسية وغيرها، وهو منطق أولوية القومي على القطري، من منطلق الإيمان الواعي بالأمة العربية الموزعة في دول متعددة وبضرورة

توحيدها وتكوين قوتها الذاتية لضمان أمنها، وعلى أنّ ما يجمع بين أفرادها من روابط هو من القوة إلى الحد الذي يوفر سنداً قوياً لأي عمل جماعي بين الدول العربية. فروابط الانتماء الثقافي والحضاري المشترك من لغة ودين وتاريخ وغيره، وعامل الجوار الجغرافي والتنوّع والتكامل في الإمكانات والموارد ومعطيات الواقع والخطر المشترك والآمال المشتركة إلخ... كلها روابط لا نكاد نجد مثيلاً لها لدى أي مجموعة أخرى من الأمم والدول، بما في ذلك تلك التي قدّر لها أن تخطو بخطوات حثيثة على طريق التكامل الإقليمي، والاتحاد، كدول الاتحاد الأوروبي مثلاً... (٤٦).

ـ ثانيهما: المنطق الذي يشكّل العقبة الأساس التي [illegible] وما زالت تعترض سبيل النهوض بالعمل العربي الجماعي، والاستجابة لمتطلبات الأمن القومي العربي والمصالح القومية العربية في إنجاز الوحدة العربية، هو منطق أولوية القطري على القومي، المتمثل بضرورة الحفاظ على سيادة الدولة القطرية. وإنّ طبيعة الظروف التي تشكلت فيها الجامعة من حيث أنّ جميع الدول العربية كانت إما حديثة الاستقلال أو ما تزال محتلة من قوى أجنبية وفي الحالتين كانت في معظمها تابعة، وفي مجموعها ضعيفة جداً لافتقادها لكل قواها الوطنية الفاعلة وبخاصة العسكرية، تفسر، بالإضافة إلى اضطرار مؤسسيها إلى مسايرة توجيهات السلطات البريطانية المسيطرة، غلبة هذا المنطق لديهم، تفسر بالتالي هشاشة الشكل الاتحادي الذي فرضوه للجامعة، وتراجع ميثاقها في كثير من نقاطه حتى عما جاء في بروتوكول الإسكندرية كما رأينا، وبما هو منسجم مع رغبة الدول الأعضاء أن تكون حرة في أن تلتزم أو لا تلتزم بالقرار الصادر من الجامعة ضماناً لسيادتها واستقلاليتها، ودون أن يؤخذ بالاعتبار تأثير ذلك على إضعاف فاعلية دور الجامعة.

وعليه فإنّ المشكلة الأولى التي اصطدم وما يزال يصطدم بها مشروع الأمن القومي تتمثل بهذا الانفصال بين المنطق السياسي الإستراتيجي القومي الذي يجسده فكر

الجامعة وبين المنطق القطري الذي يتحكم بمعظم دولها والذي يمنع تطوير وحدتها السياسية إلى صيغة تنظيمية أكثر فاعلية. المشكلة الثانية التي يعانيها هذا المشروع والمرتبطة بالأولى هي غياب الإرادة السياسية العربية الجماعية، مما يفسر تعثر أجهزة صنع القرار الأمني في المستوى القومي أو تعطليها في معظم الأحيان.

ومع غياب هذه الإرادة الجماعية تولدت المشكلة الثالثة، وهي: كيفية صيانة الأمن القومي العربي من خلال تعدد سياسات الأمن القطري وتباين التحالفات أو التوجهات القطرية نحو القوى الخارجية، والاختلاف في تحديد هوية بعض الصراعات المسلحة بين بعض الأقطار العربية وقوى الجوار، والاختلاف بين الحكومات العربية حول إدراك الأخطار والتهديدات والتحديات، وبروز النزعة الإقليمية عند بعضها والقطرية عند بعضها الآخر في البحث عن حماية أمنها.

ولتبرز المشكلة الرابعة لمشروع الأمن القومي العربي؛ والمتمثلة في ازدياد تبعية الوطن العربي السياسية لقوى العالم العظمى، وبخاصة الاستعمارية منها، وليكون ذلك مبرراً لوجود قواعدها العسكرية في بعض بلدانه، وارتباط تسليحها، أي هذه البلدان، بما يُسمح لها أن تشتري من شركات الأسلحة الكبرى في هذه القوى، وبما يضمن استمرار الضعف الذاتي وبالتالي استمرار هذه التبعية؛ التي هي إسفين مانع لقيام أية وحدة أو قوة ذاتية عربية حقيقية قادرة على ضمان حماية الأمن القومي العربي، وفي قمتها الوحدة العسكرية كما سنرى.

أخيراً ما يجب تسجيله كي لانحمّل الجامعة العربية أكثر مما تحتمل، فإنها، أي الجامعة، عبارة عن جهاز فني إداري ينفذ سياسة الدول الأعضاء وقراراتها، ويترجم ما تطلب منه هذه الدول على أرض الواقع من دراسات ومخططات ومقترحات، ولكن تلك القرارات والدراسات والمخططات والمقترحات كانت دائماً تصطدم بالإرادات السياسية المتعارضة، وبالمصالح القطرية المتناقضة للدول الأعضاء لتبقى دون تنفيذ.

هوامش البحث

(١) لويس عوض، "**معنى القومية**" (الأهرام، القاهرة، ١١ أيار ١٩٧٨، ص٢) منشورة في (مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد ٤ ـ ٥، ١٩٧٨، ص٢٦٣ ـ ٢٦٨) ص ٢٦٤.

(٢) ف. كيللي وم. كوفالزون، **المادية التاريخية**، ترجمة أحمد داوود، الطبعة الأولى، دار الجماهير، دمشق، ١٩٦٧ ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٣) عامر رشيد المبيض، **موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية**، مصطلحات ومفاهيم ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، سورية، حمص، دار المعارف للنشر والطباعة والتوزيع، ص ١٠٥٨ .

(٤) أسعد داغر ، **ثورة العرب: مقدماتها، أسبابها، نتائجها**، القاهرة: مطبعة المقطم، ١٩١٦، ص ٥٧ ـ ٦٢.

(٥) مصطفى الشهابي، **القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها** ط ٢، معهد الدراسات العربية١٩٦١، ص٦٩.

(٦) عبد الرحمن الكواكبي، **أم القرى**، المطبعة العصرية بالأزهر ١٩٣١، ص ١٠٦ـ ١١٢ . ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٧) محمد عزت دروزه، **الحركة العربية الحديثة**، تاريخ ومذكرات وتعليقات، صيدا المطبعة العصرية، ١٩٥٠، ج، ص١١ ـ ١٤.

(٨) عادل الصلح ، **سطور من الرسالة تاريخ حركة استقلالية في المشرق** سنة ١٨٧٧ م، بيروت ١٩٦٦، ص١٠٥.

(٩) نجيب عازوري، **يقظة الأمة العربية**، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨ .ص٢١٩ ــ ٢٢٠.

(١٠) راجع هيثم الكيلاني: "**هموم الأمن القومي العربي مع جواره**"(مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، عدد ٧٧، آذار ١٩٩٤، ص ٧-٤٥).

(١١) أحمد طربين، **التجزئة العربية**، كيف تحققت تاريخياً، سلسلة الثقافة القومية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، ص٣٠٥.

(١٢) محمد عزت دروزه، **الوحدة العربية**، بيروت المكتب التجاري للطباعة، ١٩٥٧، ص ١٢٤ ــ ١٢٥.

(١٣) خلدون ساطع الحصري، **حول الوحدة العربية**، في سعدون حمادي وآخرون، دراسات في القومية العربية والوحدة، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٤، ص ٢٣٩.

(١٤) انظر المرجع نفسه، ص ٦٠٣.

(١٥) نحن نرفض بالطبع هذا المصطلح، ولكننا مضطرون إلى استخدامه من جهة لأنه المعتمد في كثير من الوثائق والمراجع وبخاصة المعنية ببحثنا هذا، والملزمين بعرض مضامينها واستخدام مصطلحاتها وفق قواعد الوثيق، و من جهة أخرى لأنه يدلّ على منطقة ذات مضمون جيو ــ سياسي قد تكون هي المعنية في كثير من الأحيان.

(١٦) راجع المرجع نفسه، ص ٦٠١.

(17) Sir Robert Anthony Eden, First the Earl Of Avon, The Reckoning: the Eden memoirs ,London: 1965, PP, 246 -248 .

(18) –Ibid, p. 605

(١٩) المرجع نفسه، ص ٦١٩.

(٢٠) انظر المذكرة والنقد لها في المرجع نفسه، ص ٦٢١ - ٦٢٤.

(٢١) راجع المشاورات في أحمد الشقيري، **الجامعة العربية: كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية**، (تونس:دار بوسلامة) ١٩٧٩، ص٤٤ وما يتبع. وفي محاضر المشاورات، ملفات، أرشيف جامعة الدول العربية.

(٢٢) راجع منشورات الصحف والمجلات في ذلك الحين، وبخاصة الممثلة لحركة التحرر العربية.

(٢٣) راجع مقدمة الميثاق. والتي هي بدون شك جزءاً متكاملاً معه.

(٢٤) لمزيد من التفصيل انظر صادق شعبان، "**دخول تعديل الميثاق حيز التنفيذ**" (مجلة شؤون عربية، العدد ٩، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨١، ص ٣٩ ــ ٤٠).

(٢٥) لمزيد من التفصيل حول القومي والقطري في الجامعة العربية، انظر، أحمد يوسف أحمد، "**قمة عمان وتطوير الجامعة العربية**": رؤية نقدية مقارنة "(مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٦ حزيران / يونيو،٢٠٠١، ص ١٥ــ١٧).

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٧ ــ ٢٠.

(٢٧) للإطلاع على مزيد من التفاصيل حول قصور الميثاق الحالي، انظر مجلة **شؤون عربية**، العدد ٨٩، آذار / مارس ١٩٩٧، ص ١٧ ــ ٢١.

(٢٨) سوف نأتي على تفصيل هذا المشروع في فقرة لاحقة.

(٢٩) سوف نتطرق بمزيد من التفصيل حول مشروع تعديل الميثاق في الفقرات التالية من هذا الفصل.

(٣٠) لمزيد من التفصيل حول تطوير الأمانة العامة، انظر د. الصادق شعبان، " **أدوار ووظائف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية**" (مجلة شؤون عربية، العدد ٤١، آذار/ مارس، ١٩٨٥، ص ٤١ ــ ٥٢).

(٣١) لمزيد من التفصيل حول تطوير العمل العربي المشترك، انظر د. محمد سعد أبو عامود، " **نحو رؤية إستراتيجية جديدة للعمل العربي المشترك**" (مجلة شؤون عربية، العدد ١١٥، خريف ٢٠٠٣، القاهرة، ص ٥٢ ــ ٦٠).

(٣٢) لمزيد من التفصيل حول المنظمات العربية المتخصصة، انظر. محي الدين صابر، "**الدور الثقافي لجامعة الدول العربية**"(مجلة شؤون عربية، العدد٤١، آذار/ مارس ١٩٨٥، ص ٢٥ ــ ٢٦).

(٣٣) لمزيد من التفصيل حول نظام التسوية السلمية للمنازعات، انظر الصالحي، مصدر سابق، ص ٧١ ــ ٧٧. والأستاذ خليل إسماعيل الحديثي، "**تسوية المنازعات العربية ومشكلة التفريط والإفراط بين الجامعة والدول الأعضاء**" (مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٥، آذار/مارس ٢٠٠١، ص ٥ ــ ٢٢).

(٣٤) عقد مؤتمر القمة السداسي غير العادي في الرياض ١٨ تشرين أول/أكتوبر ١٩٧٦. واتخذ القرارات التالية: "**وقف إطلاق النار وإنهاء الاقتتال في كافة الأراضي اللبنانية من قبل جميع الأطراف بصورة نهائية**". ــ "**تعزيز قوات الأمن العربية الحالية لتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان**، بأمرة رئيس الجمهورية اللبنانية. (قرار قمة ٨٤/د غ ع/-١٨/١٠/١٩٧٦) .

(٣٥) في ٢٧/٩/ ١٩٧٠ عقد مؤتمر القمة العربي غير العادي في القاهرة، من أجل إيقاف اقتتال عربي ــ عربي، عندما أقدم الملك حسين ملك الاردن على ضرب قوات الثورة الفلسطينية المتواجدة على الساحة الأردنية وإخراجها من الأردن، ونجم عن هذه الخطوة المأساوية اقتتال دامٍ بين القوات الأردنية والقوات

الفلسطينية استمر عدة أيام، وبُذلت جهوداً مضنية من قبل الرؤساء والملوك العرب الذين اجتمعوا استثنائياً في القاهرة ولم يرغبوا بتسمية اجتماعهم مؤتمر بل اعتبروا أنفسهم "مجموعة عمل " على مستوى الرؤساء وتواصلت الاجتماعات طوال الفترة من ٢١ ــ ٢٧ أيلول / سبتمبر ١٩٧٠ وكان الهدف الوحيد معالجة الأزمة الطارئة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية والسعي لوقف الاقتتال بينهما، وتوصلت المساعي إلى حل المشلة وعقد اتفاق بين الطرفين وصدر بيان مشترك عن الاجتماع تضمن: إنهاء كل العمليات العسكرية من جانب القوات الأردنية وقوات المقاومة الفلسطينية فوراً، مع إنهاء كل التحركات العسكرية، وإيقاف كل الحملات الإعلامية التى تتنافى مع أغراض هذا الاتفاق، والسحب السريع للقوات الأردنية من عمان، وإرجاعها إلى قواعدها الطبيعية مع سحب جميع القوات الفدائية من عمان وتركيزها فى أماكن تلائم العمل الفدائي.(**مؤتمر القمة العربى غير العادى القاهرة ١٩٧٠/٩/٢٧**، البيان الختامي، الفقرة أولاً، ثانياً، وثائق الأمانة العامة).

(٣٦) مقررات القمة العربية العاشرة، تونس، البند سابعاً. (قرار قمة ١٢٤/ د ١٠/ - ١٩٧٩/١١/٢٢).

(٣٧) القمة العربية الثانية عشرة، فاس، القرار رقم ١٥٧، (قرار قمة ١٥٧/ د ١٢/- ١٩٨٢/٩/٩).

(٣٨) مؤتمر القمة العربي غير العادي، الدار البيضاء، ١٩٨٩، البيان الختامي، الفقرة ٣١، (ب.خ / غ ع - ١٩٨٩/٥/٢٦).

(٣٩) لم يرد موضوع عودة مصر للجامعة العربية، في قرارات القمة بل ورد في البيان الختامي الفقرة " الثانية" حيث نصت على: "رحب المؤتمر فى جلسته الافتتاحية باستئناف مصر لعضويتها الكاملة فى جامعة الدول العربية وفى جميع

المنظمات والمؤسسات والمجالس التابعة لها. وعبر عن اقتناعه بأن وجود مصر في مكانها الطبيعي بين شقيقاتها العربيات سيساهم فى تعزيز العمل العربي المشترك ودعم مسيرة التضامن ووحدة الصف العربي لما فيه خير الأمة العربية.

(٤٠) بذلك تكون مصر تدخلت مرتين لتعديل الميثاق لغير صالح التوجه القومي الأولى عندما طرح النحاس باشا رئيس وزراء مصر ١٩٤٥، صيغة الميثاق بدلاً من البروتوكول، وهذه المرة الثانية عام ١٩٩٠.

(٤١) النص الكامل لمشروع تعديل الميثاق في: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، نصوص: الميثاق، مشروع تعديل الميثاق وفق الصيغة التي اعتمدتها اللجنة العاملة لممثلي الدول الأعضاء، (القاهرة: الأمانة العامة،ملف ١٩٩١،١٦).

(٤٢) على غرار البرلمان الأوروبي في مراحل نشأته الأولى.

(٤٣) لمزيد من التفصيل حول القمة الثلاثية انظر: المؤتمر القومي العربي، حال الأمة، الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأمة العربية خلال عام ١٩٩٤، مصدر سابق، ص ١٠٠ ــ ١٠١.

(٤٤) صحيفة عل همشمار، **القدس المحتلة**، ٤ / ١ / ١٩٩٥.

(٤٥) تمت الموافقة في مؤتمر القمة في القاهرة عام ٢٠٠٠، على تعديل الميثاق بشأن إقرار مؤتمرات القمة ذاتها، بالموافقة على آلية الانعقاد الدوري سنوياً لهذه المؤتمرات، وقد أصبح الملحق المتعلق بهذه الآلية مكملاً لميثاق الجامعة.

(٤٦) لمزيد من التفصيل، انظر "**العمل العربي المشترك في أربعة عقود**" نظرة نقدية ورؤية مستقبلية، آراء نخبة من الأساتذة" (مجلة شؤون عربية، العدد ٤١، آذار/ مارس، ١٩٨٥، ص ٦٠ ــ ١٠٠).

مصادر ومراجع البحث

I ــ المصادر والمراجع العربية:

١ - الوثائق:

أ ــ أرشيف جامعة الدول العربية:

ــ محاضر المشاورات لتأسيس الجامعة العربية ١٩٤٥.

ــ محاضر اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام لتأسيس الجامعة.

ــ وثائق الأمانة العامة ومنها تقارير الأمانة العامة.

ــ قرارات مؤتمرات القمة العربية.

ــ قرارات اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية والاقتصاد والمال العرب.

ــ مجموعة قرارات وتوصيات اللجان والمجالس المختلفة في الجامعة، ومنها الخاصة بمجلس الدفاع العربي المشترك، وبالمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي.

ــ قرارات مؤتمرات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ــ المنشورات المتعلقة بالندوات والحلقات الدراسية التي كانت تعقدها الجامعة، ومنها المتعلقة بــ"النظام الإقليمي العربي والمبادرات العربية لتطوير جامعة الدول العربية".

ب ــ خطب ولقاءات الرئيس الراحل حافظ الأسد.

ج ــ أرشيف جامعة الدول العربية، (الأمانة العامة).

د ــ أرشيف مركز المعلومات القومي، دمشق.

هـ ــ أرشيف مركز الدراسات العسكرية ــ دمشق.

و ــ يوميات ووثائق مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ز ــ أرشيف وزارة الخارجية العربية السورية ــ دائرة الوطن العربي.

ح ــ أرشيف القيادة القومية لحزب البعث ــ مكتب الثقافة والإعداد الحزبي ــ دمشق.

ط ــ أرشيف مركز الدراسات الفلسطينية ووثائق الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، دمشق.

٢ ــ كتب ذات صبغة وثائقية:

ــ أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٣، ص١٤٣ . تقرير لجنة كاهان، التحقيق في مذبحة صبرا وشاتيلا، صحيفة السفير اللبنانية، ١٠/٢/١٩٨٣.

ــ المحاضر السرية الكاملة لمؤتمر (الحوار الوطني في فندق انتركونتننتال في جنيف، في الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٣): ثرثرة فوق بحيرة ليمان، تقديم طلال سمان، الطبعة الثانية، المركز العربي للمعلومات، بيروت، ١٩٨٤.

ــ الوثيقة رقم ٦٨٧٣ من الكتاب الأبيض عن الإرهاب الصهيوني الصادر عن وزارة المستعمرات البريطانية في تموز/ يوليو ١٩٤٦ نقلاً عن جهاز مخابرات سلطة الانتداب البريطاني في فلسطين ١٩٤٨. نقلاً عن د. علي أبو الحسن دور بريطانية في تهويد فلسطين أقذر دور في التاريخ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٩٧ ، دار الوحدة العربية.

ــ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٨.

ـ ملفات كيسينجر ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠، ص ٢٣٣٢٥ (كما هو مذكور في الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٩ ص ٨١٤).

ـ ملف الخليج: ٤٠ عاماً على اغتصاب فلسطين: من نكبة ١٩٤٨ إلى انتفاضة ١٩٨٨، مطابع دار الخليج للصحافة والطباعة) والنشر، حزيران/ يونيو ١٩٨٨).

ـ هيكل محمد حسنين، ملفات السويس، حرب الثلاثين سنة .

ـ يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١، ١٩٩٥، ص ٨٧٤ ـ ٨٧٩. ، نشرته صحيفة السفير، بيروت، ١/ ٩/ ١٩٩٣.

٣ ـ حلقات دراسية:

ـ مقالة لأستاذ إسرائيلي "يهوشيا أريلي" في مجلة نيواوتلوك عدد آب ١٩٧١ .

ـ الحلقة الدراسية لثقافة الطفل العربي ـ بيروت ـ سبتمبر ١٩٧٠.

ـ حلقة للإدارة التعليمية في البلاد العربية ـ ليبيا ١٩٧٣.

ـ حلقة دراسية حول الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للطلاب العرب ـ الكويت ١٩٧٣.

ـ حلقة دراسية حول الثقافة الجماهيرية في الوطن العربي ١٩٧٣.

ـ حلقة دراسية حول علاقة الظروف البيئية بخطط التنمية في البلاد العربية ١٩٧٢.

٤ ـ المجلات:

ـ مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية ـ القاهرة.

ـ مجلة الوطن العربي ـ جامعة الدول العربية ـ باريس.

ـ مجلة السياسة الدولية ـ القاهرة.

ـ مجلة المستقبل العربي ـ بيروت.

ـ مجلة النهار العربي والدولي ـ بيروت.

٥ ـ الصحف:

ـ صحيفة الأهرام، القاهرة.

ـ صحيفة الاتحاد الأسبوعي، قطر.

ـ صحيفة الحياة، لندن.

ـ صحيفة النهار، بيروت.

ـ صحيفة السفير، بيروت.

ـ صحيفة البعث سورية.

ـ صحيفة تشرين سورية.

٦ ـ دراسات وندوات:

ـ أبو عامود محمد سعد،" نحو رؤية إستراتيجية جديدة للعمل العربي المشترك"، مجلة شؤون عربية، العدد ١١٥، خريف ٢٠٠٣، القاهرة.

ـ إبراهيم حسن، "الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي" كتاب لـ د. حامد ربيع، دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٨٣، مجلة شؤون عربية، العدد ٤١، آذار/ مارس١٩٨٥.

ـ أحمد يوسف أحمد ، "قمة عمان وتطوير الجامعة العربية": رؤية نقدية مقارنة "، مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٦ حزيران / يونيو، ٢٠٠١.

ـ الدعمي محمد، "نحو استراتيجية للثقافة العربية جامعة الدول العربية والعمل العربي الثقافي المشترك"، مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٣، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠.

ـ الجبوري جميل، " ميثاق جامعة الدول العربية والتحديات أمام الأمة العربي" مجلة شؤون عربية، العدد٤١، آذار /مارس ١٩٨٥.

ـ الحديثي خليل اسماعيل، "تسوية المنازعات العربية ومشكلة التفريط والإفراط بين الجامعة والدول الأعضاء"، مجلة شؤون عربية الرشدان عبد الفتاح الرشدان، "التحديات التي تواجه الجامعة والعوامل التي تؤثر على أدائها"، مجلة شؤون عربية، العدد ٩٥، أيلول/سبتمبر ١٩٩٨.

ـ الكيلاني هيثم، "دعوة إلى مذهب عسكري عربي" مجلة شؤون عربية، العدد٤١، آذار/ مارس،١٩٨٥.

ـ المغول مختار "توحيد السلم التعليمي في البلاد العربية"، (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨١)، (دراسة غير منشورة). انظر مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢.

ـ الصالحي عبد الرحمن، "تحديث جامعة الدول العربية في إطار المتغيرات الدولية"، مجلة شؤون عربية، العدد ٨١، آذار/ مارس، ١٩٩٥، القاهرة.

ـ الرشدان عبد الفتاح، "التحديات التي تواجه الجامعة والعوامل التي تؤثر على أدائها"، مجلة شؤون عربية، العدد ٩٥، أيلول/سبتمبر ١٩٩٨.

ـ الظاهر حسن، "التحديات التي تواجه الأمة العربية: دراسة تحليلية، مجلة شؤون عربية، العدد ٩٥، أيلول/سبتمبر ١٩٩٨.

ـ "التحديات التي تواجه الأمة العربية: دراسة تحليلية، مجلة شؤون عربية، العدد ٩٥، أيلول/سبتمبر ١٩٩٨.

ـ الجبوري جميل، " ميثاق جامعة الدول العربية والتحديات أمام الأمة العربي" مجلة شؤون عربية، العدد٤١، آذار /مارس ١٩٨٥.

ـ بوعوني الأزهر، "نظام القرارات في جامعة الدول العربية"، مجلة شؤون عربية، العدد ٢٧ ، أيار/ مايو ١٩٨٣.

ـ لطفي الشيشيني ناديا، "أين يبدأ التكامل العربي، في مجال الصناعة أم في مجال الزراعة"، المستقبل العربي، العدد الأول، أيار / مايو ١٩٧٨.

ـ محمد عز العرب محمد، ندوة: معهد البحوث والدراسات العربية، التابع لجامعة الدول العربية، " التكامل الثقافي العربي في عصر العولمة" القاهرة، ٢٥ ـ ٢٠٠١/١٢/٢٦، مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢.

ـ مطر جميل، "التجارب الوحدوية الوظيفية، الجامعة العربية"، المستقبل العربي، السنة ٢، العدد ١١، (كانون الثاني / يناير ١٩٨٠).

ـ ساري حلمي "أخبار الانتفاضة في المؤسسة الصحفية العربية: دراسة تحليلية في علم الاجتماع الإعلامي"، مجلة شؤون عربية، العدد٦٨، كانون الأول/ ديسمبر، ١٩٩١.

ـ عبد المجيد أحمد عصمت، "جامعة الدول العربية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية"، مجلة شؤون عربية، العدد ٨١، آذار/ مارس، ١٩٩٥، القاهرة.

ـ صابر محي الدين، مدبر عام سابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، "الدور الثقافي لجامعة الدول العربية" مجلة شؤون عربية، العدد٤١، آذار/ مارس، ١٩٨٥.

ـ صالحي عبد الرحمن، "تحديث جامعة الدول العربية في إطار المتغيرات الدولية"، مجلة شؤون عربية، العدد ٨١، آذار/ مارس، ١٩٩٥، القاهرة.

ــ الحديثي خليل اسماعيل، "تسوية المنازعات العربية ومشكلة التفريط والإفراط بين الجامعة والدول الأعضاء"، مجلة شؤون عربية العدد ١٠٥، آذار/ مارس ٢٠٠١.

ــ ربيع حامد "مفهوم الأمن القومي العربي"، مجلة شؤون عربية، عدد٢، نيسان/ أبريل ١٩٨١، تونس.

ــ شعبان صادق، "دخول تعديل الميثاق حيز التنفيذ"، مجلة شؤون عربية، العدد ٩، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨١.

ــ أدوار ووظائف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (دراسة)" مجلة شؤون عربية، العدد٤١، آذار/ مارس، ١٩٨٥.

ــ شموط أسامة ، والخطيب أحمد، محاولات توحيد وتطوير المناهج الدراسية في البلاد العربية،(تونس:جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨١)، (دراسة غير منشورة). انظر مجلة شؤون عربية،العدد ٤١، آذار/ مارس١٩٨٥.

ــ ندوة حول "الثقافة العربية في أربعة عقود من عمر جامعة الدول العربية"، المشاركون في الندوة، أ. أديب اللجمي، مستشارلدى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. أ. الطاهر قيقة، مدير عام مساعد سابق، للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. د.الطاهر لبيب، عقدت الندوة في تونس، كانون الثاني/يناير،١٩٨٥.مجلة شؤون عربية، العدد٤١، آذار/ مارس١٩٨٥.

٧ ــ الكتب: بعضها مصادر لمواضيع معينة، وبعضها الآخر مراجع لأخرى:

ــ الجابري محمد عابد، المسألة الثقافية، سلسلة الثقافة القومية، قضايا الفكر العربي، ١ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤.

ـ الحص سليم، عقد القرار والهوى، تجارب الحكم في حقبة الانقسام ١٩٨٧ ـ ١٩٩٠، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٩١.

ـ الحصري خلدون، حول الوحدة العربية، في سعدون حمادي وآخرون، دراسات في القومية العربية والوحدة، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٤ .

ـ الكواكبي عبد الرحمن، أم القرى، المطبعة العصرية بالأزهر ١٩٣١.

ـ المبيض عامر، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية، مصطلحات ومفاهيم، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، سورية، حمص، دار المعارف للنشر والطباعة والتوزيع.

ـ المرزوقي أبو يعرب، آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب العولمة، فلسفة، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩.

ـ العبد عارف، لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل، طبعة أولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠١.

ـ الصلح عادل، سطور من الرسالة تاريخ حركة استقلالية في المشرق سنة ١٨٧٧ م، بيروت ١٩٦٦.

ـ الشهابي مصطفى، القومية العربية: تاريخها وقوامها ومراميها الطبعة الثانية، معهد الدراسات العربية ١٩٦١.

ـ الشقيري أحمد، الجامعة العربية: كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية، (تونس: دار بوسلامة) ١٩٧٩.

ـ الرشيدي أحمد، جامعة الدول العربية، خمسون عاماً على طريق العمل العربي المشترك، القاهرة، مركز الدراسات الحضارية، ١٩٩٥.

ــ بهلوان سمر ومحمد حبيب صالح، دراسات في تاريخ القضية الفلسطينية، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٧ ــ ١٩٩٨.

ــ بو حبيب عبد الله، الضوء الأصفر، السياسة الأمريكية تجاه لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩١.

ــ بوقربة عبد المجيد، "التراث وإشكالية النهضة في الخطاب العربي المعاصر"، في: - بومدين بوزيد (وآخرون)، قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر، سلسلة كتب المستقبل العربي، ١٨ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩.

ــ حتي ناصيف، الظروف الدولية والإقليمية المحيطة بمحاولات تعديل الميثاق، القاهرة: المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل، ١٩٩٢.

ــ داغر أسعد، ثورة العرب: مقدماتها، أسبابها، نتائجها، القاهرة: مطبعة المقطم، ١٩١٦.

دروزه محمد عزت، الحركة العربية الحديثة، تاريخ ومذكرات وتعليقات، صيدا المطبعة العصرية، ١٩٥٠.

ــ داوود أحمد، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩١.

ــ زكي رمزي، أعباء الديون الخارجية وآثارها على الخطط الإنمائية بالبلاد العربية، المعهد العربي للتخطيط ، الكويت، كانون الثاني / يناير، ١٩٨٤.

ــ طربين أحمد، التجزئة العربية، كيف تحققت تاريخياً، سلسلة الثقافة القومية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧.

ـــــــ الوحدة العربية بين ١٩١٦ـــ ١٩٤٥ م، سلسلة الثقافة القومية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧ .

ـ طرابلسي فواز، صورة الفتى بالأحمر، أيام في السلم والحرب، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٧ .

ـ سالم صلاح، "معاداة السامية أم معانات الثقافة العربية من الصهيونية والليبرالية الغربية معاً ، مقالة"، مجلة شؤون عربية، العدد ١١٧، ربيع ٢٠٠٤.

ـ سعد الدين إبراهيم، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢.

ـ سالم إيلي ، الخيارات الصعبة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٨ ، دبلوماسية البحث عن مخرج، ترجمة مخايل خوري، الطبعة الثالثة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص١٥٥.

ـ عازوري نجيب، يقظة الأمة العربية، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨.

ـ عبد المجيد وحيد، انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربي الإسرائيلي، سلسلة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٤٩، القاهرة: المركز، ١٩٨١.

ـ " الاتفاق الاستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل: الأبعاد وردود الفعل، " المنار، السنة١، العدد١ (كانون الثاني / يناير ١٩٨٥).

ـ عبد المنعم محمد عفر، اقتصاديات الوطن العربي بين التنمية والتكامل، جدة ، دار المجمع العلمي، ١٩٨٠.

ـ عثمان عوض، "مخاطر التشريع الفلسطيني لتجريم وإبعاد المقاومـــة"، مختـــارات إسرائيلية، السنة ٨، العدد ٩٠ (حزيران/يونيو ٢٠٠٢).

ـ عبد الدائم عبد الله ، إسرائيل وهويتها الممزقـــة، سلـــسلة الثقافـــة القوميـــة، ٣٠ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦).

ـ فارس أحمد مراد، بعض قضايا التعاون الاقتصادي العربي، (دار دمشق للطباعـــة والنشر، دمشق ١٩٧٤).

ـ قهوجي حبيب، استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلـــة، مؤســـسة الأرض للدراسات، دمشق، ١٩٨٧.

ـ شقير محمد لبيب، الوحدة الاقتصادية العربية خصوصاً وتوقعاتها، بيروت مركـــز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦، ج٢.

ـ شتا أحمد عبد لونيس، اتجاهات وموضوعات تطوير جامعة الدول العربية في الفقه العربي، (القاهرة: المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل،١٩٩٢).

ـ محمد نجاح: المتغيرات والنظام العالمي الجديد وسورية، منشورات اتحاد الكتـــاب العرب، دمشق، ١٩٩٥.

ـ منسى بشارة، الطائف بين الطائف، شركة المشرق للنشر، بيروت، ١٩٩٤.

ـ مجموعة من الباحثين، "حرب الخليج، غزو الكويت وتحريرها"، الطبعة الأولـــى، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٩٢.

ـ مجموعة من المؤلفين، صفحات عز في كتاب الأمة، دار الهادي للطباعة، ١٩٩٣.

ـ نوفل سيد ،العمل العربي المشترك:ماضيه ومستقبله(القاهرة. جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨).

ـ هيكل محمد حسنين، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

ـ هيكل محمد حسنين، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، عواصف الحــرب وعواصف السلام، الكتاب الثاني، الطبعة الثانية، دار الشروق١٩٩٦.

ـ هيكل محمد حسنين، أكتوبر٧٣ السلاح والسياسة "مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، طبعة أولى، ١٩٩٣" .

ـ هيكل محمد حسنين، الطريق إلى رمضان، نقله إلى العربية يوسف الــصباغ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٥.

٨ ـ مواقع إنترنت:

http:/www.aljazeera.net/news/archive.
http:/www.aljazeera.net/wathaekea.
http:/www.kitabat.com/salah-2.htm.
http:/www.kefaya.org/05znet

II ـ المصادر والمراجع الأجنبية:

١ ـ موقع وزارة الخارجية الأمريكية على الإنترنت:

usinfo.state.gov/arabi

٢ ـ المجلات والصحف الأجنبية:

مجلة دير شبيغل الألمانية، برلين.

صحيفة التايمز البريطانية، لندن.

صحيفة عل همشمار، القدس المحتلة.

صحيفة معاريف، "تل أبيب.

٣ ـ الكتب:

- Inderson Lisa (World Media, Gannet Foundation Media Center, New York, at Columbia University Fall 1990)..
- Eden Sir Robert Anthony First the Earl Of Avon , The Reckoning : the Eden memoirs ,London, 1965.

- Alpher Joseph, "Security Arrangements for a Palestinian Settlement" (Survival, Vol.34,No.4, Winter 1992-1993, International Institute for Strategic Studies, London).
- Amirahmadi., "the United States and the Middle East: A Search for New Perspectives"(Various Contributors, The United States and the Middle East. New York, 1993, pp. 3-31.
- Badeau John S., East and West of Suez, The Story of the Modern Near East, N.Y.
- Benvenisti Meron, The West Bank Data Base Project : 1978 Report Jerusalem : Jerusalem Post 1987.
- Bush President George, State of the Union speech, Septembre,11, 1990, United states information, 1990- 1991.
- Cohn Saul, Geopolitics of the World System, New York: Rowan Little Field publishers Inc, 2003.
- Dreyfuss Robert, Syria: the next Iraq . Tom Paine, 2005.
- Hamilton William, The Importance of being there Central View past, Nay 31, 2004.
- Huntington Samuel P., The Clash Of Civilizations And The Remaking Of World Order (New York : Simon And Schuster : 1996).
- Fredman Lawrence and E. K., The Gulf Conflict 1990-1992, Diplomacy and War in New World Order, New Jersey, 1992.
- International Institute for Strategic Studies (IIss) , The Military Balance,1988_ 1989 London: IISS,1988)PP.96 _ 119 .
- Le Bon Gustave, "la Civilisation des Arabes", Paris, ed. 1996.
- Ramsay W.M., The Historical Geography of Asia Minor. London, 1890.
- Pierre ROSSI, La Cite d'Isis Histoire Vraie des Arabes, Paris, 1976;
- Seale Patric, The Struggle for Syria, , Oxford University Press, 1965
- Spengler Oswald, The Decline Of The West Authorized Translation With Notes By Charh Frincis Athinson 2 Vols, New York ,:A. Knopf 1926 : 1928.
- Wilmat Chester, The Struggle for Europe, New York, Harper 1963 .

٤ ـ كتب وأبحاث مترجمة:

ـ داغر كارول، جنرال ورهان، دار ملف العالم العربي، بيروت، ١٩٩٢.

ـ راندل جوناثان، حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي، أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٤.
ـ شيفر شيمون، كرة الثلج، أسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان، ١٩٨٤.
ـ فانتاجو، المعجزة العربية، ترجمة رمضان رولاند، بيروت ، ١٩٦٠.
ـ كيسنجر هنري "مذكرات" في البيت الأبيض، ترجمة خليل فريجات، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الرابعة ١٩٩٣، الجزء الرابع، ص٢٨١ .
كوانت ويليام، أمريكا والعرب وإسرائيل، ترجمة عبد العظيم حماد، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.
ـ ميرجلان البرت، " تأملات عسكري أوروبي حول الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي الاسرائيلي"، المنار، السنة١، العدد١ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٥).
ـ هانف تيودور، لبنان تعايش في زمن الحرب: من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، نقله عن الألمانية موريس صليبا، مركز الدراسات العربي ـ الأوروبي، باريس ١٩٩٣) .

النزاع الحدودي البحريني- القطري وطرق تسويته سلمياً ١٩١٣-٢٠٠١م

إعداد طالبة الدكتوراه
كيندا كنيهر

إشراف الأستاذة الدكتورة
سمر بهلوان

قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

المقدمة

١-البعد التاريخي للنزاع البحريني- القطري

٢-قطر والبحرين من الناحية الجغرافية

٣- ظهور مشيخة آل ثاني على قطر وبناء الدولة

٤-أثر النزاع العثماني-البريطاني على الحدود بين قطر والبحرين

٥-بداية المشكلة الحدودية بين البحرين وقطر

أ-المرحلة الأولى "النزاع العثماني- البريطاني ومشكلة الزبارة"

ب-مشكلة الزبارة والتصادم العسكري بين قطر والبحرين

ج-المرحلة الثانية :النفط وتطور المشكلة الحدودية

٦-تطور المشكلة الحدودية بين قطر والبحرين ١٩٣٨-٢٠٠١م

المقدمة:

تعد مسألة الحدود بين الدول العربية المتجاورة من المسائل السياسية المهمة التي عانت منها أمتنا العربية خلال القرن العشرين، وما تزال تداعياتها تتفاعل فرقة وتجزئة وتوتراً في العلاقات العربية – العربية، وقد أدى الاستعمار الغربي الدور الرئيس في إيجاد هذه المشاكل وتفعيلها بين الحين والآخر، ورغم أن معظم الدول العربية قد تخلصت من الاستعمار منذ القرن الماضي، إلا أنها ما تزال تعاني إشكاليات خطيرة وعديدة (ومنها الحدود) وكأنها ما تزال تحت الاحتلال، لأن قوى الاستعمار لم تكن تفكر إلا في الطريقة التي ستحصل منها على المزيد من المكتسبات من الدول العربية، لاسيما أن الوطن العربي يربض فوق خزان نفطي كبير يضخ على عالمنا العربي مليارات الدولارات متناسين العلاقات التاريخية التي تجمع بين أجزاء الوطن العربي قبل أن يفتتها الاستعمار، فالوطن العربي الذي يشكل وحدة جغرافية متصلة منذ زمن طويل، أصبحت الآن حدوده وبعد عشرات السنين من خروج الاستعمار مادة خلاف دسمة، تستنفذ الكثير الكثير من الجهد العربي مادياً ومعنوياً، حيث استخدمتها الدول الاستعمارية كعقدة تسمح لها بالتدخل في شؤوننا العربية متى شاءت ومتى ارتأت أنها مفيدة لمصالحها في المنطقة.

١-البعد التاريخي للنزاع البحريني- القطري:

ارتبطت البحرين وقطر بتاريخ مشترك خلال عقود عدة جمعت بينهما وحدة المصير والمسار، حيث تعود العلاقات بين البلدين إلى القرن الثامن عشر، التاريخ الذي هاجرت فيه قبائل العتوب[١] من أواسط شبه الجزيرة العربية مارة بقطر، التي كانت تحت حكم آل مسلم آنذاك[٢]، ومن بين هؤلاء المهاجرين آل خليفة الذين تعاونوا مع آل الصباح، والجلاهمة، ومن رافقهم في الهجرة على بناء مدينة الكويت، التي ازدهرت بسرعة كبيرة خلال ستين سنة، إلا أن اقتسام الحكم فيها بين آل الصباح

والجلاهمة أدى إلى استياء آل خليفة من ذلك التقسيم الذي عدوه تهميشاً لهم، فعادوا أدراجهم إلى قطر واستقروا في الزبارة [٣]عام١١٨٠ه/١٧٦٦م[٤]، إضافة إلى أن بحثهم عن المزيد من الثراء واللؤلؤ على ساحل الخليج العربي كان من الأسباب التي دفعتهم إلى الهجرة، حيث أسسوا مدينة الزبارة ووضعوا كل خبراتهم لإنعاش ذلك الميناء وزيادة قوته حتى أصبح يشكل خطراً على الفرس الذين كانوا آنذاك يسيطرون على البحرين، وعندما أخذ خطر الزبارة يهدد الموانئ الفارسية شنت عليها هجمات فاشلة عدة، قابلها العتوب، برد انتقامي عام ١٢٩٠ه/١٧٨٣م، العام الذي يعد بداية التاريخ الحديث للبحرين، حيث تحرك العتوب بأسطول كبير من شبه الجزيرة القطرية بمساعدة عتوب الكويت، وباتحاد قبائل قطر المختلفة من آل مسلم من الحويلة وآل سودان من الدوحة وبني علي من القويرط، وآل بو عينين من الوكرة، والقبيسات من خور حسان وآل سليط من الدوحة، والمنانعة من أبو ظلوف، والسادة من داخل قطر، وتمكنوا باتحادهم من هزيمة الفرس وتحرير البحرين، ومنذ ذلك التاريخ تحولت أنظار آل خليفة عن قطر إلى البحرين وذلك لأرضها الغنية بالزراعة، وتوافر مصائد اللؤلؤ وازدهار مينائها بالتجارة، وأخذوا ينيبون أحد أفراد أسرتهم لحكم شبه الجزيرة القطرية[٥]. لقد اعتمد آل خليفة لضمان استمرار حكمهم في قطر على سياسة فرق تسد، حيث عملوا على تفكيك القبائل القطرية والتفرقة بينها وذلك باستخدام المال تارة وباستخدام القوة تارة أخرى، مما مكنهم من حكم قطر فترة طويلة قبل أن تتمكن القبائل القطرية من إدراك أن آل خليفة سيستمرون في فرض سيطرتهم على بلادهم ما لم يوحدوا قوتهم ليتمكنوا من الاستقلال بحكم قطر والقضاء على نفوذ آل خليفة فيها، وقد شهدت المنطقة سلسلة من التطورات السياسية أدت إلى تقوية الروابط القومية بين القبائل المتواجدة على أرض شبه الجزيرة القطرية، حيث أن العلاقة بين شيخ البحرين وبين قائد القوات المصرية في الإحساء أثارت مخاوف سكان الجزيرة من تعرضهم لخطر جديد، فقد رفضت بعض القبائل دفع الزكاة باسم المصريين في أواخر عام

١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، وفضلت بعضها الرحيل عن قطر كقبيلة أبو كوارة وقبيلة النعيم[٦]، فما كان من محمد أفندي الحاكم المصري في الإحساء، إلا أن توجه مع فرق من قواته النظامية وبعض البدو الموالين له إلى قطر، إلا أن اغتياله في الهفوف حال دون وصول تلك القوة وعودتها أدراجها إلى الإحساء، كل تلك التطورات إضافة إلى انشغال البحرينيين بردع هجمات الوهابيين وآل الجلاهمة، إضافة إلى الحرب الأهلية في البحرين بين عامي ١٢٥٦-١٢٥٩هـ/١٨٤٠-١٨٤٣م ساعد القبائل القطرية على النمو كقوة إقليمية مترابطة ووازنة، حيث أسهمت الحرب الأهلية في البحرين إلى نمو وعي القطريين إلى خطورة مثل هذه النزاعات التي ساعدتهم على إضعاف نفوذ آل خليفة في قطر، لاسيما بعد استعانة أطراف النزاع في البحرين بالقوى القطرية، الأمر الذي دفع فكرة الاستقلال في حكم جزيرتهم أو حتى حكم مناطقهم المحلية إلى الظهور بشكل جلي، لاسيما أنهم استطاعوا إنهاء الحرب الأهلية لصالح الشخص الذي وقفوا إلى جانبه وهو الشيخ محمد آل خليفة، فشعروا بقوتهم وأخذوا يطالبون بالمزيد من الاستقلال في بلادهم، وكانت القوى المحلية القطرية قد أعانت آل عيسى بن طريف في الحرب الأهلية، فانتقلت جماعته من آل علي إلى البدع في قطر، وأصبح والياً على قطر كممثل عن محمد آل خليفة، إلا أن العلاقة بين الرجلين سرعان ما ساءت بعد أن توسط ابن طريف لأولاد الشيخ عبد الله الحاكم المخلوع في البحرين في الحرب الأهلية، حيث استاء من أن أحد ولاته طلب ذلك، فتوجه بقواته إلى قطر بقيادة أخيه علي ونزل قبيلة النعيم، في حين استعان ابن طريف بالمناصير وأبناء الشيخ المخلوع وبني هاجر، والتقى الجمعان في موقع أم سويه عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م، وانتهت المعركة بموت ابن طريف وخراب الدوحة. استعان أبناء الشيخ المخلوع في المرة الثانية بقوات الأمير فيصل بن تركي الذي توجه بنفسه إلى قطر في بداية العام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م أثناء زيارته لممتلكاته، وطالبه عندها أهل قطر من الوكرة والقويرط وغيرهم بأنهم يفضلون التبعية للدولة الوهابية بدلاً من البحرين[٦]، إلا أن طول مدة

الصراع مع القوى القطرية المحلية وحليفها الشيخ محمد آل خليفة دفعته للانسحاب، ولاسيما أن القطريين فضلوا عقد الصلح مع السعوديين خشية على موسم الغوص، ومن الحوادث الأخرى التي تظهر ازدياد قوة القطريين قضية **الدولاب** وفيها هاجم القطريون على رأسهم الشيخ جاسم آل ثاني قصر الحاكم البحريني لقطر أحمد ابن محمد آل خليفة احتجاجاً على سجن رئيس قبيلة النعيم علي بن ثامر، حيث حاصروا القلعة في الوكرة، فهرب الحاكم وأخرج علي بن ثامر من السجن عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، إلا أن التطورات التالية كانت النقطة الفاصلة في العلاقة بين قطر والبحرين، حيث استطاع آل خليفة استدراج الشيخ جاسم آل ثاني إلى البحرين وزجه بالسجن، وهاجموا بعد سجن الشيخ قطر ودمروا الوكرة والدوحة، وهو ما يسمى خراب الدوحة الثاني عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م، الأمر الذي دفع القطريين إلى تجميع قواهم ومهاجمة البحرين، إلا أنهم هزموا وعادوا أدراجهم إلى بر قطر، فلاحقهم البحرينيون طالبين الدعم من حكومة فارس، الأمر الذي أقلق بريطانيا من عودة النفوذ الفارسي إلى البحرين، ومنافسة بريطانيا في مياه الخليج العربي، فكان التدخل البريطاني حاسماً، وظهر ذلك عندما وجه الكولونيل **لويس بيللي** (L.Pelly) المعتمد البريطاني في مياه الخليج بين عامي١٢٧٩-١٢٨٩هـ/١٨٦٢-١٨٧٢م إنذاراً إلى شيخ أبو ظبي والبحرين عام١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، بعد قيامهم بهجوم مدمر على قطر عام١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، و انتهى هذا الهجوم بتدمير مدينتي الوكرة والدوحة، طالباً منهما عدم التعرض لقطر، وأتبع هذا الموقف بزيارة قام بها إلى قطر، حيث توجه إلى الوكرة على خلفية الهجوم البحريني والرد القطري بمهاجمة البحرين، واجتمع مع الشيخ محمد آل ثاني ووقع معه اتفاقاً أدخل فيه قطر في المهادنات البحرية لأول مرة عام١٢٨٥/ ١٨٦٨م[٧]، لتصبح قطر تحت حكم آل ثاني، وتصبح عندها جزءاً من الحلقة السياسية المعترف عليها من قبل بريطانيا ككيان سياسي مستقل ولو بشكل سري آنذاك وغير مكتمل، فقد اعترفت بريطانيا بقطر ضمن الإمارات الموقعة على

اتفاقيات حماية، إلا أنها طالبت قطر أن تدفع الضريبة السنوية التي كان يدفعها آل خليفة للوهابيين عن قطر، لتبدأ قطر مرحلة تاريخية جديدة ولكن ككيان سياسي مستقل هذه المرة(٨).

٢-قطر والبحرين من الناحية الجغرافية :

البحرين جزيرة في الخليج العربي تبعد عن الظهران اثني عشر ميلاً وهي تتألف من ثلاث وثلاثين جزيرة أعظمها أهمية جزيرة البحرين (٥٩١كيلو متر مربع)، وتشكل ما يقارب ٨٣% من المساحة العامة للبحرين وتقع في وسط الخليج بين العربية السعودية وقطر بمساحة تقدر بـــ (٧١٧،٥ كم مربع)، تحتل البحرين موقعاً استراتيجياً في منتصف الساحل الجنوبي للخليج العربي(٨)، تمتاز البحرين بكثرة محاصيلها وبصيد اللؤلؤ وقد ضمها آل خليفة إلى مركزهم في الزبارة، بعد إخراج الفرس منها عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م ثم انتقل إليها مع أسرته ١٢١٢هـ/١٧٩٧م لتصبح مقراً لحكمهم حتى اليوم(٩). والبحرين أرخبيل معظم جزره صخرية صغيرة باستثناء جزيرة البحرين التي منحت اسمها لدولة البحرين(١٠).

أما قطر فهي عبارة عن لسان كبير من اليابسة يمتد داخل الخليج من ساحله الغربي وذلك في منتصف المسافة بين مدخله رأس مسندم ورأسه عند مصب شط العرب يحيط بها البحر من الشمال والشرق والغرب، أما حدودها الجنوبية التي تفصلها عن الإمارات والسعودية فهي المناطق المتنازع عليها وهي التي بقيت غير واضحة المعالم حتى وقت قريب، وهي تبدأ من نهاية دوحة سلوى على الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية، ومن هذه المنطقة باتجاه الجنوب الشرقي إلى أن تصل آبار اسكك، ثم تمتد إلى شرق الشمال الشرقي للطرف الشمالي للتلال الرملية (النقيان)، أو كما جاء في تقرير آخر تتجه نحو الجنوب الشرقي للنهاية الجنوبية لهذه التلال على الجانب الشمالي لمدخل خور العديد(١١) تقع قطر في منتصف الساحل الغربي للخليج العربي

بين خطي عرض ٢٤-٣٠ جنوباً ٢٦-٣٤ شمالاً وخطي الطول ٤٥-٥٠-٤٠-٥١ شرقي غرينتش، وتبلغ المساحة الكلية لقطر ٤٠٠٠ ميل مربع وطول يبلغ ١٦٠كيلو متراً، وعرضها من الشرق إلى الغرب حوالي ٨٠ كم، ويذكر وليم **بلجريف** Palgreve في وصف شبه جزيرة قطر أنها (المكان البائس)، فهي منطقة غير صالحة للزراعة وذلك بسبب عدم توافر المياه الكافية، طقسها حار وصيفها طويل في حين شتاؤها دافئ وأمطاره قليلة[١٢].

لقد كانت قطر جغرافياً تابعة للبحرين وفقاً للسجلات التاريخية المسيحية في القرنين السادس والسابع الميلادي ووفقاً للجغرافيين العرب أيضاً[١٣]، حيث يقول عنها ياقوت الحموي ((هي قرية في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها كما تنسب عتاق الإبل التي يسابق عليها)) [١٤]، وفي تلك الأثناء كانت البحرين تمتد من ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان وهي بهذا التعريف تشمل الإحساء وقطر والكويت والبحرين حالياً، وترتبط غرباً باليمامة وشمالاً بالبصرة وجنوباً بعمان[١٥]، وشبه جزيرة قطر من حيث الشكل والموقع منطقة تخوم تكاملت شمالاً مع البحرين ومع التجمعات السكانية في الجنوب الشرقي، وفي القسم الأوسط تكاملت مع دراز أرض الرعاة والجمال وفق ولكنسون، كل ذلك ترافق مع التحول من منطقة الزبارة[١٦]، التي كانت مقر آل خليفة حكام البحرين، وبعودتهم إلى البحرين للاستفادة من صيد اللؤلؤ بدأت تتبلور بشكل جلي منطقة الدوحة كمقر لتمركز تجمع سكاني تحت حكم آل ثاني. [١٧]

٣- ظهور مشيخة آل ثاني [١٨] على قطر وبناء الدولة:

مرت شبه الجزيرة القطرية بحالة من عدم التوازن سنيناً طويلة، فقد كانت جزءاً من مشايخ ودول قبل أن تتحول إلى دولة قائمة بذاتها وفق المفهوم السياسي للدولة، حيث شهدت شبه الجزيرة العربية هجرة قبائل العتوب من وسطها في مطلع القرن السابع

عشر، ليتخذوا من قطر مقراً لهم طيلة نصف قرن، إلا أن هذه الفترة شهدت صراعاً كبيراً بينهم وبين آل مسلم حكام قطر آنذاك، ويعتقد أن آل خليفة بعد استعادة البحرين من الفرس وانتقال مقر حكمهم إلى البحرين، خفّ اهتمامهم بقطر واعتمدوا على أحد أفراد الأسرة لإدارة شؤونها، الأمر الذي فتح المجال لآل ثاني لتعزيز نفوذهم في قطر وتوحيد القبائل القطرية للتخلص من حكم آل خليفة لبلادهم، فقد ارتبط اسم تلك الأسرة التي هاجرت إلى قطر في القرن السابع عشر قادمة من مدينة أشيقر في نجد بدولة قطر المستقلة، واستطاعت ليس بقوتها القبلية بل بقوتها المالية التجارية ورغبتها في بناء دولة قادرة عل الاستقلال في شبه الجزيرة القطرية مستغلة الظروف السياسية غير المستقرة في الخليج العربي لتحقيق هدفها في الوصول إلى الحكم في قطر، لم يمر الكثير من الوقت حتى أثبت آل ثاني وجودهم في قطر كزعامة مالية وتجارية وفرضوا أنفسهم ليس بقوة قبيلتهم بل بقوتهم المالية، فقد اشتهرت أسرة آل ثاني بتجارة اللؤلؤ منذ استقرارها في الزبارة وعرف جد الأسرة ثاني بأنه من أشهر تجار اللؤلؤ في الخليج العربي(١٩)، وقد ساعدتهم قوتهم المالية على اجتذاب القبائل حولهم وزيادة نفوذهم لدرجة أصبح فيها محمد آل ثاني وكيل أمير نجد في قطر لجباية الضرائب وتسليمها للسعوديين بين عامي١٢٧٢-١٢٨٥هـ/١٨٥١- ١٨٦٨م، وأصبح الشيخ محمد آل ثاني حاكماً للدوحة باسم آل خليفة في البحرين، وبعد شعور الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني(٢٠) بازدياد قوتهم عمل على تحفيز القبائل القطرية على التعاون للاستقلال بقطر وتحجيم النفوذ البحريني عليها، وقد أدرك الشيخ حالة النزاع الواضحة بين العثمانيين والانجليز لزيادة نفوذهم في منطقة الخليج العربي وأراد استغلالها بما يحقق مصلحة قطر، إلا أن الاهتمام الإنكليزي بقطر لم يكن جدياً في تلك المرحلة وخلت صفحات المصادر التاريخية من أي حديث عن حدث سياسي يربط بريطانيا بقطر اللهم ماعدا ما ذكره الوكيل السياسي البريطاني في الخليج لوريمير عن زيارة المقيم البريطاني في الخليج العربي الملازم ماكلاود عام ١٢٣٩هـ/كانون الثاني١٨٢٣م

لمدينة الدوحة (البدع وقتذاك) من ضمن جولة كان يقوم بها على طول الساحل العربي، ووجدها حينها تابعة لحكم شيخ من أسرة آل بو عنين، ووجد قطر تابعة للبحرين الخاضعة لحكم آل خليفة[٢١]، فكانت الخطوة الأولى لاستقلال قطر بتوقيعه اتفاقية ١٢/١٢٨٥ أيلول ١٨٦٨م[٢٢] مع بريطانيا، التي طلبت من الشيخ مقابل حمايتها لقطر من كل الاعتداءات الخارجية أن يتعهد بعدم إثارة المشاكل أو أي عمل عدواني في البحر، وأن يعود إلى المقيم البريطاني في الخليج في كل المنازعات والخلافات التي تنشب مع جيرانه[٢٣]، وبموجب هذه المعاهدة اعترفت بريطانيا رسمياً بآل ثاني على أنهم حكام قطر[٢٤]، وقد ظلت هذه المعاهدة سرية ولم تعلن عنها بريطانيا وقتها، لأنها كانت تتحاشى الدخول في معركة سياسية ظاهرة مع السلطان العثماني الذي كان يعد قطر والبحرين تابعتين لسلطته[٢٥]، إلا أن هذه الخطوة ظلت ناقصة ولم تحقق الاستقلال الكامل لقطر، فقد نصت المعاهدة على أن يدفع آل ثاني ضريبة سنوية لآل خليفة في البحرين، الأمر الذي يعني ارتباط قطر بالبحرين. لذلك، أخذ الشيخ جاسم يعمل على التحضير لمرحلة الاستقلال النهائي مستفيداً من كل الأحداث السياسية في الخليج العربي، فاستغل وصول الحملة العثمانية عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م إلى الإحساء للتخلص من الضريبة المفروضة عليه للبحرين، وأعلن ولاءه للعثمانيين الذين أطلقوا يده في قطر كحاكم لها، فامتدت سلطة آل ثاني من الدوحة إلى كل قطر[٢٦]، وأخذ الأمير يستغل بحنكة كبيرة النزاع بين العثمانيين والبريطانيين على مياه الخليج العربي، فعندما رأى مصلحة بلده تكمن بالتعاون مع العثمانيين تعاون معهم وأصبح جزءاً من الدولة العثمانية مستغلاً الرغبة العثمانية بالتمدد في الخليج آخذاً بعين الاعتبار النفوذ الانكليزي الذي ظهر في رسالة الأمير جاسم إلى متصرفية نجد يعلمهم فيها أنه تعرض للضغط من المقيم البريطاني في بندر شهر[٢٧]، كل ذلك كان يعني أن الشيخ يعرف أن النزاع العثماني–البريطاني يفتح له المجال للاستفادة من الطرفين، فمال إلى الأتراك من سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م إلى سنة١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، حيث رفع

الشيخ جاسم آل ثاني العلم العثماني، ووصلت في العام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢ الحامية التركية إلى قطر، الأمر الذي أثار استياء المشايخ في قطر[٢٨]، ولعل الفائدة الكبيرة التي جناها الشيخ أنه وجد حامياً آخر بدلاً من الشيخ سعود بن فيصل، فأوقف دفع الزكاة و الخراج لشيخ البحرين.

٤-أثر النزاع العثماني-البريطاني على الحدود بين قطر والبحرين:

لقد بدأت شبه الجزيرة القطرية الطور الثاني من بناء الدولة المستقلة من خلال استغلال شيوخها التطورات السياسية التي عاشتها منطقة الخليج العربي في ظل التنازع العثماني-البريطاني على توسيع نفوذهما هناك، حيث استغل الشيخ جاسم الحملة العثمانية ١٢٨٨هـ/١٨٧١م للحصول على دعم مزدوج عثماني-بريطاني، فتحالفه مع العثمانيين كان آنياً ريثما يتخلص من ضريبة شيخ البحرين ويحصل في المرحلة الأولى على جواز العبور الأول لإظهار الشخصية المستقلة لقطر، حيث أطلق العثمانيون يده كحاكم مستقل عن البحرين في قطر، وأصبح قائمقام عثماني، ومن جهة بريطانيا استفاد من رغبة بريطانيا في عدم الدخول في نزاع مع الدولة العثمانية وطلبها من شيخ البحرين عدم مهاجمة قطر على الرغم من مطالبة شيخ البحرين بتبعية الزبارة وسكانها من آل النعيم له[٢٩]، وكان سبب هذا الطلب البريطاني لأن شيخ قطر اليوم يمثل الدولة العثمانية كونه قائمقام تابع للعثمانيين[٣٠]، في هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية تسعى إلى ضم البحرين إليها، عندها سعت بريطانيا لوقف المدّ العثماني في الخليج العربي مشككة بشرعية وجودها ومتهمة إياها بعدم القدرة على ضبط الأمن هناك، حيث إن القرصنة قد ازدادت في تلك الأثناء منطلقين في شن هجماتهم من منطقة الغوار في قطر على الرغم من وجود حامية عثمانية هناك، عندها طالبت بريطانيا الدولة العثمانية بالموافقة على توضيح الحدود الفاصلة بين مناطق نفوذهما، ومن هنا ظهرت إلى العلن لأول مرة مسألة الحدود في منطقة الخليج، إلا أن بريطانيا لم تكن تريد في ذلك الوقت تحديداً دقيقاً للحدود بقدر ما كانت تريد المحافظة

على مصالحها في الخليج، من هنا لم تهتم لمطالب شيخ البحرين في الوكرة والزبارة، وركزت على رسم خط فاصل بين مناطق نفوذها ومناطق التواجد العثماني، وقد ركّزت بريطانيا بعد قيام حكومة الهند بعدم التدخل لوقف القرصنة، لا بل التساهل في بعض الأحيان مع أعمال القرصنة لإظهار عجز السيادة العثمانية في الخليج، وعدم قدرتها على حفظ الأمن، لإبعاد العثمانيين من منطقة جنوب الكويت، ووقف نفوذها عند منطقة العقير، وبالتالي السماح للعثمانيين الاتصال بقطر، في حال ارتضى الطرفان ذلك، ولكن منعهم من الاتصال بالمشيخات التي وقعت اتفاقيات حماية مع بريطانيا، أي ساحل الصلح ومسقط، وبمعنى أوضح لما سبق حصر السيادة العثمانية ما وراء خليج العقير، إلا أن هذا لم يكن يعني أن بريطانيا ستتساهل في مسالة فرض العثمانيين لنفوذهم على قطر، لأن ذلك قد يدفعها إلى الطموح بمناطق أخرى في الخليج العربي، فحاولت قدر الممكن تصعيب المهمة العثمانية في قطر، وذلك بمقاومة كل فعل عثماني ساعٍ لتعزيز نفوذ الدولة العثمانية في قطر، ومن هنا جاء تصدي بريطانيا لمحاولات الدولة العثمانية بتوطين بعض القبائل الموالية لها في قطر على سبيل المثال متذرعين بان مشايخ قطر يرفضون توطين القبائل المعادية لشيخ البحرين والموالية للعثمانيين، وعلى الجانب الآخر للداخل القطري فقد كان الشيخ جاسم يسعى لجمع كل قبائل قطر حوله لتعزيز موقفه في ظل هذا النزاع العثماني-البريطاني، فاعترف الشيخ جاسم بتبعية خور العديد لشيخ أبو ظبي، في محاولة منه لزيادة المقربين والمتحالفين معه، واستطاع بهذه الطريقة الذكية فرض سيطرته وكسب المؤيدين له في المناطق المجاورة، إلا أنّ محاولته كسب القبائل المحيطة به انعكست سلباً على علاقته ببريطانيا، فتعاون الشيخ مع سعود ابن راشد وريث آل سعود، ومع قبائل الهجر الذين تتهمهم بريطانيا بالقرصنة دفعتها لعدم تجديد اتفاقيات الهدنة البحرية التي وقعها والده مع بريطانيا سابقاً، ومما كان يزيد حالة عدم الاستقرار في علاقة الشيخ جاسم مع بريطانيا تدخلها المستمر في الشؤون الداخلية لقطر، لاسيما عندما

حاولت استغلال الصراع بين الشيخ جاسم وأخيه الشيخ أحمد على السلطة[٣١] لتعزيز نفوذها في قطر، إلا أن موت الشيخ أحمد الذي طلب دعم بريطانيا ضد أخيه سنة١٣٢٣هـ /١٩٠٥ م أوقف المحاولة البريطانية[٣٢]، ومع ذلك تمكنت بريطانيا من وقف نفوذ الشيخ جاسم آل ثاني فيما وراء الوكرة، ومنعته من الوصول إلى شمال غربي قطر، وبذلك أصبحت قطر أرضاً للنزاع العثماني-البريطاني حتى العام ١٣٢٩هـ /١٩١١م، حيث بدأت منذ هذا التاريخ النقاشات الجدية بين تركيا الثورة (جمعية تركيا الفتاة) وبريطانيا التي حاولت تدعيم موقف شيخ البحرين بالنسبة لقطر، في حين حاولت تركيا تدعيم شرعيتها في قطر والكويت والإحساء والبحرين[٣٣]، إلا أن الشيخ جاسم بدأ منذ العام١٣١٦هـ/١٨٩٨م بإتباع سياسة تقوم على التقرب من بريطانيا، لاسيما أن القطريين شعروا أن العثمانيين يقدمون دعمهم لأعداء قطر من آل الصباح في الكويت آنذاك، وذلك عندما هاجم آل الصباح بني هاجر المتمتعين بحماية الشيخ جاسم آل ثاني[٣٤]، عندها وجد الشيخ أن النفوذ العثماني في قطر أصبح عبئاً عليه بدل أن يكون داعماً له، وبدأ الانشقاق بين القطرين والعثمانيين يظهر جلياً من العام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، عندما طلب قاسم من قبيلة القبيسات الذين يقيمون في الوكرة أن يسكنوا العديد ووعدهم قاسم بأنه سيكون معهم على الخير والشر، ووافقت هذه الجماعة على طلب الشيخ بشرط أن يعين أحد أبنائه أميراً عليهم وليس موظفاً عثمانياً، وظهر الانشقاق في مناسبة أخرى عندما عارض الشيخ قاسم إقامة مركز جمارك عثماني في البدع متذرعاً بأن الناس سيهجرون المكان في حال أقيم هذا المركز، وقد أصر العثمانيون على المركز، وأقاموه رغماً عن الشيخ ولذلك قدم قاسم استقالته من منصبه كقائمقام، وعلى خلفية هذا الحدث رفض الشيخ قاسم استقبال والي البصرة أثناء زيارته لقطر١٣١١هـ/١٨٩٣م وأرسل أخيه أحمد بدلاً منه، ورفض زيارة الوالي عندما طلب منه ذلك، مما أدى إلى حصول اشتباك عسكري بين قوات الوالي وقوات قاسم انتهت بخسائر كبيرة للجانبين عندها توسطت بريطانيا بين الشيخ والباب العالي الذي

رفض الوساطة، أما الشيخ قاسم فكلف أخيه الشيخ أحمد بالمهمة وبدأ يتودد للبريطانيين معلناً أنه سيجدد اتفاقية١٢٨٥هـ/١٨٦٨م مع بريطانيا طالباً مساعدتها في حل المشكلة مع العثمانيين(٣٥)، إلا أن هذا لم يكن يعني حينها الاقتراب من البريطانيين بشكل كامل، فالتعاون الذي حصل بين الشيخ أحمد والبريطانيين عطل علاقة بريطانيا مع الشيخ جاسم، في حين تزايدت مع الشيخ أحمد في الدوحة، واستمرت حالة اللااستقرار في تلك العلاقة حتى العام ١٢٣٤هـ/١٩٠٦م حين طلب الشيخ جاسم مقابلة المعتمد البريطاني في البحرين، وجرت المقابلة مع المترجم الخاص للمعتمد بسبب انشغاله شخصياً، من هنا رأى الشيخ القطري أن التراجع عن التحالف مع العثمانيين واستبداله بالتحالف مع بريطانيا مرة ثانية عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م هي الخطوة الأخيرة نحو دولة مستقلة لها شخصيتها السيادية.

وهكذا استطاعت قطر فرض نفسها على الساحة السياسية كدولة لها شخصيتها، وتم إجلاء الحامية العثمانية عن قطر، والضغط على شيخ البحرين للتخلي عن مطالبه فيها، لتصبح الحدود القطرية مؤشراً على ظهور الدولة القطرية الكاملة السيادة وإن بتدخلات بريطانية، ولتبدأ منذ تلك اللحظة مسيرة الدولة القطرية الحديثة، التي استهلت عملها الرسمي كدولة بتوقيع الشيخ عبد الله بن جاسم(36) اتفاقية الحماية مع بريطانيا عام١٣٣٥هـ/١٩١٦م(٣٧)، فكانت وقتذاك دعامة لحكم آل ثاني في قطر من جهة، وحاجزاً من خلال الحماية البريطانية لكل التدخلات والاعتداءات الخارجية على قطر من جهة ثانية، لاسيما أن بريطانيا في اتفاقية دارين (القطيف) مع السعودية عام١٣٣٤هـ/١٩١٥م أخذت تعهداً من الأمير عبد العزيز آل سعود بعدم التعرض لقطر أو التدخل في شؤونها الداخلية لأنها بموجب الاتفاقية السابقة أصبحت تحت الحماية البريطانية. (٣٨)

٥-بداية المشكلة الحدودية بين البحرين وقطر:

لم تكن المشكلة الحدودية بين البحرين وقطر حديثة العهد، بل هي مشكلة عاشت في الحالة السياسية للبلدين أكثر من مئة عام، فمنذ العام١٢٨٥هـ/١٨٦٨م تاريخ توقيع الاتفاقية بين قطر وبريطانيا، حيث أدت هذه الاتفاقية إلى شعور من قبل قطر أنها أصبحت كياناً سياسياً مستقلاً وطلبت ذلك من الانكليز، إلا أنها لم تستطع أن تنفصل عن البحرين تماماً، حيث نصت الاتفاقية على بقاء دفع الشيخ للجزية المقررة لآل خليفة حكام البحرين، وقد تركز الخلاف بين البلدين على مجموعة من الجزر أهمها: الزبارة [٣٩]، جزر حوار[٤٠]، وبعض المناطق الصغيرة كفشت الديبل التي ظهر فيها كميات كبيرة من الغاز الطبيعي وهي متاخمة لحقل الشمال القطري، وفشت العوم وفشت جرادة وعدد من الفشوت الصغيرة، حيث يبعد الفشتان عن البحرين قرابة ٢٥ كيلو متر شمالاً، وعن الساحل القطري حوالي ٢٠ كيلو متراً[٤١]. وقد شهد النزاع مرحلتين تاريخيتين وعلى منطقتين في أوقات مختلفة، وهما الزبارة وجزر حوار، وتبلغ مساحات المناطق المتنازع عليها كما يلي: الزبارة ١٩٣ كم٢ – جزر حوار ٥٠ كم٢ – فشت الديبل ٢٠ كم٢ – قطعتة جرادة ١ كم٢ –جزيرة جنان ١,٥ كم٢ – مغاصات اللؤلؤ ١٧٠٠ كم٢ .

أ-المرحلة الأولى "النزاع العثماني- البريطاني ومشكلة الزبارة" :

بدأت المشكلة الحدودية بشكل فعلي منذ العام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م عندما طالب شيخ البحرين بضم شبه جزيرة قطر بحجة أن معظم سكانها من العتوب، مما أثار أهالي قطر ضد الشيخ محمد بن خليفة وهددوا بالاستعانة بفيصل بن تركي حاكم نجد، فرد الشيخ على ذلك بقصف الدوحة وإعمال السيف بالأهالي من خلال حملة وجهها إلى قطر بقيادة أخيه، مما دفع الأهالي إلى إعلان الثورة في العام التالي، فاستعان الشيخ ببريطانيا لكنها رفضت المساعدة، لأن النوايا البريطانية كانت تهدف إلى فصل

البحرين عن قطر[٤٢]، حيث إنها وقعت مع قطر عام١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م معاهدة حماية أدخلتها ضمن هدنة السلام البحرية، عندما بدأ العثمانيون عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م بإعادة سيطرتهم الخليج العربي، وذلك من خلال حملة عسكرية بقيادة مدحت باشا، بعد أن أدركت الدولة العثمانية أهمية منطقة الخليج العربي كونها الخط الدفاعي الأول عن الوجود العثماني في العراق في وجه التحركات الانكليزية[٤٣]. لاسيما بعد افتتاح قناة السويس في١٢٨٥هـ/١٧ تشرين الثاني ١٨٦٩م وازدياد التنافس الدولي على استغلالها (بريطانيا –فرنسا–روسيا). لذلك، سارعت الدولة العثمانية إلى عدم التهاون مع هذا الحدث العالمي وانتهاز الفرصة لحماية ما تبقى لها من وجود في أقاليم المنطقة العربية ومحاولة تعزيز وجودها في منطقة جزيرة العرب[٤٤].

وقد أثارت الحملة العثمانية مخاوف بريطانيا على مناطق نفوذها في الخليج العربي، ولاسيما أن والي العراق مدحت باشا قائد الحملة معروف بمعاداته للسياسات البريطانية في الخليج العربي[٤٥]، من هنا سعت بريطانيا إلى وضع العراقيل في وجه الحملة العثمانية التي استطاعت توسيع نفوذها في الخليج العربي بعد أن سيطرت على قطر، حيث أصبحت قطر تابعة لولاية الإحساء، وتم تعيين قاسم آل ثاني قائمقام على قطر، ورفع العلم العثماني على دار الإمارة في الدوحة وسط مراسيم خاصة[٤٦]، كما أقام حامية عسكرية عثمانية في البدع[٤٧]، مما جعل بريطانيا تغير موقفها السريع من مزاعم شيخ البحرين في مناطق قطرية ومنها الزبارة، التي طالبت بها البحرين بحجة أن سكانها من آل النعيم[٤٨] يخضعون بشكل كامل لشيخ البحرين، ودليل ذلك تدخل حاكم البحرين لصالح قبيلة النعيم عام ١٣٠١/١٨٧٤م عندما هاجمتها قبائل بني هاجر بقيادة ناصر بن مبارك آل خليفة المقرب من آل ثاني عبر المصاهرة، وكان يطالب بمشيخة البحرين، ولم تكن بريطانيا قبل الحملة العثمانية متحمسة لمطالب البحرين، إلا أنها غيرت سياستها كلياً، بعد محاولات الدولة العثمانية مد نفوذها إلى الزبارة على الساحل القطري، وعدت الزبارة من أملاك حاكم البحرين، وأوعزت للشيخ عيسى آل

خليفة أن يمنع الدولة العثمانية الساعية للوصول إلى الزبارة وتعيين ناصر بن مبارك آل خليفة لإدارة هذه المنطقة من تحقيق هدفها، وكذلك تصدت بريطانيا لمحاولات الشيخ قاسم آل ثاني باتخاذ الخطوات العملية لإعادة إعمار الزبارة بناء على طلب عثماني لتكون قاعدة لتحقيق طموحاتها، مما جعل الدولة العثمانية تتراجع عن الفكرة[٤٩]. وقد احتجت بريطانيا رسمياً لدى الباب العالي على المحاولات العثمانية لمدّ نفوذها إلى البحرين، لكن الباب العالي نفى أن يكون له أي مخططات بغزو البحرين، وأرسلت بريطانيا الرائد **لويس بيللي** المقيم البريطاني في الخليج العربي ليؤكد له التزام بريطانيا بتقديم الدعم له في وجه التحركات العثمانية تجاه البحرين، إلا أن الحالة التي عاشتها منطقة الخليج العربي أسفرت عن سلسلة من المشاكل منها محاولة بريطانيا والدولة العثمانية استغلال مسألة عدم وجود حدود واضحة بين مشيخات الخليج العربي ومنها قطر والبحرين، وأخذت الدولتان تصبان الزيت على النار لإثارة المشيخات على بعضها البعض تحقيقاً لمصالح الدولتين المتنافستين، وقد سعت بريطانيا إلى تعزيز نفوذها في البحرين من خلال توقيع اتفاقية مع شيخها عام١٣١٠هـ/١٨٩٢م وقد نصت على ألا يدخل في أي اتفاقيات أو أي اتصالات مع دولة أجنبية باستثناء بريطانيا، إلا أن الدولة العثمانية لم تستكن لهذه الاتفاقية وكانت تستغل أي فرصة للتدخل في شؤون البحرين ومنها النزاع القبلي بين شيخ البحرين وقبيلة البوعلي بقيادة شيخها سلطان بن سلامة[٥٠]، حيث حصلت مجابهة بين شيخ البحرين ومن خلفه بريطانيا وبين قبيلة البوعلي وشيخ قطر ومن خلفهم الدولة العثمانية، فقد أرسلت بريطانيا سفينتين حربيتين **(سفنكس والبيجون)** وألحقتها بسفينة ثالثة **بليزي** إلى الخليج العربي، ووجهت احتجاجاً إلى الحكومة العثمانية في القسطنطينية جاء فيه: أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بالوجود العثماني على ساحل قطر، ولا بالادعاءات العثمانية بالسيادة على البحرين. ثم توجهت السفن البريطانية إلى ميناء الزبارة للتصدي لسفن البوعلي المدعومة من العثمانيين والشيخ

قاسم الذي نفى فيما بعد علاقته بالموضوع، ورفض الغرامات التي فرضت عليه بعد هزيمة البوعلي[٥١]، فقد قامت بريطانيا بتدمير التحصينات في ميناء الزبارة، واستولت على سبع قوارب تابعة لآل البوعلي، وأوقفت الهجوم المقرر على البحرين، وعلى الرغم من احتجاج الباب العالي على التصرف البريطاني[٥٢]، إلا أن هذا لا يغير في المعادلة الجديدة شيئاً، حيث كانت الهزيمة تعني ضياع نفوذ العثمانيين في الزبارة، لا بل الساحل القطري كله، وبدأت بريطانيا بعد العام١٣١١هـ/١٨٩٣م مرحلة جديدة لاسيما أن الشيخ قاسم قد أدرك أن السير على الخط البريطاني أفضل من الخط العثماني، حيث أدرك تمام الإدراك أن النفوذ الفعلي في المنطقة هو لبريطانيا وليس للدولة العثمانية، ومن هنا أخذ التطور السياسي في قطر ينعكس على بريطانيا التي قالت أنها لا يمكن أن تسمح للقبائل المعادية لشيخ البحرين أن تستقر في الزبارة، ولا في قطر لان ذلك يشكل خطراً على البحرين، وأكدت أن لشيخ البحرين حقوقاً ثابتة على ساحل قطر، الأمر الذي كانت قد تجاهلته سابقاً مما فتح الباب أمام نقاش جديد حول الحدود بين قطر والبحرين لم يكن مفهومها ومدلولها السياسي موجوداً آنذاك، ثم تفعل هذا النقاش عندما بدأت الدولة العثمانية وبريطانيا مباحثات جدية لإيجاد حدود للفصل بين نفوذ الدولة العثمانية ونفوذ بريطانيا في جزيرة العرب فكانت اتفاقية ١٣٣٢/١٩١٣م (الاتفاقية الانجلو – عثمانية)، التي رسمت خطاً أزرقاً حدد مناطق النفوذ للبلدين المتنافسين على المنطقة، وأنهى الوجود العثماني في قطر، حيث غادرت الحامية البريطانية قطر عام١٣٣٤هـ/١٩١٥م بموجب الاتفاقية المذكورة، لتصبح دولة مستقلة تحت الحماية البريطانية بعد توقيع الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني اتفاقية الحماية مع بريطانيا عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م[٥٣]، لقد أشعل التنافس العثماني- الانكليزي على الخليج العربي نار التنافس بين البحرين وقطر، وجعل من الحدود بينهما مشاكل أدت إلى توتر العلاقات بين البلدين، فعلى الرغم من قلة أهمية موضوع الحدود قبل الحملة العثمانية١٢٨٨هـ/١٨٧١م، إلا أنه قد أصبح له أهمية كبيرة بعدها وبدأ الحديث

لأول مرة بشكل جدي عن الحدود للفصل بين مناطق النفوذ البريطاني ومناطق النفوذ العثمانية في المنطقة.

ب-مشكلة الزبارة والتصادم العسكري بين قطر والبحرين:

أخذت مشكلة الخلاف على منطقة الزبارة تأخذ طابعاً أكثر احتداماً بين قطر والبحرين، فعلى الرغم من دخول الجانبين في مفاوضات مباشرة عبر ممثلين عن كلا الطرفين، إلا أن تمسك كل طرف بمطالبه كان يعلن سلفاً فشل المفاوضات، لاسيما أن بريطانيا لم تكن حاسمة في حل المشكلة بل دفعتها إلى التفاعل حتى تبقي الأمور متوترة بين البلدين، الأمر الذي دفع البلدان إلى التصادم العسكري بعد فشل المفاوضات، حيث حصل احتكاك عسكري بين الجيش القطري والبحريني الداعم لقبائل النعيم في ١أيلول ١٩٣٧م انتهت بهزيمة قبيلة النعيم، وسيطرت قطر بشكل كلي على الزبارة(٥٤)، إلا البحرين لم تقر بما أسفر عنه الواقع واستمرت العلاقات المتوترة بين البلدين، فاستعاضت قطر بدبي لتمدها بالأغذية، الأمر الذي خافت منه بريطانيا وأقلقها على إمدادات الأغذية خلال الحرب العالمية الثانية. لذلك، سعت إلى حل المشكلة بين البلدين وإعادة العلاقات الودية بينهما، وبالفعل توصل الجانبان إلى اتفاق في ١٣٦٤هـ/١٧حزيران ١٩٤٤م، اتفقا فيه على أن تعود الزبارة على ما كانت عليه قبل العام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ويتعهد كلا الشيخين بعدم اتخاذ أي إجراءات فيها، وعلى هذا اقفل ملف الزبارة مؤقتاً، الأمر الذي سيتجدد النقاش فيه بعد رفع مشكلة جزر حوار إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي من جانب قطر والبحرين، حيث ستجدد البحرين مطالبها بالزبارة على أساس أن قطر قد احتلتها عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م بالقوة العسكرية وهي ليست من حقها(٥٥).

ج-المرحلة الثانية :النفط وتطور المشكلة الحدودية:

لقد مضت سنين طويلة بعد الاتفاق بين الإنكليز والعثمانيين على مناطق نفوذ كل منهما والاتفاق على أن البحرين تتبع للنفوذ البريطاني وقطر للنفوذ العثماني، إلا أن التطورات السياسية والاقتصادية، التي بدأت تتضح مع بداية القرن العشرين ولاسيما بعد اكتشاف النفط بكميات تجارية كبيرة في منطقة الخليج العربي دفعت الدول الغربية إلى العمل على زيادة مناطق نفوذها هناك ليكون لها حصة من الذهب الأسود، إلا أن بريطانيا صاحبة الإرث الاستعماري التاريخي في الخليج العربي كانت حاضرة لوقف كل المحاولات من قبل الدول الأخرى للتسلل إلى الخليج العربي ومنها الدولة العثمانية، حيث أنهت الوجود العثماني في قطر، واستمالت شيخها إلى النفوذ البريطاني مقدمة الوعود بأن تكون قطر بعد اتفاقية الحماية الموقعة عام١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م نهاية لأي مطالب من قبل الدول المجاورة بتبعية قطر أو أحد مناطقها لها، ومن هنا انطلقت مرحلة جديدة حول النزاع الحدودي، فما إن انتهت الحرب العالمية الأولى، حتى تهافتت شركات النفط العالمية إلى منطقة الخليج للتنقيب عن النفط، وهنا بدأت المشكلة حيث أن امتيازات النفط كانت تحتاج إلى حدود واضحة تستطيع العمل فيها، ومن هنا بدأت المشاكل الفعلية بين البلدين، فمنذ ذلك الحين خرجت مشكلة الزبارة وجزر حوار إلى العلن والنقاش الحاد، فقد وجه شيخ البحرين اتهاماً إلى شيخ قطر أكد فيه أن الشيخ طامع بالنفط في المنطقة، وأنه استغل رسالة شيخ قبيلة النعيم(٥٦) لتحويل المشكلة لصالحه، فقد كانت هذه المشكلة على خلفية إرسال شيخ النعيم رسالة إلى شيخ البحرين فيها شكوى ضد شيخ قطر الذي أراد أن يبني مركزاً جمركياً في الزبارة، عندها تدخل المقيم البريطاني في البحرين **مكنبوثان** والمقيم في بوشهر وطلبا من شيخ البحرين المستندات التي تثبت حق البحرين في الزبارة، فاعتمد على التاريخ في مطالبه بالزبارة والمناطق الأخرى قائلاً أن قبائل النعيم القاطنة في الزبارة كانت تدين بولائها لشيخ البحرين منذ القرن التاسع عشر، وهي لا تدفع

الضرائب إلى شيخ قطر، أما شيخ قطر فقد أكد تبعية الزبارة إلى بلده، أما عن مسالة عدم جبي الضرائب من سكان الزبارة فذلك لعدم إثارة المشاكل مع قبيلة النعيم ولكي لا يؤدي إلى ردود فعل ومشاكل، وقال شيخ قطر أن توقيع شركة نفط العراق امتياز النفط في قطر هو اعتراف صريح والتزام سياسي من بريطانيا أمام الشيخ القطري بتبعية الزبارة إلى قطر، الأمر الذي سبق لبريطانيا أن فعلته عام١٢٩٠هـ /١٨٧٣م عندما أبلغت شيخ البحرين بعدم تبعية الزبارة إلى البحرين[٥٧].

أما القضية الثانية إلى أزمت العلاقات بين البحرين وقطر هي الخلاف على جزر حوار وفشت الديبل، وهي الأخرى افتعلت على خلفية عمل الشركات النفطية، فمن المعروف أن هناك خلاف على تبعية الجزر، وانطلاقاً من خلاف بدأت تدرس المشكلة حيث أرسل مستشار حكومة البحرين **تشارلز بلجريف** رسالة إلى المعتمد البريطاني عام ١٣٥٥هـ/٢٨ نيسان ١٩٣٦م قال فيها أن شيخ البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة يؤكد تبعية الجزر وما حولها التي تقع بين الطرف النهائي لجزيرة البحرين وساحل قطر لبلده. وأكد المستشار أن رعايا الجزر هم تابعين للبحرين وشيخها ويتقاضون في محاكمها وشرطة البحرين تحاسب الخارجين عن القانون لديهم، وفيما بعد أكد **(جوردون لوخ)** المعتمد البريطاني في البحرين في تقريره للمعتمد البريطاني في الخليج العربي عام ١٣٥٥/أيار ١٩٣٦م أن الجزر بعكس الزبارة ليس فيها أية رسائل تثبت تبعيتها إلى قطر، وان مصالح بريطانيا تتطلب زيادة مساحة البحرين، إضافة إلى أن شيخ قطر لم يتحدث عن رغبته في ضم الجزر ولم يعترض على نشاطات أبناء البحرين هناك، وقد أكد المستشار بلجريف في تموز١٣٥٥هـ/١٩٣٦م أنه من الممكن أن يتم إجراء مفاوضات بين الشركتين الحاصلتين على حقوق التنقيب عن النفط في قطر والبحرين **(بتروليم كونستين وشركة نفط البحرين)** حول المنطقة غير المحددة في البحرين وهي حوار، وقد أشرف بلجريف على المفاوضات[٥٨]، وقد أدى التنافس الشديد بين شركتي النفط السابقتين إلى احتدام المشكلة، حيث رغبت

شركة نفط قطر المنافسة لشركة نفط البحرين، والتي حاولت ضم الجزر إلى قطر في عقد الامتياز الموقع مع حاكم قطر .

من خلال ما سبق يمكننا أن نعرف أن النفط كان أحد الأسباب الرئيسة لاندلاع المشكلة الحدودية بين البلدين، وهو الذي أشعل التراكمات التاريخية التي عاشتها قطر والبحرين، من هنا نستطيع أن نفهم كيف أن الشركات النفطية البريطانية الساعية للحصول على حقوق التنقيب عن النفط كانت تشد الحبال بين البلدين كل حسب مصلحتها، في حين أن البلدين كانا يسعيان لضم أكبر مساحة ممكنة لزيادة ثروة بلديهما المحتملة، في حال ظهور النفط في تلك المناطق المتنازع عليها .

٦-تطور المشكلة الحدودية بين قطر والبحرين ١٩٣٨-٢٠٠١م:

أدت بريطانيا الدور الرئيس في إشعال مشكلة الحدود بين قطر والبحرين، حيث أعلن المستشار بلجريف في العام ١٣٥٦هـ/٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٧م ضم جزر حوار إلى البحرين، وقد أيدته بريطانيا بذلك، واتضح أن المشكلة الحدودية كانت مفتعلة نوعاً ما، فقد كان بالإمكان التفاوض مع شيخ قطر الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني الذي احتج لدى السلطات البريطانية مؤكداً أن الحجة التي قدمتها بريطانيا بأن البر القطري كان تحت سيادة آل خليفة منذ القرن التاسع عشر لا تعتمد على اعتبارات قانونية أو تاريخية دقيقة، أما السير **ترنشارد كرافن فاول** المقيم السياسي البريطاني في الخليج (١٩٣٢-١٩٣٩م) فقد أكد في رسالة بعث بها إلى الدائرة السياسية في حكومة الهند أنه من الضروري ضم الجزر إلى البحرين، وذلك لأن المفاوضات مع شركات النفط قد بدأت، وختم المقيم البريطاني رسالته بأنه من المفيد للسياسة البريطانية أن تعادل بين قطر والبحرين، فكما منحت الزبارة إلى قطر عليها أن تمنح جزر حوار إلى البحرين. وقد أبدى شيخ قطر استياءه من القرار البريطاني بتأييد مطالب شيخ البحرين مؤكداً أن الموقع الجغرافي للجزر يجعلها جزءاً من قطر، وبعد شروط ورسائل

ووثائق وردود متبادلة حملها دبلوماسيو بريطانيا بين الشيخين جاء الحكم البريطاني في ١١/١٣٥٨ تموز ١٩٣٩م ليؤكد أن جزر حوار تتبع شيخ البحرين، احتج شيخ قطر على ضم جزر حوار للبحرين، إلا أن هذا لم يؤثر على القرار البريطاني حتى العام١٣٦٠هـ/١٩٤١م الذي حمل تطوراً جديداً، حيث أعلن المعتمد البريطاني **كارلوس جيفري بريور** أن هناك معطيات جديدة تؤيد مطلب شيخ قطر بجزر حوار، فقد ورد في دليل لوريمير أنها تتبع إلى قطر، إلا أن حكومة الهند لم تأخذ بكلام المعتمد وظلت الأمور على ما هي عليه مضبوطة من قبل بريطانيا حتى العام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م عندما أرسل المقيم البريطاني في البحرين رسالة إلى حاكمي قطر والبحرين يطلب منهما وضع الحدود الفاصلة بين البلدين، وباعتبار جزر حوار وفشت الديبل وجرادة مناطق تابعة للبحرين، الأمر الذي أثار استياء حاكم قطر ودفعه إلى الاعتراض بشدة عام١٣٦٨هـ/١٩٤٨م معتبراً أن مطالبة شيخ البحرين بالجزر جاء بعد العام ١٣٥٥/ ١٩٣٦م أي بعد ظهور التنافس بين الشركات النفطية ولو كان له حقوقاً لطالب بها منذ وقت سابق، وتجمد النزاع بين البلدين حتى العام ١٣٨٥/١٩٦٥م حيث تجدد الصراع مرة أخرى بعد منح البحرين شركة **كونتنتال** النفطية الأمريكية حق التنقيب في الجزر، مما أثار احتجاج حاكم قطر لدى بريطانيا فأوقفت الامتياز دون أن تحسم المشكلة نهائياً، بل أبقتها على حالها، واستمر الخلاف بين البلدين دون تطور يذكر حتى عام١٣٩٢هـ/١٩٧٢م عندما اكتشف النفط في حقل الشمال القطري، الأمر الذي دفع البحرين إلى التفكير بهذا الحقل، وقد استطاعت الوساطة السعودية عام١٣٩٩هـ /١٩٧٨م بالتوصل إلى اتفاقية بين البلدين تجمد الوضع في الجزر المتنازع عليها، إلا أنه سرعان ما تبخرت الاتفاقية بعد إعلان الخبراء أن حقل دخان النفطي يعاني من تسرب للنفط في تجويفات تصب في جزر حوار الأمر الذي دفع البحرين إلى التمسك بالجزر[٥٩]، وقامت عام١٤٠٣هـ/١٩٨٢م بمناورات عسكرية بالقرب من فشت الديبل، مما أسهم في نزول اسم الفشت إلى الخلاف الحدودي بين البلدين[٦٠]، الأمر الذي

اعتبرته قطر استفزازاً لقطر ولجهود السلام وتعطيلاً لها، عندها تدخل مجلس التعاون الخليجي وكلف السعودية بالوساطة بين البلدين وطلب منهما عدم اتخاذ أي إجراءات حتى يتاح للمجلس العمل على حل المشكلة، إلا أن الأمور عادت إلى التأزم بعد إعلان حكومة البحرين أنها ستردم فشت الديبل وتبني فوقه مدينة، وأنها ستمد جسراً يربط بين البحرين وقطر، ثم أتبعتها البحرين بخطوة أخرى عام١٤٠٦هـ/١٩٨٥م عندما أعلنت أنها ستنشئ مركزاً للتدريب العسكري في المياه المحاذية لشمال غربي قطر وتشمل جزر حوار ومنطقة كبيرة من الجرف الصخري الذي تعتبره قطر تابعاً لها، وطالبت بمنع الطيران فوق تلك المنطقة، فما كان من الحكومة القطرية إلا أن قدمت احتجاجاً رسمياً لدى حكومة البحرين واتبعتها بخطوة ثانية أسهمت في زيادة التوتر في العلاقات بين البلدين، حيث أصدرت الحكومة القطرية الأوامر لطائراتها بمهاجمة فشت الديبل عام ١٤٠٧هـ/٢٦ نيسان ١٩٨٦م، وهو المكان الذي كانت البحرين تجري فيه مناوراتها العسكرية وتقيم فيه المقر الذي سبق وأعلنت عنه، عندها كان لا بد لجهود الوساطة أن تتحرك لوقف هذا التصعيد المتبادل بين البلدين، فكلف مجلس التعاون الخليجي السعودية بالوساطة، وقد نجحت الجهود السعودية في جمع وزيري خارجية البلدين على مائدة المفاوضات في الرياض وتم التوصل إلى اتفاق تضمن نقاط عدة أهمها:

١-عودة الطرفان إلى الحدود التي كانت عليها بينهما قبل ١٤٠٧هـ/٢٦ نيسان ١٩٨٦م.

٢-عدم استخدام القوة العسكرية لفسح المجال للوساطة والمساعي السلمية لحل النزاع.

٣-تشكيل هيئة للإشراف على عودة الأمور كما كانت عليه في ١٤٠٧هـ/٢٦ نيسان ١٩٨٦م.

٤-يتم بحث النزاع على الحدود بين الدولتين وفقاً للقانون والمعطيات التاريخية. ولذلك، على البلدين إعداد الوثائق التي تمتلكها كل دولة لإثبات حقوقها في تلك المناطق.

وافقت الدولتان على الاقتراح السابق، وترافق هذا النزاع مع حرب الخليج الثانية عام١٤١١هـ/١٩٩٠م، مما أدى إلى تجميد النزاع، إلا أنه ما لبث أن تجدد في نهاية الحرب١٤١٢هـ/١٩٩١م حيث رفعت قطر القضية إلى محكمة العدل الدولية عام ١٤١٢/٨ تموز ١٩٩١م بشكل منفرد، وطالبت بسيادتها على جزر حوار وفشت الديبل وجرادة، إلا أن البحرين احتجت على ذلك وتقدمت إلى محكمة العدل الدولية طعناً بالمطالب القطرية، وقدمت طلباً بمنطقة الزبارة التي سيطرت عليها قطر عام١٣٥٦هـ/١٩٣٧م ومكامن اللؤلؤ ومصايد الأسماك [٦١]، وهكذا انتقل الخلاف إلى المحافل الدولية ومحاكمها، لتبدأ مرحلة جديدة للنزاع خرج من دائرة السيطرة العربية إلى الأروقة الدولية، وبدأت المحكمة بالاستماع إلى حجج كل دولة ممثلين بجواد سالم العوض عن البحرين وعبد الله بن اللطيف السلماني عن قطر، وقد أكدت قطر تبعية الجزر لها بحكم القرب الجغرافي مثبتة دعوتها بصور من الأقمار الصناعية، في حين أكدت البحرين على تبعية الجزر لها وفقاً للمبررات التاريخية والقانونية. [٦٢] وفي العام١٤١٣/١٩٩٢ أصدر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مرسوماً يجعل فيه حدود المياه الإقليمية لقطر ب٤٤,٤ كيلو متراً أي بزيادة عشرة جزر تحت السيادة البحرينية[٦٣]، وبعد مداولات استمرت عشر سنوات أصدرت محكمة العدل الدولية في لاهاي في ١٤٢٢هـ/١٦ آذار ٢٠٠١م على لسان القاضي الفرنسي **جيلبار غيوم**، وقد أعطى الحكم جزر حوار وجرادة للبحرين، في حين أعطى (الزبارة وفشت الديبل وجزيرة جنان) و(**حاد جنان)** لقطر، وأعطى القرار الحق للسفن التجارية القطرية المرور في المياه الإقليمية للبحرين التي تفصل جزر حوار عن غيرها من الجزر البحرينية، وقد تقبل الفريقان المتنازعان القرار برحابة صدر، وقد تحدث كل من حاكم

قطر والبحرين على أن القرار الصادر هو نهاية لمرحلة سادها التوتر بين البلدين وبداية لمرحلة جديدة من العلاقات الودية والتعاون الاقتصادي بما يخدم مصلحة البلدين(٦٤).

لقد انتهى مع القرار القضائي الصادر من محكمة العدل الدولية لاهاي تاريخ من التنازع والتوتر بين البلدين الشقيقين(قطر والبحرين)، وقد ظهر من كل ما سبق كيف أن منطقة الخليج العربي عاشت جواً من التوتر المفروض عليها بقوة النفوذ الغربي فيه، حيث افتعلت بريطانيا وكل من سعى لمنافستها ومنهم الولايات المتحدة الأمريكية في نهب ثروات الخليج العربي على خلق المشاكل بين دوله بطريقة تمكنها من التدخل عبر تلك المشاكل وإيجاد موطئ قدم لها في أراضي الخليج العربي، وبالتالي الحصول على حصة ما من خلال دعم أحد الأطراف المتخاصمة، الأمر الذي كان يعقد المشكلة ويزيد من تداعياتها، إلا أن رغبة البلدين الشقيقين في قطع الطريق على كل من يريد استغلال هذا النزاع أدت في نهاية المطاف إلى إنهاء هذا الخلاف والذي كان عبر المحاكم الدولية.

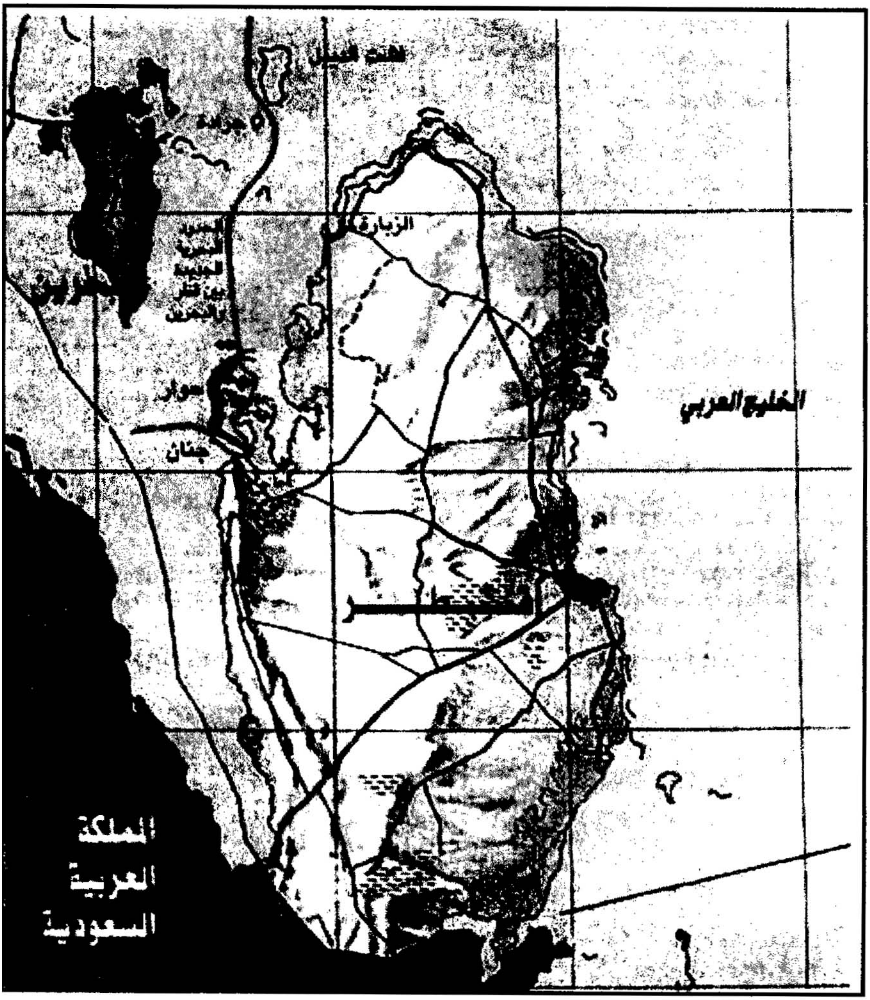
الملحق رقم (١)



أهم المناطق الواردة في البحث والمتنازع عليها بين قطر والبحرين(٦٥)

الملحق رقم (٢)

المناطق المتنازع عليها بين قطر والبحرين قبل قرار محكمة لاهاي (٦٧)



الملحق رقم (٣)

الحدود النهائية بين قطر والبحرين[٦٨]



الهوامش

(١) قبيلة عربية هاجرت من منطقة الهدار حيث موطنها الأصلي الواقعة في الافلاج جنوبي نجد نتيجة للقحط والجدب وانتقلت في مسيرتها نحو ساحل الخليج العربي، ومن العتوب تفرعت أسرة آل خليفة في البحرين وأسرة آل الصباح في الكويت. أنظر: طهبوب، فائق حمدي، تاريخ البحرين السياسي :١٧٨٣-١٨٧٠م، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣م، ص٥٥

(٢) هم من بني خالد وقسم من آل حميد الدين وقد كانوا حكام قطر قبل قدوم آل خليفة إلى الزبارة عام ١٧٦٦م وقد كانوا كثيري العدد والعدة ويعملون بالتجارة وصيد اللؤلؤ وهم على المهب المالكي. أنظر: المنصور، عبد العزيز، التطور السياسي لقطر ١٨٦٩-١٩١٦، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٣٤

(٣) تقع الزبارة على الشاطئ الغربي من شبه جزيرة قطر عمرت بوصول العتو باليها سنة ١٧٦٦م فتضاعفت لدرجة وصفها الكابتن تيلر بانها ٤٠٠بيت وهي كبرى مدن الجزيرة وكانت مقراً لرئاسة أحد حكام آل خليفة حيث أصبحت في عهده مزدهرة تجارياً لدرجة أنها نافست موانئ الإحساء وبلا فارس ولذلك كان الصراع حولها كبيرا فهي حتى اليوم ما تزال موضع نزاع بين البحرين وقطر. للمزيد من المعلومات راجع: المنصور، **التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩م**، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٢٧

(٤) كانت قطر قبل العام ١٧٦٦م ضمن مناطق نفوذ بني خالد الذين اتخذوا من الإحساء مقراً لهم. للمزيد من المعلومات راجع :I/P/S 20 E 89 حيث تحتوي

هذه الوثيقة كتيبات منها كتيب عن الخليج العربي أصدرته الادميرالية عام ١٩١٩م .

(٥) للمزيد من المعلومات حول استعادة العرب للبحرين من الحكم الفارسي راجع : لوريمير، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثالث، قسم الترجمة مكتب أمير قطر، د.ت، ص١٢٧١-١٢٧٣

(٦) للمزيد من المعلومات حول اتحاد القبائل القطرية وتفاصيل تحركها إلى البحرين راجع : ولكنسون، جون.س، **حدود الجزيرة العربية قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء**، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص٧٠-٧٦

(٧) لوريمير، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص١٢١٤

(٨) للمزيد من المعلومات حول تلك الأحداث راجع: المصدر السابق، ص١٢١٥؛ أيضاً: المنصور التطور السياسي لقطر ١٨٦٩-١٩١٦م، مرجع سابق، ص٣٦-٤٢

(٩) وثيقة رقم ٢، الخترش، عبد المحسن، المنصور، عبد العزيز، **مصادر التاريخ القطري**، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٣

(١٠) الموقع الرسمي لمجلس الشورى، مملكة البحرين، جغرافيا **مملكة البحرين**، في٢٢/٣/٢٠١٠م:
http://www.shura.bh/LegislativeResource/bahrain/Pages/geography.aspx

(١١) الفلكي، **يوسف قضية البحرين بين الماضي والحاضر**، د.ن، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٦

(١٢) السرياني، محمد، الحدود **الدولية في الوطن العربي نشأتها وتطورها ومشكلاتها**، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠١م، ص ٢٦٤

(١٣) للمزيد من المعلومات حول طبيعة قطر راجع : ج.ج. لوريمر، **دليل الخليج العربي القسم الجغرافي**، الجزء السادس، طبع على نفقة أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، ص١٩٤١-١٩٤٢

(١٤) المنصور، عبد العزيز، **التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨م - ١٩١٦م**، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م ص١٢

(١٥) the story of Britain's boundary drawing the desert, London- p41 Jhon.c.wilkinson , Arabia's frontier New YORK

(١٦) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م ، ص٣٧٣

(١٧) علي، حبيبة، **من قضايا البحرين في التاريخ**، الوثيقة، دورية نصف سنوية، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الخامس، السنة الثالثة شوال ١٤٠٤هـ/ تموز١٩٨٤م

(١٨) تقع الزبارة على الشاطئ الغربي من شبه جزيرة قطر عمرت بوصول العتو باليها سنة ١٧٦٦م فتضاعفت لدرجة وصفها الكابتن تيلر بانها ٤٠٠بيت وهي كبرى مدن الجزيرة وكانت مقراً لرئاسة أحد حكام آل خليفة حيث أصبحت في عهده مزدهرة تجاريا لدرجة أنها نافست موانئ الإحساء وبلا فارس ولذلك كان الصراع حولها كبيرا فهي حتى اليوم ما تزال موضع نزاع بين البحرين وقطر. للمزيد من المعلومات راجع: المنصور **التطور السياسي لقطر ١٩١٦-١٩٤٩م**، مرجع سابق، ص١٢٧

(١٩) Wilkinson , P42-43

(٢٠) يعود نسب قبيلة آل ثاني إلى قبيلة تميم التي تنقسم الى ثلاثة بطون في نجد بطن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم وثانيها بطن سعد بن زيد بن مناة ابن تميم وثالثها بطن عمرو بن تميم، وآل ثاني من المعاضيد من بطن حنظلة ومنه أيضا الوهبة أسرة الإمام محمد بن عبد الوهاب استقروا في قطر في أوائل القرن الثمن عشر في واحة جيرين الواقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة

القطرية ثم غادرها إلى اسكك جنوب قطر ثم انتقلوا إلى الرويس والزبارة ليستقروا بعد موت عيسى بن طريف في الدوحة وسرعان ما أصبحت الدوحة تحت زعامة الشيخ محمد آل ثاني الذي عرفت عنه المصادر الأجنبية بشيخ الدوحة ..

(٢١) للمزيد من المعلومات حول آل ثاني وأصولهم راجع: الدباغ، مصطفى مراد، **قطر ماضيها وحاضرها**، منشورات دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، ص١٧٥-١٧٦

(٢٢) جاسم بن محمد آل ثاني (١٢٣٦-١٣٣٣/١٨٣١-١٩١٣) ناب عن أبيه قبل وفاته ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م قام بالإصلاح اثر فتنة استفحلت وقدمه أهله وتولى إمارتهم وعمل على توسيع تجارته باللؤلؤ اشتهر بشجاعته وفروسيته تمكن من تأسيس الدولة القطرية المستقلة بعد فصلها عن البحرين سنة ١٢٩٠هـ قال فيه المؤرخين أنه أمير قطر وفارسها وخطيبها ومفتيها. للمزيد من المعلومات راجع: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، أيار ٢٠٠٢م، ص١٨٤-١٨٥

(٢٣) لوريمير، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، الجزء الثالث، ص١٢٠٤-١٢٠٥

(٢٤) للمزيد من المعلومات حول المعاهدة راجع: الوثيقة رقم ١ نقلاً عن: الدكتور الخنرش، المنصور، **مصادر التاريخ القطري**، مرجع سابق، ص١١

(٢٥) لوريمير، مصدر سابق، ص١٢١٦

(٢٦) المنصور، **التطور السياسي لقطر ١٨٦٩-١٩١٦م**، مرجع سابق، ص٢٤

(٢٧) البحارنة، محمد حسين، **التطورات السياسية الدستورية في دول الخليج العربية ١٨٢٠-٢٠٠٤م**، دار الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م، ص٢١

(٢٨) للمزيد من المعلومات حول تلك الأحداث راجع : المنصور **التطور السياسي لقطر ١٨٦٩-١٩١٦**، مرجع سابق، ص٣٦-٤٢

(٢٩) منطقة على خليج البصرة وهي ميناء تجاري هام، وفي نفس السياق طلب الشيخ جاسم من العثمانيين المساعدة بعد أن أوضح أن المقيم البريطاني طلب منه دفع ثلاثين ألف روبية لقاء تدخله في شؤون البحرين وهدده أنه إذا لم يدفع سيحرق السفن القطرية التي استولى عليها وذلك عام ١٨٨١/١٢٩٨، إلا أن طلب المساعدة لا يعني أنه يرغب في الوجود القوي للدولة العثمانية إلا أنه يحاول الحصول على المزيد من المكاسب للحصول على استقلال قطر النهائي، لكنه عندما شعر أن الدولة العثمانية ستشكل عبئاً عليه بعد طلبها القيام بإصلاحات في قطر ومحاولتها تعيين موظفين فيها مال إلى التعاون مع الانجليز فوراً .للمزيد من المعلومات حول علاقة الشيخ جاسم والعثمانيين راجع: صابان، سهيل، **الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني**، ط١، دار الملك عبد العزيز الرياض، ٢٠٠٥ م، ص٢٣

(٣٠) للمزيد من المعلومات راجع: **وثيقة رقم** ٦وهي عبارة عن مذكرة بقلم أ.و.مور تتحدث عن النفوذ التركي على طول الساحل العربي وهي توضح في جزئها الثاني من خلال خطاب سري من الهند رقم ١٢٧ بتاريخ آب ١٨٧٣ يفيد هذا التقرير أن السيادة التركية على قطر تمتد من ساحل قطر حتى العديد، الخترش والمنصور، المصدر السابق، ص١٤

(٣١) للمزيد من المعلومات راجع : **وثيقة رقم** ٦وهي عبارة عن مذكرة بقلم أ.و.مور: الخترش والمنصور، المصدر السابق، ص١٤

(٣٢) حيث ورد اسم قطر بصفتها قضاء تابع لسنجق نجد وورد اسم الشيخ جاسم كقائمقام لقطر انظر: **وثيقة رقم و.ع ٥.ب** ٢٣ شباط ١٣٢٧هـ منقول عن أرقام الوثائق العثمانية لدى: المصدر السابق، ص١٤٠

(٣٣) مكتب وسجلات الهند ١٠/٤/ بي- سي-ل رقم ٧٧ لعام ١٩٠٤م حكومة الهند الدائرة الخارجية سري/خارجي رقم ١٨٥ مؤرخة في ٢٩ ديسمبر/كانون أول ١٩٠٢م (سري) حيث تظهر رسالة موجهة من الكولونيل سي.اي كمبيول القائم بأعمال المقيم السياسي في الخليج إلى القائم بأعمال سكرتير حكومة الهند في الدائرة الخارجية رغبة بريطانيا في استغلال الحالة الغير مستقرة بين أفراد أسرة آل ثاني آنذاك: أنظر: الخترش والمنصور، المصدر السابق، ص١٢٤

(٣٤) وقد ورد طلب الحماية في برقية أرسلها نائب الملك في الهند إلى الحكومة البريطانية بتاريخ ١١تشرين الثاني ١٩٠٣. انظر: L/PAS10/4/160 وثيقة رقم ٧٣: الخترش والمنصور، المصدر السابق، ص٤٢

(٣٥) للمزيد من المعلومات راجع : Wilkinson ,p73-83

(٣٦) لوريمير، **دليل الخليج العربي**، القسم التاريخي، الجزء الثالث، ص١٢٥١

(٣٧) للمزيد من المعلومات حول هذه الحادثة وتداعياتها راجع: ابراهيم، ابراهيم، عبد العزيز عبد الغني، **أمراء وغزاة "قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج** دراسة وثائقية" دارة الساقي، الطبعة الثانية،١٩٩١م، ص٧٠-٧٥

(٣٨) لقد تأخر توقيع الاتفاقية على الرغم من جلاء الأتراك عن قطر لحصول خلافات حول السلطة فور وفاة الشيخ جاسم عام ١٩١٣م حيث نافسه أخوه خليفة على السلطة فر وفاة أبيه فاستنجد الشيخ عبد الله بالانجليز الذين وقفوا إلى جانبه ودعموا موقفه، وقد قدمت بريطانيا كل وسائل الدعم للشيخ عبد الله انظر: R/15/2/E/14 و P .4140/1914 وثيقة رقم ١٠٧-١٠٨، الخترش والمنصور، المصدر السابق، ص٥٤-٥٥

(٣٩) للمزيد من المعلومات حول الاتفاقية راجع: المنصور، **التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦م**، مرجع سابق، ص١٢٤-١٣٤

(٤٠) للمزيد من المعلومات حول الاتفاقية راجع، سعيد،أمين، **العربية السعودية،** مطابع دار الهلال، الرياض، د.ت ص٧٥-٧٦

(٤١) الزبارة :سميت بهذا الاسم نسبة إلى ارتفاعها وتقوم على آثار قرية كبيرة قديمة على الساحل القطري مقابل جزيرة البحرين من جهة الجنوب وتمتد في البحر كراس عريض هي من المناطق المهمة جداً بالنسبة إلى آل خليفة فمنها انطلقوا إلى البحرين وفيها وضعوا كل خبراتهم بعد مغادرتهم الكويت، فأصبحت مركزاً لصيد اللؤلؤ ونقل البضائع إلى وسط شبه الجزيرة العربية. أنظر: المنصور، التطور السياسي في قطر ١٨٦٨-١٩١٦م، مرجع سابق، ص١٢٨

(٤٢) المهمة بالنسبة إلى آل خليفة حكام البحرين، فهذه المدينة هي التي احتضنتهم بعد مغادرتهم الكويت بعد اقتسام آل الصباح وعتبة والجلاهمة إدارة شؤونها مما دفعهم إلى مغادرتها والعودة إلى الزبارة عام ١٧٦٦م واستقروا فيها فترة من الزمن، ومن هناك تعاونوا مع قبائل قطر واتجهوا إلى البحرين وحرروها من الحكم الفارسي عام ١٧٨٣م

(٤٣) هي مجموعة من الجزر تضم ست عشرة جزيرة متلاصقة، وسطحها جبلي مرتفع تبعد نحو عشرين كيلو متر عن الجنوب الشرقي لأقصى البحرين وأقل من ٢كيلو متر من قطر ويمكن الوصول إليها من السواحل القطرية سيراً على الاقدام في حالة الجزر، وتقسم إلى حوار الشمالية وساد الجنوبية وممزوزة، وتعدها البحرين جزءاً من ممتلكاتها .وتبلغ مساحة الجزر ١٥,٩٦ وطولها أحد عشر ميلاً وأقصى عرض لها حوالي ميلين، ويعني اسم حوار الحمل الصغير. للمزيد من المعلومات راجع: السرياني، الحدود الدولية للوطن العربي، ص٢٦٤ ؛ أيضاً: المنصور، مرجع سابق، ص١٥١ -١٥٢

(٤٤) للمزيد من المعلومات راجع: مشكور، سالم، **نزاعات الحدود في الخليج العربي معضلة السيادة والشرعية**، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٣، ص١١٩

(٤٥) البحارنة، حسين، **دول الخليج العربي الحديثة**، شركة التنمية والتطوير، بيروت،١٩٧٣ م، ص١٢٧

(٤٦) H . R . P . Dickson , Kuwait and her neighbors , LONDON 1956 P.125-126

(٤٧) عمرو، عبد الرؤوف أحمد، **قناة السويس في العلاقات الدولية ١٨٦٩-١٨٨٣م**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٨-٣٤

(٤٨) عصفور، أحمد عباس، **صراع الخليج العربي ضد المطامع الأجنبية في العصر الحديث**،بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ بغداد، ١٩٧٣م، ص١٤٣

(٤٩) للمزيد من المعلومات راجع: الاحسائي، محمد بن عبد الله الأنصاري، **تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد**، ط١، مطابع الرياض، الرياض، ١٩٦٠، ص٢٥-٢٧

(٥٠) الالوسي، محمود شكري، **تاريخ نجد**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٣٤٣هـ، ص٣٧

(٥١) يرجع نسبهم إلى قحطان وهم ثلاثة بطون: الخواطر- البوخريبان - البو شميس وهناك قسم منهم يسكن البريمي. للمزيد من المعلومات عن هذه القبائل راجع: كيلي، جون .ب، **الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية**، ترجمة خيري حماد، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م، ص٣٣٦-٣٤٣

(٥٢) المنصور، **التطور السياسي لقطر**، مرجع سابق، ص٨٥-٨٦

(٥٣) حيث اعتدى أحد إخوة الشيخ عيس على هذه القبيلة فهاجر البحرين مع قبيلته وأقام في قطر وطلب معونة الشيخ قاسم لغزو البحرين الأمر الذي شجعته الدولة العثمانية، وقد سمح لهم الشيخ قاسم بالإقامة في الزبارة، ورفع العلم العثماني على

سفنهم للمزيد من المعلومات راجع: لوريمير، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، الجزء الثالث، ص١٣٨٩-١٣٩٢

(٥٤) للمزيد من المعلومات حول المعارك والمفاوضات بين العثمانيين والانكليز راجع: ابراهيم، **أمراء وغزاة**، مصدر سابق، ص٧٢-٧٥

(٥٥) لوريمير، **القسم لتاريخي**، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص١٣٩٢-١٣٩٠

(٥٦) ولكنسون، **حدود الجزيرة العربية**، مصدر سابق، ص١٦٤-١٦٩

(٥٧) للمزيد من المعلومات راجع الملحق رقم (١)

(٥٨) للمزيد من المعلومات حول مشكلة الزبارة راجع: المنصور، **التطور السياسي لقطر**، مرجع سابق، ص ١٣٤-١٥٠

(٥٩) جاءت هذه الرسالة على خلفية النزاع الذي حصل بين قبيلة النعيم وقبيلة المرازين بزعامة رمزان بن عرار، وقد دعى شيخ قطر قبيلة المرازين لأن تقف إلى جانب قبيلة المعاضيد وهي قبيلة آل ثاني،فاستاء شيخ النعيم راشد بن محمد الجبر من ذلك وارسل إلى الشيخ القطري رسالة عام ١٩٣٧م اعتبرها الشيخ مهينة وطالب شيخ النعيم باعتذار مناسيب للمزيد من المعلومات راجع: المرجع السابق، ص١٣٠

(٦٠) المنصور، المرجع السابق، ص١٢٩-١٣١

(٦١) للمزيد من المعلومات راجع: المرجع السابق، ص١٥٣-١٥٤

(٦٢) للمزيد راجع : موسوعة مقاتل http://www.mukatel.com

(٦٣) للمزيد من المعلومات راجع: مشكور، **نزاعات الحدود في الخليج**، مرجع سابق، ص١٢١-١٢٤

(٦٤) صادق، سعيد محروس، **منازعات الحدود في مجلس التعاون الخليجي ملامحها العامة مع دراسة للنزاع القطري – البحريني والنزاع القطري –**

السعودي، مجلة الاقتصاد والإدارة، المجلد ٨، العدد١، سنة النشر ١٤٤٥هـ/١٩٩٥م، ص٢٧٢-٢٧٤

(٦٥) للمزيد من المعلومات راجع **تاريخ النزاع بين قطر والبحرين** في البي . بي . سي أون لاين في الموقع الالكتروني

(٦٦) http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1225000/1225089.stm في ٢٠٠١/٣/١٦ م

(٦٧) للمزيد من المعلومات راجع أخبار سويسرا اليوم في ١٧ آذار ٢٠٠١م في الموقع الالكتروني : httpwww.swissinfo.ch/ara/index.html?cid=1940954

(٦٨) للمزيد من المعلومات حول الحدود التي كانت عليها قبل قرار المحكمة والتي أصبحت عليها بعده راجع: الملحق رقم (٢) والملحق رقم (٣)

(٦٩) المصدر: المصدر : الشلق،احمد زكريا،**فصول من تاريخ قطر السياسي**، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، ١٩٩٩م، ص٢٥٧

(٧٠) المصدر: موسوعة مقاتل نقلاً عن الموقع الالكتروني

http://www.mukatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/NeezaHodoo/map01.jpg_cvt.ht

(٧١) المصدر : موسوعة مقاتل نقلاً عن الموقع الالكتروني

http://www.mukatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/NeezaHodoo/map01.jpg_cvt.htm

المصادر والمراجع

١. ابراهيم، عبد العزيز عبد الغني، أمراء وغزاة "قصة الحدود و السيادة الإقليمية في الخليج دراسة وثائقية " دارة الساقي، الطبعة الثانية،١٩٩١م

٢. الاحسائي، محمد بن عبد الله الأنصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، ط١، مطابع الرياض، الرياض، ١٩٦٠ م

٣. الالوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٣٤٣هـ

٤. البحارنة، حسين، دول الخليج العربي الحديثة، شركة التنمية والتطوير، بيروت،١٩٧٣م

٥. البحارنة، محمد حسين،التطورات السياسية الدستورية في دول الخليج العربية ١٨٢٠-٢٠٠٤م، دار الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م

٦. ج.ج .لوريمير، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثالث، قسم الترجمة مكتب أمير قطر، د.ت

٧. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج العربي القسم الجغرافي، الجزء السادس، طبع على نفقة أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

٨. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م

٩. الخترش، عبد المحسن، المنصور، عبد العزيز، مصادر التاريخ القطري، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٤

١٠. الدباغ، مصطفى مراد، قطر ماضيها وحاضرها، منشورات دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م

١١. الرؤوف أحمد، قناة السويس في العلاقات الدولية ١٨٦٩-١٨٨٣م، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧م

١٢. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، أيار ٢٠٠٢م

١٣. السرياني، محمد، الحدود الدولية في الوطن العربي نشأتها وتطورها ومشكلاتها، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠١م

١٤. سعيد، أمين، العربية السعودية، مطابع دار الهلال، الرياض، د.ت

١٥. سهيل، الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني، ط١، دار الملك عبد العزيز الرياض، ٢٠٠٥ م، ص٢٣

١٦. طهبوب، فائق حمدي، تاريخ البحرين السياسي :١٧٨٣-١٨٧٠، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣م

١٧. عصفور، أحمد عباس، صراع الخليج العربي ضد المطامع الأجنبية في العصر الحديث،بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد ١٩٧٣

١٨. علي، حبيبة، من قضايا البحرين في التاريخ، الوثيقة، دورية نصف سنوية، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الخامس، السنة الثالثة شوال ١٤٠٤هـ/ تموز ١٩٨٤م

١٩. الفلكي، يوسف، قضية البحرين بين الماضي والحاضر، د.ن، القاهرة، بدون تاريخ

٢٠. كيلي، جون.ب، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ترجمة خيري حماد، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م

٢١. مشكور، سالم، نزاعات الحدود في الخليج العربي معضلة السيادة والشرعية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٣م

٢٢. المنصور، عبد العزيز، التطور السياسي لقطر ١٨٦٨-١٩١٦، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

٢٣. ولكنسون،جون.س، حدود الجزيرة العربية قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت

المراجع الإنكليزية:

1- story of Britain's boundary drawing the desert, London-New YORK Jhon.c.wilkinson . A rabia's frontier2- H . R . P . Dickson , Kuwait and her neighbors , LONDON 1956

المواقع الالكترونية :

١- الموقع الرسمي لمجلس الشورى، مملكة البحرين، جغرافيا مملكة البحرين، في ٢٢/٣/٢٠١٠م :

http://www.shura.bh/LegislativeResource/bahrain/Pages/geography.aspx

تاريخ النزاع بين قطر والبحرين في البي . بي . سي أون لاين في الموقع الالكتروني

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1225000/1225089.stm في ١٦/٣/٢٠٠١

٢- أخبار سويسرا اليوم في ١٧ آذار ٢٠٠١م في الموقع الالكتروني :

httpwww.swissinfo.ch/ara/index.html?cid=1940954

٤- نقلاً عن الموقع الالكتروني : موسوعة مقاتل

http://www.mukatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/NeezaHodoo/map01.jpg_cvt.ht